الإرشاد

في معرفة حجج الله على العباد

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان

العكبري، البغدادي المعروف بالشيخ المفيد

(٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ)

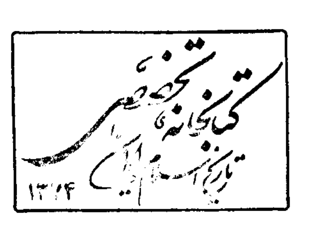
وبذيله حواشي

العارف الرباني الكامل السيد علي القاضي قدس سره

١


سيره
امامان
١١
١
٢٢


دار زین العابدین
ایران. قم. پاساژ قدس. محل رقم ۳۶
تلفن ۳۷۷۳۲۷۳۱ نقال ۰۹۱۲۴۵۱۲۵۶۳
www.zein.ir




الإرشاد
في معرفة حجج الله على العباد



ايران. قم. پاساژ قدس. محل رقم ٣٦
تلفون ٣٧٧٣٢٦٣١ نقال ٠٩١٢٤٥١٢٥٦٣

ايران. قم. مجتمع ناشران. محل رقم ١٢٥
تلفون ٣٧٧٣٢٧٣١ نقال ٠٩١٢٧٤٨١٥٨٦

www.zein.ir

يهدى ثواب هذا العمل الى روح المرحوم المغفور له
السيد عقيل زين العابدين الموسوي

شابك جلد ١: ٩ ـ ٧١ ـ ٦٠٨١ ـ ٦٢٢ ـ ٩٧٨
شابك دوره: ٢ ـ ٧٠ ـ ٦٠٨١ ـ ٦٢٢ ـ ٩٧٨



الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ١

تأليف: الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد

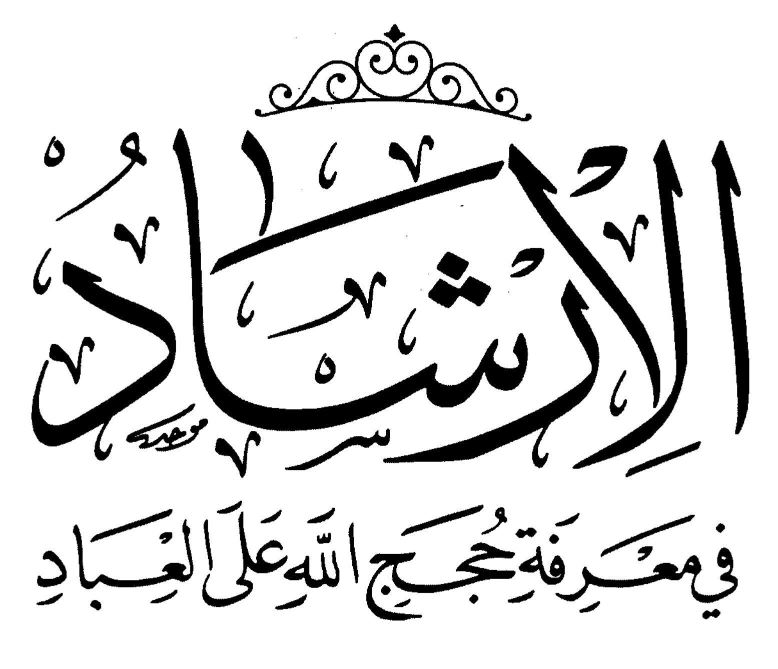
وبذيله حواشي: العارف الرباني الكامل السيد علي القاضي ﷺ

تحقيق: فالح عبد الرزاق العبيدي

الطبعة: الأولى ١٣٩٨ هـ.ش ٢٠٢٠م
الكمية: ٥٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ٤٤٠ صفحة
تصميم الغلاف: السيد مسلم السيد زين العابدين

سازمان اسناد و کتابخانهٔ ملی جمهوری اسلامی ایران

سرشناسه: مفید، محمد بن محمد، ٣٣٦ - ٤١٣ق.
Mufid, Muhammad Ibn Muhammad
عنوان و نام پدیدآورنده: الارشاد في معرفة حجج الله على العباد/ لمؤلفه محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ؛ وبذيله حواشي العارف الرباني السيد علي القاضي؛ تحقيق فالح عبد الرزاق العبيدي.
مشخصات نشر: قم: دار زين العابدين، ١٤٤١ هـ = ٢٠٢٠ م = ١٣٩٨.
مشخصات ظاهری: ٢ج.
شابک: ١٥٠٠٠٠٠ ریال: دوره: 978-622-6081-70-2 ؛ ج.١: 978-622-6081-71-9 ؛ ج.٢: 978-622-6081-72-6
وضعیت فهرست نویسی: فیپا.
یادداشت: عربی.
یادداشت: کتابنامه.
موضوع: ائمه اثناعشر.
موضوع: Imams (Shiites)
موضوع: امامت.
موضوع: Imamate
شناسه افزوده: قاضی، سیدعلی، ١٢٨٢ ـ ١٣٦٦ ق.
شناسه افزوده: عبیدی، فالح عبدالرزاق، - .
شناسه افزوده: Ubaydi, Falih Abd al-Razzaq
رده بندی کنگره: BP ٣٦/٥ / م٧ الف٤ ١٣٩٨
رده بندی دیویی: ٢٩٧/٩٥
شماره کتابشناسی ملی: ٥٤٥٠٦٠١



في معرفة حجج الله على العباد

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان
العكبري، البغدادي المعروف بالشيخ المفيد
(٣٣٦ - ٤١٣ هـ)

وبذيله حواشي

العارف الرباني الكامل السيد علي القاضي

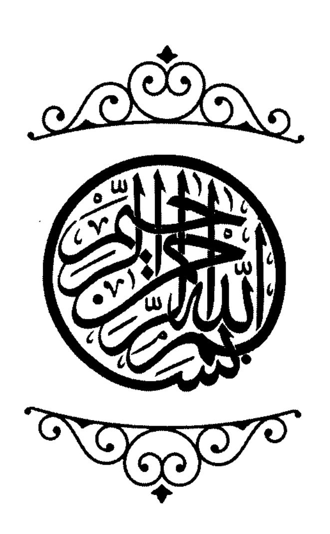
تحقيق

فالح عبد الرزاق العبيدي

دار زين العابدين

١







بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إنّ الباحث والمتتبّع إذا أراد سبر أغوار شخصية ما والتحرّي عن الوقائع الحقيقية التي تحيط بتلك الشخصية لابد أن يضع نصب عينيه خطّةً يرسم معالمها في ذهنه ويسطرها في قالب يعيّن فيه ما سَهُل من طرقها وما تشعّب من سُبُلها، كي يكون على بيّنة من أمره في كلّ خطوة يخطوها خلال سَيْره في أجواء تلك الشخصية التي يروم الوصول إلى ما دقّ من تفاصيل حياتها، خوفاً من أن يشذّ عن ناظره شيءٌ يكون له مدخلية في أبعاد تلك الصورة التي يريد أن يرسمها حوله، فكل صورة لها أبعاد ظاهرية، وأبعاد معنوية، مع الغاية من رسمها، والإشارة التي يُراد من القارىء أن ينتبه إليها.

ولا نريد أن ندّعي أننا نستطيع أن نلمّ بجميع الجوانب المحيطة بهذه الشخصية وتفاصيلها الدقيقة، كلاّ وألف كلاّ، بل نريد طرح لُمامة مما قيل في حقّها.

ونحن في هذا الكتاب الذي بين أيدينا (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد مع حواشي السيد علي القاضي) نريد أن نقف أمام شخصيتين بارزتين على مستوى الساحة العلمية، ألا وهما الشيخ المفيد ﷺ والسيد علي القاضي ﷺ، فلابد من التطرّق إلى شيء يسير ولو نبذة مختصرة من حياتهما الشخصية إتماماً للفائدة المتوخّاة من نشر هذا الكتاب.

فالشيخ المفيد والسيد علي القاضي قدّس سرّهما يُعدّان من الشخصيات

البارزة التي أحيت العلوم الإسلامية، وقامت بالترويج وبشكل حثيث للثقافة الشيعية ونشر الفقه الإماميّ، بحيث أصبحا من الأفذاذ اللذين يُشار إليهما بالبنان، كلٌّ حسب أسلوبه وتخصّصه ومنهجه الإبداعي في هذا المجال، ولهذا فسوف نقوم بالتطرّق لكل واحد منهما على انفراد.

١ ـ الشيخ المفيد ﷺ

هو خرّيت فنّ الحديث، وشيخ الكلام، صاحب رأي سديد، ومنهج عقلي وعلمي أصيل، ويحمل بين جنبيه روحاً علميةً واسعةً ومنفتحة في تقبّلها للآراء الأخرى المقابلة، ويعدّ من العلماء الأوائل الممهّدين لأصول المذهب الإمامي ومدرسته، فبتبنّيه المنهج العلمي العقلي، أدخل عملية البحث مرحلة جديدة وحيوية في عالم التصنيف والدراسة، ومن أجل ذلك جاءت مصنفاته شموليةً عميقةً وغنية، تعلوها سمات القوّة والعمق والأصالة في العرض والأدلة والنتائج، حتى قال أبو حيان التوحيدي عنه: وأما ابن المعلم فحسن اللسان والجدل، صبور على الخصم، ظنين السر(١).

فنتج من هذا وغيره أن ترك أثراً في العلم ومساره في عصره والعصور التي تلته وإلى يومنا الحاضر.

ويكفي في وصفه ما ناله من شرف التكريم من قبل الناحية المقدّسة بأن حباه بأوصاف لم ينلها أحد غيره، حيث نَعَته بأوصاف جميلة، فقد خاطبه في أحد

---

١ ـ الإمتاع والمؤانسة، ج ١، ص ١٢٥.

التوقيعات بقوله ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ : إلى الأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه.

وفي توقيع آخر خاطبه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بقوله: سلام الله عليك أيها الناصر للحق، الداعي إليه بكلمة الصدق ـ إلى قوله: ـ ونحن نعهد إليك أيها الولي المخلص، المجاهد فينا الظالمين، أيّدك اللّه بنصره الذي أيّد به السلف من أوليائنا الصالحين.

وستجد ذلك مسطوراً في التوقيعين اللذين خصّه الإمام ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ بهما، وقد نقلناهما في المقدمة التي ذكرها المؤلف في نهاية النسخة الخطية، ونحن جعلناها في أول هذا الكتاب تماشياً مع ترتيب المصنّفات الحديثة.

النسب:

وهو كما ذكره تلميذه الشيخ النجاشي في رجاله: محمد بن محمد بن النعمان، بن سعيد بن جبير بن وهيب بن هلال بن أوس بن سعيد بن سنان بن عبد الدار بن الريان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن علة بن خلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[١].

---

١ ـ رجال النجاشي، ص ٣٩٩، تسلسل ١٠٦٧.

الولادة:

ولد الشيخ المفيد ﵀ في ١١ ذي القعدة بعكبرى من أعمال الدجيل بالعراق سنة ٣٣٦ أو ٣٣٨ هـ[١].

ولم تتطرق الكتب التاريخية والحديثية إلى تفاصيل عن حياة والده سوى النزر اليسير.

قال السيد محسن الأمين ﵀: ترعرع في كنف والده الذي لم نعرف من أخباره سوى كونه معلماً بواسط، ولذلك كان يكنى ولده بابن المعلم[٢].

السمات الشخصية:

إذا أردنا أن نتطرق إلى الصفات التي امتازت بها شخصية الشيخ المفيد ﵀ فلابد أن نصغي إلى كلمات الثناء والمدح التي قيلت في حقّه من قبل الأعلام سواء من العامة أو الخاصة، ونحن نتكىء في هذا المجال على هذه الجهة تماشياً مع الحديث الوارد عن النبي الكريم ﷺ: «عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس»[٣]، ونريد من خلال هذا الأسلوب أن نستخلص من كلماتهم زبدة القول الفصل من منابع علومهم مع مكانتهم العلمية في مذاهبهم، وحينها ندرك عظمة هذه الشخصية التي برزت في وقتهم، وشعّ نور علمها في سماء المعرفة في زمانهم،

---

١ ـ رجال النجاشي، ص ٣٩٩، تسلسل ١٠٦٧.

٢ ـ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، ج ٩، ص ٤٢٠.

٣ ـ الجامع الصغير للسيوطي، ج ٢، ص ١٨٢، ح ٥٦٣٢.

حتى وصل إلى مرتبة لا يدانيه أو يضاهيه في هذا المضمار عليها أحد، فإنه كان يناظر أهل كل عقيدة فلا يدرك شأوه، حتى جاءت كلمة الحق على لسان الصفدي في حقّه: أنه كان أوحد عصره في فنونه[١].

التدرّج في الدراسة:

يقول السيد محسن الأمين: ما إن تجاوز المفيد سني الطفولة وأتقن مبادىء القراءة والكتابة حتى انحدر به أبوه وهو صبي إلى بغداد حاضرة العلم ومهوى أفئدة المتعلّمين، فسارع إلى حضور مجلس درس الشيخ أبي عبد الله الحسين بن علي المعروف بالجعل بمنزله بدرب رباح، ثم قرأ على أبي ياسر غلام أبي الجيش بباب خراسان، وفي أثناء قراءته على أبي ياسر اقترح عليه أستاذه هذا أن يكثر التردد على مجلس المتكلّم الشهير علي بن عيسى الرماني المعتزلي، ففعل[٢].

وقصّته مع الرمّاني المعتزلي - والتي تُذكر في مقام سبب إطلاق لقب المفيد عليه - مشهورة، حيث إنه أول من لقّبه بذلك، والقصّة مسطورة في المقدمة الآتية التي نقلناها من النسخة الخطّية.

الجانب الاجتماعي:

لقد تسنّم الشيخ المفيد ﷺ رئاسة المذهب الإمامي في وقته حتى بلغ الذروة في تصدّره المكانة المرموقة في المجتمع، بحيث لمع نجمه، وأضاءت شمس

---

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي، ج ١، ص ١٠٨.

٢ ـ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، ج ٩، ص ٤٢٠.

علومه، فأصبحت تلك المكانة واضحة للعيان كالشمس في واضحة النهار، لا يخالطها الريب، ولا يشوبها الشك، فلم يجد أبناء العامة مخلصاً من التطرّق إلى هذه الميزة التي يمتلكها هذا العالم الشيعي وهم يرون نجمه قد برز في سماء الوجود، وأخذ صيته ينتشر كالنار في الهشيم في الأوساط العلمية، مما حدا بهم أن تناولت أقلامهم هذا الخبر في كتبهم ومؤلفاتهم حينما يريدون التطرق إلى تفاصيل حياته عندما يواجهون شخصيته معترضة لهم في طريق براهينهم.

فهذا ابن العماد الحنبلي ينقل عن ابن أبي طيّ الحلبيّ أنّه قال: هو شيخ مشايخ الصوفية، ولسان الإمامية، رئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كل عقيدة، مع الجلالة العظيمة في الدولة البويهية - إلى أن قال: - وقال غيره: كان عضد الدولة ربما زار الشيخ المفيد(١).

ولم يغفل ابن حجر عن مثل هذه المكانة حيث نقل عنه ما قيل في حقه: أنّ عضد الدولة كان يزوره في داره ويعوده إذا مرض(٢).

وقال ابن النديم: ابن المعلّم، أبو عبد الله، محمّد بن محمّد بن النعمان، في زماننا، إليه انتهت رئاسة أصحابه من الشيعة الإماميّة في الفقه والكلام والآثار(٣).

وقال ابن كثير: شيخ الإمامية الروافض، والمصنّف لهم، والمحامي عن حوزتهم، كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف، لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف(٤).

---

١ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٣، ص ١٩٩.

٢ ـ لسان الميزان، ج ٥، ص ٣٦٨، تسلسل ١١٩٦.

٣ ـ الفهرست للنديم، ص ٢٤٧.

٤ ـ البداية والنهاية لابن كثير، ج ١٢، ص ١٩.

هذا غيضٌ من فيضٍ، ويسيرٌ من كثير ما نقل من الكلمات التي أثنت عليه من قِبَل المخالفين له.

أما ما قيل في حقّه من قِبل أعلام المذهب الحق فهو أشهر من أن يُعرف، فلقد أطرى عليه الشيخ الطوسي بقوله: من جلّة متكلّمي الإمامية، انتهت رئاسة الإمامية في وقته إليه في العلم، وكان مقدّماً في صناعة الكلام[١].

وقال ابن داود الحلي: شيخ متكلمي الإمامية وفقهائها، انتهت رئاستهم إليه في وقته في العلم[٢].

وقال عنه السيد بحر العلوم: شيخ المشائخ الجلة، ورئيس رؤساء الملّة، فاتح أبواب التحقيق بنصب الأدلة، والكاسر بشقائق بيانه الرشيق حجج الفرق المضلّة، اجتمعت فيه خلال الفضل، وانتهت إليه رئاسة الكل، واتفق الجميع على علمه وفضله وفقهه وعدالته و ثقته وجلالته[٣].

وغير ذلك من الأقوال الكثيرة التي لا يسعنا نقلها في هذه المقالة المختصرة لئلاّ يطول بنا المقام، فنوعز إلى القارىء الكريم الذي يريد أن يطّلع أكثر على الكلمات التي قيلت في حقّه أن يراجع المعاجم التي نقلت ترجمته مفصلاً أو إجمالاً.

إضافة إلى مناظراته مع كثير من الفرق التي ذاع صيتها آنذاك والتي أخذت تلهج بها الألسنة،كجماعة المعتزلة وأصحاب المقالات ومتكلّمي المجبرة

---

١ ـ الفهرست للشيخ الطوسي، ص ٤٤٤، تسلسل ٧١١.

٢ ـ رجال ابن داود الحلي، ص ٣٣٣، تسلسل ١٤٦٤.

٣ ـ الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم، ج ٣، ص ٣١١.

والحشوية والناصبية والكيسانية والإسماعيلية والقرامطة والمباركية والناووسية والشمطية والفطحية والواقفة والبشرية، وغيرها، فكان يحاجج أهل كل عقيدة، ويناظر علماء الأديان في مختلف الآراء، ويجيب على الشُّبَه والمسائل التي تطرح على مستوى الساحة العلمية، كلّ ذلك ناشيء من رسوخ قدمه في العلم والفضيلة، ومن قدرته على القيام بأعباء حمل رسالة المذهب بكفاءة متميزة.

فلقد كان شديداً على أهل البدع والأهواء وحملة الأفكار المنحرفة، حتى أنّ بعضهم كان يتفادى مناظرته ويخشى المحاججة معه.

فمن الذين ناظرهم: القاضي أبو بكر أحمد بن سيار(١)، والكتبي المعتزلي(٢)، والقاضي أبو محمّد العماني(٣)، وأبو بكر بن الدقاق(٤)، وأبو العباس هبة اللّه بن المنجم(٥)، وأبو بكر بن صرايا(٦)، والطبراني وهو شيخ من الزيدية(٧)، وابن لؤلؤ وهو شيخ من الإسماعيلية(٨)، وأبو القاسم الداركي(٩)، والشيخ أبو الحسن وأبو طاهر الجوهريان(١٠)، وأبو الحسن عليّ بن نصر(١١)، وغيرهم كثير،

١ ـ الفصول المختارة، ص ١٨.
٢ ـ الفصول المختارة، ص ٢٥.
٣ ـ الفصول المختارة، ص ٣٠.
٤ ـ الفصول المختارة، ص ٣٠.
٥ ـ الفصول المختارة، ص ٨٧.
٦ ـ الفصول المختارة، ص ١٢٠.
٧ ـ الفصول المختارة، ص ١٢٨.
٨ ـ الفصول المختارة، ص ١٥٨.
٩ ـ الفصول المختارة، ص ١٦٣.
١٠ ـ الفصول المختارة، ص ١٧٥.

فألزمهم فيها الحجّة بالمنطق والدليل الذي لا ينقض.

الجانب العبادي:

حينما نلقي نظرة في هذا المجال على السيرة العبادية للشيخ المفيد نراه ذلك العالم الذي شاع صيته في الآفاق، وتجاذب الكلام حوله الخاص والعام، حتى جاءت الكلمات المادحة له من خلال أقوال الخصوم والمناوئين مجسّدة لتلك الحقيقة التي لا يمكن أن يُدلى دونها ستار، ولا يمكن للغيوم أن تغطي شعاع نور علمه في وضح النهار.

فإذا أمعنا النظر حول عبادته وأوراده التي داوم عليها لوجدناه السبّاق إلى طاعة ربه، والمواظب على أداء حق الباري تعالى، حيث إنه ما كان ينام من الليل إلاّ هجعة، ثمّ يقوم ويصلّي، أو يتلو كتاب اللّه، أو يطالع، أو يدرس، وهذا ما نقله ابن حجر عن الشريف أبي يعلى الجعفري[١٢].

ولقد كان متقدّماً في كلّ فضيلة ومنقبة من مآثر العلم والعمل والتي يتحلّى بها الإنسان الذي يروم الوصول إلى التكامل الخلقي، فأصبح المصداق المثالي والمرآة الأجلى لقول أمير المؤمنين عليه السلام: كونوا ينابيع العلم، مصابيح اللّيل، خلق الثّياب، جدد القلوب، تعرفوا به في السماء، وتذكروا به في الأرض[١٣].

وها هي الكلمات قد وردت متسارعة حول كثرة معروفه وصدقته، وأنه

---

١١ ـ الفصول المختارة، ص ٣٣٧.

١٢ ـ لسان الميزان لابن حجر، ج ٥، ص ٣٦٨.

١٣ ـ كنز العمال للمتقي الهندي، ج ١٦، ص ٢٠٦، ح ٤٤٢٣٠.

عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، وأنه كان يلبس الخشن من الثياب.

وهذا مما شهد له به أعلام العامة قبل الخاصة، ونطقت به ألسن المناوئين قبل الموالين.

فلقد نقل الذهبي عن ابن أبي طي قوله: كان قوي النفس، كثير البر، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، يلبس الخشن من الثياب[١].

ونقل ابن العماد الحنبلي في شذراته عن ابن أبي طيّ الحلبيّ أنّه قال: كان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، حسن اللباس[٢].

الجانب العلمي:

إنّ الشيخ المفيد ﷺ استطاع بقوة برهانه أن يحتل المكانة العلمية المرموقة في تلك الفترة الزمنية التي انتشرت فيها الديانات والآراء المتخالفة، حيث تغلب في مناظراته ومحاوراته على أهل الديانات الأخرى، وأفلج حججهم وبراهينهم، وأوقفهم على شاطيء الحقيقة العلمية التي لابد أن يتوقف عندها كل باحث أو طالب.

فلقد كثرت الكلمات المتناثرة في طيات الكتب التي طرحها العلماء في وصف المرتبة العلمية التي وصل إليها الشيخ المفيد ﷺ من خلال الإطراء عليه ببعض العبارات التي تحاول وصف شخصية الشيخ المفيد، حيث كان فقيهاً متقدماً، غزير العلوم، جمّ الفضائل، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، حسن

١ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١٧، ص ٣٤٤، تسلسل ٢١٣.

٢ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٣، ص ١٩٩.

اللسان والجدل، ضنين السرّ، جميل العلانية، بارعاً في جميع العلوم، حتى كان يقال: له على كل إمام منّة، وكل من تأخر عنه استفاد منه، أوثق أهل زمانه وأعلمهم، وغيرها من الكلمات التي قيلت في حقه[1].

ومن هنا انطلقت الكلمات التي تمجّد بشخصيته التي برزت في الساحة العلمية بتفوّق كبير لا يضاهيه في حججه أحد، ولا يدانيه في قوة برهانه مكابر.

قال ابن أبي طيّ في تاريخ الإمامية: رئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كل عقيدة[2].

وكيفما كان فمكانة الشيخ المفيد ﷺ غنية عن التعريف والبيان ؛ إذ هتفت باسمه ألسنة المدح والثناء، وأشادت بمكانته العلمية أقوال العلماء، واشتهر فضله اشتهاراً أغنى عن الإشادة بذكره والإفاضة في سيرته.

مشايخه:

تخرج الشيخ المفيد ﷺ على عدة من المشايخ من أهل الفضل ممن يذعن لهم الخاصّة والعامّة، وجميعهم من أفذاذ العلماء الذين كانت تشدّ الرحال إليهم، ونحن نذكر بعضاً منهم على سبيل المثال، وهم:

١ ـ أحمد بن محمّد بن الحسن بن الوليد القمي.

---

١ ـ انظر: الفهرست للشيخ الطوسي، ص ٤٤٤، تسلسل ٧١١ ؛ السرائر لابن إدريس، ج ٣، ص ٦٤٨ ؛ خلاصة الأقوال للعلامة الحلي، ص ٢٤٨، تسلسل ٤٦ ؛ لسان الميزان لابن حجر، ج ٥، ص ٣٦٨، تسلسل ١١٩٦.

٢ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٣، ص ١٩٩.

٢ ـ أبو غالب أحمد بن محمّد بن سليمان الزراري.

٣ ـ أحمد بن الحسين بن أسامة البصري.

٤ ـ أحمد بن محمّد بن جعفر الصولي.

٥ ـ الشريف أحمد بن محمّد بن عيسى العلوي الزاهد.

٦ ـ أحمد بن محمد الجرجاني.

٧ ـ أحمد بن إبراهيم بن أبي رافع الصيمري.

٨ ـ إسماعيل بن محمّد الأنباري الكاتب.

٩ ـ إسماعيل بن يحيى العبسي.

١٠ ـ جعفر بن الحسين المؤمن.

١١ ـ جعفر بن محمد بن قولويه.

تلامذته:

وكما سبق في ذكر مشايخه نقوم بذكر بعضاً وليس حصراً ممن تتلمذ على يديه، وهم:

١ ـ أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي.

٢ ـ أحمد بن عليّ بن قدامة.

٣ ـ جعفر بن محمّد بن أحمد بن العباس الدوريستي.

٤ ـ الحسين بن علي النيشابوري.

٥ ـ سلار بن عبد العزيز الديلمي.

٦ ـ عليّ بن محمّد بن عبد الرحمن الفارسي.

٧ ـ الشريف السيد المرتضى علم الهدى عليّ بن الحسين بن موسى الموسوي.

٨ ـ أبو الفوارس بن عليّ بن محمّد بن عبد الرحمن الفارسي.

٩ ـ الشريف السيد الرضي محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي.

١٠ ـ محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة.

مؤلفاته:

ونقتصر على بعض ممّا اخترناه من رجال النجاشي والفهرست للشيخ الطوسي، التزاماً منا بالاختصار، فمنها:

١ ـ رسالة في الفقه إلى ولده لم يتمها.

٢ ـ كتاب الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء الكريم، وقد أدرجنا بذيله حواشي السيد علي القاضي.

٣ ـ كتاب الأركان في الفقه.

٤ ـ كتاب الأعلام.

٥ ـ كتاب الإفصاح في الإمامة.

٦ ـ كتاب الإيضاح في الإمامة.

٧ ـ كتاب الرد على الجاحظ العثمانية.

٨ ـ كتاب الفصول من العيون و المحاسن.

٩ ـ كتاب الكلام في وجوه إعجاز القرآن.

١٠ ـ كتاب المزار الصغير.

١١ ـ كتاب المقنعة في الفقه.

١٢ ـ كتاب المنير في الإمامة.

١٣ ـ كتاب النقض على ابن عبّاد في الإمامه.

١٤ ـ كتاب النقض على ابن قتيبة في الحكاية و المحكي.

١٥ ـ كتاب النقض على علي بن عيسى في الإمامة.

١٦ ـ كتاب جمل الفرائض.

١٧ ـ كتاب في أحكام أهل الجمل.

١٨ ـ كتاب كشف الألباس.

١٩ ـ كتاب لمح البرهان.

٢٠ ـ كتاب مسائل النظم.

٢١ ـ كتاب مصابيح النور.

٢٢ ـ كتاب مناسك الحج.

٢٣ ـ كتاب نقض المروانية.

٢٤ ـ كتاب نقض فضيلة المعتزلة.

٢٥ ـ المسائل الجرجانية.

٢٦ ـ المسائل الدينورية.

٢٧ ـ المسائل الصاغانية.

٢٨ ـ المسائل المنثورة نحو من مائة مسألة.

وفاته:

توفي الشيخ المفيد ﵀ لليلتين أو ثلاث ليال خلت من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وصلّى عليه الشريف المرتضى بميدان الأشنان، وضاق على الناس مع كبره، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه، وكثرة البكاء من المخالف له والمؤالف، ودفن في داره سنين، ثم نقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيد أبي جعفر ؏[1].

وقد ذكر جماعة من العلماء أنّه وجد مكتوباً على قبر الشيخ المفيد بخط الإمام صاحب الأمر ؏ هذه الأبيات:

لا صوّت الناعي بفقدك إنه يوم على آل الرسول عظيمُ

إن كنتَ قد غُيّبتَ في جدث الثرى فالعدل والتوحيد فيك مقيمُ

والقائمُ المهدي يفرح كلّما تليت عليك من الدروس علومُ

فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

---

١ ـ انظر: رجال النجاشي، ص ٣٩٩، تسلسل ١٠٦٧ ؛ الفهرست للشيخ الطوسي، ص ٤٤٤، تسلسل ٧١١.

٢ - السيد علي القاضي ﷺ

وهو العارف والفيلسوف والمفسّر وأستاذ الأخلاق والسير والسلوك، وهو الإنسان الذي تحرّر من شهواته الحيوانية وصار موجوداً ملكوتياً يعاين عالم الملكوت، وتنكشف له حقائق الوقائق والأحداث، كما يظهر ذلك من الذين عاصروه وعاشروه، فنطقت ألسنتهم معبّرة بهذه المفردات والكلمات التي أرادوا بها وصف شخصية السيد القاضي ﷺ.

قال السيد محمد حسين الطهراني ﷺ: إنه فريد العصر وحسنة الدهر، العارف الذي لا بديل له، والموحد الذي لا نظير له، سيد العلماء العاملين، وأفضل الفقهاء والمجتهدين[١].

وقال في موضع آخر: كان قمة الفن، والجامع بين الظاهر والباطن، وأستاذ الأخلاق والمعارف[٢].

وعبّر عنه ثالثاً: بأنه عارف القرن الذي لا نظير له[٣].

وحسب تعبير أبرز طلابه وهو السيد هاشم الحداد أنه قال: لم يأت منذ

---

١ ـ الروح المجرد، ص ١١.

٢ ـ رسالة السير والسلوك، ص ١٠، المقدمة.

٣ ـ الروح المجرد، ص ١٩١.

صدر الإسلام حتى الآن في مثل شمول وجامعية المرحوم القاضي[١].

النسب:

وهو ـ كما هو مسطور في آخر صفحة من المخطوطة ـ: السيد علي بن المولى الحاج الميرزا حسين بن الميرزا أحمد القاضي بن الميرزا رحيم القاضي بن الميرزا تقيّ القاضي بن الميرزا محمد القاضي بن الميرزا محمد علي القاضي بن الميرزا صدر الدين محمد بن الميرزا يوسف نقيب الأشراف بن الميرزا صدر الدين محمد بن مجد الدين بن سيد إسماعيل بن الأمير علي أكبر بن الأمير عبد الوهاب بن الأمير عبد الغفّار بن سيد عماد الدين أمير حاجّ بن فخر الدين حسن بن كمال الدين محمد بن سيد حسن بن شهاب الدين علي بن عماد الدين علي بن سيد أحمد بن سيد عماد بن أبي الحسن علي بن أبي الحسن محمد بن أبي عبد الله أحمد بن محمد الأصغر، ويعرف بابن الخزاعية، بن أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم الطباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الإمام أبي محمد الحسن المجتبى بن الإمام الهمام علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام.

الولادة:

ولد السيد علي القاضي في ١٣ ذي الحجة من سنة ١٢٨٥ هجرية في مدينة تبريز الواقعة في الشمال الغربي من إيران[٢].

١ ـ الروح المجرد، ص ١٩١.

٢ ـ العطش العرفاني، ص ٩.

التدرّج في الدراسة:

بدأ دراسة العلوم الأدبية والدينية منذ صباه على يد والده، وعلى الميرزا موسى التبريزي صاحب حاشية الرسائل، والسيد محمد علي القراجه داغي صاحب حاشية شرح اللمعة.

هاجر إلى النجف في سنة ١٣١٣ هـ بعد بلوغه سن السادسة والعشرين من العمر، وهناك تتلمذ على يد أكابر علمائها، كالمولى محمد الفاضل الشرابياني، والشيخ محمد حسن المامقاني، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والميرزا حسين الخليلي، وكان يعدّ من أفاضل تلامذة الخليلي، حيث حضر دروسه في تهذيب الأخلاق، وكان مشغوفاً به ويكنّ له أعلى درجات الاحترام(١).

ينقل السيد محمد حسين الطهراني أن الأستاذ الأول للسيد علي القاضي في السير والسلوك هو والده السيد حسين القاضي، وهو تلميذ قلي نخجواني الذي هو تلميذ قريش القزويني، إلى فترة هجرته إلى النجف الأشرف.

وحينما حطّ رحاله في النجف الأشرف صحب في مراحل طي طريقه السيد أحمد الكربلائي الطهراني، وكذلك لازم ولسنوات متمادية المرحوم العابد الزاهد السيد مرتضى الكشميري، ولكن ليس بعنوان التتلمذ، بل صحبة ومرافقة في الطريق(٢).

---

١ ـ طبقات أعلام الشيعة، ج ١٦، ص ١٥٦٥، تسلسل ٢٠٨٠.

٢ ـ انظر: مهر تابان، ص ٢٨ و ٢٩.

تضلعه بالعلوم الأخرى:

يقول السيد محمد حسين الطهراني نقلاً عن العلامة الطباطبائي ﷺ: لم يكن للمرحوم القاضي نظيرٌ في اللغة العربية، ويقال: إنه حفظ أربعين ألف كلمة، وكان ينشد الشعر العربي بطريقة لم يكن العرب يتصورون أنه أعجمي.

وفي إحدى جلسات المذاكرة مع الشيخ عبد الله المامقاني رحمه الله قال للسيد القاضي: لدي القدرة والتسلّط على اللغة العربية وأشعارها بحيث أستطيع أن أميز مَن ينشد الشعر العربي إذا كان أعجمياً حتى ولو كان شعره في أعلى مستوى من الفصاحة والبلاغة.

فأخذ السيد القاضي يقرأ قصيدة لأحد الشعراء العرب، ثم أضاف على البداهة عدة أبيات من تأليفه، وقال له: أيّ الأبيات التي ليست للعرب؟ فلم يستطع الشيخ المامقاني تحديدها[١].

الجانب العبادي:

يقول السيد حسين الهمداني النجفي: كنت في سنة ١٣٤٧ أو ١٣٤٨ في مدرسة قوام في النجف الأشرف حينما جاء المرحوم السيد علي القاضي إلى المدرسة وطلب من المتصدّي للمدرسة أن يضع إحدى حجرات المدرسة تحت تصرفه، وبالفعل أعطاه غرفة صغيرة في الطابق الأعلى، وبعد ذلك علمت أن السيد أراد أن يتخذ من هذه الحجرة مكاناً للخلوة لأجل العبادة والتهجد لضيق منزله،

---

١ ـ مهر تابان، ص ٢٧.

وكثرة عياله وأولاده، ليجد الهدوء والخلوة للتهجد والعبادة، ولا يريد أن يسبب الأذى لعياله أثناء عبادته.

ومن المتعارف أن طلبة المدرسة يخلدون إلى النوم بعد الساعة الثانية عشر ليلاً ليتهيأوا للدروس الصباحية، وفي هذه الأثناء يشرع السيد القاضي بتهجده وعبادته في تلك الحجرة الصغيرة، وخلال وجودي في المدرسة لم أرَ السيد القاضي قضى ليلة نائماً، وكان يحيي الليل بالنوح والبكاء، وقد رأيت في أثناء هذه الفترة القصيرة التي قضيتها معه حالات فريدة لم أرها من أحد غيره(١).

ومن أعماله العبادية الأخرى أنه كانت له غرفة في مسجد الكوفة وأخرى في مسجد السهلة، فكان ينفرد فيهما ليبيت في بعض الليالي كي يتعبد بهما ويبدأ بمزاولة مناجاته وأذكاره وأوراده فيهما(٢).

تلامذته:

١ ـ العلامة السيد محمد حسين الطباطائي صاحب تفسير الميزان.

٢ ـ الشيخ محمد تقي الآملي.

٣ ـ السيد هاشم الحداد.

٤ ـ الشيخ عباس القوچاني.

٥ ـ الشيخ علي محمد البروجردي.

---

١ ـ نشريه حوزه، شماره ٣٠، تاريخ ١٠ اسفند ١٣٦٧، دفتر تبليغات اسلامي حوزه علميه قم، مصاحبه با استاد آيت الله حسين همداني نجفي.

٢ ـ مهر تاب، ص ٣٠.

٦ ـ الميرزا الشريفي.

٧ ـ الشيخ محمد تقي اللاري.

٨ ـ الشيخ علي أكبر المرندي.

٩ ـ السيد هاشم الهندي الرضوي.

١٠ ـ السيد حسن الأصفهاني.

١١ ـ الشيخ علي قسّام[١].

وفاته:

تُوفّي السيّد علي القاضي رضوان الله عليه، ليلة الأربعاء، السادس من ربيع الأوّل سنة ١٣٦٦ هجريّة، ودُفن في وادي السلام قرب مقام الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

يقول آغا بزرگ الطهراني: أرّخ وفاته العلامة المرحوم الشيخ محمد السماوي في أبيات فقدتها، إلاّ أن مادة التاريخ منها قوله: «قضى علي العلم بالأعمال»[٢].

هذا الكتاب:

من المعروف أن السيد علي القاضي قام – وهو في سن الحادية والعشرين

---

١ ـ مهر تابان، ص ٢٨.

٢ ـ طبقات أعلام الشيعة، ج ١٦، ص ١٥٦٥، تسلسل ٢٠٨٠.

من عمره –بتصحيح كتاب الإرشاد وذلك في سنة ١٣٠٦هجرية، وتمّ الانتهاء من كتابته على يد محمد حسين التبريزي في ١٧ ربيع المولود سنة ١٣٠٨ هـجرية وأصبح جاهزاً للطباعة[١].

عملنا في هذا الكتاب:

إنّ طريقة عملنا في هذا الكتاب تكمن في أننا اعتمدنا على النسخة الخطية التي دوّنت عليها الحواشي التي أدرجها السيد علي القاضي لتوضيح المـفردات الواردة في كتاب الإرشاد كما هو واضح في المخطوطة، وقد حصلنا على نسختين منها:

إحداهما: النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة تبريز، تحت الرقم ٢٩٩٧٣، تاريخ طباعتها: ١٣٠٨ هجرية.

ثانيهما: النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة الشيخ أبي الفـضل حـافظيان البابلي.

وأما المتن الأصلي لكتاب الإرشاد فقد اعتمدنا على المتن المحقق من قبل مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، وقمنا بإدخال الحواشي التي أثبتها السيد علي القاضي عليها، مع الإشارة إلى الاختلاف في الكـلمات أو العـبارات التـي وردت في النسخة الخطية، باعتبار أن السيد القاضي قد قـام بـبيان المـراد مـن الكلمات التي وردت في نفس النسخة الخطية التي اعتمدها كأصل صحيح عنده، وتلافياً للاختلاف الوارد بين المتن المعتمد في هذا الكتاب ومتن النسخة الخطية

١ ـ مهر تابان، ص ٣٤.

أشرنا إلى محل الاختلاف بين الكلمات أو العبارات ووضعها بين معقوفين بهذا الترتيب [في المخطوطة: ...].

وسار منهج العمل في هذا الكتاب وفق الخطوات التالية:

١ ـ قمنا بطباعة جميع التعليقات المدرجة في حاشية النسخة الخطية التي اعتمدناها في التحقيق.

٢ ـ مطابقة جميع ما تم طباعته مع أصل النسخة الخطية لتلافي وقوع الأخطاء والأغلاط المطبعية.

٣ ـ حينما واجهتنا بعض الكلمات غير الواضحة أو البياض في بعض أماكن النسخة الخطية، قمنا بالرجوع إلى النسخة الأخرى كي نحصل على نص متكامل من الشرح المدرج في النسختين.

٤ ـ تفريق المفردات المشروحة في الحاشية على نفس متن كتاب الإرشاد الذي اعتمدنا عليه.

٥ ـ إدراج المصدر اللغوي المصرّح به في آخر الشرح للمعاني التي أدرجها السيد القاضي في الحاشية حول كل مفردة، حيث نراه يضع أحياناً حرف (ق) أو (صح) أو (صحاح) أو غيرها من الرموز، وفي هذه الحالة وضعنا المصدر الذي اعتمده ما بين قوسين نهاية الحاشية لأجل تنبيه القارىء إلى أن هذا من كلام الشارح نفسه، ثم قمنا بإدراج نفس المصدر اللغوي الذي أشار إليه بهذا الرمز ووضعه ما بين معقوفين.

٦ ـ فيما إذا لم يكن هناك مصدر قد صرح به الشارح في المعنى الذي أدرجه في حاشيته قمنا بالرجوع إلى واحد من المعاجم اللغوية مع وضعه ما بين

معقوفين.

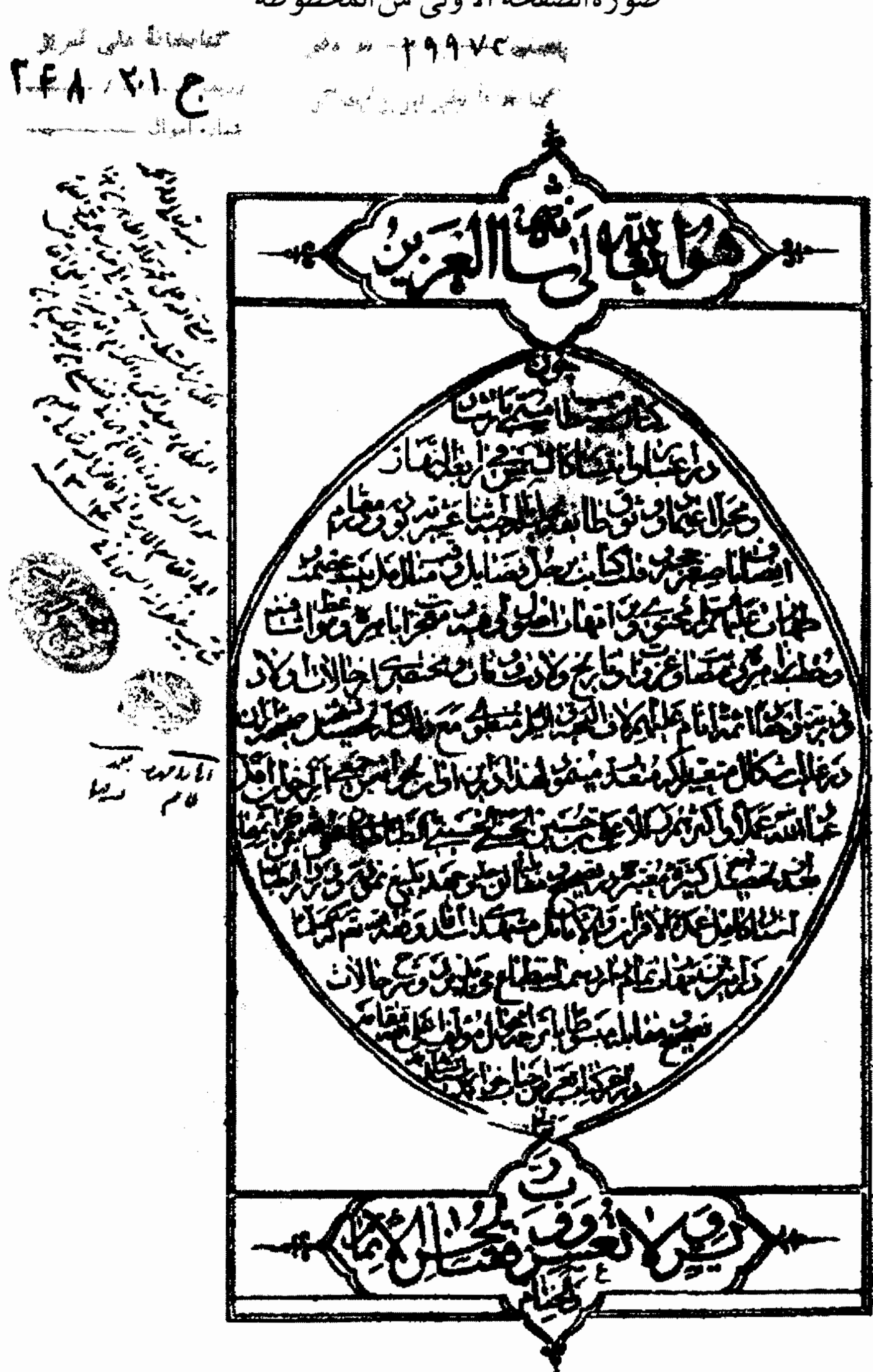
وفي الختام:

نتقدم بالشكر الجزيل للقائمين الأفاضل في مكتبة تبريز، وكذلك شكرنا وتقديرنا لسماحة الشيخ أبي الفضل حافظيان البابلي على مساعيهم في إيصال النسخة الخطية التي بحوزتهم وجعلها تحت تصرّفنا في عملنا هذا، فنسأل الله تعالى أن يسدّد خطاهم ويوفّقهم لخدمة الدين الحنيف إنه سميع عليم.

ولا يفوتنا في المقام أن نتقدم بالشكر الجزيل للسادة الأفاضل القائمين في دار زين العابدين الذين سعوا جاهدين في إبراز هذا الكتاب القيّم بهذه الحلّة القشيبة وبهذا الترتيب الأنيق، سائلين المولى عزّ وجل أن يوفّقهم لما يحب ويرضى إنه سميع الدعاء.

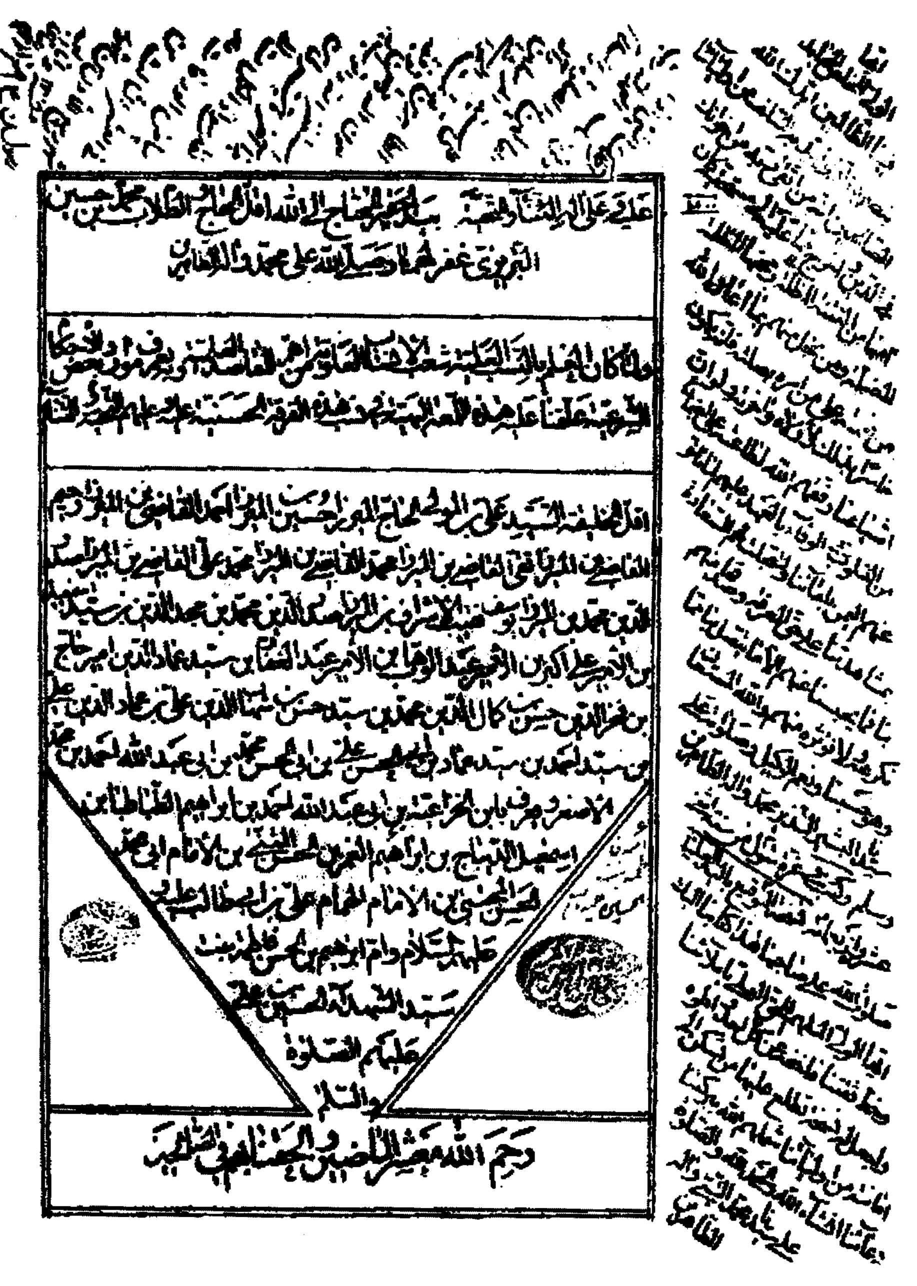
فالح العبيدي

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة





صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة



[كتاب الناحية المقدسة][1]

قال الشيخ الجليل أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ـ روّح الله روحه ـ في كتاب الاحتجاج:

ذِكرُ كتابٍ ورد من النَّاحية المُقدَّسة حرسها الله ورعاها ـ في أيَّامٍ بقيت من صفرٍ سنة عشر وأربعمائةٍ ـ على الشَّيخ المُفيد أبي عبد الله مُحمَّد بن مُحمَّد بن النُّعمان قدَّس الله رُوحهُ ونوَّر ضريحهُ، ذكر مُوصلُهُ أنَّهُ يحملُهُ من ناحيةٍ مُتَّصلةٍ بالحجاز[2].

نُسختُه:

للأخ السَّديد والوليِّ الرَّشيد الشَّيخ المُفيد أبي عبد الله مُحمَّد بن مُحمَّد بن النُّعمان أدام الله إعزازهُ من مُستودع العهد المأخُوذ على العباد.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

أمَّا بعدُ، سلامٌ عليك أيُّها الوليُّ المُخلصُ في الدِّين، المخصُوصُ فينا باليقين، فإنَّا نحمدُ إليك الله الَّذي لا إله إلَّا هُو، ونسألُهُ الصَّلاة على سيِّدنا ومولانا ونبيِّنا مُحمَّدٍ وآله الطَّاهرين، ونُعلمُك ـ أدام الله توفيقك لنُصرة الحقِّ، وأجزل مثُوبتك

---

١ ـ [هذا الكتاب مذكور في حاشية المخطوطة ص ٣٩٥.]

٢ ـ قوله: من ناحية متّصلة بالحجاز: يعني بعض المنتسبين إلى الحجاز من سفراء الإمام عليه السلام، هكذا أفاد بعض الأعلام.

على نُطقك عنَّا بالصِّدق ـ أنَّهُ قد أذن لنا في تشريفك بالمُكاتبة، وتكليفك ما تُؤدِّيه عنَّا إلى موالينا قِبَلك، أعزَّهُمُ الله بطاعته، وكفاهُمُ المُهمَّ برعايته لهُم وحراسته، فقف أيَّدك اللَّهُ بعونه على أعدائه المارقين من دينه على ما نذكُرُهُ، واعمل في تأديته إلى مَن تسكُنُ إليه بما نرسمُهُ إن شاء اللَّهُ تعالى.

نحنُ وإن كُنَّا ثاوين بمكاننا النَّائي عن مساكن الظَّالمين حسب الَّذي أراناهُ اللَّهُ تعالى لنا من الصَّلاح ولشيعتنا المُؤمنين في ذلك ما دامت دولةُ الدُّنيا للفاسقين، فإنَّا نُحيطُ علماً بأنبائكُم، ولا يعزُبُ عنَّا شيءٌ من أخباركُم، ومعرفتُنا بالأزل[1] الَّذي أصابكُم مُذ جنح كثيرٌ منكُم إلى ما كان السَّلفُ الصَّالحُ عنهُ شاسعاً[2]، ونبذُوا العهد المأخُوذ وراء ظُهُورهم كأنَّهُم لا يعلمُون، إنَّا غيرُ مُهملين لمُراعاتكُم ولا ناسين لذكركُم، ولو لا ذلك لنزل بكُمُ اللأواءُ[3]، واصطلمكُمُ[4] الأعداءُ، فاتَّقُوا اللَّه جلَّ جلالُهُ، وظاهرُونا على انتياشكُم[5] من فتنةٍ قد أنافت[6] عليكُم، يهلكُ فيها من حُمَّ أجلُهُ، ويُحمى عنها من أدرك أملهُ، وهي أمارةٌ لأُزُوف[7] حركتنا، ومُباثَّتكُم بأمرنا ونهينا، واللّهُ مُتمُّ نُوره ولو كره المُشركُون.

اعتصمُوا بالتَّقيَّة من شبِّ نار الجاهليَّة، يَحشُّها[8] عصبٌ أُمويَّةٌ، تهُولُ بها

---

١ ـ الأزل: الضيق والشدّة، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٢٨]

٢ ـ الشاسع: البعيد. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٥٣، مادة «شسع»]

٣ ـ اللأواء: الشدّة وضيق العيش، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٢١، مادة «لأي»]

٤ ـ اصطلمه: استأصله. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٤١٣، مادة «صلم»]

٥ ـ انتاشه: أخرجه. [تاج العروس، ج ٩، ص ٢١٧، مادة «نوش»]

٦ ـ أناف عليه: أي أشرف. [أساس البلاغة، ص ٦٥٨، مادة «نوف»]

٧ ـ أزف أزوفاً: أي قرب. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٣، مادة «أزف»]

٨ ـ حشّ النار: أوقدها. [تاج العروس، ج ٩، ص ٨٩، مادة «حشش»]

فرقةً مهديَّةً، أنا زعيمٌ بنجاة من لم يَؤُمّ فيها المواطن الخفية، وسلك في الظَّعن منها السُّبُل المرضيَّة، إذا حلَّ جُمادى الأُولى من سنتكُم هذه فاعتبرُوا بما يحدُثُ فيه، واستيقظُوا من رقدتكُم لما يكُونُ في الَّذي يليه، ستظهرُ لكُم من السَّماء آيةٌ جليَّةٌ، ومن الأرض مثلُها بالسَّويَّة، ويحدُثُ في أرض المشرق ما يحزُنُ ويُقلقُ، ويغلبُ من بعدُ على العراق طوائفُ عن الإسلام مُرَّاقٌ، تضيقُ بسُوء فعالهم على أهله الأرزاقُ، ثُمَّ تنفرجُ الغُمَّةُ من بعدُ ببوار طاغُوتٍ من الأشرار، يُسرُّ بهلاكه المُتَّقُون الأخيارُ، ويتَّفقُ لمُريدي الحجِّ من الآفاق ما يُؤمِّلُونهُ منهُ على توفيرٍ[1] عليه منهُم واتِّفاقٍ، ولنا في تيسير حجِّهم على الاختيار منهُم والوفاق شأنٌ يظهرُ على نظامٍ واتِّساقٍ، فليعمل كُلُّ امرئٍ منكُم بما يقرُبُ به من محبَّتنا، وليتجنَّب ما يُدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإنَّ أمرنا بغتةٌ[2] فُجأةٌ، حين لا تنفعُهُ توبةٌ، ولا يُنجيه من عقابنا ندمٌ على حوبةٍ[3]، واللَّهُ يُلهمُكُمُ الرُّشد، ويلطُفُ لكُم في التَّوفيق برحمته.

نُسخةُ التَّوقيع باليد العُليا على صاحبها السَّلامُ: هذا كتابُنا إليك أيُّها الأخُ الوليُّ، والمُخلصُ في وُدِّنا الصَّفيُّ، والنَّاصرُ لنا الوفيُّ، حرسك اللَّهُ بعينه الَّتي لا تنامُ، فاحتفظ به، ولا تُظهر على خطِّنا الَّذي سطرناهُ بما لهُ ضمَّنَّاهُ أحداً، وأدِّ ما فيه إلى من تسكُنُ إليه، وأوص جماعتهُم بالعمل عليه إن شاء اللَّهُ، وصلَّى اللَّهُ على مُحمَّدٍ وآله الطَّاهرين[4].

---

١ ـ التوفير: الكثير. [تاج العروس، ج ٧، ص ٥٩٤، مادة «وفر»]

٢ ـ بغته: فاجأه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ١٤٢، مادة «بغت»]

٣ ـ الحوبة: الخطيئة. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٤٧، مادة «حوب»]

٤ ـ [الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ٤٩٥، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.]

[كتاب آخر][1]

ورد عليه كتابٌ آخرُ من قِبَله صلوات الله عليه يوم الخميس الثَّالث والعشرين من ذي الحجَّة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

نُسختُهُ:

من عبد اللَّه المُرابط في سبيله، إلى مُلهم الحقِّ ودليله.

بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم

سلامٌ عليك أيُّها النَّاصرُ للحقِّ، الدَّاعي إليه بكلمة الصِّدق، فإنَّا نحمدُ إليك اللَّه الَّذي لا إله إلّا هُو، إلهنا وإله آبائنا الأوَّلين، ونسألُهُ الصَّلاة على سيِّدنا ومولانا مُحمَّدٍ خاتم النَّبيِّين وعلى أهل بيته الطَّاهرين.

وبعدُ، فقد كُنَّا نظرنا مُناجاتك، عصمك اللَّهُ بالسَّبب الَّذي وهبهُ لك من أوليائه، وحرسك به من كيد أعدائه، وشفَّعنا ذلك الآن من مُستقرٍّ لنا يُلصبُ[2] في

---

١ ـ [هذا الكتاب أيضاً مذكور في حاشية المخطوطة ص ٣٩٨.]

٢ ـ اللصب ـ بالكسر ـ: الشعب الصغير في الجبل، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ١، ص ١٢٨]

شمراخٍ[١] من يهماء[٢] صرنا إليه آنفاً من غماليل[٣] ألجأنا إليه السَّباريتُ[٤] من الإيمانِ، ويُوشكُ أن يكُون هُبُوطُنا إلى صحصحٍ[٥] من غير بُعدٍ من الدَّهر، ولا تطاوُلٍ من الزَّمان، ويأتيك نبأٌ منَّا يتجدَّدُ لنا من حالٍ، فتعرفُ بذلك ما نعتمدُهُ من الزُّلفة إلينا بالأعمال، واللَّهُ مُوفِّقُك لذلك برحمته، فلتكُن حرسك اللَّهُ بعينه الَّتي لا تنامُ أن تُقابل لذلك فتنةً تُبسلُ[٦] نُفُوسُ قومٍ حرثت باطلاً لاسترهاب المُبطلين، يبتهجُ لدمارها المُؤمنُون، ويحزنُ لذلك المُجرمُون، وآيةُ حركتنا من هذه اللوبة[٧] حادثةٌ بالحرم المُعظَّم من رجس مُنافقٍ مُذمَّمٍ مُستحلٍّ للدَّم المُحرَّم، يعمدُ بكيده أهل الإيمان، ولا يبلُغُ بذلك غرضهُ من الظُّلم والعُدوان، لأنَّنا من وراء حفظهم بالدُّعاء الَّذي لا يُحجبُ من ملك الأرض والسَّماء، فلتطمئنَّ بذلك من أوليائنا القُلُوبُ، وليتَّقُوا بالكفاية منهُ وإن راعتهُم بهمُ الخُطُوبُ، والعاقبةُ بجميل صُنع اللَّه سُبحانهُ تكُونُ حميدةً لهُم ما اجتنبُوا المنتهى عنهُ من الذُّنُوب، ونحنُ نعهدُ إليك -أيُّها الوليُّ المُخلصُ المُجاهدُ فينا الظَّالمين، أيَّدك اللَّهُ بنصره الَّذي أيَّد به السَّلف

---

١ ـ الشمراخ: رأس الجبل. [لسان العرب، ج ٣، ص ٣١، مادة «شمرخ»]

٢ ـ اليهماء: الفلاة لا يهتدى فيها. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٩٤]

٣ ـ الغملول: الوادي ذو الشجر والنبت الملتف، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ١٧٨٥، مادة «غمل»]

٤ ـ السبرت: الفقير، والسبروت: الأرض القفر، والشيء القليل، وجمعها سباريت. [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٥١، مادة «سبرت»]

٥ ـ الصحصح ـ كجعفر ـ: الأرض المستوية. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٣، مادة «صحصح»]

٦ ـ أبسله: أي أسلمه للمهلكة. [تاج العروس، ج ١٤، ص ٥٣، مادة «بسل»]

٧ ـ اللوبة: الحَرَّة، وهي الأرض ذات الحجارة السود. [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٢٠، مادة «لوب»]

من أوليائنا الصَّالحين ـ: أَنَّهُ من اتَّقى ربَّهُ من إخوانك في الدِّين، وأخرج ممَّا عليه إلى مُستحقِّيه، كان آمناً من الفتنة المظلّة(١) ومحنها المُظلمة المُضلَّة، ومن بخل منهُم بما أعارهُ اللَّهُ من نعمته على من أمرهُ بصلته فإنَّهُ يكُونُ خاسراً بذلك لأُولاهُ وآخرته، ولو أنَّ أشياعنا وفَّقهُم اللَّهُ لطاعته على اجتماعٍ من القُلُوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخَّر عنهُمُ اليُمنُ بلقائنا، ولتعجَّلت لهُمُ السَّعادةُ بمُشاهدتنا على حقِّ المعرفة وصدقها منهُم بنا، فما يحبسُنا عنهُم إلّا ما يتَّصلُ بنا ممَّا نكرهُهُ، ولا نُؤثرُهُ منهُم، واللّهُ المُستعانُ، وهُو حسبُنا ونعم الوكيلُ، وصلاتُهُ على سيِّدنا البشير النَّذير مُحمَّدٍ وآله الطَّاهرين وسلَّم.

وكتب في غُرَّة شوَّالٍ من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

نُسخة التوقيع باليد العُليا صلواتُ اللَّه على صاحبها: هذا كتابُنا إليك أيُّها الوليُّ المُلهمُ للحقِّ العليِّ، بإملائنا وخطِّ ثقتنا، فاخفه عن كُلِّ أحدٍ، واطوه، واجعل لهُ نُسخةً تُطلعُ عليها مَن تسكُنُ إلى أمانته من أوليائنا، شملهُمُ اللَّهُ ببركتنا إن شاء اللَّهُ، والحمدُ للَّه، والصَّلاةُ على سيِّدنا مُحمَّدٍ النَّبيِّ وآله الطَّاهرين(٢).

---

١ ـ أظلك الشيء: إذا دنا منك. [لسان العرب، ج ١١، ص ٤١٩، مادة «ظلل»]

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وآله الطاهرين، قد تمّت الحواشي بعون الله وحسن توفيقه، أستغفر الله وأتوب إليه.

هذا آخر ما تيسّر لي من نقل سواد الكلمات إلى بياض الورقات وهو في العشر الثالث من شهر ربيع الأول من شهور سنة ١٣٠٨، وأنا العبد العاصي رسول بن علي أصغر المرحوم. [هكذا في الحاشية]

[علماً أنّ هذه العبارة التي ختم بها المحشي كلامه موجودة في آخر صفحة من المخطوطة، وقد تم نقلها إلى هذا الموضع تبعاً لنقل هذه الحاشية مع الكتب الواردة للشيخ المفيد رحمه الله، ولهذا وجبت الإشارة إلى ذلك]

٢ ـ [الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ٤٩٨.]

ترجمة المؤلّف قدّس سرّه العزيز[١]

هو الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير بن وهيب بن بلال[٢] بن أوس بن سعيد بن سنان بن عبد الدار بن الرباب[٣] بن قطر بن زياد بن الحرث[٤] بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب بن علة بن جلد[٥] بن مالك بن أدد بن زيد[٦] بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ذكر هذا النسب تلميذه أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي صاحب كتاب الرجال رحمه الله تعالى[٧]، ونقله عنه في مجالس المؤمنين[٨]، والشيخ الجليل يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني صاحب

---

١ ـ [الترجمة مذكورة في نهاية المخطوطة ص ٣٩٥، وقد ارتأينا وضعها في مقدمة الكتاب تماشياً مع ما هو متعارف في ترتيب المصنّفات الحديثة.]

٢ ـ [في رجال النجاشي: هلال.]

٣ ـ [في رجال النجاشي: الريان.]

٤ ـ [في رجال النجاشي: الحارث.]

٥ ـ [في رجال النجاشي: خلد.]

٦ ـ [في رجال النجاشي إضافة: بن يشجب بن عريب بن زيد.]

٧ ـ [رجال النجاشي، ص ٣٩٩، تسلسل ١٠٦٧، ترجمة محمد بن محمد بن النعمان.]

٨ ـ [مجالس المؤمنين للقاضي التستري، ج ٢، ص ١٧٩.]

الحدائق في كتابه المسمى بلؤلؤة البحرين[١].

وقال العلامة قدّس الله تعالى سرّه العزيز في الخلاصة في ترجمته: محمد بن محمد بن النعمان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب بالمفيد، وله حكاية في تسميته بالمفيد، ذكرناها في كتابنا الكبير، ويعرف بابن المعلم، من أجلّ مشايخ الشيعة، ورئيسهم وأستاذهم، وكل من تأخر عنه استفاد منه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية. أوثق أهل زمانه وأعلمهم، انتهت رئاسة الإمامية في وقته إليه، وكان حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، له قريب من مائتي مصنّف صغار وكبار. مات قدّس الله روحه ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وصلّى عليه الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بميدان الأشنان، وضاق على الناس مع كبره، ودفن في داره سنين، ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيد الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام عند الرجلين، إلى جانب قبر شيخه الصدوق أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه[٢].

قلت: وقد ذكر ابن إدريس رحمه الله تعالى في آخر السرائر الحكاية التي أشار إليها في الخلاصة.

وملخّصها: أنّه كان في أيام اشتغاله على أبي عبد الله المعروف بالجعل في مجلس عليّ بن عيسى الرمّاني، فسأل رجل بصري علي بن عيسى عن يوم الغدير والغار، فقال: أما خبر الغار فدراية، وأمّا خبر الغدير فرواية، والرواية ما توجب ما

---

١ ـ [لؤلؤة البحرين، ص ٣٤٢.]

٢ ـ [خلاصة الأقوال، ص ٢٤٨، تسلسل ٤٥، ترجمة محمد بن محمد بن النعمان.]

توجبه الدراية، ثم انصرف البصري، فقال المفيد: ما تقول في من قاتل الإمام العادل؟ قال: كافر، ثم استدرك وقال: فاسق، قال: ما تقول في أمير المؤمنين عليّ؟ قال: إمام، قال: ما تقول في طلحة والزبير ويوم الجمل؟ قال: تابا، قال: أما خبر الجمل فدراية، وأما خبر التوبة فرواية، فقال له: كنت حاضراً حين سألني البصري؟ قال: نعم، فدخل منزله وأخرج معه ورقة قد ألصقها وقال: أوصلها إلى شيخك أبي عبد الله، فجاء بها إليه فقرأها وهو يضحك، ثم قال: قد أخبرني بما جرى بينك وبينه، ولقّبك بالمفيد[1].

ويروى له قريب من هذا مع القاضي عبد الجبّار المعتزلي[2].

وقال اليافعي في تاريخه عند ذكر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة: وفيها توفي عالم الشيعة، وإمام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيد، وبابن المعلّم أيضاً، البارع في الكلام والجدل والفقه، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة، مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية.

قال ابن أبي طي: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس.

وقال غيره: وكان عضد الدولة ربّما زار الشيخ المفيد، وكان شيخاً ربعة، نحيفا أسمر، عاش ستّاً وسبعين سنة، وله أكثر من مائتي مصنّف، وكانت جنازته مشهودة، وشيّعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة، وأراح الله منه، انتهى كلام اليافعي[3].

---

١ ـ [السرائر لابن إدريس الحلي، ج ٣، ص ٦٤٨.]

٢ ـ [مجالس المؤمنين للقاضي التستري، ج ٢، ص ١٥٨.]

٣ ـ [مرآة الجنان لليافعي، ج ٣، ص ٢٢.]

أقول: وهذا الرجل من أكابر العامّة ومتعصّبيهم، وقد رأيت من آخر كلامه ما يدل على عناده وشدّة بغضه لمثل هذا الشيخ، ومع ذلك لم يمكنه جحد مناقبه الدينية والدنيوية والعلمية والعملية، فالآن حق أن يقال كما قال:

ومليحة شهدت لها ضرّاتها والفضل ما شهدت به الأعداء

وعن الشيخ يحيى بن البطريق الحلّي رحمه الله تعالى في كتاب نهج العلوم إلى نفي المعدوم، أنّه ذكر في تزكية المفيد طريقين: أحدهما صحّة نقله عن الأئمة الطاهرين بما هو مذكور في تضاعيفه من المقنعة وغيرها من كتبه.

إلى أن قال: وأما الطريق الثاني في تزكيته فهو ما يرويه كافة الشيعة ويتلقّاه بالقبول من أنّ صاحب الأمر ـ صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه ـ كتب إليه ثلاثة كتب، في كلّ سنة كتاباً، وكان نسخة عنوان الكتاب: للأخ السديد والمولى الرشيد الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، أدام الله إعزازه، ثم ذكر بعض ما اشتملت عليه الكتب، مما يدل على علوّ شأنه وارتفاع مقامه.

ثم قال: وهذا أوفىٰ مدح وتزكية، وأزكى ثناء وتطرية بقول إمام الأمّة وخلف الأئمة، انتهى[1].

وقال في مجالس المؤمنين: وهذه الأبيات منسوبة إلى صاحب الأمر صلوات الله عليه وعلى آبائه، وجدت مكتوبة على قبر الشيخ رحمه الله:

لا صَوّتَ النّاعي بِفَقْدِكَ إنّه يَومٌ على آلِ الرسولِ عَظيمُ

إنْ كُنْتَ قَدْ غُيِّبْتَ في جَدَثِ الثّرى فالعَدْلُ والتّوْحيدُ فِيكَ مُقيمُ

١ ـ [لؤلؤة البحرين، ص ٣٥٠، عن رسالة نهج العلوم إلى نفي المعدوم.]

وَالقــائِمُ المَــهْديُّ يَـفْرَحُ كُـلَّما تُلِيَتْ عَلَيكَ مِنَ الدُّرُوسِ عُلُومُ[١]

قال صاحب الحدائق بعد نقل هذه الأبيات عنه: وليس هذا ببعيد بعد خروج ما خرج عنه عليه السلام من التوقيعات للشيخ المذكور المشتملة على مزيد التعظيم والإجلال.

ثم ذكر نسخ التوقيعات عن الشيخ أبي منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج[٢].

هذا، وإنّ مناقب الشيخ ـ روّح الله روحه ـ كثيرة، وفضائله جمّة لا يتّسع المقام ذكرها، وإنّها مشهورة، وفي القليل منها كفاية، والله وليّ التوفيق.

---

١ ـ [مجالس المؤمنين للقاضي التستري، ج ٢، ص ١٧٨.]

٢ ـ [لؤلؤة البحرين، ص ٣٤٧.]

[كلمة الختام] [١]

يقول المُفتاق إلى ربّه الغنيّ علي بن الحسين الحسيني الحَسَني:

أما بعد حمد الله الذي خلق العباد، وسلك بهم سبيل الرشاد، وأمكنهم من خير الزاد إلى يوم المعاد الذي جعل من رحمته إسعاف الراغبين، وأتم النعمة في هداية المسترشدين، ورضي لنا ما هو عنده دين، والصلاة والسلام على الصفوة السلسبيل، وأفضل من أرشد إلى خير سبيل، المبعوث بلغة إسماعيل المصطفى من سُلالة الخليل، المبشر به في التوراة والإنجيل، وعلى أوصيائه المرضيّين الأئمة المنتجبين وصحبه المهتدين.

فهذا هو الوعد الذي سبق ذكره وطاب عرفه وفاح عطره، طالما طمح [٢] إليه الأحداق، وصور [٣] إليه الأعناق، حتى وفّق الله وسهّل تصحيحه على قصر باعي وقلّة متاعي، إذ كيف يسعني وأمثالي مخاطرته وأمثاله؟! وإنّه البحر الذي لا يساحل، والنبط [٤] الذي لا يساجل، في بحار الأنوار مورده ومشرعه، ومن عيون

---

١ ـ [هذه الكلمة ذكرها المحشي في نهاية المخطوطة ص ٣٩٨، وقد ذكرناها في بداية الكتاب مماشاة مع ذكر المقدمة.]

٢ ـ طمح بصره إلى الشيء: ارتفع. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٩٣، مادة «طمح»]

٣ ـ صور ـ كفرح ـ: مال، (قاموس، صحاح). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٧٣ ؛ الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٧١٦، مادة «صور»]

٤ ـ النبط: الماء الذي يخرج من قعر البئر إذا حفرت، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث

الأخبار مجراه ومنبعه، كم فيه من غريب لفظ أرخى عليه مرّ الدهور السدول، ودقيق معنى في الفرق بين الأبواب والفصول، قد غيّر مرّ الدهور نصابها، وشيّب ريب المنون شبابها، فتذرى بعونه تعالى بعد الاحتطاط مصحّحة الأغلاط، مصوناً من التفريط والإفراط، فإنه وإن نزل عن سائر الكتب المطبوعة في جودة خطّه وصفا طبعه، لكنّه أعلى من أكثرها في الصحّة والاعتماد عليه، على أنّ النسخ المنطبعة من هذا الكتاب قاصرة عنه في جميع الأبواب، وصدق الدعوى يظهر لمن وافقها ووقف، وتأمّل دونها وأنصف، ولقد استنسخ هذه النسخة مما يقرب من عشر نسخ عتيقات.

منها: نسخة تُروى عن السيد الأجل عميد الرؤساء أبي الفتح يحيى بن محمد بن نصر بن علي بن حسام العلوي المتوفى في المائة السادسة من الهجرة، روّح الله روحه، وهي عريّة من التاريخ.

ومنها: نسخة كتبت في سنة ستّ وأربعين وتسعمائة، بيد السيد أحمد بن كمال الحسيني رحمه الله تعالى.

ومنها: نسخة كتبت في سنة خمس وثلاثين ومائة بعد الألف من الهجرة، وهي نسخة بارعة صحيحة، قرئت على بعض العلماء رضوان الله عليهم أجمعين، وساير النسخ أيضاً يقرب من هذا في السداد وحسن الاعتماد، قد قوبل بعضها ببعض، وأضيف إليها باقي القرائن القريبة من النحو والصرف واللغة، وما عساه يشكل من أسماء الرجال وشعب الأنساب، كل ذلك من الكتب المعتبرة قد ينشأ قائله ونسبة قوله إلّا ما اشتهر بين العلماء مما لا يحتاج فيه إلى إيراد من قال، حتى تمت هذه النسخة على أعلى مكانة وأتم صيانة، والله وليّ التوفيق.

والأثر، ج ٥، ص ٩، مادة «نبط»]

ومع ذلك كلّه لا يبعد أقصى بعدٍ أن يكون فارط الأغلاط منّا أكثر مما صحّ في هذا الاجتهاد ؛ إذ المرء في غشاء من عيبه، ولو علم معايبه لما قرّ عليه، ولا ينبغي للبيب أن ينكر ما جهله، فالمرجو ممّن عثر فيه على غلط[١]، أو علم فيه بغلت، أن يصحّحه بعد دقّة النظر والرجوع إلى مظان الصحّة، ولا يذكر المصحّح بما يحطّ الذاكر عن كبره[٢]، فإنّ العلماء حلماء، ولقد أعذر من أقرّ بالتقصير.

وقد استنار هذه اللمعة من يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة، وفي مثله تمّت النعمة ونصب الولي والحجة، أواخر سنة ست وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة، وهي موافقة لإحدى وأربعين سنة مضت للأنام بالسلامة والإسلام، مخفوضاً لهم جناح الذلّ بالإحسان، محفوفاً عليهم بدوائر الأمن والإيمان، أعني الدولة البهية والسلطنة العلية المفتخرة بالسلطان الأعظم والخاقان الأكرم، مالك رقاب الأمم، صاحب المعالي والهمم، حامي حوزة الدين، ولي نعم المسلمين، أبو الفتح والظفر، ناصر الدين شاه قاجار، لا زالت همه بالدين معيّة، وحومة أهل الحق بهيبته محمية، وأيام إقباله دائمة مرضية، وذلك بالسنين الشمسية حتى تمّ على كماله وظهر في بدر جماله في يوم السبت السابع عشر من شهر ربيع الولادة ومولد السعادة، أوائل سنة ثمان وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية الختمية المحمدية عليه وعلى آله الثناء والتحية، بيد الحقير المحتاج إلى الله، أقل الحاج والطلاب محمد بن حسين التبريزي، غفر الله لهما، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

١ ـ ابن الأعرابي: غلت وغَلِط بمعنى واحد، والأصمعي مثله، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٥٩، مادة «غلت»]

٢ ـ الكبر: الرفعة في الشرف والعظمة. [تاج العروس، ج ٧، ص ٤٣١، مادة «كبر»]

ولما كان العلم بالنسب العلية شعب الأنساب العلوية من أهم المقاصد العلمية، وبه يعرف موارد بعض الأحكام الشرعية، علّقنا عليه هذه اللمعة البهية في نسب هذه الفرقة الحسنية، عليه وعليهم التحية والثناء، أقل الخليقة السيد علي بن المولى الحاج الميرزا حسين بن الميرزا أحمد القاضي بن الميرزا رحيم القاضي بن الميرزا تقي القاضي بن الميرزامحمد القاضي بن الميرزامحمد علي القاضي بن الميرزا صدر الدين محمد بن الميرزا يوسف نقيب الأشراف بن الميرزا صدر الدين محمد بن مجد الدين بن سيد إسماعيل بن الأمير علي أكبر بن الأمير عبد الوهاب بن الأمير عبد الغفار بن سيد عماد الدين أمير حاج بن فخر الدين حسن بن كمال الدين محمد بن سيد حسن بن شهاب الدين عليّ بن عماد الدين علي بن سيد أحمد بن سيد عماد بن أبي الحسن علي بن أبي الحسن محمد بن أبي عبد الله أحمد بن محمد الأصغر، ويعرف بابن الخزاعية، بن أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم الطباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الإمام أبي محمد الحسن المجتبى بن الإمام الهمام علي بن أبي طالب، عليه وعليهم السلام. وأم إبراهيم بن الحسن فاطمة بنت سيد الشهداء الحسين بن علي عليهم الصلاة والسلام.

رحم الله معشر الماضين، وألحقنا بهم في الصالحين.

[مقدمة السيد علي القاضي ﷺ][(١)]

هو الله تعالى شأنه العزيز

بما أنّ الكتاب المستطاب المسمى بالإرشاد، الذي في الاعتبار والانتشار كالشمس في رابعة النهار، مورد الاعتماد لدى الطائفة الاثني عشرية الجليلة، وهو مع صغر حجمه ووجازته يحتوي على جلّ مناقب وفضائل أهل البيت ﷺ، ويشتمل على أمهات الأصول الوافية، والمعجزات الباهرة، والمواعظ الشافية، والخطب الزاهرة، والمصائب والغزوات، وتاريخ الولادة والوفاة، ونبذة من أحوال أولاد وذرّية وأحفاد الأئمة الأطهار عليهم آلاف التحية والسلام.

ومع ذلك فقد كان الحصول على نسخة صحيحة منه متعسّراً بل متعذّراً؛ ولذلك في هذا الأوان وبطلب جمع من الإخوان فإنّ أقلّ عباد الله عملاً وأكثرهم زللاً علي بن حسين الحسني الحسيني الطباطبائي قد تصدّى لتصحيحه ومقابلته بعد تحصيل نسخ كثيرة معتبرة منه، وطبع في دار الطباعة للأستاذ الكامل عمدة الأقران والأماثل «مشهدي أسد آقا» وفقه الله، المُسلّم بمهارته الكاملة في هذا الفن، مع كتابة التراجم والتصحيح والمقابلة المبسوطة وترجمة المؤلف في آخر الكتاب.

ربّ يسّر ولا تعسّر، ووفّقنا لحسن الإتمام والختام.

---

١ ـ [هذه المقدّمة كتبت بالفارسية، ولقد قمنا بترجمتها مع الحفاظ على صيغتها وألفاظها. (دار زين العابدين)]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علىٰ ما ألهم من معرفته وهدىٰ إليه من سبيل طاعته، وصلواته علىٰ خيرته[١] من بريته محمد سيد أنبيائه وصفوته[٢]، وعلىٰ الأئمة المعصومين الراشدين من عترته وسلم.

وبعد..

فإني مثبت بتوفيق الله ومعونته ما سألت ـ أيدك الله ـ إثباته من أسماء أئمة الهدىٰ عليهم السلام وتاريخ أعمارهم وذكر مشاهدهم وأسماء أولادهم وطرف من أخبارهم[٣] المفيدة لعلم أحوالهم لتقف علىٰ ذلك وقوف العارف بهم، ويظهر لك الفرق ما بين الدعاوي والاعتقادات فيهم فتميز بنظرك فيه ما بين الشبهات منه والبينات، وتعتمد الحق فيه اعتماد ذوي الإنصاف والديانات، وأنا مجيبك إلىٰ ما

---

١ ـ الخِيَرَة ـ بكسر الخاء وفتح الياء ـ : اسمٌ من قولك: اختاره الله. ومحمد صلى الله عليه وآله خيرة الله، أي المختار المنتجب. وبسكون الياء: اسمٌ من قولك: خار الله لك، أي أعطاك ما هو خير لك. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٩١، مادة «خير»]

٢ ـ صفوة الشيء ـ مثلّثة ـ : ما صفي منه وخلص. ومحمد صلى الله عليه وآله صفوة الله من خلقه ومصطفاه. (صحاح). [انظر: الصحاح، ج ٦، ص ٢٤٠١، مادة «صفا»]

٣ ـ الطُّرَف: جمع طُرْفَة، كغُرَف جمع غُرْفَة، وهي ما يُسْتَطْرَفُ ويُسْتَمْلَحُ. [انظر: المصباح المنير، ج ٢، ص ٣٧١، مادة «طرف»]

سألت ومتحر[١] فيه الإيجاز والاختصار حسب ما أثرت[٢] من ذلك والتمست، وبالله أثق وإياه أستهدي إلىٰ سبيل الرشاد.

***

١ ـ التَّحَرِّي: قَصْدُ ما هُوَ خَلِيقٌ بالْقَصْد. [انظر: لسان العرب، ج ١٤، ص ١٧٣، مادة «حري»]

٢ ـ آثَرَ الشَّيْءَ يُؤْثِرُ إيثاراً: اخْتارَهُ. [انظر: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥]

باب

الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام

أول أئمة المؤمنين وولاة المسلمين وخلفاء الله تعالىٰ في الدين بعد رسول الله الصادق الأمين[١] محمد بن عبد الله خاتم النبيين صلوات الله عليه وآله الطاهرين، أخوه وابن عمه ووزيره علىٰ أمره وصهره[٢] علىٰ ابنته فاطمة البتول[٣] سيدة نساء العالمين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف سيد الوصيين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

كنيته أبو الحسن.

ولد بمكة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل[٤] ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالىٰ سواه، إكراماً من

---

١ ـ كان النبي صلى الله عليه وآله تدعوه قريش بالصادق الأمين؛ لأمانته وصدق لهجته.

٢ ـ الصِّهر ـ بالكسر ـ: القرابةُ وحُرْمَةُ الخُتُونَة والخَتَن، والجمع أصهار، والصِّهر هاهنا الخَتَنُ خاصّة. [انظر: القاموس المحيط، ج ٢، ص ٧٤]

٣ ـ البتول كرسول: من ألقاب فاطمة عليها السلام من التبتّل بمعنى الانقطاع، سمّيت بذلك لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحَسَباً، أو لانقطاعها إلى الله تعالى، كذا قيل. وفي الرواية: سئل: يا رسول الله إنا سمعناك تقول: إنّ مريم بتول وفاطمة بتول، ما معنى البتول؟ فقال عليه السلام: البتول التي لم تر حُمرةً [قطُّ]. [انظر: مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣١٦، مادّة «بتل»].

٤ ـ عام الفيل هو السنة التي قاد فيها الفيل أبرهة بن صباح ملك اليمن إلى الحرم ليهدم بيت الله

الله تعالىٰ له بذلك وإجلالاً لمحله في التعظيم.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها، وكانت كالأم لرسول الله صلى الله عليه وآله، ربي في حجرها(١) وكان شاكراً لبرها وآمنت به صلى الله عليه وآله في الأولين، وهاجرت معه في جملة المهاجرين، ولما قبضها الله تعالىٰ إليه كفنها النبي صلى الله عليه وآله بقميصه ليدرأ(٢) به عنها هوام(٣) الأرض، وتوسد(٤) في قبرها لتأمن بذلك من ضغطة القبر(٥)، ولقنها الإقرار بولاية ابنها أمير المؤمنين عليه السلام لتجيب به عند المسألة بعد الدفن فخصها بهذا الفضل العظيم لمنزلتها من الله تعالىٰ ومنه عليه السلام، والخبر بذلك مشهور.

فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإخوته أول من ولده هاشم

تعالى فأرسل الله تعالى عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل فجعلهم كعصف مأكول، فاشتهر ذلك بين الناس بحيث يرويه خلفٌ عن سلفٍ، وكان مولد النبي صلى الله عليه وآله في عام الفيل أيضاً، وذلك لأربعين سنة مضت من ملك كسرى أنوشيروان بن قُباذ، وكان ملك كسرى سبعاً وأربعين سنة.

١ ـ الحِجْر ـ بالفتح والكسر ـ: الحِضْن. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٣٤٢، مادة «الحَجْر»]

٢ ـ الدَّرْءُ: الدَّفْعُ. [لسان العرب، ج ١، ص ٧١، مادة «درأ»]

٣ ـ الهوام: جَمْعُ هامَّة، وهي كُلُّ ذاتِ سمٍّ يَقْتُل، وقد يُطلق على ما يَدبُّ مِنَ الحيوان وإن لم يَقتُل كالحشرات، (نهاية). [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٧٥، مادة «همم»]

٤ ـ التوسّد: وضع الرأس على الوسادة. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ١٨٢، مادة «وسد»]

٥ ـ ضغطة القبر: عَصْرَتُهُ. [انظر: مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٦٠، مادة «ضغط»]

مرتين[١] وحاز بذلك مع النشوء[٢] في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله والتأدب به الشرفين، وكان أول من آمن بالله عزّ وجلّ وبرسوله صلى الله عليه وآله من أهل البيت والأصحاب وأول ذكر دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ الإسلام فأجاب، ولم يزل ينصر الدين ويجاهد المشركين ويذب[٣] عن الايمان ويقتل أهل الزيغ والطغيان وينشر معالم السنة والقرآن ويحكم بالعدل ويأمر بالإحسان، فكان مقامه مع رسول الله صلى الله عليه وآله بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة بمكة قبل الهجرة مشاركاً له في مِحَنِهِ كلها متحملاً عنه أكثر أثقاله، وعشر سنين بعد الهجرة بالمدينة يكافح[٤] عنه المشركين ويجاهد دونه الكافرين ويقيه بنفسه[٥] من أعدائه في

---

١ ـ قوله: وَلَدَه هاشم مرّتين: هذا كلامٌ شريفٌ ظريفٌ، وأوّل مَن تكلّم به هو محمد بن عبد الله بن حسن المثنى بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مفاخَرَة كتبها إلى أبي جعفر المنصور ذكرها المبرّد في الكامل وابن خلدون في تاريخه [انظر: الكامل في اللغة والأدب، ج ٤، ص ٩٤ ؛ وتاريخ ابن خلدون، ج ٤، ص ٤، أخبار الدولة العلوية المزاحمة لدولة بني العباس]، والمعنى: أنه هاشميٌّ من قبل الأب والأم جميعاً.

٢ ـ نشأتُ في بني فلان، نشأ ونشوءً: إذا شببتُ فيهم. [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٧٧، مادة «نشأ»]

٣ ـ الذَّبُّ: الدَّفْعُ والمَنْعُ، يقال: ذبَّ عن الشيء يَذُبُّ ذَبّاً فهو ذابٌّ. [انظر: الصحاح للجوهري، ج ١، ص ١٢٦، مادة «ذبب»]

٤ ـ المُكافَحَة: المُدافَعَة تِلْقاء الْوَجْه، يُقال: كافَحَهُ إذا استقبله بوجهه، وكافحوهم في الحرب إذا استقبلوهم بوجوههم، ليس دونها تُرسٌ ولا غيره، (مجمع البحرين). [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٤٠٧، مادة «كفح»]

٥ ـ ويقيه بنفسه: أي يحفظه. [انظر: تاج العروس، ج ٢٠، ص ٣٠٤، مادة «وقي»]

والمسألة من المؤتمن والصفاة من الناظر والقاري أن يذكروني والمصحح والمعين بصالح الدعاء والكلم الطيب. اللهمّ اغفر لهم جميعاً.

الدين إلىٰ أن قبضه الله تعالىٰ إلىٰ جنته ورفعه في علیین فمضیٰ صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام يومئذ ثلاث وثلاثون سنة.

فاختلفت الأمة في إمامته يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت شيعته وهم بنوهاشم وسلمان وعمار وأبو ذر والمقداد وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري[١] وأمثالهم من جلة المهاجرين والأنصار أنه كان الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام لفضله علىٰ كافة الأنام، بما اجتمع له من خصال الفضل والرأي والكمال من سبقه الجماعة إلىٰ الإيمان والتبريز[٢] عليهم في العلم بالأحكام والتقدم لهم في الجهاد والبينونة منهم بالغاية في الورع والزهد والصلاح، واختصاصه من النبي صلى الله عليه وآله في القربىٰ بما لم يشركه فيه أحد من ذوي الأرحام.

ثمّ لنص الله علىٰ ولايته في القرآن حيث يقول جلّ اسمه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣]

---

١ ـ أبو سعيد: سعد بن مالك الأنصاري الخُدري، وهو مشهور بكنيته. والخُدري ـ بضمّ الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة ـ: بطن من الأنصار يُنسبون إلى خدرة بن عوف، وكان أبو سعيد رحمه الله من شيعة علي عليه السلام مستقيماً في أمره. [انظر: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)، ج ١، ص ٢٠٠]

٢ ـ برز يبرّز تبريزاً: فاق أصحابه فضلاً أو شجاعة، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٦٦]

٣ ـ ﴿إنّما وليُّكُمُ اللهُ ورسولُهُ ...﴾ الخ. [سورة المائدة، الآية ٥٥]: هذه الآية الشريفة مما أجمعت الأمة في رواياتهم على أنّها نزلت في علي عليه السلام خاصّة، تصدّق في المسجد بخاتمه وهو راكع فنزلت الآية. [حيث وردت الأخبار من طرق الفريقين على ذلك، انظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، ج ٦، ص ١٨٦ ؛ شواهد التنزيل للحسكاني، ج ١، ص ٢٠٩ ؛

ومعلوم أنه لم يزك في حال ركوعه أحد سواه عليه السلام، وقد ثبت في اللغة أن الولي هو الأولىٰ بلا اختلاف[١].

وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام ـ بحكم القرآن ـ أولىٰ بالناس من أنفسهم لكونه وليهم بالنص في التبيان وجبت طاعته علىٰ كافتهم بجلي البيان كما وجبت طاعة الله وطاعة رسوله عليه وآله السلام بما تضمنه الخبر عن ولايتهما للخلق في هذه الآية بواضح البرهان.

وبقول النبي صلى الله عليه وآله يوم الدار[٢] وقد جمع بني عبد المطلب خاصة فيها للإنذار: «من يؤازرني[٣] علىٰ هذا الأمر يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي» فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام من بين جماعتهم وهو أصغرهم يومئذ سناً فقال: «أنا أؤازرك يا رسول الله» فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «اجلس فأنت

وغيرهما من المصادر]

وقد استدلّ الخاصة بها على إمامته وخلافته ببراهين نيّرة مثبتة في مواضعها، وربما يوجد في الأخبار اختلاف بين الخاتم الحُلّة فلقد ورد في طرف من الأخبار أنها كانت حلّة قيمتها ألف دينار. [الكافي، ج ١، ص ٢٨٨، ح ٣]

ولا منافاة لإمكان أن يكون تصدّق بالحلة مرّة وبالخاتم أخرى، ونزلت الآية عقب الثانية كما قيل. هذا، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: والله لقد تصدّقت بأربعين خاتماً [وأنا راكع] لينزل فيّ ما نزل في علي بن أبي طالب فما نزل. [الأمالي للشيخ الصدوق، ص ١٢٤، ذيل الحديث ٤]

١ ـ [خلاف خ ل].

٢ ـ يوم الدار هو اليوم الذي جمع فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب في دار أبي طالب عليه السلام للإنذار وهم يومئذ أربعون رجلاً. وسيجيء من هذا الكتاب مشروحاً عند ذكر مناقبه عليه السلام.

٣ ـ وزير الملك: خاصّته الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه، وقد استوزره فتوزّر له ووازره. [انظر: القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٥٤]

أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي». وهذا صريح القول في الاستخلاف.

وبقوله أيضاً عليه السلام يوم (غدير خم) وقد جمع الأمة لسماع الخطاب: «ألست أولىٰ بكم منكم بأنفسكم؟» فقالوا: اللهم بلىٰ فقال لهم عليه السلام علىٰ النسق[1] من غير فصل بين الكلام: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه». فأوجب له عليهم من فرض الطاعة والولاية ما كان له عليهم بما قررهم به من ذلك ولم يتناكروه وهذا أيضاً ظاهر في النص عليه بالإمامة والاستخلاف له في المقام.

وبقوله عليه السلام له عند توجهه إلىٰ (تبوك)[2]: «أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبي بعدي». فأوجب له الوزارة والتخصص بالمودة والفضل علىٰ الكافة والخلافة عليهم في حياته وبعد وفاته لشهادة القرآن بذلك كله لهارون من موسىٰ عليهما السلام ؛ قال الله عزّ وجلّ مخبراً عن موسىٰ عليه السلام: ﴿واجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هٰارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي[3] * وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * ونَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً * قٰالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰا مُوسىٰ﴾[4]، فثبت لهارون عليه السلام شركة موسىٰ في النبوة ووزارته علىٰ تأدية الرسالة وشد أزره به في النصرة، وقال في استخلافه له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وأَصْلِحْ ولا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[5] فثبتت له خلافته بمحكم التنزيل.

---

١ ـ النَّسَق من الكلام ـ محرَّكةً ـ : ما جاء على نظام واحد من دون فاصلة. [انظر: مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٣٨، مادة «نسق»]

٢ ـ تبوك: موضع بين المدينة والشام، وفيها وقعت غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة التاسعة من الهجرة. [انظر: معجم البلدان للحموي، ج ٢، ص ١٤]

٣ ـ اشدد به أزري: أي ظهري. [انظر: مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٠٤ مادة «أزر»]

٤ ـ [سورة طه، الآيات ٢٩ ـ ٣٦.]

٥ ـ [سورة الأعراف، الآية ١٤٢.]

فلما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام جميع منازل هارون من موسىٰ عليهما السلام في الحكم له منه إلّا النبوة وجبت له وزارة الرسول صلى الله عليه وآله وشد الأزر بالنصرة والفضل والمحبة لما تقتضيه هذه الخصال من ذلك في الحقيقة، ثمّ الخلافة في الحياة بالصريح وبعد النبوة بتخصيص الاستثناء لما أخرج منها بذكر البعد، وأمثال هذه الحجج كثيرة مما يطول بذكرها الكتاب وقداستقصينا القول في إثباتها في غير هذا الموضع من كتبنا والحمد لله.

فصل

وكانت إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة، منها أربع وعشرون سنة وأشهر ممنوعاً من التصرف علىٰ أحكامها مستعملاً للتقية والمداراة[1]، ومنها خمس سنين وأشهر ممتحناً بجهاد المنافقين من الناكثين والقاسطين والمارقين[2]، ومضطهداً بفتن الضالين[3] كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١ ـ المداراة: المسالمة والملايمة، يُهْمَز ولا يُهْمَز. [انظر: مجمع البحرين، ج ١، ص ١٣٧، مادة «درا»]

٢ ـ قوله: من الناكثين والقاسطين والمارقين؛ فالناكثون: أهل الجمل؛ لأنّهم نكثوا البيعة، أي نقضوها واستنزلوا عايشة وساروا بها إلى البصرة وهم عسكر الجمل ورؤساؤه. والقاسطون: أهل صفين، مأخوذ من القسوط، بمعنى الجور؛ لأنّهم جاروا في حكمهم وبغوا، وهم الفئة الباغية، أعني أصحاب معاوية عليه الهاوية. والمارقون: الخوارج؛ لأنّهم مرقوا، أي خرجوا من الدين بالخبر النبوي المجمع على روايته، وكلّ ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر به علياً عليه السلام، ورواياته أشهر من أن يذكر.

٣ ـ ضهده فهو مضهود ومضطهد: أي مقهور ومضطرّ، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٢،

ثلاث عشرة سنة من نبوته ممنوعاً من أحكامها خائفاً ومحبوساً وهارباً ومطروداً لا يتمكن من جهاد الكافرين ولا يستطيع دفعاً عن المؤمنين ثمّ هاجر وأقام بعد الهجرة عشر سنين مجاهداً للمشركين ممتحناً بالمنافقين إلىٰ أن قبضه الله تعالىٰ إليه وأسكنه جنات النعيم.

فصل

وكانت وفاة أمير المؤمنين عليه السلام قبيل الفجر من ليلة الجمعة ليلة إحدىٰ وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، قتيلاً بالسيف قتله ابن ملجم المرادي ـ لعنه الله ـ في مسجد الكوفة وقد خرج عليه السلام يوقظ الناس لصلاة الصبح ليلة تسع عشرة[١] من شهر رمضان وقد كان ارتصده من أول الليل لذلك فلما مرَّ به في المسجد وهو مستخف بأمره مماكر بإظهار النوم في جملة النيام ثار إليه[٢] فضربه علىٰ أمّ رأسه[٣] بالسيف وكان مسموماً فمكث يوم تسعة عشر وليلة عشرين ويومها وليلة إحدىٰ وعشرين إلىٰ نحو الثلث الأول من الليل، ثمّ قضىٰ نحبه عليه السلام[٤] شهيداً ولقي ربه تعالىٰ مظلوماً.

ص ٥٠١، مادة «ضهد»]

١ ـ لا يخفى ما من التسامح في هذه العبارة، إلّا أن يكون التسع بمعنى التاسع.

٢ ـ ثَارَ إِلَيْه: أَي وَثَبَ. [تاج العروس، ج ٦، ص ١٥٣، مادة «ثور»]

٣ ـ وأمّ الرأس: الجلدة التي تجمع الدماغ أو الدماغ خاصّة. [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ١٨٦٤، مادة «أمم»]

٤ ـ النحب: المدّة والوقت، وقضى نحبه: أي مات. [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٢٢، مادة «نحب»]

وقد كان عليه السلام يعلم ذلك قبل أوانه ويخبر به الناس قبل زمانه وتولىٰ غسله وتكفينه ابناه الحسن والحسين عليهما السلام بأمره وحملاه إلىٰ الغري[١] من نجف[٢] الكوفة فدفناه هناك وعفيا موضع قبره بوصية كانت منه إليهما في ذلك لما كان يعلمه عليه السلام من دولة بني أمية من بعده واعتقادهم في عداوته وما ينتهون إليه بسوء النيات فيه من قبيح الفعال والمقال بما تمكنوا من ذلك، فلم يزل قبره عليه السلام مخفياً حتىٰ دل عليه الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام في الدولة العباسية وزاره عند وروده إلىٰ أبي جعفر وهو بالحيرة[٣] فعرفته الشيعة واستأنفوا إذ ذاك زيارته عليه السلام وعلىٰ ذريته الطاهرين، وكان سنه عليه السلام يوم وفاته ثلاثاً وستين سنة.

فصل

فمن الأخبار التي جاءت بذكره عليه السلام الحادث قبل كونه وعلمه به قبل حدوثه

ما أخبر به علي بن المنذر الطريقي[٤]، عن ابن الفضيل العبدي، عن فطر، عن أبي الطفيل عامر بن وائلة رحمة الله عليه قال: جمع أمير المؤمنين عليه السلام الناس

---

١ ـ الغري ـ كغنيّ ـ البناء الجيّد، والغريّان: بناءان مشهوران بظاهر الكوفة، قاله في القاموس، وهو الآن مدفن علي عليه السلام، وقد يوحّد للتخفيف فيقال: غريّ. [انظر: القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٦٩ ؛ مجمع البحرين، ج ١، ص ٣١٥، مادة «غرا»]

٢ ـ والنجف: الموضع المرتفع الذي يمنع ماء السيل أن يصل إليه كالتلّ، والنجف معروف. [انظر: مجمع البحرين، ج ٥، ص ١٢٢، مادة «نجف»]

٣ ـ الحيرة: مدينة بقرب الكوفة. [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٦٤١، مادة «حير»]

٤ ـ سمّي به لأنّه كان يسكن منازل طريق مكّة، وكان ثقة. كذا وجد في حواشي النُّسخ.

للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي ـ لعنه الله ـ فرده مرتين أو ثلاثاً ثـمّ بايعه وقال عند بيعته له: «ما يحبس أشقاها فوالذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذا» ووضع يده على لحيته ورأسه عليه السلام، فلما أدبر ابن ملجم عنه منصرفاً قال عليه السلام متمثلاً:

اشدد حيازيمك[1] للموت	فـإنّ المـوت لاقـيك
ولا تـجزع مـن المـوت	إذا حـل بـواديك
كـما أضـحكك الدهـر	كـذاك الدهـر يـبكيك

وروىٰ الحسن بن محبوب، عن أبي حـمزة الثـمالي، عـن أبـي إسـحاق السبيعي، عن الأصبغ بن نباتة قال: أتىٰ ابن ملجم أمير المؤمنين عليه السلام فبايعه فيمن بايع ثمّ أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام فتوثق منه وتوكد عليه ألّا يـغدر ولا ينكث ففعل، ثمّ أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام الثانية فتوثق منه وتوكد عليه ألّا يغدر ولا ينكث ففعل ثمّ أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام الثالثة فتوثق منه

---

١ ـ حيازيم: جمع حيزوم، وهو وسـط الصـدر، [النـهاية فـي غـريب الحـديث والأثـر، ج ١، ص ٤٦٧، مادة «حيزم»]. يقول: تهيّأ للموت ووطّن نفسك عليه ولا تجزع منه.
قال أبو العباس المبرّد في كتاب الكامل: والشعر إنما يـصحّ بأن تـحذف «اشـدد» فـتقول: حيازيمك للموت، ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى، ولا يعتدّون بـه فـي الوزن. [الكامل في اللغة والأدب، ج ٣، ص ١٤٨].
قلت: الشعر لأُحيحة بن الجُلاح على ما ذكره في مجمع الأمثال. [مجمع الأمثال للميداني، ج ١، ص ٣٨٠]. والشعر الثاني لعمرو بن معديكرب الزُّبيدي قاله في قـيس بـن مكشـوح هُبيرة المرادي، وكذا قال المبرّد. [الكامل في اللغة والأدب، ج ٣، ص ١٤٦، والمقصود من الشعر الثاني هو قوله: أريد حباءه ويريد قتلي ... الخ]

وتوكد عليه ألّا يغدر ولا ينكث فقال ابن ملجم: والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أريد حِباءَه[١] ويريد قتلي عذيرك[٢] من خليلك من مراد

امض يا ابن ملجم فوالله ما أرىٰ أن تفي بما قلت.

وروىٰ جعفر بن سليمان الضبعي، عن المعلىٰ بن زياد قال: جاء عبد الرحمن بن ملجم ـ لعنه الله ـ إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام يستحمله فقال له: يا أمير المؤمنين احملني فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قال له: أنت عبد الرحمن بن ملجم المرادي؟ قال: نعم قال: أنت عبد الرحمن بن ملجم المرادي؟ قال: نعم قال: يا غزوان[٣] احمله علىٰ الأشقر[٤]، فجاء بفرس أشقر فركبه ابن ملجم المرادي وأخذ بعنانه، فلما ولىٰ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

قال: فلما كان من أمره ما كان وضرب أمير المؤمنين عليه السلام قبض عليه وقد خرج من المسجد فجيء به إلىٰ أمير المؤمنين فقال عليه السلام: والله لقد كنت أصنع بك ما أصنع وأنا أعلم أنك قاتلي ولكن كنت أفعل ذلك بك لأستظهر[٥] بالله عليك.

---

١ ـ حِباءَهُ: أي عَطاءَهُ. [انظر: مجمع البحرين، ج ١، ص ٩٤، مادة «حبا»]

٢ ـ عذيرَك ـ بالنصب ـ: أي هات مَنْ يَعْذِرُكَ ويقوم بِعُذْرِكَ ويلُومُه ولا يلومُك، فهو فعيلٌ بمعنى الفاعل. [انظر: المصباح المنير، ج ٢، ص ٣٩٩، مادة «عذر»]

٣ ـ وغزوان: اسم رجل.

٤ ـ الشقرة في الخيل: حمرة صافية مع احمرار العُرْف والذَّنَب، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٧٠١، مادة «شقر»]

٥ ـ استظهر بفلان: أي استعان. [لسان العرب، ج ٤، ص ٥٢٥، مادة «ظهر»]

فصل آخر

ومن الأخبار التي جاءت بنعيه نفسه عليه السلام إلىٰ أهله وأصحابه قبل قتله

ما رواه أبو زيد الأحول، عن الأجلح[1]، عن أشياخ كندة قال: سمعتهم أكثر من عشرين مرة يقولون: سمعنا علياً عليه السلام علىٰ المنبر يقول: «ما يمنع أشقاها[2] أن يخضبها من فوقها؟» بدم ويضع يده علىٰ لحيته عليه السلام.

وروىٰ علي بن الحزور[3]، عن الأصبغ بن نباتة[4] قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في الشهر الذي قتل فيه فقال: أتاكم شهر رمضان وهو سيد الشهور وأول السنة وفيه تدور رحىٰ السلطان[5].

---

١ ـ أجلح بن عبد الله الكنديّ، شيعيّ صدوق.

٢ ـ أي الأمّة.

٣ ـ علي بن حَزَوَّر ـ بالحاء المهملة والزاي المفتوحتين والواو المشدّدة والراء أخيراً ـ: من رواة الناس. [انظر: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ج ٢، ص ٦٠١]

٤ ـ أصبغ بن نُباتة المُشاجعي كان من خواص أمير المؤمنين عليه السلام. [الفهرست للشيخ الطوسي، ص ٨٥، تسلسل ١١٩]

٥ ـ لعلّ المراد من قوله عليه السلام ما جاء في الأخبار: أنّ الأحكام تنتشر في شهر رمضان، وأنّ الملائكة ينزلون على الإمام عليه السلام في ليلة القدر ويأخذون منه عليه السلام جميع ما قدّر الله على العباد في السنة جميعها، فالمراد بالسلطان هو إمام كلّ عصر في عصره، أو المراد إمام العصر خاصّة على ما جاء في نوادر الأخبار: أنّه ـ عجّل الله فرجه ـ يظهر في شهر رمضان، وهو بعيد جدّاً، بخلاف الأوّل. وفي نسخة واحدة معتمد عليها وفيه: تدور رحى الشيطان. [كما

ألا وإنكم حاج العام(١) صفاً واحداً وآية ذلك أني لست فيكم قال: فهو ينعىٰ نفسه عليه السلام ونحن لا ندري.

وروىٰ الفضل بن دكين(٢)، عن حيان بن العباس، عن عثمان بن المغيرة قال: لما دخل شهر رمضان كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعشىٰ ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر(٣) وكان لا يزيد علىٰ ثلاث لقم، فقيل له في ليلة من تلك الليالي في ذلك فقال: يأتيني أمر الله وأنا خميص(٤)، إنما هي ليلة أوليلتان. فأصيب عليه السلام في آخر الليل.

وروىٰ إسماعيل بن زياد قال: حدثتني أم موسىٰ خادمة علي عليه السلام وهي حاضنة فاطمة ابنته عليها السلام قالت: سمعت علياً عليه السلام يقول لابنته أم كلثوم: يا بنية إني أراني قل ما أصحبكم قالت: وكيف ذلك يا أبتاه؟ قال: إني رأيت نبي الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول: يا علي لا عليك(٥) قد قضيت ما عليك.

قالت: فما مكثنا إلّا ثلاثاً حتىٰ ضرب تلك الضربة فصاحت أم كلثوم فقال:

رواها ابن شهرآشوب عن الأصبغ بن نباتة. (المناقب، ج ٢، ص ٢٧١)]

١ ـ أي السنة.

٢ ـ الفضل بن دكين: كنيته أبو نعيم، واسم دكين: عمرو بن حماد، رجل مشهور من علماء الحديث، (منتهى المقال). [انظر: منتهى المقال في أحوال الرجال، ج ٥، ص ١٩٥، تسلسل ٢٢٨٠، ترجمة الفضل بن دكين]

٣ ـ [في المخطوطة: عبد الله بن العباس]. وفي بعض النسخ: عبد الله بن جعفر، وهو الأصحّ.

٤ ـ رجل خميصٌ: أي جائع وضامر البطن. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٨٠، مادة «خمص»]

٥ ـ أي لا بأس عليك. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٦٧٧، مادة «لا»]

يا بنية لا تفعلي فإني أرىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إليّ بكفه: يا علي هلم إلينا فإنّ ما عندنا هو خير لك.

ورویٰ عمار الدهني، عن أبي صالح الحنفي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وآله في منامي فشكوت إليه ما لقيت من أمته من الأود واللدد[1] وبكيت فقال: لا تبك يا علي والتفت فالتفتُّ فإذا رجلان مصفدان[2] وإذا جلاميد[3] تُرْضَخ[4] بها رؤوسهما.

فقال أبو صالح: فغدوت إليه من الغد كما كنت أغدو كل يوم حتىٰ إذا كنت في الجزارين[5] لقيت الناس يقولون قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين عليه السلام.

ورویٰ عبيد الله بن موسیٰ، عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: سهر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الليلة التي قتل في صبيحتها ولم

---

١ ـ قوله عليه السلام: ماذا(*) [(*) هكذا ورد في الحاشية] لقيت من الأوَد واللَّدَد، قال السيد الرضي رحمه الله تعالى: يعني بالأَود الاعوجاج، وباللدد الخصام، وهذا من أفصح الكلام، انتهى. [نهج البلاغة (تحقيق: صبحي الصالح)، ص ٩٩، ذيل الخطبة ٧٠]

وقد يوجد في بعض الأخبار موضع اللدد: الإِدَد، فهي ـ بكسر الهمزة ـ جمع إدّة، بمعنى الداهية العظيمة، هكذا ذكرها صاحب المجمع والنهاية. [انظر: مجمع البحرين، ج ٣، ص ٦، مادة «أدد» ؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٣١، مادة «أدد»]

٢ ـ صفّده تصفيداً: شدّه وأوثقه بالغُلّ والقيد. [انظر: مختار الصحاح، ص ١٩٣، مادة «ص ف د»]

٣ ـ الجُلْمُود: الصَّخرة. [لسان العرب، ج ٣، ص ١٢٩، مادة «جلمد»]

٤ ـ الرَّضح والرَّضخ: الكسر، يقال: رضخت رأس الحيّة بالحجارة، (صحاح). [انظر: الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٤٢١، مادة «رضخ»]

٥ ـ أي القصّابين. [تاج العروس، ج ٢، ص ٣٢٣، مادة «قصب»]

يخرج إلىٰ المسجد لصلاة الليل علىٰ عادته فقالت له ابنته أم كلثوم ـ رحمة الله عليها ـ ما هذا الذي قد أسهرك؟ فقال: إني مقتول لوقد أصبحت، وأتاه ابن النباح فآذنه بالصلاة فمشىٰ غير بعيد ثمّ رجع فقالت له ابنته أم كلثوم: مر جعدة فليصل بالناس قال: نعم مُروا جعدة[1] فليصلّ، ثمّ قال: لا مفر من الأجل فخرج إلىٰ المسجد وإذا هو بالرجل قد سهر[2] ليلته كلها يرصده، فلما برد السحر نام فحركه أمير المؤمنين عليه السلام برجله وقال له: الصلاة، فقام إليه فضربه.

وروي في حديث آخر أن أمير المؤمنين عليه السلام سهر تلك الليلة فأكثر الخروج والنظر في السماء وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعدت بها ثمّ يعاود مضجعه فلما طلع الفجر شد إزاره وخرج وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت ... فإنّ الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت ... إذا حل بواديكا

فلما خرج إلىٰ صحن الدار استقبلته الإوز[3] فصحن في وجهه فجعلوا يطردونهن، فقال: دعوهن فإنهن نوائح، ثمّ خرج فأصيب عليه السلام.

---

١ ـ جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي القرشي، وأمّه أم هاني بنت أبي طالب (رض)، وهو القائل [لاستيعاب لابن عبد البر، ج ١، ص ٢٤٠، تسلسل ٢٢٤]:

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ... ومِن هاشم أمّي لخير قبيل

فمن ذا الذي ينأى عليّ بِخالِه ... كخالي عليّ ذي الندى وعقيل

٢ ـ سهِر يسهر كفرح يفرَح: لم ينم ليلاً،(قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٥٤]

٣ ـ بتشديد الزاي: مرغابي. [هذا المعنى بالفارسية، وأما بالعربية فقد قال الطريحي: الإِوَزُّ ـ بكسر الهمزة وفتح الواو وتشديد الزاي ـ : البطّ، واحدته إِوَزَّة. (مجمع البحرين، ج ٤، ص ٦، مادة «أوز»)]

فصل

ومن الأخبار الواردة بسبب قتله وكيف جرىٰ الأمر في ذلك

ما رواه جماعة من أهل السير، منهم أبو مخنف لوط بن يحيىٰ وإسماعيل بن راشد وأبو هشام الرفاعي وأبو عمرو الثقفي وغيرهم أن نفراً من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا الأمراء فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم وذكروا أهل النهروان[١] وترحموا عليهم، فقال بعضهم لبعض: لو أنا شرينا أنفسنا لله فأتينا أئمة الضلال فطلبنا غرّتهم[٢] فأرحنا منهم العباد والبلاد وثأرنا[٣] بإخواننا للشهداء بالنهروان، فتعاهدوا عند انقضاء الحج علىٰ ذلك، فقال عبد الرحمن بن ملجم (لعنه الله): أنا أكفيكم علياً، وقال البرك[٤] بن عبد الله التميمي: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاقدوا علىٰ ذلك وتوافقوا عليه وعلىٰ الوفاء واتعدوا لشهر رمضان في ليلة تسع عشرة ثمّ تفرقوا.

---

١ ـ يعني الخوارج.

٢ ـ الغرّة: الغفلة، والغارّ الغافل، والمعنى: لو وجدناهم غافلين فنفتك بهم. [انظر: تاج العروس، ج ٧، ص ٣٠٣ و ٣٠٤، مادة «غرر»]

٣ ـ ثَأَرَ ـ كَمَنَعَ ـ: طلب دمَه وقتل قاتله، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ١، ص ٣٨١]

٤ ـ قال أبو العباس: أوّل مَن لفظ بأن «لا حكم إلّا لله» رجلٌ من بني تميم بن صريم، يقال له: الحجاج بن عبد الله، ويعرف بالبرك، وهو الذي ضرب معاوية آخراً على أليته. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٢، ص ٢٧٧]

فأقبل ابن ملجم (لعنه الله) ـ وكان عداده في كندة[١] ـ حتىٰ قدم الكوفة فلقي بها أصحابه فكتمهم أمره مخافة أن ينتشر منه شيء فهو في ذلك إذ زار رجلاً من أصحابه ذات يوم ـ من تيم الرباب ـ فصادف عنده قطام[٢] بنت الأخضر التيمية وكان أمير المؤمنين عليه السلام قتل أباها وأخاها بالنهروان وكانت من أجمل نساء زمانها، فلما رآها ابن ملجم شغف بها[٣] واشتد إعجابه بها فسأل في نكاحها وخطبها[٤] فقالت له: ما الذي تسمي لي من الصداق؟

فقال لها: احتكمي ما بدا لك، فقالت له: أنا محتكمة عليك ثلاثة آلاف درهم ووصيفاً[٥] وخادماً وقتل علي بن أبي طالب.

فقال لها: لك جميع ما سألت وأما قتل علي بن أبي طالب فأنّىٰ لي بذلك؟ فقالت: تلتمس[٦] غرته فإن أنت قتلته شفيت نفسي وهنأك العيش معي وإن قتلت

---

١ ـ قوله: كان عداده في كندة، يعني: كان يعدّ فيهم؛ لأنّه ـ لعنه الله ـ كان من حلفائهم ولم يكن كنديّاً كما هو ظاهر لمن تتبّع.

٢ ـ قطام: اسم امرأة، فأهل الحجاز يبنونه على الكسر في كلّ حالٍ، وأهل نجد يجرونه مجرى ما لا ينصرف، (صحاح). [انظر: الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١٠٠٧]

٣ ـ شعف بها وبحبّها ـ كفرح ـ: أي غشي الحبُّ القلبَ من فوقه، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٥٩. علماً أنّ الكلمة وردت في المخطوطة ـ كما في المتن أعلاه ـ: شغف]

٤ ـ خطب المرأةَ خِطبَةً ـ بالكسر ـ: إذا دعاها إلى التزوّج، (شرح قاموس). [انظر: تاج العروس، ج ١، ص ٤٦٧، مادة «خطب»]

٥ ـ الوصيف: الخادم، غلاماً كان أو جارية، وهنا الجارية خاصّة بقرينة ما بعدها. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٥٢٤، مادة «وصف»]

٦ ـ تطلب. [لسان العرب، ج ٦، ص ٢٠٩، مادة «لمس»]

فما عند الله خير لك من الدنيا.

فقال: أما والله ما أقدمني هذا المصر وقد كنت هارباً منه لا آمن مع أهله إلّا ما سألتني من قتل علي بن أبي طالب فلك ما سألت قالت: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك علىٰ ذلك ويقويك.

ثمّ بعثت إلىٰ وردان بن مجالد من تيم الرباب فخبرته الخبر وسألته معونة ابن ملجم ـ لعنه الله ـ فتحمل ذلك لها وخرج ابن ملجم فأتىٰ رجلاً من أشجع[١] يقال له شبيب بن بجرة فقال: يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: تساعدني علىٰ قتل علي بن أبي طالب وكان شبيب علىٰ رأي الخوارج فقال له: يا ابن ملجم هبلتك[٢] الهبول لقد جئت شيئاً إدّاً[٣] وكيف تقدر علىٰ ذلك؟ فقال له ابن ملجم: نكمن له في المسجد الأعظم فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا[٤] به وإن نحن قتلناه شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا فلم يزل به حتىٰ أجابه.

فأقبل معه حتىٰ دخلا المسجد علىٰ قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبة فقال لها: قد اجتمع رأينا علىٰ قتل هذا الرجل قالت لهما: فإذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع. فانصرفا من عندها.

---

١ ـ أبو قبيلةٍ. [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١٢٣٥، مادة «شجع»]

٢ ـ يقال: هَبَلَتْهُ أُمُّهُ تَهْبَلُهُ هَبَلاً ـ بالتحريك ـ: أي ثكلته، هذا هو الأصل، ثم يستعمل في معنى الإعجاب. وقولهم: هبلته الهَبول هي ـ بفتح الهاء ـ من النساء التي لا يبقى لها ولدٌ، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٤٠، مادة «هبل»]

٣ ـ بالكسر: العجب والأمر الفظيع والداهية والمنكر كالأَدّ بالفتح، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ١، ص ٢٧٤]

٤ ـ الفتك: أن يُؤتى الرجل وهو غارٌّ غافل حتى يُشَدّ عليه فيُقتل، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٤، ص ١٦٠٢، مادة «فتك»]

فلبثا أياماً ثمّ أتياها ومعهما الآخر[١] ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة فدعت لهم بحرير فعصبت به صدورهم وتقلدوا أسيافهم ومضوا وجلسوا مقابل السدة[٢] التي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ الصلاة وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلىٰ الأشعث بن قيس[٣] ما في نفوسهم من العزيمة علىٰ قتل أمير المؤمنين عليه السلام وواطأهم عليه وحضر الأشعث بن قيس (لعنه الله) في تلك الليلة لمعونتهم علىٰ ما اجتمعوا عليه.

وكان حجر بن عدي[٤] ـ رحمة الله عليه ـ في تلك الليلة بائتاً في المسجد فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء[٥] لحاجتك فقد فضحك الصبح

---

١ ـ يعني وردان.

٢ ـ السُّدّة: باب الدّار، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ١، ص ٣٠٠]

٣ ـ اسم الأشعث: معديكرب بن قيس بن معديكرب، وكان رئيس المنافقين في زمن أمير المؤمنين عليه السلام، وزوّجه أبو بكر (لع) أخته أم فروة بنت أبي قحافة فولدت له محمداً وإسماعيل وإسحاق، وقد اشترك هو في قتل عليّ عليه السلام، وبنته جعدة في قتل الحسن عليه السلام، وابنه محمد في قتل الحسين عليه السلام. [انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٩٢]

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه: وكان المسلمون يلعنون الأشعث، والكافرون أيضاً، ورواه غيره، (حاشية). [انظر: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٤٨. ولم يتّضح مراد المحشّي من كلمة «حاشية» التي أوردها أخيرها]

٤ ـ حجر بن عديّ الكنديّ الكوفي كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من السعداء الشهداء، رحمه الله تعالى، (م). [انظر: منتهى المقال في أحوال الرجال، ج ٢، ص ٣٣٧، تسلسل ٦٧٥]

٥ ـ النجاء: السرعة، وقولهم: النجا النجا مصدران منصوبان بفعل مقدّر، والتقدير: انجوا، والتكرار للتأكيد، والمعنى: أسرع في الأمر وتخلّص منه. [انظر: مجمع البحرين، ج ١، ص

فأحس حجر بما أراد الأشعث فقال له: قتلته يا أعور[1]، وخرج مبادراً ليمضي إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فيخبره الخبر ويحذره من القوم وخالفه أمير المؤمنين عليه السلام فدخل المسجد فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف فأقبل حجر والناس يقولون قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين.

وذكر محمد بن عبد الله بن محمد الأزدي قال: إني لأصلي في تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أوله إلىٰ آخره إذ نظرتَ إلىٰ رجال يصلون قريباً من السدة وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام لصلاة الفجر، فأقبل ينادي: الصلاة الصلاة، فما أدري أنادىٰ أم رأيت بريق السيوف وسمعت قائلاً يقول: لله الحكم يا علي لا لك ولا لأصحابك وسمعت علياً عليه السلام يقول: لا يفوتنكم الرجل فإذا علي عليه السلام مضروب وقد ضربه شبيب بن بجرة فأخطأه ووقعت ضربته في الطاق وهرب القوم نحو أبواب المسجد وتبادر الناس لأخذهم.

فأما شبيب بن بجرة فأخذه رجل فصرعه وجلس علىٰ صدره وأخذ السيف من يده ليقتله به فرأىٰ الناس يقصدون نحوه فخشي أن يعجلوا عليه ولا يسمعوا منه فوثب عن صدره وخلاه وطرح السيف من يده ومضىٰ شبيب هارباً حتىٰ دخل منزله ودخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره فقال له: ما هذا لعلك قتلت أمير المؤمنين؟ فأراد أن يقول لا فقال: نعم فمضىٰ ابن عمه فاشتمل علىٰ سيفه ثمّ دخل عليه فضربه حتىٰ قتله.

٤١٠، مادة «نجا»]

١ ـ عوّرته عن الأمر: صرفته عنه، والأعور الذي عوِّر ولم تقض حاجته، ولم يُصِب ما طَلَبَ، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٧٦٢، مادة «عور»]

وأما ابن ملجم فإنّ رجلاً من همدان[١] لحقه فطرح عليه قطيفة[٢] كانت في يده ثمّ صرعه وأخذ السيف من يده وجاء به إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وأفلت الثالث فانسلّ[٣] بين الناس.

فلما أدخل ابن ملجم علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام نظر إليه ثمّ قال: النفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي.

فقال ابن ملجم: والله لقد ابتعته بألف وسممته بألف فإن خانني فأبعده الله[٤] قال: ونادته أم كلثوم: يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنما قتلت أباك قالت: يا عدو الله إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس قال لها: فأراك إنما تبكين علي إذاً لقد والله ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

فأخرج من بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وأن الناس لينهشون لحمه[٥] بأسنانهم كأنهم سباع وهم يقولون: يا عدو الله ما ذا فعلت؟! أهلكت أمة محمد وقتلت خير الناس وأنه لصامت ما ينطق فذهب به إلىٰ الحبس.

وجاء الناس إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا له: يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك في عدو الله فلقد أهلك الأمة وأفسد الملة. فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: إن عشت

---

١ ـ همدان: قبيلة من اليمن معروفة. [تاج العروس، ج ٥، ص ٣٣٧، مادة «همد»]

٢ ـ القطيفة: كساء له خمل. [لسان العرب، ج ٩، ص ٢٨٦، مادة «قطف»]

٣ ـ انسلّ الرجل وتسلّل: أي ذهب في استخفاء. [تاج العروس، ج ١٤، ص ٣٤٩، مادة «سلل»]

٤ ـ أي بَعَّده عن الخير. [تاج العروس، ج ٤، ص ٣٥٨، مادة «بعد»]

٥ ـ النهش ـ بالمهملة والمعجمة ـ: أخذ اللحم بالأسنان. [انظر: لسان العرب، ج ٦، ص ٣٦٠، مادة «نهش»]

رأيت فيه رأيي وإن هلكت فاصنعوا به ما يصنع بقاتل النبي، اقتلوه ثمّ حرقوه بعد ذلك بالنار.

قال: فلما قضىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وفرغ أهله من دفنه جلس الحسن عليه السلام وأمر أن يؤتىٰ بابن ملجم فجيء به فلما وقف بين يديه قال له: يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين وأعظمت الفساد في الدين ثمّ أمر به فضربت عنقه.

واستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته منه لتتولىٰ إحراقها فوهبها لها فأحرقتها بالنار.

وفي أمر قطام وقتل أمير المؤمنين عليه السلام يقول الشاعر[١]:

فلم أر مهراً ساقه[٢] ذو سماحة ... كمهر قطام من غني ومعدم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة[٣] ... وضرب علي بالحسام المصمم[٤]
ولا مهر أغلىٰ من علي وإن غلا ... ولا فتك إلّا دون فتك ابن ملجم

وأما الرجلان اللذان كانا مع ابن ملجم ـ لعنهم الله أجمعين ـ في العقد علىٰ قتل معاوية وعمرو بن العاص فإنّ أحدهما ضرب معاوية وهو راكع فوقعت ضربته في أليته ونجا منها وأخذ وقتل من وقته.

---

١ ـ الشعر لابن ميّاس الفزاري، وهو من الخوارج.

٢ ـ ساق المهر إلى المرأة: حمله إليها. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٢٩٦، مادة «سوق»]

٣ ـ القَيْنة: الأمة، مغنيّة كانت أو غير مغنيّة. [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢١٨٦، مادة «قين»]

٤ ـ والحُسام: السيف، يقال: سيف مُصَمِّم بصيغة اسم الفاعل: إذا مضى في العظم وقطعه، (ص). [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ١٩٦٩، مادة «صمم»]

وأما الآخر فإنه وافىٰ عمراً في تلك الليلة وقد وجد علة فاستخلف رجلاً يصلي بالناس يقال له خارجة بن أبي حبيبة العامري[١] فضربه بسيفه وهو يظن أنه عمرو، فأخذ وأتي به عمرو فقتله ومات خارجة في اليوم الثاني.

فصل

ومن الأخبار التي جاءت بموضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام وشرح الحال في دفنه

ما رواه عباد بن يعقوب الرواجني قال: حدثنا حبان بن علي العنزي[٢] قال: حدثني مولىٰ لعلي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما حضرت أمير المؤمنين عليه السلام الوفاة قال للحسن والحسين عليهما السلام إذا أنا مت فاحملاني علىٰ سريري ثمّ أخرجاني واحملا مؤخر السرير فإنكما تكفيان مقدمه ثمّ ائتيا بي الغريين فإنكما ستريان صخرة بيضاء تلمع نوراً فاحتفرا فيها فإنكما تجدان فيها ساجة[٣]

١ ـ اختلف فيه، فقيل: إنّه عدويٌّ، وقيل: إنّه من بني سهم بن عمرو بن هصص، رهط عمرو بن العاص، وليس بشيء كما صرّح به ابن عبد البر. [الاستيعاب لابن عبد البر، ج ٢، ص ٤١٨، تسلسل ٥٩١]

٢ ـ [في المخطوطة: العِتري]. وقيل: العنَزي ـ بالعين والنون والزّاي المعجمة أخيراً ـ: قال أبو علي [هكذا ورد في المخطوطة]: ولعله هو أقرب. [انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٦، ص ٣٨١]

٣ ـ الساج: شجر عظيم جدّاً ولا تنبت إلّا ببلاد الهند، والجمع سيجان، مثل نار ونيران. وفي حديث الميّت وتغسيله على ساجة، هي لوح من الخشب المخصوص المعيّن، (مجمع

فادفناني فيها.

قال: فلما مات أخرجناه وجعلنا نحمل مؤخر السرير ونكفىٰ مقدمه وجعلنا نسمع دوياً وحفيفاً حتىٰ أتينا الغريين فإذا صخرة بيضاء تلمع نوراً فاحتفرنا فإذا ساجة مكتوب عليها: مما ادخر نوح لعلي بن أبي طالب فدفناه فيها وانصرفنا ونحن مسرورون بإكرام الله لأمير المؤمنين عليه السلام.

فلحقنا قوم من الشيعة لم يشهدوا الصلاة عليه فأخبرناهم بما جرىٰ وبإكرام الله أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نحب أن نعاين من أمره ما عاينتم فقلنا لهم: إنّ الموضع قد عفي أثره بوصية منه عليه السلام، فمضوا وعادوا إلينا فقالوا: إنهم احتفروا فلم يجدوا شيئاً.

وروىٰ محمد بن عمارة قال: حدثني أبي، عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أين دفن أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: دفن بناحية[1] الغريين ودفن قبل طلوع الفجر ودخل قبره الحسن والحسين ومحمد بنو علي عليه السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه.

وروىٰ يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن رجاله قال: قيل للحسين بن علي عليهما السلام: أين دفنتم أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: خرجنا به ليلاً علىٰ مسجد الأشعث حتىٰ خرجنا به إلىٰ الظهر[2] بجنب الغري فدفناه هناك.

وروىٰ محمد بن زكريا قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن عائشة قال:

البحرين). [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣١١، مادة «سوج»]

١ ـ الناحية: الجانب. [انظر: مجمع البحرين، ج ١، ص ٣١٠، مادة «نحا»]

٢ ـ ظهر الكوفة ما وراء النهر إلى النجف. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٩٠، مادة «ظهر»]

حدثني عبد الله بن خازم قال: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلىٰ ناحية الغريين والثوية[١] فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فجاولتها ساعة ثم لجأت الظباء إلىٰ أكمة[٢] فسقطت عليها فسقطت الصقور ناحية ورجعت الكلاب، فعجب الرشيد من ذلك، ثمّ إنّ الظباء هبطت من الأكمة فهبطت الصقور والكلاب فرجعت الظباء إلىٰ الأكمة فتراجعت عنها الكلاب والصقور ففعلت ذلك ثلاثاً.

فقال الرشيد: اركضوا[٣] فمن لقيتموه فأتوني به فأتيناه بشيخ من بني أسد فقال له هارون: أخبرني ما هذه الأكمة؟ قال: إن جعلت لي الأمان أخبرتك قال: لك عهد الله وميثاقه ألّا أهيجك[٤] ولا أؤذيك فقال: حدثني أبي، عن آبائه أنهم كانوا يقولون إنّ في هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلّا أمن، فنزل هارون فدعا بماء فتوضأ وصلىٰ عند الأكمة وتمرغ[٥] عليها وجعل يبكي ثمّ انصرفنا.

قال محمد بن عائشة: فكأن قلبي لم يقبل ذلك فلما كان بعد ذلك حججت إلىٰ مكة فرأيت بها ياسراً رحال الرشيد وكان يجلس معنا إذا طفنا فجرىٰ الحديث ـ إلىٰ أن قال ـ: قال لي الرشيد ليلة من الليالي وقد قدمنا من مكة فنزلنا الكوفة: يا

---

١ ـ الثُّويّة ـ بضمّ الثاء وفتح الواو وتشديد الياء، ويقال بفتح الثاء وكسر الواو ـ: موضع بالكوفة. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٧٩، مادة «ثوا»]

٢ ـ الأكمة ـ محركة ـ: الموضع المرتفع من الأرض كالتلّ أو أشدّ ارتفاعاً منه. [تاج العروس، ج ١٦، ص ٢٣، مادة «أكم»]

٣ ـ الركض: استحثاث الفرس للعدو، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣٣٢]

٤ ـ قوله: لك عهد الله ألّا أهيجك: يريد ألّا أزعجك ولا أغلّظ عليك.

٥ ـ يقال: تمرّغ الحيوان على التراب إذا تقلّب. [لسان العرب، ج ٨، ص ٤٥٠، مادة «مرغ»]

ياسر قل لعيسىٰ بن جعفر فليركب فركبا جميعاً وركبت معهما حتىٰ إذا صرنا إلىٰ الغريين. فأما عيسىٰ فطرح نفسه فنام، وأما الرشيد فجاء إلىٰ أكمة فصلىٰ عندها فكلما صلىٰ ركعتين دعا وبكىٰ وتمرغ علىٰ الأكمة ثمّ يقول: يا عم أنا والله أعرف فضلك وسابقتك وبك والله جلست مجلسي الذي أنا فيه وأنت أنت ولكن ولدك يؤذونني ويخرجون علي ثمّ يقوم فيصلي ثمّ يعيد هذا الكلام ويدعو ويبكي حتىٰ إذا كان في وقت السحر قال لي: يا ياسر أقم عيسىٰ فأقمته فقال له: يا عيسىٰ قم صلِّ عند قبر ابن عمك قال له: وأي عمومتي هذا؟ قال: هذا قبر علي بن أبي طالب فتوضأ عيسىٰ وقام يصلي، فلم يزالا كذلك حتىٰ طلع الفجر فقلت: يا أمير المؤمنين أدركك الصبح فركبنا ورجعنا إلىٰ الكوفة.

بَابُ

طرف من أخبار أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله ومناقبه والمحفوظ من كلامه وحكمه ومواعظه والمروي من معجزاته وقضاياه وبيناته

فمن ذلك ما جاءت به الأخبار في تقدم إيمانه بالله ورسوله عليه السلام وسبقه به كافة المكلفين من الأنام.

أخبرني أبو الجيش المظفر بن محمد البلخي قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن القاسم البرتي(١) قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي قال: حدثنا سعيد بن خثيم قال: حدثني أسد بن عبد الله، عن يحيىٰ بن عفيف، عن أبيه قال: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بمكة قبل أن يظهر أمر النبي صلى الله عليه وآله فجاء شاب فنظر إلىٰ السماء حين تحلقت الشمس(٢) ثمّ استقبل الكعبة فقام يصلي ثمّ جاء غلام فقام عن يمينه ثمّ

---

١ ـ البِرت ـ بالكسر ـ: قرية بين واسط وبغداد، منها أحمد بن محمد وأحمد بن القاسم البرتيان المحدّثان، (شرح قاموس). [تاج العروس، ج ٣، ص ١٤، مادة «برت»]

٢ ـ حكى الأزهري: تحليق الشمس من أول النهار: ارتفاعها، ومن آخره: انحدارها، وكذا التحلّق. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٤٢٦، مادة «حلق»]

جاءت امرأة[١] فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ثمّ رفع الشاب فرفعا ثم سجد الشاب فسجدا فقلت: يا عباس أمر عظيم، فقال العباس أمر عظيم أتدري من هذا الشاب؟ هذا محمد بن عبد الله ابن أخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا علي بن أبي طالب ابن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد إنّ ابن أخي هذا حدثني أن ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ولا والله ما علىٰ ظهر الأرض علىٰ هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

أخبرني أبو حفص عمر بن محمد الصيرفي قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج، عن أحمد بن القاسم البرتي، عن أبي صالح سهل بن صالح وكان قد جاز مائة سنة قال: سمعت أبا المعمر عباد بن عبد الصمد قال: سمعت أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلت الملائكة عليّ وعلىٰ علي سبع سنين وذلك أنه لم يرفع إلىٰ السماء شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله إلّا مني ومن علي[٢].

---

١ ـ أوّل أزواج النبي صلى الله عليه وآله خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَي، وأمّها فاطمة بنت زايدة الأصمّ، وخديجة أمّ أولاد النبي جميعاً إلّا إبراهيم فإنّه من المارية القبطية. ولم ينكح رسول الله صلى الله عليه وآله عليها امرأة حتى ماتت، وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام، كذا قال ابن قتيبة. [انظر: المعارف لابن قتيبة الدينوري، ص ١٣٢ و ١٣٣]
أقول: وجلالة شأنها أشهر عند الناس من أن يذكر.

٢ ـ قال أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي في شرحه: إن أكثر أهل الحديث والمحققين من أهل السيرة رووا أنّ علياً عليه السلام أول من أسلم. قال أبو عمرو يوسف بن عبد البرّ المحدّث في كتاب الاستيعاب: المروي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وأبي سعيد الخدري وزيد بن أسلم: أنّ علياً عليه السلام أول من أسلم. فورى عن عكرمة عن ابن عباس، قال: لعلي أربع خصالٍ ليست لأحدٍ غيره: هو أول عربي وعجمي صلّى مع رسول الله، وهو الذي كان معه لوائه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فرّ عنه غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٤، ص ١١٦]

وبهذا الإسناد، عن أحمد بن القاسم البرتي قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا نوح بن قيس قال: حدثنا سليمان بن علي الهاشمي أبو فاطمة قال: سمعت معاذة العدوية تقول سمعت علياً عليه السلام علىٰ منبر البصرة يقول: أنا الصدّيق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم.

أخبرني أبو نصر محمد بن الحسين المقرىء البصري[1] الشيرواني قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أبي الثلج قال: حدثنا أبو محمد النوفلي، عن محمد بن عبد الحميد، عن عمرو بن عبد الغفار الفقيمي قال: أخبرني إبراهيم بن حيان، عن أبي عبد الله مولىٰ بني هاشم، عن أبي سخيلة قال: خرجت أنا وعمار حاجين فنزلنا عند أبي ذر فأقمنا عنده ثلاثة أيام فلما دنا منا الخفوف[2] قلت له: يا أبا ذر إنا لا نراه إلّا وقد دنا الاختلاط من الناس فما ترىٰ؟ قال: الزم كتاب الله وعلي بن أبي طالب فأشهد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: علي أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة وهو الصدّيق الأكبر والفاروق بين الحق والباطل وأنه يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة[3].

ومن الشعر المروي في هذا المعنى قوله عليه السلام:

مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ أخِي وَصِنْوِي ... وَحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي

سَبَقْتُكُمْ إلى الإِسْلامِ طُرّاً ... غُلاماً ما بَلَغْتُ أوَانَ حُلْمِي

١ ـ [البصير خ ل.]

٢ ـ [في المخطوطة: الخفوق]. الخفوق: قيل هو كناية عن الخروج والسفر، من خفق الطائر وهو طيرانه، أو من الخفق بمعنى الاضطراب والحركة، أو من خفق النجم إذا غاب. [بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ٢١٠، البيان الذي ذكره في ذيل الحديث ٩]

٣ ـ يَعسوب: ملك النحل وأميرها، وقال النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: أنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفار، وفي رواية: يعسوب الظَّلَمة، وفي رواية: يعسوب المنافقين، أي يلوذ بك

قال الشيخ المفيد: والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة وشواهدها جمة فمن ذلك قول خزيمة بن ثابت الأنصاري[1] ذي الشهادتين ـ رحمة الله عليه ـ فيما أخبرني به أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، عن محمد بن العباس قال: أنشدنا محمد بن يزيد النحوي، عن ابن عائشة لخزيمة بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

ما كُنْتُ أحسبُ هذا الأمر منصرفاً ... عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن

أليس أول من صلىٰ بقبلتهم ... وأعرف الناس بالآثار والسنن

وآخر الناس عهداً بالنبي ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسن

ماذا الذي ردكم عنه فنعلمه ... ها إنّ بيعتكم[2] من أغبن الغبن

المؤمنون ويلوذ الكفار والظلمة والمنافقون بالمال كما يلوذ النحل بيعسوبها، ومن هنا قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام: أمير النحل، (حياة الحيوان). [حياة الحيوان للدميري، ج ٢، ص ٥٦٤ و ٥٦٥]

١ ـ خزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسيّ ثم الخطميّ، ذو الشهادتين، يكنّى بأبي عمارة، روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربي فجحده سواء، فشهد خزيمة للنبي صلى الله عليه وآله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما حَمَلَكَ على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً؟ قال: صدّقتك بما جئت به وعلمتُ أنك لا تقول إلّا حقّاً، فقال رسول الله: من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه، [أسد الغابة لابن الأثير، ج ٢، ص ١١٤]. أو قال: شهادتك بشهادة رجلين، [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٥٧]. قال أبو علي: وهو من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين وشهد بدراً والمشاهد جميعاً وشهد مع عليّ عليه السلام الجمل، وقتل بصفين في وقعة الخميس. [انظر: سفينة البحار، ج ٢، ص ٥٩٠، ترجمة خزيمة بن ثابت]

٢ ـ يعني أبا بكر.

فصل

ومن ذلك ما جاء في فضله عليه السلام على الكافة في العلم

أخبرني أبو الحسن محمد بن جعفر التميمي النحوي قال: حدثنا محمد بن القاسم المحاربي البزاز قال: حدثنا هشام بن يونس النهشلي قال: حدثنا عائذ بن حبيب، عن أبي الصباح الكناني، عن محمد بن عبد الرحمن السلمي، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي بن أبي طالب أعلم أمتي وأقضاهم[1] فيما اختلفوا فيه من بعدي.

أخبرني أبو بكر محمد بن عمر الجعابي قال: حدثنا أحمد بن عيسى أبو جعفر العجلي قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليقتبسه من علي.

أخبرني أبو بكر محمد بن عمر الجعابي قال: حدثنا يوسف بن الحكم الحناط قال: حدثنا داود بن رشيد قال: حدثنا سلمة بن صالح الأحمر، عن عبد الملك بن عبد الرحمن، عن الأشعث بن طليق قال: سمعت الحسن العرني يحدث

---

١ ـ القضاء: الفقه، وعليّ أقضاهم: أي أفقههم، (ابن أبي الحديد). [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٨]

عن مرة، عن عبد الله بن مسعود قال: استدعىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً فخلا به فلما خرج إلينا سألناه: ما الذي عهد إليك؟ فقال: علمني ألف باب من العلم فتح لي كل باب ألف باب.

أخبرني أبو الحسين محمد بن المظفر البزاز قال: حدثنا أبو مالك كثير بن يحيىٰ قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي السري قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد الكناني، عن الأصبغ بن نباتة قال: لما بويع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة خرج إلىٰ المسجد معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله لابساً برديه[1]، فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ووعظ وأنذر ثمّ جلس متمكناً وشبك بين أصابعه[2] ووضعها أسفل سرته[3] ثمّ قال: «يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني[4] سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين أما والله لو ثني[5] لي الوساد[6] لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل

---

١ ـ [في المخطوطة: بُردته]. البُرد: نوع من الثياب معروف، والبُردة: الشملة المخطّطة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ١٦٦، مادة «برد»]

٢ ـ تشبيك الأصابع: إدخال بعضها في بعض. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٥٨٩، مادة «شبك»]

٣ ـ السرّة: ما تبقى مما تقطعه القابلة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣٥٩، مادة «سرر»]

٤ ـ قوله: «سلوني قبل أن تفقدوني»: قال أصحاب التحقيق من الرواة: لم يقل أحد من الصحابة ولا من غيرهم: سلوني... الخ، إلّا علي بن أبي طالب، قالوا: وليس لأحد أن يقول: سلوني، إلّا علي بن أبي طالب. [انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٧، ص ٤٦]

٥ ـ ثني الشيء ثنياً: إذا ردّ بعضه على بعض. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٠٩]

٦ ـ والوسادة: المخدّة، وقد يطلق على ما يجلس عليه من الفراش، وإنما تثنى الوسادة للحكّام والأمراء لترتفع ويجلسوا عليها فيتميزوا أو ليتكئوا عليها، ويؤيد الأول ما في بعض الروايات من قوله: فجلست عليها. وثَنْيُ الوسادة هنا كناية عن التمكن في الأمر ونفاذ الحكم، كذا

الزبور بزبورهم وأهل القرآن بقرآنهم حتىٰ يزهر[1] كل كتاب من هذه الكتب ويقول يا رب إنّ علياً قضىٰ بقضائك. والله إني أعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما يكون إلىٰ يوم القيامة».

ثمّ قال: «سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة[2] وبرأ[3] النسمة[4] لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفي من نزلت وأنبأتكم بناسخها من منسوخها وخاصها من عامها ومحكمها من متشابهها ومكّيها من مدنيها، والله ما فئة[5] تضل أو تهدىٰ إلّا وأنا أعرف قائدها وسائقها

فسّره بعض العلماء. [بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٣٦]

١ ـ [في المخطوطة: يُنهيَ، فراجع]. قوله: حتى ينهيَ كل كتاب من هذه الكتب. الإنهاء: الإبلاغ، فلعلّه كناية عن شهادته عند الله وإبلاغه إيّاها كما يدل عليه ما في بعض الروايات من قوله: ينطق موضع ينهى. وفي بعض النسخ «يزهر إلى الله» أي يتلألأ ويتّضح ويستنير صاعداً إلى الله، فاستنارته كناية عن ظهور الأمر، وصعوده عن كونه موافقاً للحق، ويحتمل أن يكون كناية عن شهادته عند الله بأنه حكم بالحق، والآية التي أشار إليها هو قوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [سورة الرعد، الآية ٣٩]، وقد صرّح بذلك في بعض الروايات، هكذا أفاد الفاضل المجلسي رحمه الله في تفسير هذا الكلام، والله أعلم. [بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٣٧]

٢ ـ قوله: «فوالذي فلق الحبّة»: هذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فالق الحبّ والنوى﴾. [سورة الأنعام، الآية ٩٥]

٣ ـ والبرء: الخلق. [كتاب العين، ج ٨، ص ٢٨٩، مادة «برأ»].

٤ ـ والنسمة: كل ذي روح من البشر خاصّة. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٠٢]

٥ ـ [في المخطوطة: من فئة]. الفئة: الطائفة، والهاء عوض عن الياء؛ لأنه مأخوذ من فاء. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٧، ص ٤٦]

وناعقها(١) إلىٰ يوم القيامة»، في أمثال هذه الأخبار مما يطول به الكتاب .

فصل

ومن ذلك ما جاء في فضله عليه السلام

أخبرني أبو الحسين محمد بن المظفر البزاز قال: حدثنا عمر بن عبد الله بن عمران قال: حدثنا أحمد بن بشير قال: حدثنا عبيد الله بن موسىٰ، عن قيس، عن أبي هارون قال: أتيت أبا سعيد الخدري رحمه الله فقلت له: هل شهدت بدراً؟ قال: نعم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لفاطمة عليها السلام وقد جاءته ذات يوم تبكي وتقول: يا رسول الله عيرتني نساء قريش بفقر علي فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: أما ترضين يا فاطمة أني زوجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً إنّ الله اطلع إلىٰ أهل الأرض اطلاعة فاختار منهم أباك فجعله نبياً واطلع إليهم ثانية فاختار منهم بعلك فجعله وصياً وأوحىٰ إلي أن أنكحك إياه. أما علمت يا فاطمة أنك بكرامة الله إياك زوجتك أعظمهم حلماً وأكثرهم علماً وأقدمهم سلماً، فضحكت فاطمة عليها السلام واستبشرت، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة إنّ لعلي ثمانية أضراس قواطع لم تجعل لأحد من الأولين والآخرين، هو أخي في الدنيا والآخرة ليس ذلك لغيره من الناس وأنت يا فاطمة سيدة نساء أهل الجنة زوجته وسبطا(٢) الرحمة سبطاي

---

١ ـ وناعقها: الداعي إليها، من نعيق الراعي غنمه وهو صوته، نعق ينعق ـ بالكسر ـ: إذا صاح. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٧، ص ٤٦]

٢ ـ عن ابن الأعرابي: الأسباط: الأولاد. وفي الحديث: الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله،

ولده وأخوه المزين بالجناحين في الجنة يطير مع الملائكة حيث يشاء وعنده علم الأولين والآخرين وهو أول من آمن بي وآخر الناس عهداً بي وهو وصيي ووارث الأوصياء.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: وجدت في كتاب أبي جعفر محمد بن العباس الرازي، حدثنا محمد بن خالد قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال: حدثنا محمد بن سليمان الديلمي، عن جابر بن يزيد الجعفي عن عدي بن حكيم، عن عبد الله بن العباس قال: قال: لنا أهل البيت سبع خصال ما منهن خصلة في الناس: منا النبي صلى الله عليه وآله ومنا الوصي خير هذه الأمة بعده علي بن أبي طالب، ومنا حمزة[1] أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء ومنا جعفر بن أبي طالب[2] المزين بالجناحين

أي طائفتان وقطعتان. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٥١، مادة «سبط»]

١ ـ حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله وأخوه من الرضاعة؛ لأنّ ثويبة أرضعت رسول الله أيّاماً قبل قدوم حليمة، وأرضعت حمزة أيضاً، وأمّه هالة بنت وهيب ابنة عمّ آمنة بنت وهب أمّ النبيّ صلى الله عليه وآله، أسلم سنة ثلاث من البعثة، استشهد بأحد، قتله الوحشي الحبشي، وصلّى عليه رسول الله خمس تكبيرات ثم ألحق به من الشهداء حتى كبّر لحمزة سبعين تكبيرة، وقبره الآن معروفٌ، فهو من سادات الشهداء، وهو أسد الله وأسد رسوله. [انظر: أسد الغابة لابن الأثير، ج ٢، ص ٤٦، ترجمة حمزة بن عبد المطلب]

٢ ـ وأما جعفر بن أبي طالب فهو أخو أمير المؤمنين عليه السلام لأبويه، وكان أسنّ من علي عليه السلام بعشر سنين، أسلم بعد إسلام أخيه، يقال: وكان أشبه الناس برسول الله خَلقاً وخُلقاً، واستشهد بمؤتة، وقطعت يداه، ولمّا أتى النبي صلى الله عليه وآله وفاته اشتدّ حزنه، قال: وعلى مثل جعفر فليبك الباكون، ودخله همّ شديد حتى أتاه جبرئيل وأخبره أن الله تعالى جعل لجعفر جناحين مضرجين بالدم عوضاً عن يديه يطير بهما مع الملائكة. روى الخاصة والعامة: أنّ أبا طالب رأى النبي وعلياً عليهما السلام يصلّيان وعليّ عن يمينه، فقال لجعفر: صِلْ جناح ابن عمك، وصَلّ عن يساره، وفي جعفر وحمزة نزلت آيات من كتاب الله، وقال أمير المؤمنين: خير

يطير بهما في الجنة حيث يشاء ومنا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين ومنا قائم آل محمد الذي أكرم الله به نبيه ومنا المنصور.

وروىٰ محمد بن أيمن، عن أبي حازم مولىٰ ابن عباس، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي إنك تخاصم فتخصم[١] بسبع خصال ليس لأحد مثلهن: أنت أول المؤمنين معي إيماناً وأعظمهم جهاداً وأعلمهم بآيات الله وأوفاهم بعهد الله وأرأفهم بالرعية وأقسمهم بالسوية وأعظمهم عند الله مزية.

في أمثال هذه الأخبار ومعانيها مما هي أشهر عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيها إلىٰ إطالة خطب، ولولم يكن منها إلّا ما انتشر ذكره واشتهرت الرواية به من حديث الطائر[٢]، وقول النبي صلى الله عليه وآله: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل

أعمامي حمزة، وخير إخواني جعفر. [انظر: أسد الغابة لابن الأثير، ج ١، ص ٢٨٦، ترجمة جعفر بن أبي طالب]

١ ـ الخصومة: الجدل، خاصمه مخاصمةً وخصومةً فخَصَمَهُ يخْصِمهُ: غلبه، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٠٧]

٢ ـ حديث الطائر المشوي مشهور، أمّا من طرق الخاصّة فأشهر من أن يذكر، وأما من طرق العامّة فقد رواه أحمد بن حنبل وابن المغازليّ والرزين العبدري والحمويني وموفق بن أحمد وأبو المظفر السمعاني ومحمد بن علي المالكي والطبري والترمذي والمازني وغيرهم. [فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٥٦٠، ح ٩٤٥؛ مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي، ص ١٤٣، ح ١٧٥؛ نهج الإيمان لابن جبر، ص ٣٣٥، عن الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري؛ المناقب للخوارزمي، ص ١٠٧، ح ١١٤؛ الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري، ج ٣، ص ١١٤؛ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٠٠، ح ٣٨٠٥]

معي من هذا الطائر فجاء أمير المؤمنين عليه السلام، لكفىٰ، إذ كان أحب الخلق إلىٰ الله تعالىٰ وأعظمهم ثواباً عنده وأكثرهم قرباً إليه وأفضلهم عملاً له.

وفي قول جابر بن عبد الله الأنصاري وقد سئل عن أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ذاك خير البشر لا يشك فيه إلّا كافر، حجة واضحة فيما قدمناه.

وقد أسند ذلك جابر في رواية جاءت بأسانيد متصلة معروفة عند أهل النقل والأدلة علىٰ أن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله متناصرة، لو قصدنا إلىٰ إثباتها لأفردنا لها كتاباً وفيما رسمناه من الخبر بذلك مقنع فيما قصدناه من الاختصار ووضعه في مكانه من هذا الكتاب.

فصل

ومن ذلك ما جاء من الخبر بأن محبته عليه السلام علم[1] علىٰ الإيمان وبغضه علم علىٰ النفاق[2]

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر المعروف بابن الجعابي الحافظ قال: حدثنا محمد بن سهل بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن عمر الدهقان قال: حدثنا محمد بن كثير قال: حدثنا إسماعيل بن مسلم قال: حدثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش قال: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علىٰ المنبر

---

١ ـ العَلَم: العلامة. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٥٠١، مادة «علم»]

٢ ـ روى الموافق والمخالف عن أبي سعيد وجابر وغيرهما قالا: كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ببغضهم علياً عليه السلام، قاله المجلسي رحمه الله. [بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٢٦٣]

فسمعته يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي صلى الله عليه وآله إليَّ أنه لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق .

أخبرني أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري قال: حدثنا جعفر بن سليمان قال: حدثنا النضر بن حميد، عن أبي الجارود، عن الحارث الهمداني قال: رأيت علياً عليه السلام جاء حتىٰ صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: قضاء قضاه الله عزّ وجلّ علىٰ لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله أنه لا يحبني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق وقد خاب[1] من افترىٰ .

أخبرني أبو الحسين محمد بن المظفر البزاز قال: حدثنا محمد بن يحيىٰ قال: حدثنا محمد بن موسىٰ البربري قال: حدثنا خلف بن سالم قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق.

---

١ ـ الخيبة: الخسران والحرمان، وقد خاب يخيب ويخوب، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٩٠، مادة «خيب».]

فصل

ومن ذلك ما جاء في أنه عليه السلام وشيعته هم الفائزون(١)

أخبرني أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال: حدثني علي بن محمد بن عبيد الحافظ قال: حدثنا علي بن الحسين بن عبيد الكوفي قال: حدثنا إسماعيل بن أبان، عن سعد بن طالب، عن جابر بن يزيد، عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: سئلت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ علياً وشيعته هم الفائزون.

أخبرني أبو عبد الله محمد بن عمران قال: حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال: حدثني محمد بن هارون بن عيسىٰ الهاشمي قال: حدثنا تميم بن محمد بن العلاء قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا يحيىٰ بن العلاء، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لله تعالىٰ قضيباً(٢) من ياقوت أحمر لا يناله إلّا نحن وشيعتنا وسائر الناس منه بريئون.

أخبرنا أبو عبيد الله قال: حدثني علي بن محمد بن عبيد الحافظ قال: حدثنا علي بن الحسين بن عبيد الكوفي قال: حدثنا إسماعيل بن أبان، عن عمرو بن

---

١ ـ فاز يفوز فوزاً فهو فائز، إذا ظفر ونجا. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٠، مادة «فوز»]

٢ ـ القضيب: واحد القضبان، وهي الأغصان، (صحاح اللغة). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٠٣، مادة «قضب»]

حريث، عن داود بن السليك، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب قال: ثمّ التفت إلىٰ علي عليه السلام فقال: هم شيعتك وأنت إمامهم.

أخبرني أبو عبيد الله قال: حدثني أحمد بن عيسىٰ الكرخي قال: حدثنا أبوالعيناء محمد بن القاسم قال: حدثنا محمد بن عائشة، عن إسماعيل بن عمرو البجلي قال: حدثني عمر بن موسىٰ، عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: شكوت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس إياي فقال: يا علي إنّ أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا، وأحباؤنا خلف ذريتنا، وأشياعنا عن أيماننا وشمائلنا.

فصل

ومن ذلك ما جاءت به الأخبار في أن ولايته عليه السلام علم علىٰ طيب المولد وعداوته علم علىٰ خبثه

أخبرني أبو الجيش المظفر بن محمد البلخي قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال: حدثنا جعفر بن محمد العلوي قال: حدثنا أحمد بن عبد المنعم قال: حدثنا عبد الله بن محمد الفزاري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

ألا أسرك؟! ألا أمنحك؟![١] ألا أبشرك؟! فقال: بلىٰ يا رسول الله بشرني قال: فإني خلقت أنا وأنت من طينة واحدة ففضلت منها فضلة[٢] فخلق الله منها شيعتنا، فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسماء أمهاتهم سوىٰ شيعتنا فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم.

أخبرني أبو الجيش المظفر بن محمد، عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال: حدثنا محمد بن سلم الكوفي قال: حدثنا عبيد الله بن كثير قال: حدثنا جعفر بن محمد بن الحسين الزهري قال: حدثنا عبيد الله بن موسىٰ، عن إسرائيل، عن أبي حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة يدعىٰ الناس كلهم بأسماء أمهاتهم ما خلا شيعتنا فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مواليدهم.

أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد القمي قال: حدثنا أبو علي محمد بن همام بن سهيل الإسكافي قال: حدثني جعفر بن محمد بن مالك قال: حدثنا محمد بن نعمة السلولي قال: حدثنا عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن جبلة، عن أبيه قال: سمعت جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري يقول كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جماعة من الأنصار فقال لنا: يا معشر الأنصار بوروا[٣] أولادكم بحب علي بن أبي طالب فمن أحبه فاعلموا أنه لرشدة[٤]، ومن أبغضه فاعلموا أنه لغية.

---

١ ـ المَنْحُ: العطاء، يقال: مَنَحْتُه مَنْحاً، أي أعطيته، والاسم المِنْحَةُ، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٤١٥، مادة «منح»]

٢ ـ الفضلة: ما بقي من الشيء كالفاضلة. [تاج العروس، ج ١٥، ص ٥٧٩، مادة «فضل»]

٣ ـ بار الشيء يبور بوراً: إذا امتحنه، (قاموس). [انظر: القاموس المحيط، ج ١، ص ٣٧٨]

٤ ـ يقال: فلانٌ لرشدةٍ خلاف قولك لزنية، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٤٧٤، مادة «رشد»]

فصل

ومن ذلك ما جاءت به الأخبار في تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بإمرة المؤمنين في حياته

أخبرني أبو الجيش المظفر بن محمد البلخي قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال: أخبرني الحسين بن أيوب، عن محمد بن غالب، عن علي بن الحسن، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن بشير الغفاري، عن أنس بن مالك قال: كنت خادم رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما كانت ليلة أم حبيبة بنت أبي سفيان أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله بوضوء(١) فقال لي: يا أنس بن مالك يدخل عليك من هذا الباب الساعة أمير المؤمنين وخير الوصيين، أقدم الناس سلماً وأكثرهم علما وأرجحهم حلماً فقلت: اللهم اجعله من قومي قال: فلم ألبث أن دخل علي بن أبي طالب عليه السلام من الباب ورسول الله صلى الله عليه وآله يتوضأ فرد رسول الله صلى الله عليه وآله الماء على وجه علي عليه السلام حتى امتلأت عيناه منه فقال علي: يا رسول الله أحدث فيَّ حدث؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما حدث فيك إلّا خير، أنت مني

الرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى، كما يستعمل الغيّ فيما يذمّ ويُتَسخَّط. (طراز اللغة).
[الطراز الأوّل والكناز لما عليه من لغة العرب المعوّل، ج ٥، ص ٣٦٤، مادة «رشد»]

١ ـ قال الأخفش: الوَضُوءُ ـ بالفتح ـ: هو الماء، وبالضم: هو الفعل. [لسان العرب، ج ١، ص ١٩٤، مادة «وضأ»]

وأنا منك تؤدي عني وتفي بذمتي وتغسلني وتواريني في لحدي، وتسمع الناس عني وتبين لهم من بعدي، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أو ما بلغت؟ قال: بلىٰ ولكن تبين لهم ما يختلفون فيه من بعدي.

أخبرني أبو الجيش المظفر بن محمد، عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال: حدثني جدي قال: حدثنا عبد الله بن داهر قال: حدثني أبي داهر بن يحيىٰ الأحمري المقرىء، عن الأعمش، عن عباية الأسدي، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأم سلمة[1] رضي الله عنها: اسمعي واشهدي، هذا علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين.

وبهذا الإسناد، عن محمد بن أبي الثلج قال: حدثني جدي قال: حدثنا عبد السلام بن صالح قال: حدثني يحيىٰ بن اليمان قال: حدثني سفيان الثوري، عن أبي الجحاف، عن معاوية بن ثعلبة قال: قيل لأبي ذر رضي الله عنه أوص قال: قد أوصيت قيل: إلىٰ من؟ قال: إلىٰ أمير المؤمنين قيل: عثمان؟ قال: لاً ولكن إلىٰ أمير المؤمنين حقاً، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إنه لزر الأرض[2] وربّاني[3] هذه الأمة، لو

---

١ ـ أمّ سَلَمَة بنت أبي أميّة بن المغيرة، واسمها هند زوجة النبي صلى الله عليه وآله، حالها في الجلالة والإخلاص لعليّ عليه السلام أشهر من أن يذكر، وورد في الأخبار أنّها أفضل أزواجه بعد خديجة، (منتهى المقال). [منتهى المقال في أحوال الرجال، ج ٧، ص ٤٦٠، تسلسل ٤٤٧١]

٢ ـ في حديث أبي ذرّ قال يصف عليّاً: وإنّه لعالم الأرض وزِرُّها الذي تسكن إليه، أي قوامها. وأصله من زِرِّ القلب، وهو عظيم صغير يكون قوام القلب به، وأخرج الهروي هذا الحديث عن سلمان، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣٠٠، مادة «زرر»]

٣ ـ [في المخطوطة: وربّي]. الرِّبّي: منسوب إلى الرَّبّ كالربّاني. قال الزمخشري: الربّيون: الربّانيون، وقرىء بالحركات الثلاث، فالفتح على القياس، والضمّ والكسر من تغييرات النسب. قال ابن الأثير في حديث عليّ عليه السلام «الناس ثلاثة: عالم ربّاني»: قيل: هو من الربّ

قد فقدتموه لأنكرتم الأرض ومن عليها .

وحديث بريدة بن الحُصيب الأسلمي وهو مشهور معروف بين العلماء بأسانيد يطول شرحها قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني سابع سبعة، فيهم أبو بكر وعمر وطلحة والزبير فقال: سلموا علىٰ علي بإمرة المؤمنين، فسلمنا عليه بذلك ورسول الله صلى الله عليه وآله حي بين أظهرنا .

في أمثال هذه الأخبار يطول بها الكتاب .

فصل

فأمّا مناقبه الغنية بشهرتها وتواتر النقل بها وإجماع العلماء عليها عن إيراد أسانيد الأخبار بها فهي كثيرة يطول بشرحها الكتاب وفي رسمنا منها طرفاً كفاية عن إيراد جميعها في الغرض الذي وضعنا له هذا الكتاب إن شاء الله تعالىٰ.

فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله جمع خاصة أهله وعشيرته في ابتداء الدعوة إلىٰ الإسلام فعرض عليهم الإيمان واستنصرهم علىٰ أهل الكفر والعدوان وضمن لهم علىٰ ذلك الحظوة[١] في الدنيا والشرف وثواب الجنان فلم يجبه أحد منهم إلّا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فنحله[٢] بذلك تحقيق الإخوة والوزارة والوصية

بمعنى التربية، وكانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، والرباني: العالم الراسخ في العلم والدين، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله، وقيل: العالم العامل المعلم. [بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ٢٩٩، البيان المذكور في ذيل الحديث ١٩]

١ ـ الحظوة ـ بالضمّ والكسر ـ: المكانة والمنزلة والحظّ من الرزق. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣١٨]

٢ ـ النُّحْلُ: العطية والهبة ابتداء من غير عوض، يقال: نَحَلَهُ يَنْحَلُهُ نُحْلاً بالضم. [النهاية في

والوراثة والخلافة وأوجب له به الجنة.

وذلك في حديث الدار الذي أجمع علىٰ صحته نقاد الآثار حين جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً يومئذ يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فيما ذكره الرواة، وأمر أن يصنع لهم فخذ شاة مع مد من البر ويعد لهم صاع من اللبن وقد كان الرجل منهم معروفاً بأكل الجذعة[1] في مقام واحد ويشرب الفرق[2] من الشراب في ذلك المقام وأراد عليه السلام بإعداد قليل الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآية لهم في شبعهم وريهم مما كان لا يشبع الواحد منهم ولا يرويه.

ثمّ أمر بتقديمه لهم فأكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتىٰ تملئوا منه فلم يبن ما أكلوه منه وشربوه فيه فبهرهم[3] بذلك وبيّن لهم آية نبوته وعلامة صدقه ببرهان الله تعالىٰ فيه.

ثمّ قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورووا من الشراب: يا بني عبد المطلب إنّ الله بعثني إلىٰ الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة فقال عز وجل: ﴿وأَنْذِرْ عَشِيرَتَك

غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٩، مادة «نحل»]

١ ـ الجَذَع ـ بفتح الجيم والذال المعجمة ـ وهو من الضأن ما له سنة تامة، هذا هو الأصح عند أصحابنا، وهو الأشهر عند أهل اللغة وغيرهم، ومن المعز ما له سنتان على الأصح، وروى الحافظ الدمياطي قال: كان وُلد عبد المطلب عشرة، كل منهم يأكل جذعة، (حياة الحيوان). [نظر: حياة الحيوان للدميري، ج ١، ص ٢٦٧ و ٢٦٨]

٢ ـ الفَرَق: مكيال معروف بالمدينة، وهو ستة عشر رطلاً، وقد يُحرّك، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٤، ص ١٥٤٠، مادة «فرق»]

٣ ـ بهره بهراً: غلبه، وبهر القمر أضاء حتى غلب ضوؤه ضوء الكواكب، (صحاح). [انظر: الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٥٩٨ و ٥٩٩، مادة «بهر»]

الأَقْرَبِينَ﴾(١) وأنا أدعوكم إلىٰ كلمتين خفيفتين علىٰ اللسان، ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار شهادة أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله، فمن يجبني إلىٰ هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلىٰ القيام به يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي، فلم يجب أحد منهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فقمت بين يديه من بينهم وأنا إذ ذاك أصغرهم سناً وأحمشهم ساقاً(٢) وأرمصهم عيناً(٣) فقلت: أنا يا رسول الله أؤازرك علىٰ هذا الأمر فقال: اجلس، ثمّ أعاد القول علىٰ القوم ثانية فأصمتوا وقمت فقلت مثل مقالتي الأولىٰ فقال: اجلس، ثمّ أعاد علىٰ القوم مقالته ثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف فقلت: أنا أؤازرك يا رسول الله علىٰ هذا الأمر فقال: اجلس فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي.

فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: يا أبا طالب ليهنك اليوم إن دخلت في دين ابن أخيك فقد جعل ابنك أميراً عليك .

---

١ ـ [سورة الشعراء، الآية ٢١٤].

٢ ـ حَمَشَ الرَّجُل يَحْمشُ حَمْشاً وحَمَشاً: صار دقيق الساقين، فهو أحمش الساقين. [تاج العروس، ج ٩، ص ٩٦، مادة «حمش»]

٣ ـ الرَّمَص: البياض الذي يجتمع في زوايا العين، يقال: رجلٌ أَرْمَصُ وَامْرَأَةٌ رَمْصاءُ وذلك كناية عن صغر العين. [انظر: لسان العرب، ج ٧، ص ٤٣، مادة «رمص»]

فصل

وهذه منقبة جليلة اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأولين ولا الأنصار ولا أحد من أهل الإسلام، وليس لغيره عدل لها من الفضل ولا مقارب علىٰ حال. وفي الخبر بها ما يفيد أن به عليه السلام تمكن النبي صلى الله عليه وآله من تبليغ الرسالة وإظهار الدعوة والصدع[١] بالإسلام، ولولاه لم تثبت الملة ولا استقرت الشريعة ولا ظهرت الدعوة فهو عليه السلام ناصر الإسلام ووزير الداعي إليه من قبل الله عزّ وجلّ وبضمانه لنبي الهدىٰ عليه السلام النصرة تم له في النبوة ما أراد، وفي ذلك من الفضل ما لا توازنه الجبال فضلاً ولا تعادله الفضائل كلها محلاً وقدراً .

فصل

ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما أمر بالهجرة عند اجتماع الملأ[٢] من قريش علىٰ قتله فلم يتمكن عليه السلام من مظاهرتهم بالخروج من مكة وأراد الاستسرار بذلك وتعمية خبره[٣] عنهم ليتم له الخروج علىٰ السلامة منهم ألقىٰ خبره إلىٰ أمير

---

١ ـ قال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾: أراد فاصدع بالأمر، أي أظهر دينك، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١٢٤٢، مادة «صدع»]

٢ ـ الملأ: الجماعة، وتمالئوا عليه: اجتمعوا، (قاموس). [انظر: القاموس المحيط، ج ١، ص ٢٨ و ٢٩]

٣ ـ عَمَّيْتُ الْخَبَرَ تَعْمِيَةً: أخْفَيْتُهُ. [انظر: تاج العروس، ج ١٩، ص ٧٠٤، مادة «عمي»]

المؤمنين عليه السلام واستكتمه إياه وكلفه الدفاع عنه بالمبيت علىٰ فراشه من حيث لا يعلمون أنه هو البائت علىٰ الفراش، ويظنون أنه النبي صلى الله عليه وآله بائتاً علىٰ حاله التي كان يكون عليها فيما سلف من الليالي.

فوهب أمير المؤمنين عليه السلام نفسه لله وشراها من الله في طاعته وبذلها دون نبيه عليه وآله السلام لينجو به من كيد الأعداء وتتم له بذلك السلامة والبقاء، وينتظم له به الغرض في الدعاء إلىٰ الملة وإقامة الدين وإظهار الشريعة فبات عليه السلام علىٰ فراش رسول الله صلى الله عليه وآله مستتراً بإزاره[١] وجاءه القوم الذين تمالئوا علىٰ قتله فأحدقوا به وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهراً فيذهب دمه فرغاً[٢] بمشاهدة بني هاشم قاتليه من جميع القبائل ولا يتم لهم الأخذ بثأره منهم ؛ لاشتراك الجماعة في دمه وقعود كل قبيل عن قتال رهطه ومباينة أهله.

فكان ذلك سبب نجاة رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ دمه وبقائه حتىٰ صدع بأمر ربه، ولولا أمير المؤمنين عليه السلام وما فعله من ذلك لما تم لنبي الله صلى الله عليه وآله التبليغ والأداء ولا استدام له العمر والبقاء ولظفر به الحسدة والأعداء.

فلما أصبح القوم وأرادوا الفتك به عليه السلام ثار إليهم وتفرقوا عنه حين عرفوه وانصرفوا عنه وقد ضلت حيلهم في النبي صلى الله عليه وآله وانتقض ما بنوه من التدبير في قتله وخابت ظنونهم وبطلت آمالهم، فكان بذلك انتظام الإيمان وإرغام الشيطان وخذلان أهل الكفر والعدوان.

ولم يشرك أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المنقبة أحد من أهل الإسلام ولا

---

١ ـ الإزار: الملحفة، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ١، ص ٣٦٣]

٢ ـ ذهب دمه فرغاً ومفرغاً: أي هدراً إذا لم يطلب به، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٤، ص ١٣٢٥، مادة «فرغ»]

اختص بنظير لها علىٰ حال ولا مقارب لها في الفضل بصحيح الاعتبار.

وفي أمير المؤمنين عليه السلام ومبيته علىٰ الفراش أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[١].

فصل

ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله كان أمين قريش علىٰ ودائعهم فلما فجأه من الكفار ما أحوجه إلىٰ الهرب[٢] من مكة بغتة لم يجد في قومه وأهله من يأتمنه علىٰ ما كان مؤتمناً عليه سوىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فاستخلفه في رد الودائع إلىٰ أربابها وقضاء ما عليه من دين لمستحقيه وجمع بناته ونساء أهله وأزواجه والهجرة بهم إليه، ولم ير أن أحداً يقوم مقامه في ذلك من كافة الناس فوثق بأمانته وعول علىٰ

---

١ ـ [سورة البقرة، الآية ٢٠٧]. عن ابن الأثير في كتابه المسمى بكتاب الإنصاف الذي جمع فيه بين الكاشف والكشّاف: أنّ الآية نزلت في عليّ وذلك حين هاجر النبي صلى الله عليه وآله وترك علياً في بيته بمكة وأمره أن ينام على فراشه ليوصل إذا أصبح ودايع الناس إليهم، وقال الله عزوجل لجبرئيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيّكما يؤثر أخاه؟ فاختار كلّ منهما الحياة، فأوحى الله عزوجل إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات في فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إليه فاحفظاه من عدوّه، فنزلا إليه فحفظاه، جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل يقول: بخ بخ يابن أبي طالب من مثلك وقد باهى الله بك الملائكة؟ وعن الثعلبي مثله. [بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٤٠، ح ٢]

٢ ـ الهرب: الفرار، وقد هرب وهرّبه غيره تهريباً، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٣٧، مادة «هرب»]

نجدته وشجاعته واعتمد في الدفاع عن أهله وحامته[١] على بأسه وقدرته واطمأن إلىٰ ثقته علىٰ أهله وحرمه، وعرف من ورعه وعصمته ما تسكن النفس معه إلىٰ ائتمانه علىٰ ذلك.

فقام عليه السلام به أحسن القيام ورد كل وديعة إلىٰ أهلها وأعطىٰ كل ذي حق حقه وحفظ بنات نبيه عليه السلام وآله وحرمه وهاجر بهم ماشياً علىٰ قدمه، يحوطهم[٢] من الأعداء ويكلؤهم[٣] من الخصماء ويرفق بهم في المسير، حتىٰ أوردهم عليه المدينة علىٰ أتم صيانة وحراسة ورفق ورأفة وحسن تدبير، فأنزله النبي صلى الله عليه وآله عند وروده المدينة داره وأحله قراره وخلطه بحرمه وأولاده ولم يميزه من خاصة نفسه ولا احتشمه[٤] في باطن أمره وسره.

وهذه منقبة توحد بها عليه السلام من كافة أهل بيته وأصحابه ولم يشركه فيها أحد من أتباعه وأشياعه ولم يحصل لغيره من الخلق فضل سواها يعادلها عند السبر[٥] ولا يقاربها علىٰ الامتحان وهذه مضافة إلىٰ ما قدمناه من مناقبه، الباهر فضلها، القاهر شرفها قلوبَ العقلاء.

---

١ ـ حامّة الرجل: أقرباؤه. وإبلٌ حامّة إذا كانت خياراً، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ١٩٠٧، مادة «حمم»]
اللهم اغفر للكاتب ولوالديه.

٢ ـ حاطه يحوطه حوطاً وحيطة وحياطة: أي كلأه، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١١٢١، مادة «حوط»].

٣ ـ وكلأه كِلاءة ـ بالكسر ـ: حفظه وحرسه. (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٦٩، مادة «كلأ»]

٤ ـ احتشم الرجل: انقبض. [انظر: تاج العروس، ج ١٦، ص ١٥١، مادة «حشم»]

٥ ـ السبر: الاختبار والامتحان. [انظر: تاج العروس، ج ٦، ص ٤٩٠، مادة «سبر»]

فصل

ومن ذلك أن الله تعالىٰ خصه بتلافي فارط من خالف نبيه صلى الله عليه وآله في أوامره وإصلاح ما أفسدوه حتىٰ انتظمت به أسباب الصلاح واتسق بيمنه وسعادة جده وحسن تدبيره والتوفيق اللازم له أمور المسلمين وقام به عمود الدين.

ألا ترىٰ أن النبي صلى الله عليه وآله أنفذ خالد بن الوليد إلىٰ بني جذيمة داعياً لهم إلىٰ الإسلام ولم ينفذه محارباً فخالف أمره صلى الله عليه وآله ونبذ عهده وعاند دينه، فقتل القوم وهم علىٰ الإسلام وأخفر ذمتهم[١] وهم أهل الإيمان وعمل في ذلك علىٰ حمية الجاهلية وطريقة أهل الكفر والعدوان فشان فعاله الإسلام ونفر به عن نبيه عليه وآله السلام من كان يدعوه إلىٰ الإيمان وكاد أن يبطل بفعله نظام التدبير في الدين.

ففزع رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في تلافي فارطه وإصلاح ما أفسده ودفع المعرة[٢] عن شرعه ـ بذلك إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فأنفذه لعطف القوم وسلّ[٣] سخايمهم[٤] والرفق بهم في تثبيتهم علىٰ الإيمان وأمره أن يدي القتلىٰ ويرضي بذلك أولياء دمائهم الأحياء.

---

١ ـ أَخْفَرْتُ ذِمَّةَ الرَّجُلِ: إذا نَقَضْتُ عَهْدَهُ وَذِمامَه. [انظر: القاموس المحيط، ج ٢، ص ٢٢]

٢ ـ المعرّة: الأمر القبيح المكروه والأذى، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢٠٥، مادة «عرر»]

٣ ـ سلّ الشيء يسلّهُ سلّاً: أخرجه وانتزعه. [لسان العرب، ج ١١، ص ٣٣٨، مادة «سلل»]

٤ ـ السخايم: جمع سخيمة وهي الحقد والضغينة. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٨٢، مادة «سخم»]

فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك مبلغ الرضا وزاد علىٰ الواجب بما تبرع به عليهم من عطية ما كان بقي في يده من الأموال.

وقال لهم: قد أديت ديات القتلىٰ وأعطيتكم بعد ذلك من المال ما تعودون به علىٰ مخلفيهم ليرضىٰ الله عن رسوله صلى الله عليه وآله وترضون بفضله عليكم.

وأظهر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ما اتصل بهم من البراءة من صنيع خالد بهم فاجتمع براءة رسول الله صلى الله عليه وآله مما جناه خالد واستعطاف أمير المؤمنين عليه السلام القوم بما صنعه بهم فتم بذلك الصلاح وانقطعت به مواد الفساد ولم يتول ذلك أحد غير أمير المؤمنين عليه السلام ولا قام به من الجماعة سواه ولا رضي رسول الله صلى الله عليه وآله لتكليفه أحداً ممن عداه.

وهذه منقبة يزيد شرفها علىٰ كل فضل يدعىٰ لغير أمير المؤمنين عليه السلام ـ حقاً كان ذلك أم باطلاً ـ وهي خاصة لأمير المؤمنين عليه السلام لم يشركه فيها أحد منهم ولا حصل لغيره عدل لها من الأعمال.

فصل

ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما أراد فتح مكة سأل الله جل اسمه أن يعمي أخباره علىٰ قريش ليدخلها بغتة وكان عليه وآله السلام قد بنىٰ الأمر في مسيره إليها علىٰ الاستسرار بذلك.

فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ أهل مكة يخبرهم بعزيمة رسول الله صلى الله عليه وآله

علىٰ فتحها وأعطىٰ الكتاب امرأة سوداء كانت وردت المدينة تستميح[1] بها الناس وتستبرهم وجعل لها جعلاً[2] علىٰ أن توصله إلىٰ قوم سماهم لها من أهل مكة وأمرها أن تأخذ علىٰ غير الطريق.

فنزل الوحي علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فاستدعىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وقال له إنّ بعض أصحابي قد كتب إلىٰ أهل مكة يخبرهم بخبرنا وقد كنت سألت الله أن يعمي أخبارنا عليهم والكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت علىٰ غير الطريق فخذ سيفك والحقها وانتزع الكتاب منها وخلها وصر به إلي. ثمّ استدعىٰ الزبير بن العوام فقال له: امض مع علي بن أبي طالب في هذه الوجه، فمضيا وأخذا علىٰ غير الطريق فأدركا المرأة فسبق إليها الزبير فسألها عن الكتاب الذي معها فأنكرته وحلفت أنه لا شيء معها وبكت، فقال الزبير: ما أرىٰ يا أبا الحسن معها كتاباً فارجع بنا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله لنخبره ببراءة ساحتها.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن معها كتاباً ويأمرني بأخذه منها وتقول أنت أنه لا كتاب معها، ثمّ اخترط السيف[3] وتقدم إليها فقال: أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنك ثمّ لأضربن عنقك فقالت له: إذا كان لا بد من ذلك فأعرض يا ابن أبي طالب بوجهك عني، فأعرض عليه السلام بوجهه عنها فكشفت قناعها وأخرجت الكتاب من عقيصتها[4].

---

١ ـ مِحْتُ الرَّجُلَ: أعطيتُهُ، واسْتَمَحْتُهُ: سألتُهُ العطاء، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٤٠٨، مادة «ميح»]

٢ ـ الجُعْل ـ كَقُفْل ـ: جعلته للإنسان على عملٍ من مالٍ وغيره، وكذلك الجُعالة، (قاموس). [انظر: القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٤٨]

٣ ـ اخترط السيف: سلّه. [لسان العرب، ج ٧، ص ٢٨٥، مادة «خرط»]

٤ ـ العقيصة للمرأة: الشَّعر يلوى وتُدْخَل أطرافه في أصوله، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٤،

فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وصار به إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر أن ينادىٰ بالصلاة جامعة فنودي في الناس فاجتمعوا إلىٰ المسجد حتىٰ امتلأ بهم ثمّ صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر وأخذ الكتاب بيده وقال: أيها الناس إني كنت سألت الله عزّ وجلّ أن يخفي أخبارنا عن قريش وإنّ رجلاً منكم كتب إلىٰ أهل مكة يخبرهم بخبرنا فليقم صاحب الكتاب وإلّا فضحه الوحي، فلم يقم أحد فأعاد رسول الله صلى الله عليه وآله مقالته ثانية وقال: ليقم صاحب الكتاب وإلّا فضحه الوحي فقام حاطب بن أبي بلتعة وهو يرعدكالسعفة[1] في يوم الريح العاصف فقال: يا رسول الله أنا صاحب الكتاب وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي ولا شكاً بعد يقيني فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فما الذي حملك علىٰ أن كتبت هذا الكتاب؟ قال: يا رسول الله إنّ لي أهلاً بمكة وليس لي بها عشيرة فأشفقت[2] أن تكون الدائرة لهم علينا[3] فيكون كتابي هذاكفاً لهم عن أهلي ويداً لي عندهم، ولم أفعل ذلك لشك في الدين.

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله مرني بقتله فإنه قد نافق فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنه من أهل بدر ولعل الله تعالىٰ اطلع عليهم فغفر لهم، أخرجوه من المسجد.

قال: فجعل الناس يدفعون في ظهره حتىٰ أخرجوه وهو يلتفت إلىٰ

ص ١٧٥، مادة «عقص»]

١ ـ السعفة: جريد النخل وورقه إذا يبس. [لسان العرب، ج ٩، ص ١٥١، مادة «سعف»]

٢ ـ الشفق والإشفاق: الخوف والمحاذرة، والإشفاق هو اللغة العالية. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٤٨٧، مادة «شفق»]

٣ ـ يقال: كان الدائرة لهم علينا: أي الدولة بالغلبة والنصر، [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ١٤٠، مادة «دور»]. والمعنى: ولكنّي خفت أن يكون الغلبة في هذه الحرب لقريش وأهل مكّة، فكتبت إليهم هذا الكتاب ليكون كفّاً لهم عن أهلي واصطناعاً لهم منّي.

النبي صلى الله عليه وآله ليرق عليه فأمر النبي صلى الله عليه وآله برده وقال له: قد عفوت عنك وعن جرمك فاستغفر ربك ولا تعد لمثل ما جنيت .

فصل

وهذه المنقبة لاحقة بما سلف من مناقبه عليه السلام، وفيها أن به عليه السلام تم لرسول الله صلى الله عليه وآله التدبير في دخول مكة وكفي مؤونة القوم وما كان يكرهه من معرفتهم بقصده إليهم حتىٰ فجأهم بغتة ولم يثق في استخراج الكتاب من المرأة إلّا بأمير المؤمنين عليه السلام، ولا استنصح في ذلك سواه ولا عول علىٰ غيره، فكان به عليه السلام كفايته المهم وبلوغه المراد وانتظام تدبيره وصلاح أمر المسلمين وظهور الدين.

ولم يكن في إنفاذ الزبير مع أمير المؤمنين عليه السلام فضل يعتد به لأنه لم يكف مهماً ولا أغنىٰ بمضيه شيئاً وإنما أنفذه رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه في عداد بني هاشم من جهة أمه صفية بنت عبد المطلب، فأراد عليه السلام أن يتولىٰ العمل ـ بما استسر به من تدبيره ـ خاص أهله وكانت للزبير شجاعة وفيه إقدام مع النسب الذي بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام، فعلم أنه يساعده علىٰ ما بعثه له إذ كان تمام الأمر لهما فراجع إليهما بما يخصهما مما يعم بني هاشم من خير أو شر، فكان الزبير تابعاً لأمير المؤمنين عليه السلام ووقع منه فيما أنفذه فيه ما لم يوافق صواب الرأي فتداركه أمير المؤمنين عليه السلام.

وفيما شرحناه من هذه القصة بيان اختصاص أمير المؤمنين عليه السلام من المنقبة والفضيلة بما لم يشركه فيه غيره ولا داناه سواه بفضل يقاربه فضلاً عن أن يكافئه والله المحمود .

فصل

ومن ذلك أن النبي ﷺ أعطىٰ الراية في يوم الفتح سعد بن عبادة[1] وأمره أن يدخل بها مكة أمامه، فأخذها سعد وجعل يقول:

اليوم يوم الملحمة[2] اليوم تسبىٰ الحرمة[3]

---

١ ـ سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي الساعدي، يكنّى أبا ثابت، وقيل: أبا قيس، نقيب بني ساعدة، له سيادة يعترف بها قومه، وله في الجود أخبارٌ، وكان لواء الأنصار بيده في جميع المشاهد، ولمّا توفي النبي ﷺ تكلّم سعدٌ في الخلافة وقال: يا معاشر المهاجرين، منّا أمير ومنكم أمير، قيل: كان يطلب الخلافة لعليّ عليه السلام ولم يتمّ له ذلك حتى أرجعه عمر بن الخطاب ووطأه وقال: اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً، وأبى الأمر إلّا لأبي بكر بن قحافة، ولم يبايع سعدٌ أبا بكر ولا عمر، وسار إلى الشام فأقام به بجوران إلى أن مات، قيل: وجد ميّتاً على مغتسله وقد اخضرّ جسده، وسمعوا بالمدينة قائلاً يقول في بئرٍ ولا يرون أحداً:

نحنُ قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عُبادهْ

فرميناهُ بِسهمَينِ فلم نخطِ فؤادهْ

فظنّوا أن قتله الجنّ. [انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ج ٢، ص ٥٩٤، تسلسل ٩٤٤، ترجمة سعد بن عبادة]

٢ ـ اليوم يوم الملحمة: هي الحرب وموضع القتال، والجمع الملاحم، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحمَة الثوب بالسُّدى، وقيل: هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٣٩، مادة «لحم»]

٣ ـ الحرمة: ما لا يجوز انتهاكه، وحرمة الرجل: أهله ونساؤه. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٣٨، مادة «حرم»]

فقال بعض القوم للنبي صلى الله عليه وآله: أما تسمع ما يقول سعد بن عبادة، والله إنا نخاف أن يكون له اليوم صولة[١] في قريش.

فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: أدرك ـ يا علي ـ سعداً وخذ الراية منه وكن أنت الذي تدخل بها.

فاستدرك رسول الله صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين صلوات الله عليه ما كاد يفوت من صواب التدبير بتهجم سعد وإقدامه على أهل مكة، وعلم أن الأنصار لا ترضى أن يأخذ أحد من الناس من سيدها سعد الراية ويعزله عن ذلك المقام إلّا من كان في مثل حال النبي صلى الله عليه وآله من جلالة القدر ورفيع المكان وفرض الطاعة ومن لا يشين سعداً الانصراف به عن تلك الولاية.

ولوكان بحضرة النبي صلى الله عليه وآله من يصلح لذلك سوى أمير المؤمنين عليه السلام لعدل بالأمر إليه وكان مذكوراً هناك بالصلاح بمثل ما قام به أمير المؤمنين عليه السلام.

وإذا كانت الأحكام إنما تجب بالأفعال الواقعة وكان ما فعله النبي صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين عليه السلام من التعظيم والإجلال والتأهيل لما أهّله له[٢] من إصلاح الأمور واستدراك ما كان يفوت بعمل غيره على ما ذكرناه وجب القضاء في هذه المنقبة بما يبين بها ممن سواه، ويفضل بشرفها على كافة من عداه.

---

١ ـ الصولة: السطوة والقهر والاستطالة، وجميعها يناسب المقام. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٦١، مادة «صول»]

٢ ـ أهّله للأمر تأهيلاً: أي رآه أهلاً. [لسان العرب، ج ١١، ص ٣٠، مادة «أهل»]

فصل

ومن ذلك ما أجمع عليه أهل السير أن النبي صلى الله عليه وآله بعث خالد بن الوليد إلىٰ أهل اليمن يدعوهم إلىٰ الإسلام وأنفذ معه جماعة من المسلمين فيهم البراء بن عازب رحمه الله[١]، فأقام خالد علىٰ القوم ستة أشهر يدعوهم فلم يجبه أحد منهم، فساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فدعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره أن يقفل[٢] خالداً ومن معه وقال له: إن أراد أحد ممن مع خالد أن يعقب[٣] معك فاتركه.

قال البراء: فكنت فيمن عقب معه، فلما انتهينا إلىٰ أوائل أهل اليمن، وبلغ القوم الخبر فتجمعوا له، فصلىٰ بنا علي بن أبي طالب عليه السلام الفجر ثمّ تقدم بين أيدينا

---

١ ـ البراء بن عازب الأنصاري الأوسي، يكنّى أبا عامر، وقيل: أبا عمارة، وهو الأصحّ. قال العلّامة في الخلاصة: وهو مشكور بعد أن أصابته دعوة أمير المؤمنين عليه السلام في كتمان غدير خمّ. [خلاصة الأقوال، ص ٧٨، تسلسل ٣، ترجمة البراء بن عازب].
وقال غيره: شهد البراء مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام الجمل وصفّين والنهروان، ونزل الكوفة وبنى بها داراً، ومات أيام مصعب بن الزبير. البراء: بتخفيف الراء والمدّ، وقيل بالقصر، وعازب: بتقديم العين المهملة ثم الزاي المعجمة والباء المهملة أخيراً. [أسد الغابة لابن الأثير، ج ١، ص ١٧١]

٢ ـ قفل القوم من سفرهم قفولاً: رجعوا، وأقفلتهم من مبعثهم: أرجعتهم، (شرح قاموس). [انظر: تاج العروس، ج ١٥، ص ٦٢٣، مادة «قفل»]

٣ ـ التعقيب: هو الرجوع بعد الانصراف، يقال: عقب المقاتل: إذا كرّ بعد الفرار، قاله الزمخشري. [الكشاف للزمخشري، ج ٣، ص ٣٥٠]
وقال ابن الأثير: التعقيب هو رجوعه ثانياً في الوجه الذي جاء منه منصرفاً. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٩٣، مادة «قفل»]

فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قرأ علىٰ القوم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما قرأ كتابه استبشر وابتهج وخر ساجداً شكراً لله تعالىٰ ثمّ رفع رأسه فجلس وقال: السلام علىٰ همدان، السلام علىٰ همدان، وتتابع بعد إسلام همدان أهل اليمن علىٰ الإسلام.

وهذه أيضاً منقبة لأمير المؤمنين عليه السلام ليس لأحد من الصحابة مثلها ولا مقاربها، وذلك أنه لما وقف الأمر فيما بعث له خالد وخيف الفساد به لم يوجد من يتلافىٰ ذلك سوىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فندب[1] له فقام به أحسن قيام وجرىٰ علىٰ عادة الله عنده في التوفيق لما يلائم إيثار النبي صلى الله عليه وآله، وكان بيمنه ورفقه وحسن تدبيره وخلوص نيته في طاعة الله هداية من اهتدىٰ بهداه من الناس وإجابة من أجاب إلىٰ الإسلام وعمارة الدين وقوة الإيمان، وبلوغ النبي صلى الله عليه وآله مما آثره من المراد وانتظام الأمر فيه علىٰ ما قرت به عينه وظهر استبشاره به وسروره بتمامه لكافة أهل الإسلام.

وقد ثبت أن الطاعة تتعاظم بتعاظم النفع بها كما تعظم المعصية بتعاظم الضرر بها ولذلك صارت الأنبياء عليهم السلام أعظم الخلق ثواباً لتعاظم النفع بدعوتهم علىٰ سائر المنافع بأعمال من سواهم من الناس.

---

١ ـ ندبته فانتدب: أي بعثتُه ودعوته فأجاب، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٣٤، مادة «ندب»]

فصل

ومثل ذلك ما كان في يوم خيبر من انهزام من انهزم، وقد أهل لجليل المقام بحمل الراية، فكان بانهزامه من الفساد ما لا خفاء به على الألباء، ثمّ أعطىٰ صاحبه الراية بعده فكان من انهزامه مثل الذي سلف من الأول وخيف في ذلك علىٰ الإسلام وشأنه[1] ما كان من الرجلين في الانهزام، فأكبر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وأظهر النكير[2] له والمساءة به.

ثم قال معلناً: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتىٰ يفتح الله علىٰ يديه.

فأعطاها أمير المؤمنين عليه السلام فكان الفتح علىٰ يديه.

ودل فحوىٰ كلامه عليه السلام علىٰ خروج الفرارين من الصفة التي أوجبها لأمير المؤمنين عليه السلام كما خرجا بالفرار من صفة الكر والثبوت للقتال وفي تلافي أمير المؤمنين بخيبر ما فرط من غيره دليل علىٰ توحده من الفضل فيه بما لم يشركه فيه من عداه.

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري[3]:

---

١ ـ [في المخطوطة: وشانه]. الشين: ضدّ الزين، يقال: شانه يشينه شيناً، والمشاين: المعايب والمقابح، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ٢١٤٧، مادة «شين»]

٢ ـ النكير: الإنكار، وذلك فيما ينكره الرجل لقبحه وفظاعته ولا يعرفه. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ١١٥، مادة «نكر»]

٣ ـ حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله الذابّ عنه بلسانه، قال له

وكان علي أرمد العين يبتغي دواءً فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم صارماً كمياً محباً للإله مواليا
يحب إلهي والإلهُ يحبه به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى[1] بها دون البرية كلها علياً وسماه الوزير المواخيا

فصل

ومثل ذلك ـ أيضاً ـ ما جاء في قصة البراءة وقد دفعها النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ أبي بكر لينبذ[2] بها عهد المشركين، فلما سار غير بعيد نزل جبرئيل عليه السلام علىٰ النبي صلى الله عليه وآله فقال له: إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك: لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك، فاستدعىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال له: اركب ناقتي العضباء والحق أبا

رسول الله: لا زلت مؤيّداً بروح القدس ما ذببت عنّا وما نصرتنا بلسانك، مات سنة أربع وخمسين، وعاش مائة وعشرين، وكذلك عاش أبوه ثابت وجدّه المنذر وأبو جدّه حرام كل واحد منهم مائة وعشرين سنة، لا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد بهذه الصفة، قاله أكثر المؤرّخين في كتبهم كذلك. [انظر ترجمته في: أسد الغابة لابن الأثير، ج ٢، ص ٤، باب الحاء والسين]

١ ـ أصفى فلاناً بكذا: إذا آثره به، (شرح قاموس). [تاج العروس، ج ١٩، ص ٦٠٣، مادة «صفو»]

٢ ـ نَبَذَ العهد: نقضه وألقاه إلى من كان بينه وبينه، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٧، مادة «نبذ»]

بكر فخذ براءة من يده وامض بها إلىٰ مكة فانبذ عهد المشركين إليهم، وخيّر أبا بكر بين أن يسير مع ركابك[١] أو يرجع إلي.

فركب أمير المؤمنين عليه السلام ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله العضباء وسار حتىٰ لحق أبا بكر فلما رآه فزع من لحوقه به واستقبله وقال: فيم جئت يا أبا الحسن؟ أسائر معي أنت أم لغير ذلك؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن ألحقك فأقبض منك الآيات من براءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم، وأمرني أن أخيرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه فقال: بل أرجع إليه، وعاد إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فلما دخل عليه قال: يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق فيه إلي فلما توجهت له رددتني عنه ما لي أنزل في قرآن؟

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: لا، ولكن الأمين هبط إلي عن الله جل جلاله بأنه لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك وعلي منّي، ولا يؤدي عني إلّا علي في حديث مشهور.

فكان نبذ العهد مختصاً بمن عقده أو بمن يقوم مقامه في فرض الطاعة وجلالة القدر وعلو الرتبة وشرف المقام، ومن لا يرتاب بفعاله ولا يعترض في مقاله ومن هو كنفس العاقد وأمره أمره، فإذا حكم بحكم مضىٰ واستقر به وأمن الاعتراض فيه وكان بنبذ العهد قوة الإسلام وكمال الدين وصلاح أمر المسلمين وتمام فتح مكة واتساق أحوال الصلاح فأحب الله تعالىٰ أن يجعل ذلك علىٰ يد

---

١ ـ الرِّكاب ـ بكسر الراء ـ : الرواحل، ولا واحد لها من لفظه، وإنّما واحده راحلة، والرُّكّاب ـ بضمّ الأول وتشديد الثاني ـ : جمع راكب ككفّار وكافر، والراكب في الأصل هو راكب الإبل خاصّة ثم اتسع فيه فأطلق على كلّ من ركِبَ دابّة. [انظر: تاج العروس، ج ٢، ص ٣٣، مادة «ركب»]

من ينوّه[١] باسمه ويعلي ذكره وينبه علىٰ فضله ويدل علىٰ علو قدره ويبينه بـه ممن سواه، فكان ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولم يكن لأحد من القوم فضل يقارب الفضل الذي وصفناه ولا شركه فيه أحد منهم علىٰ ما بيناه. وأمثال ما عددناه كثير إن عملنا علىٰ إيراده طال به الكتاب واتسع به الخطاب، وفيما أثبتناه منه في الغرض الذي قصدناه كفاية لذوي الألباب.

فصل

وأما الجهاد الذي ثبتت به قواعد الإسلام واستقرت بثبوتها شرائع الملة والأحكام فقد تخصص منه أمير المؤمنين عليه السلام بما اشتهر ذكره في الأنام واستفاض الخبر به بين الخاص والعام، ولم تختلف فيه العلماء ولا تنازع في صحته الفهماء ولا شك فيه إلّا غفل[٢] لم يتأمل الأخبار، ولا دفعه ممن نظر في الآثار إلّا معاند بهّات لا يستحيي من العار.

فمن ذلك ما كان منه عليه السلام في غزاة بدر المذكورة في القرآن وهي أول حرب كان به الامتحان وملأت رهبتها صدور المعدودين من المسلمين في الشجعان، وراموا التأخر عنها لخوفهم منها وكراهتهم لها علىٰ ما جاء به محكم

---

١ ـ نوّهت باسمه: إذا رفعت ذكره، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٢٥٤، مادة «نوه»]

٢ ـ الغفل ـ بالضم ـ: مَن لا يرجى خيره ولا يخشى شرّه، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٥]

الذكر في التبيان، حيث يقول ـ جل جلاله ـ فيما قص به من نبأهم على الشرح والبيان: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[1] في الآي المتصلة بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً ورِئَاءَ النَّاسِ ويَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ واللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[2] إلى آخر السورة. فإنّ الخبر عن أحوالهم فيها يتلو بعضه بعضاً وإن اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه.

وكان من جملة خبر هذه الغزاة أن المشركين حضروا بدراً مصرّين على القتال مستظهرين فيه بكثرة الأموال والعدد والعدة والرجال، والمسلمون إذ ذاك نفر قليل عددهم هناك، حضرته طوائف منهم بغير اختيار وشهدته على الكره منها

---

١ ـ [سورة الأنفال، الآيتان ٥ و ٦]. المراد بالبيت في الآية: المدينة، يعني خروج النبيّ منها إلى بدر، (مجمع البيان). [مجمع البيان، ج ٤، ص ٨٠١]

قد ورد في الأخبار: أنّ فريقاً من المهاجرين والأنصار كرهوا القتال وراموا التأخر عن الأبطال لقلّة العدد والعدّة والأموال، فاستشارهم رسول الله ﷺ لتبين الحال بواضح المقال، فقام الواحد أو الاثنان فلم يسمع رسول الله ما يحبّه، ثم قال: أشيروا عليّ، فقام المقداد وقال في جملة كلام: يا رسول الله، إنّا لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون﴾، ولكنا نقول: امضِ لأمر ربّك فإنّا معك مقاتلون، فجزّاه رسول الله خيراً، ثم استشار وقال: أشيروا عليّ أيها الناس، وإنما يريد الأنصار؛ لأنّ أكثر الناس منهم، فقام سعد بن معاذ رحمه الله تعالى فتكلّم بكلام حسن جدّاً اطمأنّوا به، ففرح بذلك رسول الله وأخبر بالفتح والظفر، ثم قال: سيروا، وأمر بالرحيل، وخرج إلى بدر ومن القوم من يكره ذلك. [انظر: مجمع البيان، ج ٤، ص ٨٠٢، قصة غزاة بدر]

٢ ـ [سورة الأنفال، الآية ٤٧.]

له والاضطرار، فتحدّتهم[١] قريش بالبراز ودعتهم إلى المصافة والنزال واقترحت[٢] في اللقاء منهم الأكفاء، وتطاولت الأنصار لمبارزتهم فمنعهم النبي صلى الله عليه وآله من ذلك فقال لهم: إنّ القوم دعوا الأكفاء منهم ثمّ أمر علياً أمير المؤمنين عليه السلام بالبروز إليهم ودعا حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث ـ رضي الله عنهما ـ أن يبرزا معه.

فلما اصطفوا لهم لم يثبتهم[٣] القوم لأنهم كانوا قد تغفروا فسألوهم من أنتم؟ فانتسبوا لهم فقالوا: أكفاء كرام، ونشبت الحرب بينهم، وبارز الوليد أمير المؤمنين عليه السلام فلم يلبثه حتىٰ قتله وبارز عتبة حمزة رضي الله عنه فقتله حمزة، وبارز شيبة عبيدة رحمه الله فاختلفت بينهما ضربتان قطعت إحداهما فخذ عبيدة فاستنقذه أمير المؤمنين عليه السلام بضربة بدر بها شيبة فقتله وشركه في ذلك حمزة ـ رضوان الله عليه ـ فكان قتل هؤلاء الثلاثة أول وهن لحق المشركين وذل دخل عليهم ورهبة اعتراهم بها الرعب من المسلمين، وظهر بذلك أمارات نصر المسلمين.

ثمّ بارز أمير المؤمنين عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص[٤] بعد أن أحجم[٥]

---

١ ـ تحدّيت فلاناً: إذا باريته في فعل ونازعته الغلبة، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٣١٠، مادة «حدا»]

٢ ـ الاقتراح: طلبك الشيء ابتداعاً وتحكّماً. [انظر: تاج العروس، ج ٤، ص ١٧١، مادة «قرح»]

٣ ـ أثبت الرجل: عرفه حق المعرفة. [القاموس المحيط، ج ١، ص ١٤٥]

٤ ـ و[هو] العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس.

٥ ـ أَحْجَمَ الرَّجُلُ عَنْهُ: نَكصَ ورَجَعَ هَيْبَةً، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٩٣]

عنه من سواه فلم يلبثه أن قتله وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان[١] فقتله، وبرز بعده طعيمة بن عدي فقتله وقتل بعده نوفل بن خويلد[٢] ـ وكان من شياطين قريش ـ ولم يزل عليه السلام يقتل واحداً منهم بعد واحد حتىٰ أتىٰ علىٰ شطر[٣] المقتولين منهم وكانوا سبعين قتيلاً تولىٰ كافة من حضر بدراً من المؤمنين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين قتل الشطر منهم، وتولىٰ أمير المؤمنين قتل الشطر الآخر وحده بمعونة الله له وتوفيقه وتأييده ونصره، وكان الفتح له بذلك وعلىٰ يديه، وختم الأمر بمناولة النبي صلى الله عليه وآله كفاً من الحصىٰ فرمىٰ بها في وجوههم وقال: شاهت الوجوه[٤]، فلم يبق أحد منهم إلّا ولىٰ الدبر بذلك منهزماً وكفىٰ الله المؤمنين القتال بأمير المؤمنين عليه السلام وشركائه في نصرة الدين من خاصة آل الرسول عليه السلام ومن أيدهم به من الملائكة الكرام عليهم التحية والسلام، كما قال الله عز وجل: ﴿وكَفَىٰ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وكَانَ اللّهُ قَوِياً عَزِيزاً﴾[٥].

---

١ ـ و [هو] حنظلة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أخو معاوية بن أبي سفيان، أذاقهم عليّ عليه السلام حرّ النار الحريق.

٢ ـ نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى، وهو ابن العدوية، شرّير قريش وشيطانها.

٣ ـ شَطَّرَ الشيء: نَصَّفَه. [تاج العروس، ج ٧، ص ٢٤، مادة «شطر»]

٤ ـ شاهت الوجوه: دعاء على الكفار، والمعنى: قبحت الوجوه. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٥٥، مادة «شوه»]

٥ ـ [سورة الأحزاب، الآية ٢٥.]

فصل

وقد أثبت رواة العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولىٰ أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين علىٰ اتفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح[١]، فكان ممن سموه: الوليد بن عتبة ـ كما قدمناه ـ وكان شجاعاً جريئاً فاتكاً وقاحاً[٢] تهابه الرجال.

والعاص بن سعيد وكان هولاً عظيماً تهابه الأبطال وهو الذي حاد عنه[٣] عمر بن الخطاب وقصته فيما ذكرناه مشهورة ونحن نثبتها فيما نورده بعد إن شاء الله.

وطعيمة بن عدي بن نوفل وكان من رؤوس أهل الضلال.

ونوفل بن خويلد وكان من أشد المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وكانت قريش تقدمه وتعظمه وتطيعه، وهو الذي قرن أبا بكر بطلحة ـ قبل الهجرة بمكة ـ وأوثقهما بحبل وعذبهما يوماً إلىٰ الليل حتىٰ سئل في أمرهما، ولما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله حضوره بدراً سأل الله عزّ وجلّ أن يكفيه أمره، فقال: اللهم اكفني نوفل بن خويلد، فقتله أمير المؤمنين عليه السلام.

وزمعة بن الأسود[٤]، والحارث بن زمعة، والنضر بن الحارث بن عبد الدار،

---

١ ـ الاصطلاح: التوافق. [مرآة العقول، ج ١، ص ١٥]

٢ ـ الوقاح ـ كسحاب ـ: الرجل الصلب. [انظر: القاموس المحيط، ج ١، ص ٢٥٥]

٣ ـ حاد عن الشيء: مال فراراً. [انظر: تاج العروس، ج ٤، ص ٤٣٠، مادة «حيد»]

٤ ـ زمعة بن الأسود وعقيل بن الأسود من بني أسد بن عبد العزّى، قتلهما علي عليه السلام، قاله

وعمير بن عثمان بن كعب بن تيم عم طلحة بن عبيد الله، وعثمان ومالك ابنا عبيد الله أخوا طلحة بن عبيد الله، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة، وقيس بن الفاكه بن المغيرة، وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، وأبوقيس بن الوليد بن المغيرة، وحنظلة بن أبي سفيان، وعمرو بن مخزوم، وأبو المنذر بن أبي رفاعة، ومنبه بن الحجاج السهمي، والعاص بن منبه، وعلقمة بن كلدة، وأبوالعاص بن قيس بن عدي، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، ولوذان بن ربيعة، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة ومسعود بن أمية بن المغيرة وحاجب بن السائب بن عويمر، وأوس بن المغيرة بن لوذان وزيد بن مليص وعاصم بن أبي عوف، وسعيد بن وهب حليف بني عامر، ومعاوية بن عامر بن عبد القيس وعبد الله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد، والسائب بن مالك وأبوالحكم بن الأخنس وهشام بن أبي أمية بن المغيرة.

فذلك خمسة وثلاثون رجلاً سوىٰ من اختلف فيه أو شرك أمير المؤمنين عليه السلام فيه غيره وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر علىٰ ما قدمناه.

فصل

فمن مختصر الأخبار التي جاءت بشرح ما أثبتناه: ما رواه شعبة، عن أبي إسحاق، عن حارث بن مضرب[1] قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لقد

الواقدي وغيره. [شرح الأخبار للنعمان المغربي، ج ١، ص ٢٦٤، ولم أعثر في مغازي الواقدي على إشارة منه بذلك، بل صرّح أن زمعة قد قتله ثابت بن الجذع. (انظر: المغازي للواقدي، ج ١، ص ٨١)]

١ ـ حارث بن مضرّب، هكذا وجد في النسخ الكثيرة، لكنّا لم نقف عليه، والذي ذكره ابن الأثير

حضرنا بدراً وما فينا فارس غير المقداد بن الأسود، ولقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلّا من نام غير رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه كان منتصباً في أصل شجرة[١] يصلي ويدعو حتىٰ الصباح.

وروىٰ علي بن هاشم، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده أبي رافع مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما أصبح الناس يوم بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد فنادىٰ عتبة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبدر إليهم ثلاثة من شبان الأنصار[٢] فقال لهم عتبة: من أنتم؟ فانتسبوا له فقال لهم: لا حاجة بنا إلىٰ مبارزتكم إنما طلبنا بني عمنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار: ارجعوا إلىٰ مواقفكم ثمّ قال: قم يا علي، قم يا حمزة، قم يا عبيدة قاتلوا علىٰ حقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفؤوا نور الله، فقاموا فصفوا للقوم وكان عليهم البيض فلم يعرفوا فقال لهم عتبة: تكلموا فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله فقال عتبة: كفو كريم وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

فقال عتبة لابنه الوليد: قم يا وليد فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام ـ وكانا إذ

في كتاب أسد الغابة وغيره إنما هو حارثة بن مضرب الكوفي، والله أعلم. [أسد الغابة لابن الأثير، ج ١، ص ٣٥٨]

١ ـ كان منتصباً في أصل شجرة: أي قائماً تحتها. [انظر: تاج العروس، ج ٢، ص ٤٣٣، مادة «نصب»]

٢ ـ وهم بنو عفراء: معاذ ومُعوِّذ وعوف على قول الواقدي. [المغازي للواقدي، ج ١، ص ٦٨]

ذاك أصغري الجماعة سناً ـ فاختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين عليه السلام واتقىٰ بيده اليسرىٰ ضربة أمير المؤمنين عليه السلام فأبانتها.

فروي أنه كان يذكر بدراً وقتله الوليد فقال في حديثه: كأني أنظر إلىٰ وميض خاتمه[1] في شماله ثمّ ضربته ضربة أخرىٰ فصرعته وسلبته فرأيت به ردعاً[2] من خلوق[3] فعلمت أنه قريب عهد بعرس.

ثمّ بارز عتبة حمزة رضي الله عنه فقتله حمزة، ومشىٰ عبيدة وكان أسن القوم إلىٰ شيبة فاختلفا ضربتين فأصاب ذباب سيف[4] شيبة عضلة[5] ساق عبيدة فقطعتها واستنقذه أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة منه وقتلا شيبة، وحمل عبيدة من مكانه فمات بالصفراء[6].

وفي قتل عتبة وشيبة والوليد تقول هند بنت عتبة:

أيا عين جودي بدمع سرب　　علىٰ خير خندف[7] لم ينقلب

---

١ ـ وميض خاتمه: يعني لمعانه إذا ضربت الشمس عليه. [انظر: تاج العروس، ج ١٠، ص ١٧٨، مادة «ومض»]

٢ ـ الردع: لطخ من الطيب وأثره، يقال: جاء وعليه ردع من الطيب: أي أثره. [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢٩]

٣ ـ الخلوق: ضرب من الطيب. [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢٢٩]

٤ ـ ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به. [تاج العروس، ج ١، ص ٤٩٣، مادة «ذبب]

٥ ـ العضلة: اللحمة المجتمعة في الساق وغيره. [لسان العرب، ج ١١، ص ٤٥١، مادة «عضل»]

٦ ـ الصفراء: موضع قرب بدر. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٧، مادة «صفر»]

٧ ـ خندف ـ كزبرج ـ: لقب ليلى بنت حلوان بن عمران، وهي زوجة الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وتنسب ولد الياس إليها، وكان لها من البنين ثلاثة: عمرو وعامر وعمير،

تــــداعـــىٰ له رهــطه غــدوة بـــنو هـــاشم وبــنو المــطلب
يـــذيقونه حـــرّ أســـيافهم يـجرونه بـعد مـا قـد شـجب[١]

وروىٰ الحسين بن حميد قال: حدثنا أبو غسان قال: حدثنا أبو إسماعيل عمير بن بكار، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد تعجبت يوم بدر من جرأة القوم وقد قتلت الوليد بن عتبة وقتل حمزة عتبة وشركته في قتل شيبة إذ أقبل إليَّ حنظلة بن أبي سفيان فلما دنا مني ضربته ضربة بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً.

وروىٰ أبو بكر الهذلي، عن الزهري، عن صالح بن كيسان قال: مر عثمان بن عفان بسعيد بن العاص فقال: انطلق بنا إلىٰ أمير المؤمنين عمر بـن الخـطاب نتحدث عنده، فانطلقا قال: فأما عثمان فصار إلىٰ مجلسه الذي يشتهيه، وأما أنـا فملت في ناحية القوم فنظر إلي عمر وقال: ما لي أراك كأن في نفسك عليّ شيئاً؟ أتظن أني قتلت أباك؟ والله لوددت أني كنت قاتله ولوقتلته لم أعتذر من قتل كافر ولكني مررت به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه وإذا شدقاه[٢] قد أزبدا كالوزغ، فلما رأيت ذلك هبته ورغت عنه فقال: إلىٰ أين يا ابن الخطاب؟ وصمد له علي فتناوله فوالله ما رمت مكاني حتىٰ قتله.

ويلقب عمرو بمدركة، وهو جدّ قريش، وقريش لقب النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، فالمراد من قولها «على خير خندف»: خير بني خندف تريد عتبة بن ربيعة بن أميّة بن عبد شمس القرشيّ الأمويّ لعنه الله. [انظر: لسان العرب، ج ٩، ص ٩٨، مادة «خندف»]

١ ـ شجب يشجب شجوباً: أي هلك. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٨٦، مادة «شجب»]

٢ ـ الشدق: طرف الفم. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٤٥٣، مادة «شدق»]

قال: وكان علي عليه السلام حاضراً في المجلس فقال: اللهم غفراً[١]، ذهب الشرك بما فيه ومحا الإسلام ما تقدم فما لك تهيج الناس؟! فكف عمر.

قال سعيد أما إنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب. وأنشأ القوم في حديث آخر.

وروىٰ محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير أن علياً عليه السلام أقبل يوم بدر نحو طعيمة بن عدي بن نوفل فشجره بالرمح[٢] وقال له: والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً.

وروىٰ عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري قال: لما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله حضور نوفل بن خويلد بدراً قال: اللهم اكفني نوفلاً، فلما انكشفت قريش رآه علي بن أبي طالب عليه السلام وقد تحير لا يدري ما يصنع فصمد له ثمّ ضربه بالسيف فنشب في حجفته[٣] فانتزعه منها ثمّ ضرب به ساقه وكانت درعه مشمرة فقطعها ثمّ أجهز عليه فقتله، فلما عاد إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله سمعه يقول: من له علم بنوفل؟ فقال له: أنا قتلته يا رسول الله، فكبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه .

---

١ ـ اللهمّ غَفراً: منصوب بفعل مقدّر، كأنّه عليه السلام إذا سمع ما لا يجوز ذكره بادر بالاستغفار قصداً لتركه.

٢ ـ شجره بالرمح: طعنه. [تاج العروس، ج ٧، ص ١٠، مادة «شجر»]

٣ ـ الحَجَفَةُ ـ بتقديم الحاء ـ: ترس يعمل من جلد بغير خشب. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٥، مادة «حجف»]

فصل

وفيما صنعه أمير المؤمنين عليه السلام ببدر قال أسيد بن أبي إياس[١] يحرض مشركي قريش عليه:

في كل مجمع غاية[٢] أخزاكم — جذع[٣] أبر[٤] على المذاكي[٥] القرح
لله دركم ألمّا تنكروا — قد ينكر الحر الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم — ذبحاً وقتلة قعصة[٦] لم تذبح

---

١ ـ أسيد بن أبي إياس بن زنيم الكناني، وقيل: أنس بن أبي إياس، ومنهم من قال: إناس بالنون فيهما، كان شاعراً وكان يحرّض الناس على عليّ عليه السلام بعد غزوة بدرٍ فأهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه ففرّ إلى الطائف، فأخذه عمّه سارية بن زنيم في عام الفتح [في الحاشية: الفيل] فأتى به النبي صلى الله عليه وآله فعفى عنه وأعطاه الأمان، هكذا قال ابن الأثير وغيره. [أسد الغابة لابن الأثير، ج ١، ص ٨٩]

٢ ـ الغاية: الراية. [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٤٥١، مادة «غيا»]

٣ ـ الجذع: قبل الثني، والشاب الحدث أيضاً. [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١١٩٤، مادة «جذع»]

٤ ـ أبر عليهم: غلبهم. [لسان العرب، ج ٤، ص ٥٥، مادة «برر»]

٥ ـ المذاكي: من الخيل التي قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان، والقارح منها ما انتهت أسنانه، وإنما تنتهي في خمس سنين، والجمع قرّح، يريد أنه عليه السلام قد بلغ منهم على حداثة سنّه ما لم يبلغ ذَود الأسنان حتى غلبهم وفاق عليهم. [انظر: بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٢٨٢، البيان المذكور في ذيل الحديث ١٩]

٦ ـ القعص: أن يضرب الإنسان فيموت في مكانه، يقال: قعصته وأقعصته إذا قتلته سريعاً.

أعــطوه خــرجاً واتــقوا بـضريبة ... فــعل الذليــل وبــيعة لم تــربح

أين الكهول[١] وأين كـل دعـامة[٢] ... في المعضلات وأيـن زيـن الأبـطح

أفــناهم قــعصاً وضــرباً يـفتري ... بـالسيف يعمل حـده لم يـصفح[٣]

فصل

في ذكر غزاة أحد

ثم تلت بدراً غزاة أحد فكانت راية رسول الله صلى الله عليه وآله بيد أمير المؤمنين عليه السلام فيها كما كانت بيده يوم بدر فصار اللواء إليه يومئذ ففاز بالراية واللواء جميعاً وكان الفتح له في هذه الغزاة كما كان له ببدر سواء، واختص بحسن البلاء فيها والصبر وثبوت القدم عندما زلت من غيره الأقدام وكان له من الغناء عن رسول الله صلى الله عليه وآله

[النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٨٨، مادة «قعص»].

١ ـ الكهول: جمع كهل، وهو من الرجال من جاوز الثلاثين إلى الأربعين أو الخمسين، [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٤٧]. وإنّما خصّهم بالسؤال لأنهم هم الأقوياء الذين يحتاج إليهم في الحروب، أو لأنّ عقولهم هي المرجع في الحوادث والمعضلات، وفي بعض النسخ: «الكبول» عوض «الكهول»، فإن صحّ فهو جمع كبل، وهو القيد الضخم، [لسان العرب، ج ١١، ص ٥٨٠، مادة «كبل»]. كأنّه تشبيه لهم في الضخامة وعظم الجثة به، والله العالم.

٢ ـ دعامة القوم: سيّدهم، مأخوذ من الدعام، بمعنى العماد لاعتماد قومه عليه. [تاج العروس، ج ١٦، ص ٢٤١، مادة «دعم»]

٣ ـ لم يصفح: يعني أنّه يضرب بحدّ السيف لا بعرضه وصفحه. [انظر: الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٣٨٣، مادة «صفح»]

ما لم يكن لسواه من أهل الإسلام وقتل الله بسيفه رؤوس أهل الشرك والضلال وفرج الله به الكرب عن نبيه عليه السلام، وخطب بفضله في ذلك المقام جبرئيل عليه السلام في ملائكة الأرض والسماء، وأبان نبي الهدىٰ عليه وآله السلام من اختصاصه به ما كان مستوراً عن عامة الناس.

فمن ذلك ما رواه يحيىٰ بن عمارة قال: حدثني الحسن بن موسىٰ بن رباح ـ مولىٰ الأنصار ـ قال: حدثني أبو البختري القرشي قال: كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بيد قصي بن كلاب ثمّ لم تزل الراية في يد ولد عبد المطلب يحملها منهم من حضر الحرب حتىٰ بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله فصارت راية قريش وغير ذلك إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فأقرها في بني هاشم فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليهما السلام في غزاة ودان[1]، وهي أول غزاة حمل فيها راية في الإسلام مع النبي صلى الله عليه وآله ثمّ لم تزل معه في المشاهد ببدر وهي البطشة الكبرىٰ وفي يوم أحد وكان اللواء يومئذ في بني عبد الدار فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله مصعب بن عمير فاستشهد ووقع اللواء[2] من يده فتشوّفته[3] القبائل، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله فدفعه إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام فجمع له يومئذ الراية واللواء فهما إلىٰ اليوم في بني هاشم.

---

١ ـ قال محمّد بن إسحاق في مغازيه: أوّل غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله غزوة الأبواء، ويقال لها: وَدّان، وهي اسم موضع قرب الأبواء. [صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢، عن سيرة ابن إسحاق]

٢ ـ اللواء: العلم الكبير الذي يقام ويُنصب عند صاحب الجيش ليعلم مكانه، قيل: بل لا يمسكها إلّا صاحب الجيش، والراية: ما دونه في عظمها، ويمسكها الرؤساء من الجيش، وقد يستعمل أحدهما في الآخر، هذا هو القول المشهور، وقيل غيره. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٧٩، مادة «لوا» ؛ مجمع البحرين، ج ١، ص ٣٨٢، مادة «لوا»]

٣ ـ تشوّفت الشيء إذا طمحت إليه بصرك طالباً له. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٥٠٩، مادة «شوف»]

وروىٰ المفضل بن عبد الله، عن سماك، عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أربع ما هن لأحد؛ هو أول عربي وعجمي صلىٰ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صاحب لوائه في كل زحف وهو الذي ثبت معه يوم المهراس[1] ـ يعني يوم أحد[2] ـ وفر الناس، وهو الذي أدخله قبره.

وروىٰ زيد بن وهب الجهني قال: حدثنا أحمد بن عمار قال: حدثنا الحماني قال: حدثنا شريك عن عثمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب قال: وجدنا من عبد الله بن مسعود ـ يوماً ـ طيب نفس فقلنا له: لو حدثتنا عن يوم أحد وكيف كان؟

فقال: أجل ـ ثمّ ساق الحديث حتىٰ انتهىٰ إلىٰ ذكر الحرب ـ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اخرجوا إليهم علىٰ اسم الله فخرجنا فصففنا لهم صفاً طويلاً وأقام علىٰ الشعب[3] خمسين رجلاً من الأنصار وأمر عليهم رجلاً منهم وقال: لا تبرحوا عن مكانكم هذا وإن قتلنا عن آخرنا فإنما نؤتىٰ من موضعكم هذا قال: وأقام أبو سفيان بن حرب بإزائهم خالد بن الوليد وكانت الألوية من قريش مع بني عبد الدار وكان لواء المشركين مع طلحة بن أبي طلحة وكان يدعىٰ كبش الكتيبة.

قال: ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله لواء المهاجرين إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام

---

١ ـ قيل: المِهْراسُ اسم ماء بأحُد، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٥٩، مادة «هرس»]

٢ ـ أُحُد: اسم جبل معروف بالمدينة، سمّي به لتوحّده وانفراده عن جبال أطرافه، (شرح قاموس). [انظر: تاج العروس، ج ٤، ص ٣٣١، مادة «أحد»]

٣ ـ الشِّعب ـ بالكسر ـ: الطريق في الجبل، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٩٠، مادة «شعب»]

وجاء حتىٰ قام تحت لواء الأنصار.

قال: فجاء أبو سفيان إلىٰ أصحاب اللواء فقال: يا أصحاب الألوية إنكم قد تعلمون أنما يؤتىٰ القوم من قبل ألويتهم وإنما أتيتم يوم بدر من قبل ألويتكم فإن كنتم ترون أنكم قد ضعفتم عنها فادفعوها إلينا نكفكموها.

قال: فغضب طلحة بن أبي طلحة وقال: ألنا تقول هذا؟ والله لأوردنكم بها اليوم حياض الموت قال: وكان طلحة يسمىٰ كبش الكتيبة.

قال: فتقدم وتقدم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال علي: من أنت؟ قال: أنا طلحة بن أبي طلحة أنا كبش الكتيبة، قال: فمن أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ثمّ تقاربا فاختلفت بينهما ضربتان فضربه علي بن أبي طالب عليه السلام ضربة علىٰ مقدم رأسه فبدرت عيناه[1] وصاح صيحة لم يسمع مثلها قط وسقط اللواء من يده، فأخذه أخ له يقال له مصعب فرماه عاصم بن ثابت فقتله، ثمّ أخذ اللواء أخ له يقال له عثمان فرماه عاصم ـ أيضاً ـ فقتله، فأخذه عبد لهم يقال له صواب وكان من أشد الناس، فضرب علي بن أبي طالب عليه السلام يده فقطعها فأخذ اللواء بيده اليسرىٰ فضربه علىٰ يده فقطعها فأخذ اللواء علىٰ صدره وجمع يديه وهما مقطوعتان عليه فضربه علي عليه السلام علىٰ أم رأسه فسقط صريعاً فانهزم القوم وأكب المسلمون علىٰ الغنائم.

ولما رأىٰ أصحاب الشعب الناس يغنمون قالوا: يذهب هؤلاء بالغنائم ونبقىٰ نحن؟! فقالوا لعبد الله بن عمرو بن حزم الذي كان رئيساً عليهم: نريد أن نغنم

---

١ ـ بدرت عينه: سالت، وفي بعض النسخ: ندرت بالنون، أي سقطت، والأول أصحّ. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٣٥، مادة «ندر» ؛ لسان العرب، ج ٤، ص ٤٨، مادة «بدر»]

كما غنم الناس فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن لا أبرح من موضعي هذا فقالوا له: إنه أمرك بهذا وهولا يدري أن الأمر يبلغ إلىٰ ما ترىٰ، ومالوا إلىٰ الغنائم وتركوه ولم يبرح هو من موضعه فحمل عليه خالد بن وليد فقتله.

وجاء من ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله يريده فنظر إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله في خِفٍّ[1] من أصحابه فقال لمن معه: دونكم هذا الذي تطلبون فشأنكم به فحملوا عليه حملة رجل واحد ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ورمياً بالنبل ورضخاً بالحجارة، وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يقاتلون عنه حتىٰ قتل منهم سبعون رجلاً وثبت أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجانة الأنصاري[2] وسهل بن حنيف للقوم يدفعون عن النبي صلى الله عليه وآله وكثر عليهم المشركون ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه فنظر إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وقد كان أغمي عليه مما ناله، فقال: يا علي ما فعل الناس؟ قال: نقضوا العهد وولوا الدبر فقال له: فاكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي.

فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكشفهم ثمّ عاد إليه وقد حملوا عليه من ناحية أخرىٰ فكرّ عليهم فكشفهم، وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان علىٰ رأسه بيد كل واحد منهما سيفه ليذب عنه.

وثاب[3] إليه من أصحابه المنهزمين أربعة عشر رجلاً منهم طلحة بن عبيد

---

١ ـ يقال: خرج فلان في خِفّ ـ بالكسر ـ من أصحابه: أي في جماعة قليلة، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٤، ص ١٣٥٣، مادة «خفف»]

٢ ـ أبو دجانة: سماك بن خرشة الأنصاري الخزرجي، وسهل بن حنيف الأنصاري الأوسي من فضلاء الصحابة وأكابرهم ثبتا مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم أُحُد عند رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يفرّا بإجماع من المؤرّخين، رحمهما الله. [انظر: أسد الغابة لابن الأثير، ج ٢، ص ٣٥٢]

٣ ـ ثاب الرجل يثوب ثوباً وثوباناً: رجع، وثاب الناس اجتمعوا وجاؤوا. [الصحاح للجوهري،

الله وعاصم بن ثابت وصعد الباقون الجبل وصاح صائح بالمدينة: قتل رسول الله، فانخلعت القلوب لذلك وتحير المنهزمون فأخذوا يميناً وشمالاً.

وكانت هند بنت عتبة جعلت لوحشي جعلاً علىٰ أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو حمزة بن عبد المطلب عليهما السلام فقال لها: أما محمد فلا حيلة لي فيه لأن أصحابه يطيفون به[1]، وأما علي فإنه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأما حمزة فإني أطمع فيه لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه.

وكان حمزة ـ يومئذ ـ قد أعلم بريشة نعامة في صدره فكمن له وحشي في أصل شجرة فرآه حمزة فبدر إليه بالسيف فضربه ضربة أخطأت رأسه قال وحشي: وهززت حربتي حتىٰ إذا تمكنت منه رميته فأصبته في أربيته[2] فأنفذته وتركته[3] حتىٰ إذا برد صرت إليه فأخذت حربتي وشغل عني وعنه المسلمون بهزيمتهم.

وجاءت هند فأمرت بشق بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأذنيه ومثلوا به ورسول الله صلى الله عليه وآله مشغول عنه لا يعلم بما انتهىٰ إليه الأمر.

قال الراوي للحديث ـ وهو زيد بن وهب ـ: قلت لابن مسعود: انهزم الناس

ج ١، ص ٩٤، مادة «ثوب»]

١ ـ أطاف به: أي ألمّ به وقرب منه. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٣٦٢، مادة «طوف»]

٢ ـ الأربية ـ كالأثفية ـ: أصل الفخذ، أو ما بين أعلاه وأسفل البطن. [لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٠٧، مادة «ربا»]

٣ ـ فأنفذته وتركته، يقال: نفذ السهم من الرمية نفوذاً إذا خرج طرفه من الشقّ الآخر وسائره فيها، وأنفذته أنا. [تاج العروس، ج ٥، ص ٤٠٢، مادة «نفذ»]. والضمائر على النسق راجعة إلى المقتول، والمعنى: ضربته وطعنته بحربتي فخرج طرفه من الشق الآخر، هذا ما استفدناه من كتب اللغة والأخبار في توضيح هذا الكلام، ومن أراد تحقيقه فليرجع إلى الكتب، وفي بعض النسخ «فأنقذته» بالقاف، والله أعلم بالصواب.

عن رسول الله حتىٰ لم يبق معه إلّا علي بن أبي طالب عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف؟!

قال: انهزم الناس إلّا علي بن أبي طالب وحده وثاب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله نفر وكان أولهم عاصم بن ثابت وأبو دجانة وسهل بن حنيف ولحقهم طلحة بن عبيد الله.

فقلت له: فأين كان أبو بكر وعمر؟

قال: كانا ممن تنحىٰ[1].

قال: قلت: فأين كان عثمان؟

قال: جاء بعد ثلاثة من الوقعة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد ذهبت فيها عريضة[2].

قال: فقلت له: فأين كنت أنت؟

قال: كنت فيمن تنحىٰ.

قال: فقلت له: فمن حدثك بهذا؟

قال: عاصم وسهل بن حنيف.

قال: قلت له: إنّ ثبوت علي عليه السلام في ذلك المقام لعجب.

---

١ ـ تنحّى: أي صار في ناحية وتجنّب عن الناس وبَعُد. [انظر: لسان العرب، ج ٣، ص ٥١٢، مادة «نبذ»]

٢ ـ في حديث أُحد: قال للمنهزمين: لقد ذهبتم فيها عريضة، أي واسعة، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢١٠، مادة «عرض»]

فقال: إن تعجبت من ذلك لقد تعجبت منه الملائكة، أما علمت أن جبرئيل قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلىٰ السماء: لا سيف إلّا ذو الفقار[١] ولا فتىٰ إلّا علي.

فقلت: فمن أين علم ذلك من جبرئيل؟

فقال: سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك فسألوا النبي صلى الله عليه وآله عنه فقال: ذاك جبرئيل[٢].

---

١ ـ ذو الفقار ـ بفتح الفاء ـ: اسم سيف كان لرسول الله صلى الله عليه وآله نزل به جبرئيل عليه السلام من السماء وكانت حلقته فضّة، كذا في حديث الرضا عليه السلام، قيل: سمّي بذلك لأنّه كانت فيه حُفَرٌ صغار حسان وخروز مطمئنّة، فالمفقر من السيوف ما فيه خروز مطمئنة، وقيل: كان هذا السيف لمنبّه بن حجّاج السهمي كان مع ابنه العاص يومَ بدر فقتله أمير المؤمنين عليه السلام وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاهُ أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذلك فقاتل به دونه يوم أُحُد، وقيل: كان من حديدة وجدت عند الكعبة في زمن جرهم أو غيرهم، وروي أن بلقيس أهدت لسليمان ستّة أسياف وكان ذو الفقار منها، وروي عن عليّ عليه السلام قال: إنّ جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله وقال له: إنّ صنماً في اليمن مغفر من حديد ابعث إليه فادققه وخذ الحديد، قال: فدعاني وبعثني إليه فدققت الصنم وأخذت الحديد فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاستضرب منه سيفين، فسمّى أحدهما ذا الفقار، والآخر مخذماً، فتقلّد رسول الله ذا الفقار، وأعطاني مخذماً، ثم أعطاني بعدُ ذا الفقار، (مختار مجمع البحرين). [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٤٣، مادة «فقر»]

٢ ـ روى أبو عمرو محمد بن عبد الواحد الزاهد اللغوي غلام تغلب، ورواه أيضاً محمد بن حبيب في أماليه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فرّ معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بني كنانة ثم من بني عبد مناة بن كنانة فيها بنو سفيان بن عويف، وهم خالد بن سفيان وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان وغراب بن سفيان، فقال رسول الله: يا علي اكفني هذه الكتيبة، فحمل عليها وإنّها لتقارب خمسين فارساً وهو عليه السلام راجل، فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرّق عنه، ثم يجتمع عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة منها ممّن لا يعرف بأسمائهم، فقال جبرئيل

وفي حديث عمران بن حصين قال: لما تفرق الناس عن رسـول الله صلى الله عليه وآله في يوم أحد جاء علي متقلداً سيفه حتىٰ قام بين يديه فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إليه فقال له: ما لك لم تفر مع الناس؟ فقال: يا رسول الله أأرجع كافراً بعد إسلامي! فأشار له إلىٰ قوم انحدروا من الجبل فحمل عليهم فهزمهم ثمّ أشـار له إلىٰ قـوم آخرين فحمل عليهم فهزمهم، ثمّ أشار إلىٰ قوم فـحمل عـليهم فـهزمهم، فـجاء جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله لقد عجبت الملائكة وعجبنا معهم مـن حسـن مواساة علي لك بنفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنعه من هذا وهو مني وأنا منه، فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما.

ورویٰ الحكم بن ظهير، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس ـ رحمة الله عليه ـ أن طلحة بن أبي طلحة[1] خرج يومئذ فوقف بين الصفين فنادیٰ: يـا

لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمد إنّ هذه المواساة لقد أعجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنعه وهو منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما، قال: وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به ينادي مراراً: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ، فسئل رسول الله عنه فقال: هذا جبرئيل.

قلت: وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين، وهو من الأخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن إسحاق، ورأيت بعضها خالياً عـنه، وسألت شـيخي عـبد الوهاب بن سكينة عن هذا الخبر فقال: خبر صحيح، فقلت: فما بـال الصـحاح لم يشـتمل عليه؟ قال: أَوَ كلّما كان صحيحاً يشتمل عليه كتب الصحاح؟! كم قد أهمل جامعو الصحاح من الأخبار الصحيحة، (ابن أبي الحديد). [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحـديد المـعتزلي، ج ١٤، ص ٢٥٠ و ٢٥١]

١ ـ طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة: عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بـن قصي بن كلاب القرشي ثم من بني عبد الدار على قول الواقدي وغيره. [المغازي للواقدي، ج ١، ص ٢٢٠]

أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله تعالىٰ يعجلنا بسيوفكم إلىٰ النار ويعجلكم بسيوفنا إلىٰ الجنة، فأيكم يبرز إلي؟ فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: والله لا أفارقك اليوم حتىٰ أعجلك بسيفي إلىٰ النار فاختلفا ضربتين فضربه علي بن أبي طالب علىٰ رجليه فقطعهما وسقط فانكشف عنه فقال: أنشدك الله ـ يا ابن عم ـ والرحم فانصرف عنه إلىٰ موقفه، فقال له المسلمون: ألا أجزت عليه؟ فقال: ناشدني الله والرحم ووالله لا عاش بعدها أبداً فمات طلحة في مكانه وبشر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فسر به، وقال: هذا كبش الكتيبة.

وقد روىٰ محمد بن مروان، عن عمارة، عن عكرمة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه فرجعت أطلبه فلم أره فقلت: ما كان رسول الله ليفر وما رأيته في القتلىٰ وأظنه رفع من بيننا إلىٰ السماء فكسرت جفن سيفي وقلت في نفسي: لأقاتلن به عنه حتىٰ أقتل، وحملت علىٰ القوم فأفرجوا فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله قد وقع علىٰ الأرض مغشياً عليه فقمت علىٰ رأسه فنظر إلي وقال: ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله وولوا الدبر من العدو وأسلموك، فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي: رد عني يا علي هذه الكتيبة، فحملت عليها بسيفي أضربها يميناً وشمالاً حتىٰ ولوا الأدبار فقال لي النبي صلى الله عليه وآله: أما تسمع يا علي مديحك في السماء، إنّ ملكاً يقال له رضوان ينادي: لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتىٰ إلّا علي، فبكيت سروراً وحمدت الله سبحانه علىٰ نعمته.

وقد روىٰ الحسن بن عرفة، عن عمارة بن محمد، عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، عن آبائه قال: نادىٰ ملك من السماء يوم أحد: لا

سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا علي.

وروىٰ مثل ذلك إبراهيم بن محمد بن ميمون، عن عمرو بن ثابت، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده قال: ما زلنا نسمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: نادىٰ في يوم أحد مناد من السماء: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا علي.

وروىٰ سلام بن مسكين، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال: لو رأيت مقام علي عليه السلام يوم أحد لوجدته قائماً علىٰ ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله يذب عنه بالسيف وقد ولىٰ غيره الأدبار.

وروىٰ الحسن بن محبوب قال: حدثنا جميل بن صالح، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام قال: كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة[1] قتلهم علي عن آخرهم وانهزم القوم وطارت مخزوم منذ فضحها علي بن أبي طالب يومئذ، قال: وبارز علي الحكم بن الأخنس فضربه فقطع رجله من نصف الفخذ فهلك منها.

ولما جال المسلمون تلك الجولة أقبل أمية بن أبي حذيفة[2] بن المغيرة وهو دارع وهو يقول: يوم بيوم بدر، فعرض له رجل من المسلمين فقتله أمية وصمد له علي بن أبي طالب فضربه بالسيف علىٰ هامته فنشب في بيضة مغفره وضرب أمية

١ ـ قوله: كان أصحاب اللواء يوم أُحد تسعة: كان كلّهم من بني عبد الدار، وتاسعهم مولىً لهم يقال له صواب، قتلهم جميعاً علي عليه السلام. [انظر: تفسير القمي، ج ١، ص ١١٢ و ١١٣]

٢ ـ أميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة وهشام بن أبي أميّة بن المغيرة والوليد بن عاص بن هشام وخالد بن أعلم العقيلي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزوميون قتلوا يوم أُحُد، قاله البلاذري. [أنساب الأشراف للبلاذري، ج ١، ص ٣٣٥]

بسيفه فاتقاها أمير المؤمنين بدرقته[١] فنشب فيها ونزع علي عليه‌السلام سيفه من مغفره وخلص أمية سيفه من درقته أيضاً ثمّ تناوشا[٢] فقال علي عليه‌السلام: فنظرت إلىٰ فتق تحت إبطه فضربته بالسيف فيه فقتلته وانصرفت عنه.

ولما انهزم الناس عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله في يوم أحد وثبت أمير المؤمنين عليه‌السلام فقال له: ما لك لا تذهب مع القوم؟ قال أمير المؤمنين عليه‌السلام: أذهب وأدعك يا رسول الله، والله لا برحت حتىٰ أقتل أوينجز الله لك ما وعدك من النصر فقال له النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: أبشر يا علي فإنّ الله منجز وعده ولن ينالوا منا مثلها أبداً.

ثمّ نظر إلىٰ كتيبة قد أقبلت إليه فقال له: لو حملت علىٰ هذه يا علي، فحمل أمير المؤمنين عليه‌السلام فقتل منها هشام بن أمية المخزومي وانهزم القوم.

ثمّ أقبلت كتيبة أخرىٰ فقال له النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: احمل علىٰ هذه فحمل عليها فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحي وانهزمت أيضاً.

ثمّ أقبلت كتيبة أخرىٰ فقال له النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: احمل علىٰ هذه فحمل عليها فقتل منها بشر بن مالك العامري وانهزمت الكتيبة فلم يعد بعدها أحد منهم.

وتراجع المنهزمون من المسلمين إلىٰ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله وانصرف المشركون إلىٰ مكة وانصرف النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله إلىٰ المدينة، فاستقبلته فاطمة عليها‌السلام ومعها إناء فيه ماء فغسل به وجهه، ولحقه أمير المؤمنين عليه‌السلام وقد خضب الدم يده إلىٰ كتفه ومعه ذوالفقار فناوله فاطمة عليها‌السلام وقال لها: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم وأنشأ

---

١ ـ الدَّرَقة ـ محرّكة ـ: الجحفة، وهي تُرس يعمل من جلد بغير خشب. [لسان العرب، ج ١٠، ص ٩٥، مادة «درق»]

٢ ـ التناوش: التناول. [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٢٩١]

يقول:

أفاطم هاك[1] السيف غير ذميم[2] فلست برعديد[3] ولا بمليم[4]

لعمري لقد أعذرت[5] في نصر أحمد وطاعة رب بالعباد عليم

أميطي دماء القوم عنه[6] فإنه سقىٰ آل عبد الدار كأس حميم[7]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خذيه يا فاطمة فقد أدىٰ بعلك ما عليه وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش[8].

---

١ ـ ها: اسم فعل بمعنى خُذ، ويلحق له كاف الخطاب. [مرآة العقول، ج ١، ص ٢٥٨]

٢ ـ الذميم: المذموم. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٢٢، مادة «ذمم»]

٣ ـ الرِّعديد: الجبان. [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٤٧٥، مادة «رعد»]

٤ ـ المليم: الذي يُلام على ما يصدر عنه. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٦٦، مادة «لوم»]

٥ ـ أعذر في الأمر: بالغ فيه. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٩٩، مادة «عذر»]

٦ ـ أميطي دماء القوم عنه: أي بَعّد وأَزِل دماءَ القوم عن السيف. [انظر: لسان العرب، ج ٧، ص ٤١٠، مادة «ميط»]

٧ ـ الحميم: الماء الحارّ، والمراد به الموت. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٤٤٥، مادة «حمم»]

٨ ـ صناديد قريش: أشرافهم وعظماؤهم ورؤساؤهم، الواحد صنديدٌ. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٥٥، مادة «صند»]

فصل

وقد ذكر أهل السير قتلىٰ أحد من المشركين فكان جمهورهم قتلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام:

فروىٰ عبد الملك بن هشام قال: حدثنا زياد بن عبد الله، عن محمد بن إسحاق قال: كان صاحب لواء قريش يوم أحد طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزىٰ بن عثمان بن عبد الدار قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، وقتل ابنه أبا سعيد بن طلحة وقتل أخاه كلدة بن أبي طلحة، وقتل عبد الله بن حميد بن زهرة بن الحارث بن أسد بن عبد العزىٰ، وقتل أبا الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي وقتل الوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة، وقتل أخاه أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وقتل أرطاة بن شرحبيل وقتل هشام بن أمية وعمرو بن عبد الله الجمحي وبشر بن مالك، وقتل صواباً مولىٰ بني عبد الدار فكان الفتح له ورجوع الناس من هزيمتهم إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله بمقامه يذب عنه دونهم.

وتوجه العتاب من الله تعالىٰ إلىٰ كافتهم لهزيمتهم ـ يومئذ ـ سواه ومن ثبت معه من رجال الأنصار وكانوا ثمانية نفر وقيل: أربعة أو خمسة.

وفي قتله عليه السلام من قتل يوم أحد وعنائه في الحرب وحسن بلائه يقول الحجاج بن علاط السلمي:

لله أيّ مــــذبب[١] عـــن حـــزبه أعني ابن فاطمة[٢] المعم المخولا[٣]

جـــادت يـــداك له بـــعاجل طـعنة تركت طليحة[٤] للجبين[٥] مجدلا[٦]

وشددت شـدة بـاسل[٧] فكشـفتهم بالسفح[٨] إذ يهوون[٩] أسفل أسفلا[١٠]

وعللت سيفك[١١] بالدماء ولم تكن لتــرده حــران[١٢] حــتىٰ يـنهلا[١٣]

فصل

ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ بني النضير[١٤] عمل علىٰ حصارهم فضرب

---

١ ـ الذبّ: الدفع والمنع، وذبّب: أكثر الذبّ. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٥٨، مادة «ذاب»]

٢ ـ المراد بفاطمة: بنتُ أسد بن هاشم، أمّ عليّ عليه السلام.

٣ ـ رجل مُعِمّ مُخْولٌ: أي كريم الأعمام والأخوال. [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٧١]

٤ ـ طليحة: هو كبش الكتيبة الذي سبق ذكره. [تقدم ذكره في بداية هذا الفصل]

٥ ـ للجبين: أي عليه. [تاج العروس، ج ١٤، ص ٧٧، مادة «تلل»]

٦ ـ مجدّلاً: أي مصروعاً مقتولاً. [لسان العرب، ج ١١، ص ١٠٤، مادة «جدل»]

٧ ـ والباسل: الشجاع، ويقال للأسد أيضاً. [لسان العرب، ج ١١، ص ٥٣، مادة «بسل»]

٨ ـ وقوله «بالسفح» متعلق بـ«يهوون». وسفح الجبل: أسفله. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٧٣، مادة «سفح»]

٩ ـ الهُويّ: الانحدار. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٢٢٣]

١٠ ـ وأسفل: ظرفٌ، والتكرار للتأكيد، والألف للإطلاق.

١١ ـ وعللتَ: أي سقيتَ، يقال: علّه يعلّه إذا سقاه شرباً بعد شرب. [لسان العرب، ج ١١، ص ٤٦٧، مادة «علل»]

١٢ ـ والحرّان: العطشان. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٦٤، مادة «حرر»]

١٣ ـ حتى ينهلا: أي يروِيَ. [بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٩٠]

١٤ ـ النضير ـ كأمير ـ: أبو حيّ من اليهود، كان لهم حصن في قرب المدينة على ثلاثة أميال،

قبته في أقصىٰ بني حطمة من البطحاء.

فلما جن[١] الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن تحول قبته إلىٰ السفح وأحاط به المهاجرون والأنصار.

فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال الناس: يا رسول الله لا نرىٰ علياً؟ فقال عليه وآله السلام: أراه في بعض ما يصلح شأنكم، فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمىٰ النبي صلى الله عليه وآله وكان يقال له عزوراً فطرحه بين يدي النبي عليه وآله السلام.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: كيف صنعت؟ فقال: إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً فكمنت له وقلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منا غرة فأقبل مصلتاً سيفه في تسعة نفر من أصحابه اليهود فشددت عليه فقتلته وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن فقتلوهم، وجاءوا برؤوسهم إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة.

وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير.

وفي تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف واصطفىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله أموال بني النضير فكانت أول صافية قسمها رسول الله صلى الله عليه وآله[٢] بين المهاجرين الأولين.

أخرجهم النبي صلى الله عليه وآله فذهب بعضهم إلى الشام وبعضهم إلى خيبر كما أخبر الله تعالى عنه في سورة الحشر. [انظر: مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٩٧، مادة «نضر» ؛ تاج العروس، ج ٧، ص ٥٣٥، مادة «نضر»]

١ ـ [أقبل خ ل]. جنّ الليل: أي ستر بظلمته. [مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٤٩٩]

٢ ـ الصوافي: الأملاك والأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها، واحدها صافية، قال الأزهريّ: يقال للضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته: الصوافي. (نهاية). [النهاية في

وأمر علياً عليه السلام فحاز ما لرسول الله منها فجعله صدقة فكان في يده أيام حياته ثمّ في يد أمير المؤمنين عليه السلام بعده وهو في ولد فاطمة حتىٰ اليوم.

وفيما كان من أمر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة وقتله اليهودي ومجيئه إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله برؤوس التسعة النفر يقول حسان بن ثابت:

لله أيّ كـريهة(١) أبـليتها ... ببني قريظة(٢) والنفوس تطلع(٣)

أردىٰ رئـيسهم وآب بـتسعة ... طوراً(٤) يشلهم(٥) وطوراً يـدفع

فصل

وكانت غزاة الأحزاب بعد بني النضير.

وذلك أن جماعة من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع وهوذة بن قيس الوالبي وأبوعمارة الوالبي ـ في نفر من بني والبة ـ خرجوا حتىٰ قدموا مكة فصاروا إلىٰ أبي سفيان صخر بن حرب لعلمهم بعداوته لرسول الله صلى الله عليه وآله وتسرعه إلىٰ قتاله، فذكروا له ما نالهم منه وسألوه المعونة

غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٤٠، مادة «صفا»]

١ ـ الكريهة: الحرب أو الشدة فيهما. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٩١]

٢ ـ هكذا وجد في النّسخ التي عندنا جميعها إلاّ في نسخة لا يعتمد عليها، ففيها «ببني نضيرة»، وسيجيء قصّة بني قريظة عن قريب.

٣ ـ وتطّلعُ: أصله تتطلّعُ من التطلّع بمعنى الانتظار. [بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٣١٢]

٤ ـ والطور: التارة. [تاج العروس، ج ٧، ص ١٤٧، مادة «طور»]

٥ ـ الشلّ والشلل: الطرد. [تاج العروس، ج ١٤، ص ٣٨٤، مادة «شلل»]

لهم علىٰ قتاله.

فقال لهم أبو سفيان: أنا لكم حيث تحبون، فاخرجوا إلىٰ قريش فادعوهم إلىٰ حربه واضمنوا النصرة لهم والثبوت معهم حتىٰ تستأصلوه[١].

فطافوا علىٰ وجوه قريش ودعوهم إلىٰ حرب النبي صلى الله عليه وآله وقالوا لهم: أيدينا مع أيديكم ونحن معكم حتىٰ تستأصلوه فقالت قريش: يا معشر اليهود أنتم أهل الكتاب الأول والعلم السابق وقد عرفتم الدين الذي جاء به محمد وما نحن عليه من الدين فديننا خير من دينه أم هو أولىٰ بالحق منا؟ فقالوا لهم: بل دينكم خير من دينه فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله.

وجاءهم أبو سفيان فقال لهم: قد مكنكم الله من عدوكم وهذه يهود تقاتله معكم ولن تنفل عنكم حتىٰ يؤتىٰ علىٰ جميعها أو تستأصله ومن اتبعه، فقويت عزائمهم ـ إذ ذاك ـ في حرب النبي صلى الله عليه وآله.

ثمّ خرج اليهود حتىٰ أتوا غطفان وقيس عيلان فدعوهم إلىٰ حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وضمنوا لهم النصرة والمعونة وأخبروهم باتباع قريش لهم علىٰ ذلك فاجتمعوا معهم.

وخرجت قريش وقائدها ـ إذ ذاك ـ أبو سفيان صخر بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة والحارث بن عوف في بني مرة ووبرة بن طريف في قومه من أشجع واجتمعت قريش معهم.

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله باجتماع الأحزاب عليه وقوة عزيمتهم في حربه استشار أصحابه فأجمع رأيهم علىٰ المقام بالمدينة وحرب القوم إن جاؤوا إليهم

---

١ ـ واستأصله: قلعه من أصله. [تاج العروس، ج ١٤، ص ٢٠، مادة «أصل»]

علىٰ أنقابها[١].

فأشار سلمان الفارسي رحمه الله علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بالخندق فأمر بحفره وعمل فيه بنفسه وعمل فيه المسلمون.

وأقبلت الأحزاب إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فهال المسلمين أمرهم وارتاعوا من كثرتهم وجمعهم، فنزلوا ناحية من الخندق وأقاموا بمكانهم بضعاً[٢] وعشرين ليلة، ثمّ لم يكن بينهم حرب إلّا الرمي بالنبل والحصىٰ.

فلما رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ضعف قلوب أكثر المسلمين من حصارهم لهم ووهنهم في حربهم بعث إلىٰ عيينة بن حصن والحارث بن عوف ـ وهما قائدا غطفان ـ يدعوهم إلىٰ صلحه والكف عنه والرجوع بقومهما عن حربه علىٰ أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة، واستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فيما بعث به إلىٰ عيينة والحارث فقالا: يا رسول الله إن كان هذا الأمر لا بد لنا من العمل به لأن الله أمرك فيه بما صنعت والوحي جاءك به فافعل ما بدا لك، وإن كنت تحب أن تصنعه لنا كان لنا فيه رأي.

فقال عليه وآله السلام: لم يأتني وحي به ولكني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وجاؤوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلىٰ أمر ما.

---

١ ـ النّقب: الطريق في الجبل، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٢٧، مادة «نقب»]

٢ ـ البِضع في العدد ـ بالكسر وقد يفتح ـ: ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الواحد إلى العشرة؛ لأنّه قطعة من العدد، وقال الجوهري: تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلاً، فإذا جاوزت لفظ العشر لا تقول: بضع وعشرون، وهذا يخالف ما في الحديث، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ١٣٣، مادة «بضع»]

فقال سعد بن معاذ: قد كنا نحن وهؤلاء القوم علىٰ الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ونحن لا نطعمهم من ثمرنا إلّا قرىً[١] أو بيعاً، والآن حين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ ما لنا إلىٰ هذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلّا السيف حتىٰ يحكم الله بيننا وبينهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الآن قد عرفت ما عندكم فكونوا علىٰ ما أنتم عليه فإنّ الله تعالىٰ لن يخذل نبيه ولن يسلمه حتىٰ ينجز له ما وعده.

ثمّ قام رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين يدعوهم إلىٰ جهاد العدو ويشجعهم ويعدهم النصر.

وانتدبت فوارس من قريش للبراز منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس بن عامر بن لؤي بن غالب وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ـ المخزوميان ـ وضرار بن الخطاب ومرداس الفهري فلبسوا للقتال ثمّ خرجوا علىٰ خيلهم حتىٰ مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيؤوا يا بني كنانة للحرب، ثمّ أقبلوا تعنق بهم خيلهم[٢] حتىٰ وقفوا علىٰ الخندق.

فلما تأملوه قالوا: والله إنّ هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا[٣] مكاناً من الخندق فيه ضيق فضربوا خيلهم فاقتحمته[٤] وجاءت بهم في السبخة[٥]

---

١ ـ قريت الضيف قِرىً وقراءً: أحسنت إليه، إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٤٦١، مادة «قرا»]

٢ ـ تُعنِقُ بهم خيلهم: أي تُسرع. [بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٢٦٤]

٣ ـ تيمّموا ويمّموا: أي قصدوا. [انظر: لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٢، مادة «أمم»]

٤ ـ اقتحم: رمى بنفسه. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٣٤، مادة «قحم»]

٥ ـ السبخة من الأرض: ما تعلوه الملوحة ولا ينبت إلّا بعض الأشياء. [مجمع البحرين، ج ٢،

بين الخندق وسلع[١].

وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين حتىٰ أخذوا عليهم الثغرة[٢] التي اقتحموها فتقدم عمرو بن عبد ود الجماعة الذين خرجوا معه وقد أعلم[٣] ليرىٰ مكانه.

فلما رأىٰ المسلمين وقف هو والخيل التي معه وقال: هل من مبارز، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عمرو: ارجع يا ابن أخ فما أحب أن أقتلك.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قد كنت ـ يا عمرو ـ عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلىٰ إحدىٰ خصلتين إلّا اخترتها منه.

قال: أجل فماذا؟

قال: فإني أدعوك إلىٰ الله ورسوله والإسلام.

قال: لا حاجة لي بذلك.

قال: فإني أدعوك إلىٰ النزال[٤].

ص ٤٣٣، مادة «سبخ»]

١ ـ [في المخطوطة: سليع]. سُليع: اسم جبل بالمدينة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٨٣، مادة «عثعث»]

٢ ـ الثغرة: الموضع الذي يمرّ منه العدوّ والناحية في الأرض. [لسان العرب، ج ٤، ص ١٠٤، مادة «ثغر»]

٣ ـ أعلم الفارس: إذا جعل لنفسه علامة الشجعان. [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ١٩٩٠، مادة «علم»]

٤ ـ النِّزال في الحرب: أن ينزل الفريقان من إبلهما إلى خيلهما فيتضاربا، أو أن يتضاربا راجلين، وأما في هذا المقام فهو المضاربة نازلين راجلين. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٥٦]

فقال: ارجع فقد كان بيني وبين أبيك خلة وما أحب أن أقتلك.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لكنني والله أحب أن أقتلك ما دمت آبياً للحق.

فحمي[١] عمرو عند ذلك وقال: أتقتلني؟! ونزل عن فرسه فعقره[٢] وضرب وجهه حتىٰ نفر[٣] وأقبل علىٰ علي عليه السلام مصلتاً[٤] سيفه وبدره بالسيف[٥]، فنشب سيفه[٦] في ترس علي، وضربه أمير المؤمنين عليه السلام ضربة فقتله.

فلما رأىٰ عكرمة بن أبي جهل وهبيرة وضرار عمراً صريعاً ولوا بخيلهم منهزمين حتىٰ اقتحمت الخندق لا تلوي علىٰ شيء، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ مقامه الأول وقد كادت نفوس القوم الذين خرجوا معه إلىٰ الخندق تطير جزعاً وهو يقول:

نصر[٧] الحجارة من سفاهة رأيه ونصرتُ رب محمد بصواب[٨]

---

١ ـ حمي الرجل: إذا دخله عار وأنفة، وحمي الرجل: إذا غضب. [أساس البلاغة، ص ١٤٤، مادة «حمي»]

٢ ـ عقرت الفرس بالسيف: إذا ضربت به قوائمه. [كتاب العين، ج ١، ص ١٤٩، مادة «عقر»]

٣ ـ نفرت الدابة: إذا جزعت وتباعدت. [تاج العروس، ج ٧، ص ٥٤٧، مادة «نفر»]

٤ ـ أصلت السيف: إذا جرّده من غمده. [تاج العروس، ج ٣، ص ٨٤، مادة «صلت»]

٥ ـ فبدره بالسيف: أي ضربه أوّلاً بسرعة. [انظر: لسان العرب، ج ٤، ص ٤٨، مادة «بدر»]

٦ ـ نشب الشيء في الشيء: إذا علق فيه. (جميع هذه اللغات أخذ من الصحاح وشرح القاموس). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٢٤، مادة «نشب»]

٧ ـ الضمير في نصر راجع إلى عمرو.

٨ ـ ووجدت في بعض كتب المؤرخين:

عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدتُ ربَّ محمد بصواب

[المستدرك للحاكم النيسابوري، ج ٣، ص ٣٣، وفيه: «عقله» بدل «رأيه»]

فضربته وتركته متجدلاً[١] كالجذع بين دكادك[٢] وروابي[٣]
وعففت[٤] عن أثوابه ولو أنني كنت المقطر[٥] بزّني أثوابي[٦]
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب

وقد روىٰ محمد بن عمر الواقدي قال: حدثنا عبد الله بن جعفر، عن ابن أبي عون، عن الزهري قال: جاء عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وضرار بن الخطاب ـ في يوم الأحزاب ـ إلىٰ الخندق فجعلوا يطوفون به يطلبون مضيقاً منه فيعبرون حتىٰ انتهوا إلىٰ مكان أكرهوا خيولهم فيه فعبرت وجعلوا يجولون بخيلهم فيما بين الخندق وسلع والمسلمون وقوف لا يقدم واحد منهم عليهم، وجعل عمرو بن عبد ود يدعو إلىٰ البراز ويعرّض[٧] بالمسلمين ويقول:

والصواب: ضدّ الخطأ. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٠٢، مادة «صوب»]

١ ـ يقال: جَدَّلَه فانجدل وتجدّل: إذا صرعه على الجدالة، أي الأرض، كذا في القاموس. [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٤٦]

٢ ـ والدكادك: جمع دكداك، وهو ما استوى من المكان. [انظر: لسان العرب، ج ١٠، ص ٤٢٦، مادة «دكك»]

٣ ـ والروابي: جمع رابية، وهي ما ارتفع من الأرض. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٢١٧، مادة «ربو»]

٤ ـ العَفّ: الكفّ، (في الصحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٤، ص ١٤٠٥، مادة «عفف»]

٥ ـ يقال: طعنه فقطره تقطيراً: إذا ألقاه على أحد قطريه وهما جانباه، فالمقطّر: المجدّل. [تاج العروس، ج ٧، ص ٤٠٥، مادة «قطر»]

٦ ـ وبزّ ثوبه: سلبه. [أساس البلاغة، ص ٣٨، مادة «بزز»]

٧ ـ التعريض خلاف التصريح، يريد أنه يقول ما لا يليق لهم، ويعيبهم بتأخّرهم عن المبارزة.

ولقد بححت[١][٢] من النداء بجمـ ـــعهم هـــل مـــن مـــبارز

[النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢١٢، مادة «عرض»]

١ ـ ارتجز عمرو فقال (*):

ولقـــد بَـحِحتُ مـــن النـــداء بـــجمعكم هـــل مـــن مـــبارز

ووقـــفت إذ جـــبن الشـــجاع مـــواقـــف القـــرن المـــناجز

إنّـــي كـــذلك لم يـــزل مـــتسرعاً نـــحو الهـــزاهـــز

إنّ الشـــجاعة فـــي الفـــتى والجـــود مـــن خـــير الغـــرائـــز

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

لا تَـــعْجَلَنَّ فَـــقَدْ أتـــاكَ مُـــجِيبُ صَـوْتِكَ غَـيْرَ عـاجِزِ

ذُونِـــيَّةٍ وَبَـــصيرةٍ وَالصِّـــدْقُ مُـــنْجِي كُـلِّ فـائِزِ

إنّـــي لأرْجـــو أن أُقِـــيم عَـــليكَ نـــائِحةَ الجـــنائز

مـــن ضَـــربةٍ نـــجلاء يـــبقى صـــوتُها بـــعد الهـــزاهـــز

(مختصر الصافي)

[(*) يظهر أن هذه الحاشية ليست من المحشّي، بل هي من تعليقة للمؤلف أو الناسخ كما يبدو ذلك من العلامة التي وضعها على عبارة «ولقد بححت»، وهذا الأسلوب لم يكن من ديدن المحشي من بداية الكتاب لحد الآن، إضافة إلى أن المحشي سوف يقوم بتوضيح مفردات المقطوعتين اللتين وردتا في هذه الحاشية بقوله: «قوله في الحاشية: ولقد بححت من النداء»، فراجع الحاشية التالية]

٢ ـ قوله في الحاشية: ولقد بححت من النداء. بحح صوته: غلظ، [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٤١، مادة «بحح»]. والقرن: الكفو في الحرب، [تاج العروس، ج ١٨، ص ٤٤٧، مادة «قرن»]. والمناجز: المقاتل، [انظر: كتاب العين، ج ٦، ص ٧١، مادة «نجز»]. والغرائز: الطبايع، [انظر: لسان العرب، ج ٥، ص ٣٨٧، مادة «غرز»]. ضربة نجلاء: أي واسعة الشقّ، [لسان العرب، ج ١١، ص ٦٤٧، مادة «نجل»]. والهزاهز: الفتن والحروب والأيام. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٤١، مادة «هزز»]

وفي كل ذلك يقوم علي بن أبي طالب عليه السلام من بينهم ليبارزه فيأمره رسول الله صلى الله عليه وآله بالجلوس انتظاراً منه ليتحرك غيره، والمسلمون كأن علىٰ رؤوسهم الطير[1] لمكان عمرو بن عبد ود والخوف منه وممن معه ووراءه.

فلما طال نداء عمرو بالبراز وتتابع قيام أمير المؤمنين عليه السلام قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ادن مني يا علي، فدنا منه فنزع عمامته من رأسه وعممه بها وأعطاه سيفه وقال له: امض لشأنك ثمّ قال: اللهم أعنه، فسعىٰ نحو عمرو ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله لينظر ما يكون منه ومن عمرو.

فلما انتهىٰ أمير المؤمنين عليه السلام إليه قال له: يا عمرو إنك كنت في الجاهلية تقول لا يدعوني أحد إلىٰ ثلاث إلّا قبلتها أو واحدة منها.

قال: أجل.

قال: فإني أدعوك إلىٰ شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، وأن تسلم لرب العالمين.

قال: يا ابن أخ أخر هذه عني.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أما إنها خير لك لو أخذتها.

ثمّ قال: فهاهنا أخرىٰ.

قال: ما هي؟

قال: ترجع من حيث جئت.

---

١ ـ كأنّ على رؤوسهم الطير: يعني ساكتون هيبة، وأصله أن الغراب يقع على رأس البعير فيلتقط منه القراد فلا يتحرّك البعير لئلّا ينفر عنه الغراب. [تاج العروس، ج ٧، ص ١٥٧، مادة «طير»]

قال: لا تحدث نساء قريش بهذا أبداً.

قال: فهاهنا أخرىٰ.

قال: ما هي؟

قال: تنزل فتقاتلني.

فضحك عمرو وقال: إنّ هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومني عليها وإني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك وقد كان أبوك لي نديماً(١).

قال علي عليه السلام لكنني أحب أن أقتلك فانزل إن شئت.

فأسف(٢) عمرو ونزل وضرب وجه فرسه حتىٰ رجع.

فقال جابر بن عبد الله رحمه الله: وثارت بينهما قترة(٣) فما رأيتهما وسمعت التكبير تحتها فعلمت أن علياً عليه السلام قد قتله وانكشف أصحابه حتىٰ طفرت(٤)

---

١ ـ عن الزبير بن بكار في أنساب قريش قال: كان نديم أبي طالب في الجاهلية مسافر بن عمرو بن أمية بن عبد شمس، وكان قد حَبِنَ فخرج ليتداوى بالحيرة فمات بهبالة، فرثاه أبو طالب، فلما هلك مسافر نادَمَ أبو طالب بعده عمرو بن عبد بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لوي، ولذلك قال عمرو لعلي عليه السلام يوم الخندق حين بارزه: إنّ أباك كان لي صديقاً، انتهى. [انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ٢١٩ و ٢٢٠] فظهر أنّ عبد ودّ اسم جده وليس بأبيه، ويجيء بعض أحواله في الحواشي.

٢ ـ أَسِفَ يأسِف أَسَفاً فهو آسِفٌ: إذا غضب، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٤٨، مادة «أسف»]

٣ ـ القتَرَة ـ بالتحريك ـ: الغبار، وثار الغبار يثور ثوراً وثوراناً: إذا هاج، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٤٧، مادة «قتر»]

٤ ـ الطفرة: الوثبة، وقد طفر يطفر طفوراً، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٧٢٦، مادة

خيولهم الخندق، وتبادر المسلمون حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق لم ينهض به فرسه فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم: قتلة أجمل من هذه ينزل بعضكم أقاتله، فنزل إليه أمير المؤمنين عليه السلام فضربه حتىٰ قتله، ولحق هبيرة فأعجزه فضرب قربوس سرجه وسقطت درع كانت عليه، وفر عكرمة وهرب ضرار بن الخطاب، فقال جابر فما شبهت قتل علي عمراً إلّا بما قص الله تعالىٰ من قصة داود عليه السلام وجالوت حيث يقول جلّ شأنه: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾[١].

وقد روىٰ قيس بن الربيع قال: حدثنا أبو هارون العبدي، عن ربيعة السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت له: يا أبا عبد الله إننا لنتحدث عن علي عليه السلام ومناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تفرطون في علي فهل أنت محدثي بحديث فيه؟ فقال حذيفة يا ربيعة وما تسألني عن علي عليه السلام؟ والذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد في كفة الميزان منذ بعث الله محمداً إلىٰ يوم القيامة ووضع عمل علي في الكفة الأخرىٰ لرجح عمل علي علىٰ جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له[٢] ولا يقعد.

«طفر»]

١ ـ [سورة البقرة، الآية ٢٥١].

٢ ـ قوله: «هذا الذي لا يقام له»، قال الزمخشري: ومن المجاز قولهم: ما قام له، ولا يقوم له، إذا لم يطقه، انتهى، [أساس البلاغة، ص ٥٢٨، مادة «قوم»].

فقوله: لا يقام له: يريد أنّ هذا شديد لا يستطيع أحد أن يتحمّله، شبّه بمن عليه حمل شديد ثقيل لا يقدر معه القيامَ والقعود، فمعنى قوله: لا يقام، أي لا يحصل القيام. وفي بعض الأخبار من طرق العامة: أنّ ربيعة قال: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يُحمل، إنّي لأظنّه إسرافاً يا أبا عبد الله، فقال حذيفة: وكيف لا يحمل يا لكع؟ إلى آخر الخبر، [بحار الأنوار،

فقال حذيفة: يا لكع[١] وكيف لا يحمل؟! وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمد يوم عمرو بن عبد ود وقد دعا إلىٰ المبارزة؟! فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً عليه السلام فإنه برز إليه فقتله الله علىٰ يديه، والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أصحاب محمد إلىٰ يوم القيامة.

وقد روىٰ هشام بن محمد، عن معروف بن خربوذ قال: قال علي يوم الخندق:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا ... عني وعنها خبروا أصحابي

اليوم تمنعني الفرار حفيظتي[٢] ... ومصمّم[٣] في الرأس ليس بنابي[٤]

أرديت[٥] عمراً حين أخلص صقله[٦] ... صافي الحديد مجرب قضّاب[٧]

ج ٣٩، ص ٣، عن ربيعة بن مالك السعدي]

١ ـ اللكع ـ كصرَد ـ : اللئيم والعبد والأحمق، وتقول في النداء: يا لكع، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٨٢]

٢ ـ الحفيظة: الحمية والغضب، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١١٧٢، مادة «حفظ»]

٣ ـ سيف مصمّم: ماض في الضريبة. [أساس البلاغة، ص ٣٦٢، مادة «صمم»]

٤ ـ نَبا السيف: إذا لم يعمل في الضريبة. [أساس البلاغة، ص ٦١٦، مادة «نبو»]

٥ ـ أرداه: أهلكه، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٣٥٥، مادة «ردى»]

٦ ـ [في متن المخطوطة «إذ طغى بمهنّدٍ» بدل «حين أخلص صقله»، وما أثبتناه في المتن أعلاه فهو من نسخة مؤسسة آل البيت عليهم السلام]. المهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ١٦٨، مادة «هند»]

٧ ـ سيف قضّاب: قطّاع، وكذلك القرضات بمعنى القاطع كما في بعض النسخ. [المحيط في اللغة، ج ٥، ص ٢٥٢، مادة «قضب»]

فـصددت حـين تـركته مـتجدلاً كالجذع بـين دكـادك[١] وروابـي[٢]
وعـففت[٣] عـن أثـوابـه ولو أنـني كـنت المـقطر[٤] بـزّني أثـوابـي[٥]

وروىٰ يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: لما قتل علي بـن أبـي طالب عليه السلام عمراً أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه يـتهلل[٦] فـقال له عـمر بـن الخطاب: هلا سلبته يا علي درعه؟ فإنه ليس تكون للعرب درع مثلها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إني استحيت أن أكشف عن سوأة ابن عمي .

وروىٰ عمرو بن الأزهر، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن أن علياً عليه السلام لما قتل عمرو بن عبد ود[٧] احتز رأسه وحمله فألقاه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقام

---

١ ـ الدكادك: ما استوى من المكان. [انظر: لسان العرب، ج ١٠، ص ٤٢٦، مادة «دكك»]

٢ ـ والروابي: ما ارتفع منه. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٢١٧، مادة «ربو»]

٣ ـ العفّ: الكفّ. [الصحاح للجوهري، ج ٤، ص ١٤٠٥، مادة «عفف»]

٤ ـ والمقطّر: المجدّل. [تاج العروس، ج ٧، ص ٤٠٥، مادة «قطر»]

٥ ـ بزّه ثوبه: سلبه. [أساس البلاغة، ص ٣٨، مادة «بزز»]

٦ ـ تهلّل وجهه من الفرح: تلألأ. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٧٠]

٧ ـ عمرو بن عبد ودّ العامري القرشيّ من بني عامر بن لويّ، رجل معروف بـالشجاعة، قـال الطبرسي: كان يُعدّ بألف فارس، وكان يسمّى فارس يليل؛ لأنّه أقبل في ركب من قـريش حتى إذا كانوا بيليل وهو وادٍ قريب من بدرٍ عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصـحابه: امضوا، فمضوا، فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه، فعرف بذلك، وكان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق المَذاد [في الحاشية: المداذ]، وكان أوّل مـن طـفره عـمرو وأصحابه، فقيل في ذلك:

عمرو بن عبدٍ كان أوّل فارس جَزَعَ المَذاد وكان فارس يليل

انتهى. [مجمع البيان للطبرسي، ج ٨، ص ٥٣٧]

أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي عليه السلام.

وروىٰ علي بن الحكيم الأودي قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: لقد ضرب علي عليه السلام ضربة ما كان في الإسلام ضربة أعز منها ـ يعني ضربة عمرو بن عبد ود ـ ولقد ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها ـ يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله ـ.

وفي الأحزاب أنزل الله تعالىٰ:

﴿إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ومِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وإِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ وبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا * هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً * وإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللّٰهُ ورَسُولُهُ إِلّا غُرُوراً﴾(١) إلىٰ قوله: ﴿وكَفَى اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وكانَ اللّٰهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾(٢).

فتوجه العتب إليهم والتوبيخ والتقريع والعتاب ولم ينج من ذلك أحد ـ باتفاق ـ إلّا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذ كان الفتح له وعلىٰ يديه، وكان قتله عمراً ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتله هؤلاء النفر: الآن نغزوهم ولا يغزونا.

وقد روىٰ يوسف بن كليب، عن سفيان، عن زبيد، عن مرة وغيره، عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ﴿وكفىٰ الله المؤمنين القتال﴾ بعلي ﴿وكان الله قوياً

قلت: هذا الشعر لمسافع بن عبد مناف الجُمَحيّ، وجزع المذاد: أي قطع. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٢٦٩، مادة «جزع»]

١ ـ [سورة الأحزاب، الآيتان ١٠ و ١١].

٢ ـ [سورة الأحزاب، الآية ٢٥].

عزيزاً﴾.

وفي قتل عمرو بن عبد ود يقول حسان بن ثابت:

أمسىٰ الفتىٰ عمرو بن عبد يبتغي بجنوب[١] يثرب غارة لم تنظر[٢]

فلقد وجدت سيوفنا مشهورة[٣] ولقد وجدت جيادنا[٤] لم تقصر[٥]

ولقد رأيت غداة بدر عصبة[٦] ضربوك ضرباً غير ضرب المُحَسّر[٧]

أصبحت لا تدعىٰ ليوم عظيمة يا عمرو ولجسيم أمر منكر

ويقال: إنه لما بلغ شعر حسان بني عامر أجابه فتىً منهم فقال يرد عليه في افتخاره بالأنصار:

---

١ ـ الجنب: الناحية، والجمع جنوب. [المصباح المنير، ج ٢، ص ١١٠، مادة «جنب»]

٢ ـ وغارة لم تنظر: يعني غارة لم تؤخر. [انظر: مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٩٨، مادة «نظر»]

٣ ـ شهر السيف: سلّه. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٥٧، مادة «شهر»]

٤ ـ والجياد: جميع جيّد، وهو الفرس الذي جاد عَدوُهُ. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٩، مادة «جود»]

٥ ـ قصرت عن الشيء قصوراً: عجزت عنه ولم أبلغه، وقصرت الشيء: حبسته. [لسان العرب، ج ٥، ص ٩٧، مادة «قصر»]

٦ ـ قوله: ولقد رأيت غداة بدر عصبة. العصبة: جماعة الرجال أو ما بين العشرة إلى الأربعين، [تاج العروس، ج ٢، ص ٢٣٨، مادة «عصب»]. وهذا الكلام توبيخ لعمرو؛ لأنه كان ممّن حضر بدراً فضرب في المعركة وجرح وفرّ فيمن فرّ إلى مكة واشتغل بعلاج جراحاته فلم يحضر أحداً فجاء يوم الخندق معجباً بنفسه.

٧ ـ [في المخطوطة: الحُسّر]. الحاسرُ: العاجز، جمعه حُسَّر. [انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٣٤، مادة «حسر»]

كـذبتم وبـيت الله لم تـقتلوننا ... ولكـن بسـيف الهـاشميين فـافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغـى[١] ... بكـف عـلي نـلتم ذاك فـاقصروا
فلم تقتلوا عـمرو بـن عـبد بـبأسكم ... ولكنه الكـفو[٢] الهـزبر[٣] الغـضنفر
علي الذي في الفخر طـال بـناؤه[٤] ... فلا تكثروا الدعوىٰ عـلينا فـتفخروا
بـبدر خـرجـتم[٥] للـبراز فـردكم ... شـيوخ قـريش جـهرة وتـأخروا
فـلما أتـاهم حـمزة وعـبيدة ... وجـاء عـلي بـالمهند يـخطر[٦]
فـقالوا نـعم أكـفاء صـدق فـأقبلوا ... إلـيهم سـراعاً إذ بـغوا وتـجبروا

---

١ ـ الوغى: الحرب. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٣٠٠، مادة «وغي»]

٢ ـ قوله: ولكنّه الكفو: يعني القاتل الكفو.

٣ ـ الهزبر: وهو الأسد مثلٌ في الشجاعة، وكذلك الغضنفر. [تاج العروس، ج ٧، ص ٦٢٢، مادة «هزبر»]

٤ ـ قوله: علي الذي في الفخر طال بناؤه: هذا الكلام يقال فيمن ارتفع وفاق أمثاله فضلاً وشجاعة ونسباً، كقولهم: فلان رفيع القدر والحسب وله منزلة رفيعة.

٥ ـ قوله: ببدر خرجتم، الخ. هذا خطاب للأنصار وإشارة لما سبق من أنّ ثلاثة من شبان الأنصار وهم بنو عفراء: معاذ ومعوذ وعوف، وعفراء أمّهم جميعاً وأبوهم الحارث بن رفاعة، وقيل: كان ثالثهم عبد الله بن رواحة، بارزوا الوليد وعتبة وشيبة، فلما عرف القرشيون الثلاث الأنصاريين الثلاث قالوا لهم: ارجعوا إلى مكانكم لا حاجة بنا لكم، إنما طلبنا أكفاءنا. وورد في السير أنه قال بعض القرشيين لبعض الأنصار في فخرٍ فخر به: إنا من قوم لم يرض مشركوهم أن يقتلوا مؤمني قومك. [المغازي للواقدي، ج ١، ص ٦٨]

٦ ـ خطر الرُّمح وغيره: حرّكه، والخطر: المشي تبختراً وإعجاباً، وورد في الخبر أنه مكروه في الطرقات ومطلوب بين الصفين في الحرب. [أساس البلاغة، ص ١٦٨، مادة «خطر»]

فـــجال عـــلي جـــولة هـــاشمية   فـــدمرهم[١] لمـــا عـــتوا وتكـــبروا
فـــليس لكـــم فـــخر عـــلينا بـغيرنا   وليس لكـــم فـــخر يـــعد ويـــذكر

وقد روىٰ أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا سليمان بن أيـوب، عـن أبـي الحسن المدائني قال: لما قتل علي بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن عبد ود نعي إلىٰ أخته فقالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟ فقالوا: ابن أبي طالب فقالت: لم يعد يـومه علىٰ يد كفء كريم، لا رقأت دمعتي[٢] إن هرقتها عـليه، قـتل الأبـطال وبـارز الأقران وكانت منيته علىٰ يد كفو كريم قومه ما سمعت أفخر من هذا يا بني عامر ثمّ أنشأت تقول:

لو كـان قـاتل عـمروٍ غـير قـاتله   لكـــنت أبكـــي عـليه آخـر الأبـد
لكـــن قـاتل عـمروٍ لا يـعاب بـه   من كان يدعىٰ قديماً بيضة البلد[٣]

وقالت أيضاً في قتل أخيها وذكر علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه:

أسدان فـي ضـيق المكـر تـصاولا   وكـــــلاهما كـــفو كـــريم بـــاسل
فـــتخالسا مـهج النـفوس كـلاهما   وسـط المـذاد مـخاتل[٤] ومـقاتل

---

١ ـ دمّرهم: أهلكهم. [تاج العروس، ج ٦، ص ٤١٠، مادة «دمر»]
٢ ـ رقاء الدمع: سكن وجفّ، (شرح قاموس). [تاج العروس، ج ١، ص ١٦٤، مادة «رقأ»]
٣ ـ بيضة البلد: تستعمل في المدح والذمّ، فمن المدح قول أخت عمرو، ومن الذمّ قـولهم: أذلّ من بيضة البلد، أي أذلّ من بيضة النعامة التي تتركها، (كشف الغمّة). [كشـف الغـمة، ج ١، ص ٦٨]
٤ ـ ختله وخاتله: خدعه. [تاج العروس، ج ١٤، ص ١٩١، مادة «ختل»]

وكلاهما حضر القراع[١] حفيظة[٢] ... لم يثنه[٣] عن ذاك شغل شاغل

فاذهب علي فما ظفرت بمثله ... قول سديد ليس فيه تحامل[٤]

فالثأر[٥] عندي يا علي فليتني ... أدركته والعقل مني كامل

ذلت قريش بعد مقتل فارس ... فالذل مهلكها وخزي شامل

ثم قالت: والله لا ثأرت قريش بأخي ما حنت النيب[٦].

فصل

ولما انهزم الأحزاب وولوا عن المسلمين الدبر عمل رسول الله صلى الله عليه وآله على قصد بني قريظة وأنفذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج فقال له: انظر بني قريظة هل تركوا حصونهم؟

فلما شارف سورهم سمع منهم الهجر[٧]، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره

---

١ ـ والقِراع: الضراب. [تاج العروس، ج ١١، ص ٣٦٠، مادة «قرع»]

٢ ـ الحفيظة: الحميّة. [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١١٧٢، مادة «حفظ»]

٣ ـ ولم يثنه: لم يصرفه. [انظر: تاج العروس، ج ١٩، ص ٢٦٠، مادة «ثني»]

٤ ـ وتحامَل عليه: مال، وتحاملتُ الشيء إذا تكلّفته على مشقّة. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٥٨، مادة «حمل»]

٥ ـ وثأرت القتيل وبالقتيل: إذا قتلت قاتله. (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٦٠٣، مادة «ثأر»]

٦ ـ النيب: جمع الناب، وهي الناقة المُسنّة، يقال: لا أفعله ما حنّت النيب، أي أبداً. [تاج العروس، ج ٢، ص ٤٥٨، مادة «نيب»]

٧ ـ الهَجر: الهذيان، والهُجر ـ بالضم ـ: الاسم من الاهجار وهو الإفحاش في المنطق،

فقال: دعهم فإنّ الله سيمكن منهم، إنّ الذي أمكنك من عمرو بن عبد ود لا يخذلك، فقف حتىٰ يجتمع الناس إليك وأبشر بنصر الله فإنّ الله قد نصرني بالرعب من بين يدي مسيرة شهر.

قال علي عليه السلام: فاجتمع الناس إلي وسرت حتىٰ دنوت من سورهم فأشرفوا علي، فحين رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وألقىٰ الله في قلوبهم الرعب وسمعت راجزاً يرجز:

قتل علي عمراً صاد علي صقراً
قصم عليّ[1] ظهراً أبرم علي أمراً
هتك علي ستراً

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع[2] الشرك، وكان النبي صلى الله عليه وآله قال لي حين توجهت إلىٰ بني قريظة: سر علىٰ بركة الله فإنّ الله قد وعدك أرضهم وديارهم فسرت مستيقناً لنصر الله عزّ وجلّ حتىٰ ركزت الراية في أصل الحصن فاستقبلوني في صياصيهم[3] يسبون رسول الله صلى الله عليه وآله!!

فلما سمعت سبهم له عليه السلام كرهت أن يسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله فعملت علىٰ

(صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٨٥١، مادة «هجر»]

١ ـ قصمتُ الشيء قصماً: إذا كسَرته. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٣٩، مادة «قصم»]

٢ ـ قمعته: قهرته وأذللته، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١٢٧٢، مادة «قمع»]

٣ ـ الصيصة: الحِصن وكل ما امتنع به، والجمع صياصي، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣٠٧]

الرجوع إليه فإذا به عليه السلام قد طلع فناداهم: يا إخوة القردة والخنازير[١] إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فقالوا له: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً ولا سباباً! فاستحيىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله[٢] ورجع القهقرىٰ[٣] قليلاً.

ثمّ أمر فضربت خيمته بإزاء حصونهم وأقام النبي صلى الله عليه وآله محاصراً لبني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتىٰ سألوه النزول علىٰ حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم سعد بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء وقسمة الأموال.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[٤].

وأمر النبي صلى الله عليه وآله بإنزال الرجال منهم ـ وكانوا تسعمائة رجل ـ فجيء بهم إلىٰ المدينة وقسم الأموال واسترق الذراري والنسوان.

---

١ ـ قوله: يا إخوة القردة والخنازير: هذا الخطاب لليهود، قال الله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌّ مكاناً وأضلّ عن سواء السبيل﴾ [سورة المائدة، الآية ٦٠]، قال المفسرون: فلمّا نزلت هذه الآية عيّر المسلمون أهل الكتاب وقالوا: يا إخوان القردة والخنازير، فنكسوا رؤوسهم وافتضحوا، (قاله في مجمع البيان). [مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٣٣٣]

٢ ـ وورد في الخبر أنه استحيى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى سقط مرسال كان في يده وسقط الرداء من ظهره حياءً. روى الأخير في تفسير القمي. [انظر: تفسير القمي، ج ٢، ص ١٩٠]

٣ ـ رجع القهقرى ـ هو بفتح القافين وإسكان الهاء ـ: المشي إلى خلف من غير التفات بالوجه، (قاله في المجمع). [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٦٤، مادة «قهر»]

٤ ـ في الحديث أنه قال لسعد بن معاذ حين حكم في قريظة: لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، يعني سبع سماوات، وكلّ سماء يقال لها: رَقِيعٌ، والجمع أَرْقِعَةٌ، وقيل: الرَّقِيعُ اسم سماء الدنيا، فأعطى كلّ سماء اسمها، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢٥١، مادة «رقع»]

ولما جيء بالأسارىٰ إلىٰ المدينة حبسوا في دار من دور[1] بني النجّار[2] وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ موضع السوق اليوم فخندق[3] فيه خنادق، وحضر أمير المؤمنين عليه السلام معه والمسلمون فأمر بهم أن يخرجوا وتقدم إلىٰ أمير المؤمنين أن يضرب أعناقهم في الخندق.

فأخرجوا أرسالاً[4] وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد وهما ـ إذ ذاك ـ رئيسا القوم فقالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ فقال: في كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع[5]، ومن ذهب منكم لا يرجع، هو والله القتل. وجيء بحيي بن أخطب مجموعة يداه إلىٰ عنقه، فلما نظر إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أما والله ما لمت نفسي علىٰ عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل.

ثمّ أقبل علىٰ الناس فقال: يا أيها الناس إنه لا بد من أمر الله، كتاب وقدر وملحمة[6] كتبت علىٰ بني إسرائيل.

---

١ ـ الدُّور: جمع دار.

٢ ـ والنجّار: قبيلة من الأنصار.

٣ ـ الخندق ـ كجعفر ـ: حفير حول أسوار المدن، وهو معرّب كندة، وخندقه: حَفره، كذا في القاموس، [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢٢٩]. وجمعه خنادق وهي الحفائر.

٤ ـ جاء القوم أرسالاً: إذا كانوا قطايع يتبع بعضهم بعضاً. [معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٣٩٢، مادة «رسل»]

٥ ـ قوله: ألا ترون الداعي لا ينزع: أي لا ينتهي من الدعاء والطلب، (كشف الغمة). [كشف الغمة، ج ١، ص ٢٠٩]

٦ ـ الملحمة: القتل والواقعة العظيمة والفتنة. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٦٤١، مادة «لحم»] اللهم اغفر لي وله بمحمد وآله الطاهرين، ويرحم المدعو إقبال أمين، آمين. [هكذا ورد في

ثمّ أقيم بين يدي أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف، فقال له أمير المؤمنين: إنّ خيار الناس يقتلون شرارهم وشرار الناس يقتلون خيارهم فالويل لمن قتله الأخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأرذال الكفار فقال: صدقت لا تسلبني حلتي، قال: هي أهون علي من ذاك قال: سترتني سترك الله، ومد عنقه فضربها علي عليه السلام ولم يسلبه من بينهم.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام لمن جاء به: ما كان يقول حيي وهو يقاد إلىٰ الموت؟ فقال: كان يقول:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتىٰ بلغ النفس جهدها وحاول يبغي العز كل مقلقل

فقال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:

لقد كان ذا جدّ[1] وجد بكفره فقيد[2] إلينا في المجامع يعتل[3]

فقلدته بالسيف[4] ضربة محفظ[5] فصار إلىٰ قعر الجحيم يكبل[6]

الحاشية بعد هذا الهامش]

١ ـ الجِدّ ـ بالكسر ـ: الاجتهاد، وبالفتح: الحظّ والرزق والعظمة، ويقال للبخت أيضاً. [لسان العرب، ج ٣، ص ١٠٧، مادة «جدد»]

٢ ـ وقيدَ: بمعنى قُيّد.

٣ ـ عتله يعتله: جرّهُ عنيفاً. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤١٩، مادة «عتل»]

٤ ـ فقلّدته بالسيف: أي جعلت السيف في موضع قلادته، يعني عنقه، أو قلّدته الضربة فجعلتها في موضع قلادته. [مفردات ألفاظ القرآن، ص ٦٨٢، مادة «قلد»]

٥ ـ المُحفظ: المغضب. [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣٩٥]

٦ ـ وكبلت الأسير وكبّلته: أي قيّدته، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ١٨٠٨، مادة

فذاك مآب الكافرين ومن يكن مطيعاً لأمر الله في الخلد ينزل

واصطفىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله من نسائهم عمرة بنت خنافة وقتل من نسائهم امرأة واحدة كانت أرسلت عليه صلى الله عليه وآله حجراً ـ وقد جاء النبي صلى الله عليه وآله باليهود يناظرهم قبل مباينتهم له ـ فسلمه الله تعالىٰ من ذلك الحجر.

وكان الظفر ببني قريظة وفتح الله علىٰ النبي صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين عليه السلام، وما كان من قتله من قتل منهم وما ألقاه الله عزّوجلّ في قلوبهم من الرعب منه، وماثلت هذه الفضيلة ما تقدمها من فضائله وشابهت هذه المنقبة ما سلف ذكره من مناقبه.

فصل

وقد كان من أمير المؤمنين عليه السلام في غزوة وادي الرمل، ويقال: إنها كانت تسمىٰ بغزوة السلسلة[1]، ما حفظه العلماء ودونه الفقهاء ونقلة أصحاب الآثار ورواه نقلة الأخبار مما ينضاف إلىٰ مناقبه عليه السلام في الغزوات، ويماثل فضائله في الجهاد وما توحد به في معناه من كافة العباد.

وذلك أن أصحاب السير ذكروا أن النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم جالساً إذ جاءه أعرابي فجثا بين يديه ثمّ قال: إني جئتك لأنصحك قال: وما نصيحتك؟ قال: قوم

«كبل»]

١ ـ قد سقط من بعض النسخ هذا الفصل والفصل الذي يليه، ولأجل ذلك أعرضنا عن توضيحه في هذا المقام، وسنذكره فيما بعد من ذكر هذه الغزاة على ما هو ثابت في جميع النسخ، الخ.

من العرب قد عملوا علىٰ أن يبيتوك بالمدينة، ووصفهم له.

قال: فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أيها الناس إنّ هذا عدو الله وعدوكم قد أقبل إليكم يزعم أنه يثبتكم بالمدينة فمن للوادي؟

فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا له يا رسول الله، فناوله اللواء وضم إليه سبعمائة رجل وقال له: امض علىٰ اسم الله.

فمضىٰ فوافىٰ القوم ضحوة فقالوا له: من الرجل؟ قال: أنا رسول لرسول الله إما أن تقولوا: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ؛ أو لأضربنكم بالسيف؟ قالوا له: ارجع إلىٰ صاحبك فإنا في جمع لا تقوم له.

فرجع الرجل، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال النبي صلى الله عليه وآله: من للوادي؟ فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا له يا رسول الله.

قال: فدفع إليه الراية ومضىٰ، ثمّ عاد بمثل ما عاد به صاحبه الأول.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أين علي بن أبي طالب؟ فقام أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أنا ذا يا رسول الله، قال: امض إلىٰ الوادي، قال: نعم، وكانت له عصابة لا يتعصب بها حتىٰ يبعثه النبي صلى الله عليه وآله في وجه شديد.

فمضىٰ إلىٰ منزل فاطمة عليها السلام، فالتمس العصابة منها، فقالت: أين تريد أين بعثك أبي؟ قال: إلىٰ وادي الرمل، فبكت إشفاقاً عليه.

فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهي علىٰ تلك الحال فقال لها: ما لك تبكين؟ أتخافين أن يقتل بعلك؟ كلا، إن شاء الله تعالىٰ، فقال له علي عليه السلام: لا تنفس علي بالجنة يا رسول الله.

ثمّ خرج ومعه لواء النبي صلى الله عليه وآله فمضىٰ حتىٰ وافىٰ القوم بسحر، فأقام حتىٰ أصبح ثمّ صلىٰ بأصحابه الغداة وصفهم صفوفاً واتكأ علىٰ سيفه مقبلاً علىٰ العدو فقال لمهم: يا هؤلاء أنا رسول رسول الله إليكم أن تقولوا لا إله إلّا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإلّا ضربتكم بالسيف.

قالوا: ارجع كما رجع صاحباك.

قال: أنا أرجع؟! لا والله حتىٰ تسلموا أو أضربكم بسيفي هذا، أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب.

فاضطرب القوم لما عرفوه، ثمّ اجترؤوا علىٰ مواقعته، فواقعهم عليه السلام، فقتل منهم ستة أوسبعة وانهزم المشركون، وظفر المسلمون وحازوا الغنائم وتوجه إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله.

فروي عن أم سلمة ـ رحمة الله عليها ـ قالت: كان نبي الله صلى الله عليه وآله قائلاً في بيتي إذ انتبه فزعاً من منامه فقلت له: الله جارك، قال: صدقت، الله جاري، لكن هذا جبرئيل عليه السلام يخبرني: أن علياً قادم، ثمّ خرج إلىٰ الناس فأمرهم أن يستقبلوا علياً عليه السلام، فقام المسلمون له صفين مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلما بصر بالنبي صلى الله عليه وآله ترجل عن فرسه وأهوىٰ إلىٰ قدميه يقبلهما فقال له عليه السلام: اركب فإن الله تعالىٰ ورسوله عنك راضيان، فبكىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً وانصرف إلىٰ منزله وتسلم المسلمون الغنائم.

فقال النبي صلى الله عليه وآله لبعض من كان معه في الجيش: كيف رأيتم أميركم؟ قالوا: لم ننكر منه شيئاً، إلّا أنه لم يؤم بنا في صلاة إلّا قرأ بنا فيها بقل هو الله أحد، فقال النبي صلى الله عليه وآله: سأسأله عن ذلك.

فلما جاءه قال له: لِمَ لَمْ تقرأ بهم في فرائضك إلّا بسورة الإخلاص؟ فقال: يا رسول الله أحببتها؛ قال له النبي عليه السلام: فإنّ الله قد أحبك كما أحببتها.

ثمّ قال له: يا علي لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف، ما قالت النصارىٰ في عيسىٰ ابن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملإ منهم إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك.

فصل

فكان الفتح في هذه الغزاة لأمير المؤمنين عليه السلام خاصة، بعد أن كان من غيره فيها من الإفساد ما كان، واختص علي عليه السلام من مديح النبي صلى الله عليه وآله بها بفضائل لم يحصل منها شيء لغيره.

وقد ذكر كثير من أصحاب السيرة أن في هذه الغزاة نزل علىٰ النبي صلى الله عليه وآله: ﴿والعاديات ضبحاً...﴾ إلىٰ آخرها، فتضمنت ذكر الحال فيما فعله أمير المؤمنين عليه السلام فيها.

فصل

ثم كان من بلائه عليه السلام ببني المصطلق ما اشتهر عند العلماء وكان الفتح له في هذه الغزاة بعد أن أصيب يومئذ ناس من بني عبد المطلب، فقتل أمير المؤمنين عليه السلام رجلين من القوم وهما مالك وابنه؛ وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله منهم سبياً كثيراً فقسمه في المسلمين.

وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار؛ وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق: يا منصور أمت، وكان الذي سبىٰ جويرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه‌السلام فجاء بها إلىٰ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله فاصطفاها النبي عليه‌السلام.

فجاء أبوها إلىٰ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله بعد إسلام بقية القوم، فقال: يا رسول الله إنّ ابنتي لا تسبىٰ، إنها امرأة كريمة؛ قال: اذهب فخيرها؛ قال: أحسنت وأجملت.

وجاء إليها أبوها فقال لها: يا بنية لا تفضحي قومك، فقالت له: قد اخترت الله ورسوله.

فقال لها أبوها: فعل الله بك وفعل ؛ فأعتقها رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وجعلها في جملة أزواجه .

فصل

ثم تلا بني المصطلق الحديبية[١][٢] وكان اللواء يومئذ إلىٰ أمير

١ ـ مختصر خبر هذه الغزوة: أنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله خرج من المدينة في ذي القعدة سنة ستّ أو خمس في الهجرة يريد زيارة البيت ولا يريد حرباً، وساق معه الهدي سبعين بدنة، فلما علمت قريش مسير رسول الله أرسلت خالد بن الوليد في مائتي فارس ليردّه عن مكة ويمنعه منها، فجاء رسول الله حتى نزل الحديبية وهي اسم بئر قريبة من مكة، فعندها بايع المسلمون بيعة الحديبية تحت الشجرة المعروفة، وهي شجرة السمرة، وتسمى بيعة الرضوان، لقوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾، وكانوا ألفاً وأربعمائة بايعوا على الموت، وسار خالد حتى وافاهم في ذلك المكان، فلمّا التقت الفئتان تناوشوا

المؤمنين عليه السلام كما كان إليه في المشاهد قبلها، وكان من بلائه في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب للقتال ما ظهر خبره واستفاض ذكره.

وذلك بعد البيعة التي أخذها النبي صلى الله عليه وآله علىٰ أصحابه والعهود عليهم في الصبر، وكان أمير المؤمنين عليه السلام المبايع للنساء عن النبي عليه السلام وكانت بيعته لهن يومئذ أن طرح ثوباً بينه وبينهن ثمّ مسحه بيده فكانت مبايعتهن للنبي صلى الله عليه وآله بمسح الثوب، ورسول الله صلى الله عليه وآله يمسح ثوب علي بن أبي طالب عليه السلام مما يليه.

ولما رأىٰ سهيل بن عمرو توجه الأمر عليهم، ضرع إلىٰ النبي عليه السلام في الصلح ونزل عليه الوحي بالإجابة إلىٰ ذلك وأن يجعل أمير المؤمنين عليه السلام كاتبه يومئذ والمتولي لعقد الصلح بخطه.

فقال له النبي عليه السلام: اكتب يا علي: (بسم الله الرحمن الرحيم).

فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك يا محمد فافتتحه بما نعرفه واكتب باسمك اللهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: إمح ما كتبت واكتب باسمك

قليلاً ثم جمع الله تعالى أمرهم على الهُدنة وهي الصلح، فاصطلحوا على أمور منها: أن يرجع رسول الله صلى الله عليه وآله هذه السنة ثم يأتي الحجّ في العام القابل، فعند ذلك اشتد رجلٌ من المهاجرين كلّ الاشتداد وقال: لو وجدت أربعين رجلاً لخالفته يعني رسول الله، وقيل: إنّه إنما خالف هذه المخالفة في الرأي قبل الصلح، والخبر معروف. فلما صدّ العدو رسول الله من الحجّ رجع إلى المدينة ففتح الله له خيبر وأعطاهم مغانم كثيرة يأخذونها ـ أي المسلمون ـ من حصون خيبر. والقصّة مشهورة ذكرنا منها موضع الحاجة مما يرتبط بالمتن كل الارتباط. [انظر: غزوات الرسول وسراياه لابن سعد، ص ٩٥]

٢ ـ الحديبية بضمّ الحاء مخفّفاً، وقد يشدّد. [معجم البلدان للحموي، ج ٢، ص ٢٢٩]

اللهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت بسم الله الرحمن الرحيم، ثمّ محاها وكتب باسمك اللهم.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله اكتب: «هذا ما قاضىٰ عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو».

فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب الذي بيننا إلىٰ هذا، لأقررت لك بالنبوة! فسواء شهدت علىٰ نفسي بالرضا بذلك أو أطلقته من لساني؛ امح هذا الاسم واكتب: «هذا ما قاضىٰ عليه محمد بن عبد الله(١)».

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنه والله لرسول الله علىٰ رغم أنفك.

فقال سهيل: اكتب اسمه يمضي الشرط.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك يا سهيل كف عن عنادك.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: امحها يا علي.

فقال: يا رسول الله إنّ يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة، قال له: فضع يدي عليها، فمحاها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: ستدعىٰ إلىٰ مثلها فتجيب وأنت علىٰ مضض(٢)، ثمّ تمم أمير المؤمنين عليه السلام الكتاب.

---

١ ـ في صلح الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد، هو فاعل من القضاء بمعنى الفصل والحكم؛ لأنه كان بينه وبين أهل مكة، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٧٨، مادة «قضا»]

٢ ـ المَضَضُ ـ محرّكة ـ: وجع المصيبة، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١١٠٦، مادة «مضض»]

ولما تم الصلح نحر رسول الله صلى الله عليه وآله هديه[١] في مكانه.

فكان نظام تدبير هذه الغزاة معلقاً بأمير المؤمنين عليه السلام، وكان ما جرىٰ فيها من البيعة وصف الناس للحرب ثمّ الهدنة والكتاب كله لأمير المؤمنين عليه السلام، وكان فيما هيأه الله تعالىٰ له من ذلك حقن الدماء[٢] وصلاح أمر الإسلام.

وقد روىٰ الناس له عليه السلام في هذه الغزاة ـ بعد الذي ذكرناه ـ فضيلتين اختص بهما وانضافا إلىٰ فضائله العظام ومناقبه الجسام.

فروىٰ إبراهيم بن عمر، عن رجاله، عن فائد مولىٰ عبد الله بن سالم قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية نزل الجحفة[٣] فلم يجد بها ماء فبعث سعد بن مالك بالروايا حتىٰ إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا[٤] فقال: يا رسول الله ما أستطيع أن أمضي لقد وقفت قدماي رعباً من القوم، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: اجلس.

ثمّ بعث رجلاً آخر؛ فخرج بالروايا حتىٰ إذا كان بالمكان الذي انتهىٰ إليه الأول رجع فقال له النبي صلى الله عليه وآله: لم رجعت؟ فقال: والذي بعثك بالحق ما استطعت

---

١ ـ الهدي ـ بالتشديد والتخفيف ـ: ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام لينحر، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٥٤، مادة «هدا»]

٢ ـ يقال: حقنت له دمه: إذا منعت من قتله وإراقة دمه، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٤١٦، مادة «حقن»]

٣ ـ جُحفة: موضع بين مكّة والمدينة، وهي ميقات أهل الشام، وكان اسمها مهيعة فأجحف السيل بأهلها، أي ذهب بهم، فسمّيت جحفة، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٤، ص ١٣٣٥، مادة «جحف»]

٤ ـ الراوية: البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه، والجمع الروايا، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٣٦٤، مادة «روى»]

أن أمضي رعباً.

فدعا رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما فأرسله بالروايا وخرج السقاة[١] وهم لا يشكون في رجوعه لِما رأوا من رجوع من تقدمه.

فخرج علي عليه السلام بالروايا حتىٰ ورد الحرار فاستقىٰ ثمّ أقبل بها إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله ولها زجل.

فكبر النبي صلى الله عليه وآله ودعا له بخير.

وفي هذه الغزاة أقبل سهيل بن عمرو إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمد إنّ أرقاءنا[٢] لحقوا بك فارددهم علينا[٣]، فغضب رسول الله عليه السلام حتىٰ تبين الغضب في وجهه ثمّ قال: لتنتهن يا معشر قريش أو ليبعثن الله إليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان يضرب رقابكم علىٰ الدين.

فقال بعض من حضر: يا رسول الله أبو بكر ذلك الرجل؟ قال: لا، قال: فعمر؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل[٤] في الحجرة؛ فتبادر الناس إلىٰ الحجرة ينظرون من الرجل فإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

---

١ ـ السقاة: جمع الساقي، جمع قياسي. [مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٢]

٢ ـ والأرقاء: جمع رقيق وهو العبد. [تاج العروس، ج ١٣، ص ١٧٢، مادة «رقق»]

٣ ـ وذلك لأنهم كانوا عاهدوا في الصلح أنه من أتى محمداً صلى الله عليه وآله بغير إذن وليّه رَدّه إليه. [انظر: تفسير القمي، ج ٢، ص ٣١٢، المكاتبة التي حدثت في صلح الحديبية]

٤ ـ خصف النعل: خرزها وضمّ بعضها إلى بعض. [تاج العروس، ج ١٢، ص ١٧١، مادة «خصف»]

وقد رویٰ هذا الحديث جماعة[١]، عن أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا فيه: إنّ علياً قص هذه القصة ثمّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

وكان الذي أصلحه أمير المؤمنين من نعل النبي صلى الله عليه وآله شسعها[٢]، فإنه كان انقطع فخصف موضعه وأصلحه.

وروىٰ إسماعيل بن علي العمي، عن نائل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: انقطع شسع نعل رسول الله صلى الله عليه وآله فدفعها إلىٰ علي عليه السلام يصلحها ثمّ مشىٰ في نعل واحدة غلوة[٣] أو نحوها وأقبل علىٰ أصحابه فقال: إنّ منكم من يقاتل علىٰ التأويل كما قاتل معي علىٰ التنزيل.

فقال أبو بكر: أنا ذاك يا رسول الله؟ قال: لا، فقال عمر: فأنا يا رسول الله؟

---

١ ـ قلت: إن كان المفيد رحمه الله قد ذكر هذا فقد أورد الترمذي في صحيحه ما يقاربه، وهو عن ربعي بن خرّاش، قال: حدثنا علي بن أبي طالب بالرحبة، قال: لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سُهيل بن عمرو وأناسٌ من رؤساء المشركين فقالوا: يا رسول الله، خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا ليس لهم فقهٌ في الدين، فقال رسول الله: لتنتهنّ يا معشر قريش أو ليبعثنّ الله عليكم مَن يضرب رقابكم على الدين قد امتحن الله قلبه للإيمان، قالوا: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله؟ قال: هو خاصف النعل، وكان أعطى علياً نعله يخصفها، قال: ثم التفت إلينا عليٌّ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، هذا حديث حسنٌ صحيح غريب، (كشف الغمة). [كشف الغمة، ج ١، ص ٢١١]

٢ ـ الشِّسع ـ بالكسر ـ: ما يدخل بين الإصبعين في النعل العربي ممتدّاً إلى الشراك، والجمع شُسُوع، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٥٣، مادة «شسع»]

٣ ـ الغلوة: مقدار رمية سهم. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٣١٩، مادة «غلا»]

قال: لا، فأمسك القوم ونظر بعضهم إلىٰ بعض فقال رسول الله ﷺ: لكنه خاصف النعل ـ وأومأ إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام ـ وإنه المقاتل علىٰ التأويل إذا تركت سنتي ونبذت، وحرف كتاب الله، وتكلم في الدين من ليس له ذلك فيقاتلهم علي عليه السلام علىٰ إحياء دين الله تعالىٰ.

فصل

ثم تلت الحديبية خيبر وكان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السلام بلا ارتياب وظهر من فضله في هذه الغزاة ما اجتمع علىٰ نقله الرواة وتفرد فيها من المناقب بما لم يشركه فيه أحد من الناس.

فروىٰ محمد بن يحيىٰ الأزدي، عن مسعدة بن اليسع وعبيد الله بن عبد الرحيم، عن عبد الملك بن هشام ومحمد بن إسحاق وغيرهم من أصحاب الآثار قالوا: لما دنا رسول الله ﷺ من خيبر قال للناس: قفوا، فوقف الناس فرفع يديه إلىٰ السماء وقال: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أظللن، أسألك خير هذه القرية وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها. ثم نزل تحت شجرة في المكان فأقام وأقمنا بقية يومنا ومن غده.

فلما كان نصف النهار نادانا منادي رسول الله ﷺ فاجتمعنا إليه فإذا عنده رجل جالس فقال: إن هذا جاءني وأنا نائم فسل سيفي وقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم! قلت: الله يمنعني منك فشام السيف[1] وهو جالس كما ترون لا حراك

---

١ ـ شام السيف يشمه: غَمَدهُ. [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ١٩٦٣، مادة «شيم»]

به فقلنا: يا رسول الله لعل في عقله شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم دعوه، ثمّ صرفه ولم يعاقبه.

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وآله خيبر بضعاً وعشرين ليلة؛ وكانت الراية يومئذ لأمير المؤمنين عليه السلام فلحقه رمد[١] أعجزه عن الحرب، وكان المسلمون يناوشون[٢] اليهود من بين أيدي حصونهم وجنباتها.

فلما كان ذات يوم فتحوا الباب وقد كانوا خندقوا علىٰ أنفسهم وخرج مرحب برجله يتعرض للحرب، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر فقال له: خذ الراية فأخذها في جمع من المهاجرين فاجتهد ولم يغن شيئاً، فعاد يؤنب[٣] القوم الذين اتبعوه ويؤنبونه.

فلما كان من الغد تعرض لها عمر فسار بها غير بعيد ثمّ رجع يجبن أصحابه ويجبنونه.

فقال النبي صلى الله عليه وآله ليست هذه الراية لمن حملها، جيئوني بعلي بن أبي طالب.

فقيل له: إنه أرمد.

فقال: أرونيه تروني رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها بحقها ليس بفرار.

فجاؤوا بعلي عليه السلام يقودونه إليه فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما تشتكي يا علي؟

---

١ ـ الرَّمَد: هيجان العين ووجعه، يقال: أرمَد عينه ورَمَد. [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٤٧٨، مادة «رمد»]

٢ ـ المناوشة: المناولة في الحرب، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٢٩١]

٣ ـ أنبته تأنيباً: لامَه وبكّته، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ١، ص ٣٧]

قال: رمد ما أبصر معه وصداع برأسي.

فقال له: اجلس وضع رأسك علىٰ فخذي ففعل علي عليه السلام ذلك فدعا له النبي صلى الله عليه وآله وتفل[١] في يده فمسحها علىٰ عينيه ورأسه فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع وقال في دعائه له: اللهم قه الحر والبرد، وأعطاه الراية وكانت راية بيضاء وقال له: خذ الراية وامض بها فجبرئيل معك والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم.

واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم أن الذي يدمر عليهم اسمه آليا فإذا لقيتهم فقل: أنا علي فإنهم يخذلون إن شاء الله تعالىٰ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فمضيت بها حتىٰ أتيت الحصن، فخرج مرحب وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة علىٰ رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح[٢] بطل[٣] مجرّب[٤]

فقلت:

---

١ ـ تفل يتفِل ويتفُل: بصق، والتُّفل والتُّفال: البُصاق، يعني لعاب الفم، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٤٠]

٢ ـ رجل شاكي السلاح: ذا شوكة وحدّ في سلاحه، قال الأخفش: وهو مقلوب من شائك، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٣٩٥، مادة «شكا»]

٣ ـ البطل: الشجاع. [تاج العروس، ج ١٤، ص ٥٦، مادة «بطل»]

٤ ـ المجرّب ـ بصيغة اسم المفعول ـ: الذي قد جرّبته الأمور وأحكمته، فإن كسرتَ الراء جعلته اسم فاعل، إلّا أنّ العرب ما تكلّمت به بالكسر، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٩٨، مادة «جرب»]

أنـا الذي سـمتني أمـي حـيدرة[١] ليث[٢] لغابات[٣] شديد قسـورة[٤]

أكيلكم بالسيف كيل السندرة[٥]

فاختلفنا ضربتين فبدرته فضربته فقددت[٦] الحجر والمغفر ورأسه حـتىٰ وقع السيف في أضراسه[٧] فخر صريعاً.

---

١ ـ حيدرة: اسم من أسماء الأسد، سمّي به عليّ عليه السلام، قال في حياة الحيوان: واختلف في وجه تسميته بحيدرة على أقوال، قيل: إنه اسمه في الكتب المتقدمة، وقيل: إنّ أمه فاطمة سمّته بهذا الاسم حين ولدته، وكان أبوه غائباً فسمّته باسم أبيها أسد، فقدم أبوه فسّماه علياً، وقيل: إنّه كان يلقّب به في صغره؛ لأنّ حيدرة هو الممتلىء لحماً والعظيم البطن، وعلي كـان كـذلك، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٦١، مادة «حدر»]

٢ ـ الليث: الأسد، وهو أحد أساميه. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٦٤، مادة «ليث»]

٣ ـ الغابة: الأجمة ذات الشجر المتكاثف؛ لأنها تغيب ما فيها، وجمعها غـابات، ومـنه حـديث عليّ عليه السلام: كليث غابات شديدالقسورة(*)، أضافه إلى الغابات لقوّته وشدّته وأنـه يـحمي غابات شتّى. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٩٩، مادة «غيب»]

[(*) كما هو موجود في حاشية المخطوطة، وفي نفس المخطوطة هكذا: كليث غابات شـديدٍ قسورة. وما أثبتناه في المتن أعلاه هكذا: «ليث لغابات شديد قسورة»، حسب طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام]

٤ ـ القسورة: العزيز الغالب والرجل القوي، ومن أسامي الأسد، (شرح قاموس). [تاج العروس، ج ٧، ص ٣٨٨ و ٣٩٠، مادة «قسر»]

٥ ـ في حديث عليّ عليه السلام: *أكيلكم بالسيف كيل السندرة، أي: أقتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً. السندرة:* مكيال واسع، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٤٠٨، مادة «سندر»]

٦ ـ القدّ: القطع طولاً كالشقّ، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢١، مـادة «قدد»]

٧ ـ الأضراس: الأسنان. [لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٢٠، مادة «سنن»]

وجاء في الحديث: أن أمير المؤمنين عليه السلام لما قال: أنا علي بن أبي طالب، قال حبر من أحبار القوم: غلبتم وما أنزل علىٰ موسىٰ، فدخل قلوبهم من الرعب ما لم يمكنهم معه الاستيطان به.

ولما قتل أمير المؤمنين عليه السلام مرحباً رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه فصار أمير المؤمنين عليه السلام إليه فعالجه[١] حتىٰ فتحه وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا معه فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام باب الحصن فجعله علىٰ الخندق جسراً لهم حتىٰ عبروا فظفروا بالحصن ونالوا الغنائم.

فلما انصرفوا من الحصون أخذه أمير المؤمنين بيمناه فدحا به أذرعاً[٢] من الأرض وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً منهم.

ولما فتح أمير المؤمنين عليه السلام الحصن وقتل مرحباً وأغنم الله المسلمين أموالهم استأذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول[٣] شعراً[٤]، فقال له: قل، فأنشأ يقول:

وكان علي أرمد العين يبتغي — دواء فلما لم يحس مداويا

شفاه رسول الله منه بتفلة — فبورك مرقياً وبورك راقيا

وقال سأعطي الراية اليوم صارماً — كمياً محباً للرسول مواليا

---

١ ـ قوله: فعالجه، أي زاوله حتى أزاله من مكانه ففتحه. [لسان العرب، ج ٢، ص ٣٢٧، مادة «علج»]

٢ ـ الدحوُ: الرمي بقهر، ومنه الحديث: أخذه ثم دَحا به، (مجمع البحرين). [مجمع البحرين، ج ١، ص ١٣٤، مادة «دحا»]

٣ ـ [في المخطوطة إضافة: فيه.]

٤ ـ والأشعار واضحة، وقد سبق ذكرها فيما قبل.

يــــحب إلهـــي والإله يــحبه   بـه يـفتح الله الحـصون الأوابـيا

فــأصفىٰ بـها دون البـرية كـلها   علياً وسـماه الوزيـر المـؤاخـيا

وقد روىٰ أصحاب الآثار عن الحسن بن صالح، عن الأعمش، عـن أبـي إسحاق، عن أبي عبد الله الجدلي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لما عالجت باب خيبر جعلته مجنّاً[١] لي وقاتلت القوم فلما أخزاهم الله وضعت الباب علىٰ حصنهم طريقاً؛ ثمّ رميت به في خندقهم؛ فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً! فقال: ما كان إلّا مثل جنّتي[٢] التي في يدي في غير ذلك المقام.

وذكر أصحاب السيرة: أن المسلمين لما انصرفوا من خيبر راموا[٣] حمل الباب فلم يقلّه[٤] منهم إلّا سبعون رجلاً.

وفي حمل أمير المؤمنين عليه السلام الباب يقول الشاعر:

إن امـرءً حـمل الرتـاج[٥] بـخيبر   يـــوم اليـــهود بـــقدرة لمـــؤيد

حمل الرتاج رتاج باب قموصها[٦]   والمسلمون وأهـل خـيبر شـهّد[٧]

---

١ ـ المجنّ ـ بكسر الميم ـ: الترس. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢٣٠، مادة «جنن»]

٢ ـ والجُنّة: ما يستتر به، والمراد به الترس أيضاً. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢٢٩، مادة «جنن»]

٣ ـ راموا: قصدوا. [انظر: مجمع البحرين، ج ٦، ص ٧٦، مادة «روم»]

٤ ـ أقلّه من الأرض: رفعه. [انظر: لسان العرب، ج ١١، ص ٥٦٥، مادة «قلل»]

٥ ـ الرتاج ـ ككتاب ـ: الباب العظيم. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٠٢، مادة «رتج»]

٦ ـ القموص: جبل بخيبر عليه حصن أبي الحقيق اليهودي، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣١٥]

٧ ـ [في المخطوطة: حُشّد بدل شهّد]. قوم حُشّد ـ بتشديد الشين المعجمة ـ: أي مجتمعون على التعاون. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٣٨٨، مادة «حشد»]

فرمىٰ به ولقد تكلف رده[١] سبعون شخصاً كلهم متشدد
ردوه بعد مشقة وتكلف ومقال بعضهم لبعض اردوا

وفيه أيضاً قال شاعر من شعراء الشيعة يمدح أمير المؤمنين عليه السلام ويهجوا أعداءه علىٰ ماروواه أبو محمد الحسن بن جمهور قال: قرأت علىٰ أبي عثمان المازني:

بعث النبي براية منصورة
عمر[٢] بن حنتمة[٣] الدلام الأدلما[٤]

١ ـ قوله: ولقد تكلّف ردّه: أي ردّه بكلفة ومشقّة. [انظر: مجمع البحرين، ج ٥، ص ١١٥، مادة «كلف»]

٢ ـ أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لوي القرشي ثم العدوي، وأمّ عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة أخت أبي جهل بن هشام، وقيل: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بنت عمّ أبي جهل، [تاريخ الأمم والملوك للطبري، ج ٣، ص ٢٦٧]. والقول الأول قول أبي نعيم وابن إسحاق، وابن قتيبة، [معرفة الصحابة لأبي نعيم، ج ١، ص ٣٨، ح ١٣٠ عن ابن إسحاق ؛ الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج ٢، ص ٥٣٩]. هذا ما ذكره الناس في نسب الرجل، وقد ورد في أخبارنا ما ورد في النسب قول الشاعر:

برح الخفاء فبحت بالكتمان وشكوت ما ألقى إلى الإخوان
لو كان ما بي هيّناً لكتمته لكنّ ما بي جلّ عن كتمان

٣ ـ والحنتمة ـ لُغةً ـ: شجرة الحنظل والجرّة الخضراء. [المحيط في اللغة، ج ٣، ص ٢٨٦]

٤ ـ والأدلم من الرجال والحمير: الأسود، (صحاح). وكذلك الدلام. [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ١٩٢٠، مادة «دلم»]

فمضىٰ بها حتىٰ إذا برزوا له
دون القموص تنىٰ[١] وهاب[٢] وأحجما[٣]

فأتىٰ النبي براية مردودة
إلاّ تخوف عارها فتذمما

فبكىٰ[٤] النبي لها وأنبه بها
ودعا امرأ حسن البصيرة مقدما

فغدا بها في فيلق ودعا له
ألا يصد بها وألاّ يهزما

فزوىٰ[٥] اليهود إلىٰ القموص وقدكسا
كبش الكتيبة[٦] ذا غرار[٧] مخذما[٨]

---

١ ـ تنى الرجل: إذا رجع إلى مكانه. [انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٧٥، مادة «عقب»]

٢ ـ وهاب: بمعنى خاف. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٨٥، مادة «هيب»]

٣ ـ وأحجم عنه: نكص هيبةً. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٩٣]

٤ ـ [في المخطوطة: «فكبى» بدل «فبكى»]. قوله: فكبى النبيّ: أي غضب وكره من قولهم: كبا وجهه أي ربا وانتفخ من الغيظ، والمعنى مستخرج من النهاية. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ١٤٧، مادة «كبا»]

٥ ـ وزويت الشيء: جمعته وقبضته، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٣٦٩، مادة «زوا»]

٦ ـ كبش الكتيبة: سيّدهم وشجاعهم، يريد به مرحباً. [المحيط في اللغة، ج ٦، ص ١٦٧، مادة «كبش»]

٧ ـ والغَرور: حدّ السيف. [مفردات ألفاظ القرآن، ص ٦٠٣، مادة «غرر»]

٨ ـ الخذم: القطع، والمخذم: السيف، [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٥٥، مادة «خذم»]. يقول: جمع

وثنىٰ بناس بعدهم فقراهم[١] طلس الذباب[٢] وكل نسر[٣] قشعما[٤]

ساط[٥] الإله بحب آل محمد وبحب من والاهم مني الدما

فصل

ثم تلا غزاة خيبر مواقف لم تجر مجرىٰ ما تقدمها فنصمد لذكرها وأكثرها كان بعوثاً[٦] لم يشهدها رسول الله ﷺ ولا كان الاهتمام بها كالاهتمام بما سلف لضعف العدو وغناء بعض المسلمين عن غيرهم فيها، فأضربنا عن تعدادها وإن

اليهود إلى القموص وهي قلعة من قلاع خيبر وقد ألبس سيّدهم مرحباً ثوباً من السيف القاطع، وهو كناية عن قتله.

١ ـ قوله: وثنى بناس بعدهم فقراهم: يقال: قريت الضيف إذا أضفته. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٣٤٠، مادة «قرأ»]

٢ ـ والطلس: جمع أطلس، وهو من الذئاب ما في لونه غبرة إلى السواد. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٣٢، مادة «طلس»]

٣ ـ والنسر: طائر معروف يأكل الجيف، يقال له بالفارسية «كركس». [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٨٢٦، مادة «نسر»]

٤ ـ والقشعم: المسن منه، [لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٨٤، مادة «قشعم»]. والمعنى: أنه عليه السلام لمّا قتل مرحباً رجع إلى القوم فشدّ بهم شدّة بعد الشدة فقتلهم. وأضاف طلس الذئاب وكلّ نسر قشعم بلحومهم يأكلن منهم، فقوله «قراهم» من باب الحذف والإيصال.

٥ ـ ساط: بمعنى خلط. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٣٠٠، مادة «سوط»]

٦ ـ والبعوث: الجيوش المرسلة. [لسان العرب، ج ٢، ص ١١٦، مادة «بعث»]

كان لأمير المؤمنين عليه السلام في جميعها حظ وافر من قول أو عمل.

ثمّ كانت غزاة الفتح وهي التي توطد[١] أمر الإسلام بها وتمهد الدين بما من الله تعالىٰ علىٰ نبيه صلى الله عليه وآله فيها وقد كان الوعد تقدم في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً *...﴾[٢] وقوله عزوجل قبلها بمدة طويلة: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[٣].

فكانت الأعين إليها ممتدة والرقاب إليها متطاولة ودبر رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر فيها بكتمان مسيره إلىٰ مكة وستر عزيمته علىٰ مراده بأهلها وسأل الله ـ عز اسمه ـ أن يطوي[٤] خبره عن أهل مكة حتىٰ يبغتهم[٥] بدخولها فكان المؤتمن علىٰ هذا السر والمودع له من بين الجماعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فكان الشريك لرسول الله صلى الله عليه وآله في الرأي ثمّ نماه[٦] النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ جماعة من بعد، واستتب الأمر[٧] فيه علىٰ أحوال كان أمير المؤمنين عليه السلام في جميعها متفرداً

---

١ ـ وطّد الشيء: أثبته وثقّله فتوطّد، والمراد به التمكن والثبوت. [تاج العروس، ج ٥، ص ٣١٦، مادة «وطد»]

٢ ـ [سورة النصر، الآيتان ١ و ٢].

٣ ـ [سورة الفتح، الآية ٢٧].

٤ ـ طوى الحديث: كتمه، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٥٨]

٥ ـ بغته: أي فاجأه، ولقيه بغتةً أي فجأةً، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٤٣، مادة «بغت»]

٦ ـ نميتُ الحديث إلى فلان: إذا بلّغته على وجه الإصلاح، ونمّيته وأنميته: إذا بلّغته على وجه الإفساد والنميمة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ١٢١، مادة «نما»]

٧ ـ استتبّ الأمر: أي تهيّأ واستقام. [تاج العروس، ج ١، ص ٣١٨، مادة «تبب»]

من الفضل بما لم يشركه فيه غيره من الناس.

فمن ذلك أنه لما كتب حاطب بن أبي بلتعة ـ وكان من أهل مكة، وقد شهد بدراً مع رسول الله ـ كتاباً إلىٰ أهل مكة يطلعهم علىٰ سر رسول الله صلى الله عليه وآله في المسير إليهم.

فجاء الوحي إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بما صنع وبنفوذ كتاب حاطب إلىٰ القوم فتلافىٰ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولو لم يتلافه به لفسد التدبير الذي بتمامه كان نصر المسلمين.

وقد مضىٰ الخبر في هذه القصة فيما تقدم فلا حاجة بنا إلىٰ إعادته.

فصل

ولما دخل أبو سفيان المدينة[1] لتجديد العهد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين

---

١ ـ لمّا صالح رسول الله قريشاً عام الحديبية كان في أشراطهم: أنه من أحبّ أن يدخل في عهد رسول الله دخل فيه، فدخل خزاعة في عقد رسول الله، ودخلت بنو بكر في عقد قريش، وكان بين القبيلتين شرّ قديم، ووقعت فيما بعد بين بني بكر وخزاعة مقاتلة وأعانت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً، وكان ممن أعان بني بكر على خزاعة بنفسه عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، فركب عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم رسول الله وهو في المسجد بين القوم فقال:

لاهُمَّ إنّي ناشِدٌ مُحَمّدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا

إنّ قُرَيشاً أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وقتلونا رُكّعاً وسُجّدا

فقال رسول الله: حسبك يا عمرو، ثم قام فدخل منزله وقد عزم على نصر خزاعة، ثم جاء

قريش عندما كان من بني بكر في خزاعة وقتلهم من قتلوا منها، فقصد أبو سفيان ليتلافىٰ الفارط من القوم وقد خاف من نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله لهم وأشفق مما حل بهم يوم الفتح، فأتىٰ النبي صلى الله عليه وآله وكلمه في ذلك فلم يردد عليه جواباً.

فقام من عنده فلقيه أبو بكر فتشبث[١] به، وظن أنه يوصله إلىٰ بغيته[٢] من النبي صلى الله عليه وآله فسأله كلامه له فقال: ما أنا بفاعل، لعلم أبي بكر بأن سؤاله في ذلك لا يغني شيئاً.

فظن أبو سفيان بعمر بن خطاب ما ظنه بأبي بكر فكلمه في ذلك فدفعه بغلظة وفظاظة[٣] كادت أن تفسد الرأي علىٰ النبي صلى الله عليه وآله.

فعدل إلىٰ بيت أمير المؤمنين عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له وعنده فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال له: يا علي إنك أمس القوم بي رحماً[٤] وأقربهم مني قرابة وقد جئتك فلا أرجعن كما جئت خائباً، اشفع لي إلىٰ رسول الله فيما قصدته

بديل بن ورقاء الخزاعي في نفرٍ من خزاعة فأخبروه الخبر وما فعلته قريش بهم، ولأجل ذلك بعثت قريش أبا سفيان إلى النبي صلى الله عليه وآله لتأكيد عقد الحديبية وطلب الهُدنة، إلى آخر ما في المتن، (محصّل مجمع البيان). [مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٨٤٥، حديث فتح مكة]

١ ـ التشبّث: التعلّق. [لسان العرب، ج ٢، ص ١٥٨، مادة «شبث»]

٢ ـ البغية ـ بكسر الباء وضمّها ـ : الحاجة والمطلوب. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٥٦، مادة «بغا»]

٣ ـ الفظاظة: سوء الخلق، يقال: رجل فظّ غليظ إذا كان سيّىء الخلق قسيّ القلب. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٤٥٩، مادة «فظظ»]

٤ ـ قولهم: أنت أمسّ القوم بي رحماً: أي أقربهم. [تاج العروس، ج ١٦، ص ٢٧٥، مادة «رحم»]

فقال له: ويحك يا با سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت أبو سفيان إلىٰ فاطمة عليها السلام فقال لها: يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنيك أن يجيرا[١] بين الناس فيكونا سيدي العرب إلىٰ آخر الدهر فقالت: ما بلغ بنياي أن يجيرا بين الناس وما يجير أحد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله.

فتحير أبو سفيان وسقط في يده[٢] ثمّ أقبل علي أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا با الحسن أرىٰ الأمور قد التبست علي فانصح لي، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما أرىٰ شيئاً يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجِره بين الناس ثمّ الحق بأرضك قال: فترىٰ ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن ولكني لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبوسفيان في المسجد فقال: أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ثـمّ ركب بعيره وانطلق.

فلما قدم علىٰ قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد علي شيئاً ثمّ جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً ثمّ لقيت ابـن الخـطاب فوجدته فظاً غليظاً لا خير فيه، ثمّ أتيت علياً فوجدته ألين القوم لي وقد أشار علي بشيء فصنعته، والله ما أدري يغني عني شيئاً أم لا فقالوا: بما أمرك؟ قال: أمرني أن

---

١ ـ الإجارة: أن تعطي الرجل ذمّة يكون بها في أمانك، يقال: أجـاره يـجيره إجـارةً: إذا أمّـنه وأعطاه الأمان. [تاج العروس، ج ٦، ص ٢٢١، مادة «جور»]

٢ ـ سُقِطَ في يده: قال الفرّاء والزجّاج: يقال: سُقِطَ وأُسقِط في يده: أي ندم، قال الفرّاء: وسُقِطَ أجود وأكثر، وقال أبو الهيثم الزجّاجيّ: سُقِطَ في أيديهم: نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب ولم يوجد ذلك في أشعارهم؛ لأنّ فُعِل بصيغة المجهول لا يستعمل إلّا في فعل يتعدّى، فلا يقال: رُغِبتُ، ولا غُضِبتُ، وإنما يقال: رُغِبَ فيّ، وغُضِبَ عليَّ، فعلم اختصاص المورد بالاستعمال، والمعنى ندم، (مـختصر مـجمع الأمـثال). [مـجمع الأمـثال للـميدانـي، ج ١، ص ٣٤٤]

أجير بين الناس ففعلت فقالوا له: هل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا قالوا: ويلك والله ما زاد الرجل علىٰ أن لعب بك فما يغني عنك؟ قال أبو سفيان: لا والله ما وجدت غير ذلك.

وكان الذي فعله أمير المؤمنين عليه السلام بأبي سفيان من أصوب رأي لتمام أمر المسلمين وأصح تدبير وبه تم للنبي صلى الله عليه وآله في القوم ما تم.

ألا ترىٰ أنه عليه السلام صدق أبا سفيان عن الحال ثمّ لان له بعض اللين حتىٰ خرج عن المدينة وهو يظن أنه علىٰ شيء فانقطع بخروجه علىٰ تلك الحال مواد كيده التي كان يتشعّث[١] بها الأمر علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وذلك أنه لو خرج آيساً حسب ما أيأسه الرجلان لتجدد للقوم من الرأي في حربه عليه السلام والتحرز منه ما لم يخطر لهم ببال مع مجيء أبي سفيان إليهم بما جاء، أوكان يقيم بالمدينة علىٰ التمحّل[٢] لتمام مراده بالاستشفاع إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فيتجدد بذلك أمر يصدّ[٣] النبي صلى الله عليه وآله عن قصد قريش أو يثبطه[٤] عنهم تثبيطاً يفوته معه المراد فكان التوفيق من الله تعالىٰ مقارناً لرأي أمير المؤمنين عليه السلام فيما رآه من تدبير الأمر مع أبي سفيان حتىٰ انتظم بذلك للنبي صلى الله عليه وآله من فتح مكة ما أراد.

---

١ ـ تشعث الأمر: تفرّق وانتشر. [لسان العرب، ج ٢، ص ١٦٠، مادة «شعث»]

٢ ـ التمحّل: الاحتيال. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٧٣، مادة «محل»]

٣ ـ الصدّ: المنع. [تاج العروس، ج ٥، ص ٥٢، مادة «صدد»]

٤ ـ ثبّطه عن الأمر: عوّقه عنه وبطّأ به عنه، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣٥٢]

فصل

ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله سعد بن عبادة بدخول مكة بالراية غلظ على القوم وأظهر ما في نفسه من الحنق(١) عليهم ودخل وهو يقول:

اليوم يوم الملحمة(٢) اليوم تسبى(٣) الحرمة(٤)

فسمعها العباس رضي الله عنه فقال للنبي صلى الله عليه وآله: أما تسمع يا رسول الله ما يقول سعد بن عبادة؟ إني لا آمن أن يكون له في قريش صولة(٥) فقال النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: أدرك يا علي سعداً فخذ الراية منه وكن أنت الذي يدخل بها مكة، فأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فأخذها منه ولم يمتنع عليه سعد من دفعها إليه.

فكان تلافي الفارط من سعد في هذا الأمر بأمير المؤمنين عليه السلام ولم يرَ رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ الراية من سيد الأنصار سوى أمير المؤمنين عليه السلام، وعلم أنه لورام ذلك غيره لامتنع سعد عليه فكان في امتناعه فساد التدبير واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين، ولما لم يكن سعد يخفض جناحه(٦) لأحد من المسلمين وكافة الناس سوى النبي صلى الله عليه وآله

---

١ ـ الحنق: الغيظ. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ١٥٢، مادة «حنق»]

٢ ـ الملحمة: القتل والواقعة العظيمة. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٦٤١، مادة «لحم»]

٣ ـ سبيتُ العدو: أسرته. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٢١٣، مادة «سبا»]

٤ ـ حرمة الرجل: أهله ونساؤه. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٣٨، مادة «حرم»]

٥ ـ الصولة: القهر والاستطالة. [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٣٧٦، مادة «سطا»]

٦ ـ خفض له جناحه: تواضع، (أساس). [أساس البلاغة، ص ١٧٠، مادة «خفض»]

ولم يكن وجه الرأي تولي رسول الله عليه السلام أخذ الراية منه بنفسه ولىٰ ذلك من يقوم مقامه ولا يتميز عنه ولا يعظم أحد من المقرين بالملة عن الطاعة له ولا يراه دونه في الرتبة.

وفي هذا من الفضل الذي تخصص به أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يشركه فيه أحد ولا ساواه في نظير له مساو وكان علم الله تعالىٰ ورسوله عليه السلام في تمام المصلحة بإنفاذ أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ماكشف عن اصطفائه لجسيم الأمور كما كان علم الله تعالىٰ فيمن اختاره للنبوة وكمال المصلحة ببعثته كاشفاً عن كونهم أفضل الخلق أجمعين.

فصل

وكان عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ المسلمين عند توجهه إلىٰ مكة أن لا يقتلوا بها إلّا من قاتلهم وآمن من تعلق بأستار الكعبة سوىٰ نفر كانوا يؤذونه صلى الله عليه وآله، منهم مقيس بن سبابة وابن خطل عبد العزىٰ وابن أبي سرح وقينتان[1] كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وبمراثي أهل بدر، فقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إحدىٰ القينتين وأفلتت الأخرىٰ حتىٰ استومن لها بعد فضربها فرس بالأبطح في إمارة عمر بن الخطاب فقتلها، وقتل أمير المؤمنين عليه السلام الحويرث بن نقيذ بن كعب وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة.

وبلغه عليه السلام أن أخته أم هانىء قد آوت ناساً من بني مخزوم منهم الحارث بن

---

١ ـ القَيْنَة: الأمة، ويزعم بعض الناس أنها الأمة المغنيّة. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٣٠١، مادة «قين»]

هشام وقيس بن السائب، فقصد عليه‌السلام نحو دارها مقنعاً[١] بالحديد فنادىٰ: أخرجوا من آويتم.

قال: فجعلوا يذرقون[٢] ـ والله ـ كما تذرق الحبارىٰ[٣] خوفاً منه.

فخرجت أم هانيء وهي لا تعرفه فقالت: يا عبد الله أنا أم هانيء بنت عم رسول الله وأخت علي بن أبي طالب انصرف عن داري، فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام: أخرجوهم فقالت: والله لأشكونك إلىٰ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، فنزع المغفر عن رأسه فعرفته فجاءت تشتد حتىٰ التزمته[٤] وقالت: فديتك حلفت لأشكونك إلىٰ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال لها: اذهبي فبرّي[٥] قسمك فإنه بأعلىٰ الوادي.

قالت أم هانيء: فجئت إلىٰ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله وهو في قبة يغتسل وفاطمة عليها‌السلام تستره فلما سمع رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله كلامي قال: مرحباً بك يا أم هانيء، وأهلاً[٦]

---

١ ـ يقال: هو مقنّع بالسلاح: أي مُكَفَّر به داخل فيه، ورجل مقنّع: أي عليه بيضة. [أساس البلاغة، ص ٥٢٥، مادة «قنع» ؛ القاموس المحيط، ج ٣، ص ٧٦]

٢ ـ الذرق: السّلح والخرء. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ١٦٥، مادة «ذرق»]

٣ ـ والحُبارى ـ بضم الحاء المهملة وبفتح الباء ـ: طائر طويل العنق رماديّ اللون في منقاره طول قليل، يقال: ذَرَق الحبارى: إذا سلح، وذلك لأنّ الحبارى إذا وقع عليه الصقر يذرق، أي يدفع ما في جوفه من الخوف، فشبّه الخائف به، يقال: أسلحُ من الحُبارى في حالة الخوف ما سَلح من الدجاجة في حالة الأمن. [انظر: حياة الحيوان للدميري، ج ١، ص ٣٢١ ؛ تاج العروس، ج ٦، ص ٢٣١، مادة «حبر»]

٤ ـ التزمه: لازمه واعتنقه. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٤١، مادة «لزم»]

٥ ـ أبرّ اليمين: أمضاها على الصدق، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ١، ص ٣٧٠]

٦ ـ قوله: مرحباً وأهلاً: أي أتيت سِعةً وأتيت أهلاً، فاستأنس ولا تستوحش، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ١٣٤، مادة «رحب»]

قلت: بأبي أنت وأمي أشكو إليك ما لقيت من علي اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أجرت[١] من أجرت، فقالت فاطمة عليها السلام: إنما جئت يا أم هانيء تشتكين علياً في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد شكر الله لعلي سعيه وأجرت من أجارت أم هانيء لمكانها من علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد وجد فيه ثلاثمائة وستين صنماً بعضها مشدود ببعض بالرصاص فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: أعطني يا علي كفاً من الحصىٰ فقبض له أمير المؤمنين كفاً فناوله، فرماها به وهو يقول: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[٢]، فما بقي منها صنم إلّا خرّ لوجهه ثمّ أمر بها فأخرجت من المسجد فطرحت وكسرت.

فصل

وفيما ذكرناه من أعمال أمير المؤمنين عليه السلام في قتل من قتل من أعداء الله بمكة وإخافة من أخاف ومعونة رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ تطهير المسجد من الأصنام وشدة بأسه في الله وقطع الأرحام في طاعة الله أدل دليل علىٰ تخصصه من الفضل بما لم يكن لأحد منهم سهم فيه حسب ما قدمناه.

فصل

ثم اتصل بفتح مكة إنفاذ رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلىٰ بني جذيمة بن

---

١ ـ أجاره يجيره إجارةً: إذا أعطاه الأمان. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٣٣٢، مادة «حبل»]

٢ ـ [سورة الإسراء، الآية ٨١].

عامر وكانوا بالغميصاء[١]، يدعوهم إلىٰ الله عزّ وجلّ وإنما أنفذه إليهم للترة[٢] التي كانت بينه وبينهم.

وذلك أنهم كانوا أصابوا في الجاهلية نسوة من بني المغيرة وقتلوا الفاكه بن المغيرة عم خالد بن الوليد وقتلوا عوفاً أبا عبد الرحمن بن عوف، فأنفذه رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك وأنفذ معه عبد الرحمن بن عوف للترة أيضاً التي كانت بينه وبينهم، ولولا ذلك ما رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله خالداً أهلاً للإمارة علىٰ المسلمين فكان من أمره ما قدمنا ذكره وخالف فيه عهد الله وعهد رسوله وعمل فيه علىٰ سنة الجاهلية واطّرح حكم الإسلام وراء ظهره فبرأ رسول الله صلى الله عليه وآله من صنيعه وتلافىٰ فارطه بأمير المؤمنين عليه السلام، وقد شرحنا من ذلك في ما سلف ما يغني عن تكراره في هذا المكان.

فصل

ثم كانت غزاة حنين[٣] استظهر رسول الله صلى الله عليه وآله فيها بكثرة الجمع فخرج عليه السلام متوجهاً إلىٰ القوم في عشرة آلاف من المسلمين فظن أكثرهم أنهم لن يغلبوا لما شاهدوه من جمعهم وكثرة عدتهم وسلاحهم وأعجب أبا بكر الكثرة

---

١ ـ الغُميصاء: عين أوقع فيه خالد بن الوليد ببني جُذيمة، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣١٠]

٢ ـ التِّرة: تبعة المكروه من قتل وأسر ونهب. [شرح أصول الكافي للمازندراني، ج ١٢، ص ٣٢٥]

٣ ـ حُنين ـ كزُبير ـ: اسم موضع بين الطائف ومكّة، وفيها وقعت الوقعة. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢١٧]

يومئذ، فقال: لن نغلب اليوم من قلة، فكان الأمر في ذلك بخلاف ما ظنوه وعانهم أبو بكر[١] بعجبه بهم.

فلما التقوا مع المشركين لم يلبثوا حتىٰ انهزموا بأجمعهم فلم يبق منهم مع النبي صلى الله عليه وآله إلّا عشرة أنفس، تسعة من بني هاشم خاصة وعاشرهم أيمن ابن أم أيمن، فقتل أيمن رحمه الله وثبت تسعة النفر الهاشميون حتىٰ ثاب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله[٢] من كان انهزم فرجعوا أولاً فأولاً حتىٰ تلاحقوا وكانت الكرة لهم علىٰ المشركين.

وفي ذلك أنزل الله تعالىٰ وفي إعجاب أبي بكر بالكثرة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] يعني أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومن ثبت معه من بني هاشم يومئذ وهم ثمانية ـ أمير المؤمنين عليه السلام تاسعهم ـ: العباس بن عبد المطلب عن يمين رسول الله، والفضل بن العباس بن عبد المطلب عن يساره وأبوسفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند ثفر[٤] بغلته. وأمير المؤمنين عليه السلام بين يديه بالسيف. ونوفل بن الحارث وربيعة بن الحارث وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب حوله.

---

١ ـ عانه يعينه عيناً فهو عاين: إذا أصابه بالعين، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٣٢، مادة «عين»]

٢ ـ ثاب إليه: رَجَع. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٠، مادة «ثوب»]

٣ ـ [سورة التوبة، الآيتان ٢٥ و ٢٦].

٤ ـ الثَّفر ـ بالتحريك ـ: ما يجعل تحت ذنب الدابّة، والمراد به في الكلام عقب بغلته. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٣٧، مادة «ثفر»]

وقد ولت الكافة مدبرين سوىٰ من ذكرناه وفي ذلك يقول مالك بن عبادة الغافقي:

لم يـــواس النـــبي غـــير بـــني ... هاشم عند السيوف يـوم حـنين
هرب الناس غير تسعة رهـط[١] ... فـــهم يـــهتفون[٢] بـالناس أيـن
ثم قاموا مع النـبي عـلىٰ المـوت ... فآبوا[٣] زيـناً[٤] لنـا غـير شـين
وثوىٰ[٥] أيمن الأمين من القـوم ... شـــهيداً فـــاعتاض قـــرة عـين

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في هذا المقام:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فرّ من قد فر عنه فأقشعوا[٦]
وقولي إذا ما الفـضل شـد بسـيفه ... علىٰ القوم أخرىٰ يا بني ليرجعوا
وعاشرنا لاقىٰ الحـمام[٧] بـنفسه ... لمـــا نـــاله فـــي الله لا يـتوجع

---

١ ـ الرهط: ما دون العشرة من الرجال، ولا واحد له من لفظه. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٤٩، مادة «رهط»]

٢ ـ يهتف به: صاح. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ١٣٢، مادة «هتف»]

٣ ـ آب يأوب أوباً: رجع. [لسان العرب، ج ١، ص ٢١٧، مادة «أوب»]

٤ ـ الزين: خلاف الشين. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢٦٢، مادة «زين»]

٥ ـ وثوى بالمكان: أقام به، وثوى تثوية: مات، وثوي ـ كعُنِيَ ـ: قُبِر، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣١٠]

٦ ـ قشعت القوم فأقشعوا: أي فرّقهم فتفرّقوا، وذلك من النوادر كقولهم: كببته فأكبّ، وحجمته فأحجم. [تاج العروس، ج ١١، ص ٣٧٤، مادة «قشع»]

٧ ـ والحِمام ـ بالكسر ـ: قدر الموت. [لسان العرب، ج ١٢، ص ١٥١، مادة «حمم»]

يعني به أيمن ابن أم أيمن رحمه الله.

ولما رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمة القوم عنه قال للعباس رضي الله عنه ـ وكان رجلاً جهورياً[١] صيتاً ـ: ناد في القوم وذكرهم العهد فنادىٰ العباس بأعلىٰ صوته: يا أهل بيعة الشجرة يا أصحاب سورة البقرة إلىٰ أين تفرون؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، والقوم علىٰ وجوههم قد ولوا مدبرين وكانت ليلة ظلماء ورسول الله صلى الله عليه وآله في الوادي والمشركون قد خرجوا عليه من شعاب الوادي[٢] وجنباته ومضايقه مصلتين بسيوفهم وعمدهم وقسيهم.

قالوا: فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ الناس ببعض وجهه في الظلماء فأضاء كأنه القمر ليلة البدر[٣] ثمّ نادىٰ المسلمين: أين ما عاهدتم الله عليه؟ فأسمع أولهم وآخرهم فلم يسمعها رجل إلّا رمىٰ بنفسه إلىٰ الأرض فانحدروا إلىٰ حيث كانوا من الوادي حتىٰ لحقوا بالعدو فواقعوه.

قالوا: وأقبل رجل من هوازن علىٰ جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكب عليهم[٤] وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين فاتبعوه وهو يرتجز ويقول:

---

١ ـ رجل جهوري الصوت ـ كجعفري ـ: أي عالٍ منسوبٌ إلى قولهم: جهور بالحديث إذا أظهر، (محصّل نهاية وأساس). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٣٢١، مادة «جهر»؛ أساس البلاغة، ص ١٠٦، مادة «جهر»]

٢ ـ الشِّعب ـ بالكسر ـ: الطريق في الجبل، والجمع الشِّعاب، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ١٥٦، مادة «شعب»]

٣ ـ وليلة البدر: ليلة أربع عشرة. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢١٦، مادة «بدر»]

٤ ـ أكبّ عليه: أقبل ولزم. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٥١، مادة «كبب»]

أنـا أبـو جـرول لا بـراح[1] حـتىٰ نُـبيح[2] القـوم أو نُـباح

فصمد له أمير المؤمنين عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه، ثمّ ضربه فقطره[3] ثمّ قال:

قد علـم القـوم لدىٰ الصـباح[4] أنـي فـي الهـيجاء ذو نـصاح[5]

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول ـ لعنه الله ـ.

ثمّ التأم المسلمون وصفوا للعدو، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم إنك أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرها نوالاً، وتجالد المسلمون والمشركون فلما رآهم النبي عليه وآله السلام قام في ركابي سرجه حتىٰ أشرف علىٰ جماعتهم وقال: الآن حمي الوطيس[6]:

---

١ ـ البرح: مصدر قولك برح مكانه أي زال عنه، وقولهم: «لا براح» منصوب، كقولهم: لا ريب، ويجوز رفعه فيكون «لا» بمنزلة ليس، أي ليس لي بروحٌ. [لسان العرب، ج ٢، ص ٤٠٨، مادة «برح»]

٢ ـ أباحَهُ واستباحَهُ: أي استأصله. [تاج العروس، ج ٤، ص ١٧، مادة «بوح»]

٣ ـ ضربه فقطره: إذا ألقاه على الأرض. [فقه اللغة، ص ٢٢٨]

٤ ـ قوله: قد علم القوم لدى الصباح: أي وقت القتال، قيل: سمّي به لأنّ المقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال، فإذا جاء النهار عادوا، ويمكن أن يكون المراد من الصباح الغارة، وهو استعمال شائع. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٦، مادة «صبح» ؛ مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٨١، مادة «صبح»]

٥ ـ [في المخطوطة: إفصاح]. والإفصاح: الكشف والإظهار، يريد أنه قد علم القوم عند القتال أني فيه صاحب كشف في تراكم العذر، وصاحب إظهار لما في باطن الأمر. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٤٥٠، مادة «فصح»]

٦ ـ في حديث حُنين: الآن حمي الوطيس. الوطيس: شبه التنّور، وقيل: الوطيس الذي يَطِسُ

أنـــا النـــبي لا كــذب أنــا بــن عــبد المـطلب

فما كان بأسرع من أن ولىٰ القوم أدبارهم وجــيء بــالأسرىٰ إلىٰ رســول الله صلى الله عليه وآله مكتفين.

ولما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أبا جرول وخذل القوم لقتله وضع المسلمون سيوفهم فيهم وأمير المؤمنين عليه السلام يقدمهم حتىٰ قتل أربعين رجلاً من القـوم ثـمّ كانت الهزيمة والأسر حينئذ، وكان أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية فـي هـذه الغزاة فانهزم في جملة من انهزم من المسلمين.

فروي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: لقيت أبي منهزماً مع بني أبيه من أهل مكة فصحت به: يابن حرب والله ما صبرت مع ابن عمك ولا قاتلت عن دينك ولا كففت هؤلاء الأعراب عن حريمك فقال: من أنت؟ قلت: معاوية، قال: ابـن هند؟ قلت: نعم، قال: بأبي أنت وأمي، ثمّ وقف فاجتمع معه أناس من أهل مكـة وانضممت إليهم ثمّ حملنا علىٰ القوم فضعضعناهم ومـا زال المســلمون يـقتلون المشركين ويأسرون منهم حتىٰ ارتفع النهار فأمر رسـول الله صلى الله عليه وآله بـالكف عـنه ونادىٰ أن لا يقتل أسير من القوم.

وكانت هذيل بعثت رجلاً يقال له ابن الأكوع أيام الفتح عيناً علىٰ النبي عليه السلام حتىٰ علم علمه فجاء إلىٰ هذيل بخبره فأسر يوم حنين فمر به عمر بن الخـطاب

الناس أي يدقّهم، وقيل: هو الضرب في الحرب، وقال الأصـمعي: هـو حـجارة مـدوّرة إذا حميت لم يقدر أحدٌ أن يطأها، ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي صلى الله عليه وآله، وهو من فصيح الكلام عبّر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساقٍ. [النهاية في غريب الحـديث والأثـر، ج ٥، ص ٢٠٤، مادة «وطس»]

فلما رآه أقبل علىٰ رجل من الأنصار وقال: عدو الله الذي كان عينا علينا ها هو أسير فاقتله، فضرب الأنصاري عنقه وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فكرهه وقال: ألم آمركم أن لا تقتلوا أسيراً!

وقتل بعده جميل بن معمر بن زهير وهو أسير، فبعث النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ الأنصار وهو مغضب فقال: ما حملكم علىٰ قتله وقد جاءكم الرسول ألّا تقتلوا أسيراً؟ فقالوا: إنما قتلنا بقول عمر فأعرض رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ كلمه عمير بن وهب في الصفح عن ذلك.

وقسم رسول الله صلى الله عليه وآله غنائم حنين في قريش خاصة وأجزل القسم للمؤلفة قلوبهم كأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية والحارث بن هشام[١] وسهيل بن عمرو وزهير بن أبي أمية وعبد الله بن أبي أمية[٢] ومعاوية بن أبي سفيان وهشام بن المغيرة والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن في أمثالهم.

وقيل: إنه جعل للأنصار شيئاً يسيراً وأعطىٰ الجمهور لمن سميناه فغضب قوم من الأنصار لذلك وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم مقال أسخطه، فنادىٰ فيهم فاجتمعوا ثمّ قال لهم: اجلسوا ولا يقعد معكم أحد من غيركم، فلما قعدوا جاء النبي عليه السلام يتبعه أمير المؤمنين عليه السلام حتىٰ جلس وسطهم فقال لهم: إني سائلكم عن أمر فأجيبوني عنه، فقالوا: قل يا رسول الله، قال: ألستم كنتم ضالين فهداكم الله بي؟ فقالوا: بلىٰ، فللّه المنة ولرسوله، قال: ألم تكونوا علىٰ شفا حفرة[٣] من النار

---

١ ـ الحرث بن هشام هو أخ لأبي جهل عمرو بن هشام.

٢ ـ زهير وعبد الله ابنا أبي أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أخو أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، وأمهما عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله. [انظر: أنساب الأشراف للبلاذري، ج ١٠، ص ٢٠٠]

٣ ـ على شفا حفرة: أي على جانبها وطرفها. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٢٤٧، مادة «شفا»]

فأنقذكم الله بي؟ قالوا: بلىٰ فللّه المنة ولرسوله، قال: ألم تكونوا قليلاً فكثركم الله بي؟ قالوا: بلىٰ فلله المنة ولرسوله، قال: ألم تكونوا أعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلىٰ فلله المنة ولرسوله.

ثمّ سكت النبي صلى الله عليه وآله هنيهة[١] ثمّ قال: ألا تجيبوني بما عندكم؟ قالوا: بم نجيبك فداك آباؤنا وأمهاتنا، قد أجبناك بأن لك الفضل والمن والطول[٢] علينا قال: أما لو شئتم لقلتم وأنت قد كنت جئتنا طريداً فآويناك وجئتنا خائفاً فآمناك وجئتنا مكذباً فصدقناك.

فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقام شيوخهم وساداتهم إليه فقبلوا يديه ورجليه ثمّ قالوا: رضينا بالله وعنه وبرسوله وعنه وهذه أموالنا بين يديك فإن شئت فاقسمها علىٰ قومك وإنما قال من قال منا علىٰ غير وغر[٣] صدر وغلّ[٤] في قلب ولكنهم ظنوا اسخطاً عليهم وتقصيراً بهم وقد استغفروا الله من ذنوبهم فاستغفر لهم يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار؛ يا معشر الأنصار أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاة[٥] والنعم وترجعون أنتم وفي سهمكم رسول الله؟ قالوا: بلىٰ رضينا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: الأنصار كرشي[٦]

---

١ ـ سكت هُنيئة ـ بضم الهاء ـ: أي يسيراً، والصواب ترك الهمزة، (شرح قاموس). [تاج العروس، ج ١، ص ٢٨٩، مادة «هنأ»]

٢ ـ الطول ـ بفتح الطاء ـ: الفضل والقدرة، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٩]

٣ ـ الوغر ـ ويحرّك ـ: الحقد والضغن والتوقد من الغيظ. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٥١٢، مادة «وغر»]

٤ ـ الغِلّ ـ بالكسر ـ: الضغن. [لسان العرب، ج ١١، ص ٥٠١، مادة «غلل»]

٥ ـ [في المخطوطة: بالشاء]. الشاء: جمع شاة. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٨٤]

٦ ـ الكرش ـ بالكسر ككتف ـ لكل مُجترّ كالمعدة للإنسان، قال في النهاية فيه: الأنصار كَرِشي

وعيبتي لو سلك الناس وادياً[١] وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب[٢] الأنصار، اللهم اغفر للأنصار.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطىٰ العباس بن مرداس أربعاً من الإبل يومئذ فسخطها وأنشأ يقول:

أتجعل نهبي[٣] ونهب العبـ ـيد[٤] بين عيينة والأقرع

فما كان حصن ولا حابس يفوقان شيخي في المجمع

وعيبتي، أراد أنهم بطانته وموضع سرّه وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره، واستعار الكَرِش العيبة لذلك؛ لأنّ المُجترّ يجمع علفه في كَرِشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته، وقيل: أراد بالكَرِش الجماعة، أي جماعتي وصحابتي، يقال: عليه كَرِشٌ من الناس أي جماعة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ١٦٣، مادة «كرش»]

١ ـ الوادي: المفرج بين جبال أو تلال أو آكام. [لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٨٤، مادة «ودي»]

٢ ـ الشعب ـ بالكسر ـ الطريق في الجبل. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٩٠، مادة «شعب»]

٣ ـ النهب: المنهوب. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٧٨، مادة «نهب»]

٤ ـ والعُبيد ـ مصغّراً ـ: اسم فرس عباس، [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٧٠، مادة «عبد»].

والمراد بالشيخ أبوه، يقول: إنّ أباهما لم يكونا أكثر شرفاً ولا أرفع منزلة في الناس من أبي، ولستُ بأدنى وأدون منهما.

ووجدت في بعض الروايات:

يفوقان مرداس في مجمع(*)

[(*) كما ورد في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ٨، ص ١٨٠، وفيه: «المجمع»]

كان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى يومئذٍ لكل رجل من المؤلفة مائة إبل. [كتاب التفسير للعياشي، ج ٢، ص ٩٢، ح ٧٢]

وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فبلغ النبي صلى الله عليه وآله قوله فاستحضره وقال له: أنت القائل:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

فقال له أبو بكر: بأبي أنت وأمي لست بشاعر قال: وكيف؟ قال: قال: بين عيينة والأقرع فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: قم يا علي إليه واقطع لسانه.

قال: فقال العباس بن مرداس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشد علي من يوم خثعم، حين أتونا في ديارنا فأخذ بيدي علي بن أبي طالب عليه السلام فانطلق بي، ولو أرىٰ أن أحداً يخلصني منه لدعوته، فقلت: يا علي إنك لقاطع لساني؟ قال: إني لممض فيك ما أمرت.

قال: ثمّ مضىٰ بي فقلت: يا علي إنك لقاطع لساني؟ قال: إني لممض فيك ما أمرت.

قال: فما زال بي حتىٰ أدخلني الحظائر، فقال لي: اعتد ما بين أربع إلىٰ مائة.

قال: قلت: بأبي أنت وأمي ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم!

قال: فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين، فإن شئت فخذها، وإن شئت فخذ المائة وكن من أهل المائة.

قال: قلت أشر علي قال: فإني آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضىٰ؛ قلت: فإني أفعل.

فصل

ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وآله غنائم حنين أقبل رجل طوال آدم أجنأ[١] بين عينيه أثر السجود فسلم ولم يخص النبي صلى الله عليه وآله ثمّ قال: قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنائم قال: وكيف رأيت؟ قال: لم أرك عدلت فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ويلك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟

فقال المسلمون ألا نقتله؟ فقال: دعوه سيكون له أتباع يمرقون[٢] من الدين كما يمرق السهم من الرمية[٣] يقتلهم الله علىٰ يد أحب الخلق إليه من بعدي.

فقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيمن قتل يوم النهروان من

---

١ ـ [في المخطوطة: رجل طويل أدم أحنى]. الأدمة في الإنسان: السّمرة، [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٦، مادة «أدم»]. ورجل أحنى الظهر وهو منحنٍ، أي في ظهره احديدابٌ. [لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٩٦، مادة «حنأ»]

وهذا الرجل هو ذو الخويصرة حرقوس بن زهير التميمي، وكان من أصول الخوارج ورؤسائهم، ويعرف بذي الثدية، قتله علي عليه السلام يوم النهروان. [انظر: مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٣٥، مادة «مرق»]

٢ ـ المروق: التجاوز والخروج. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٣٥، مادة «مرق»]

٣ ـ والرمية ـ بالفتح ـ: فعيلة بمعنى مفعول، وهي الصيد المرمي في الحيوان ذكراً كان أو أنثى، والجمع رميات ورمايا كعطيّة وعطايا وعطيّات، وفي حديث الخوارج: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ومجيئها بالهاء لصيرورتها في عداد الأسماء، يريد أنّ دخولهم في الدين ثم خروجهم منه ولم يتمسّكوا بشيء منه كسهم دخل في صيد ثم خرج ولم يعلق به منه شيء من الدم والفرث لسرعة نفوذه، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ١، ص ١٩٥، مادة «رما»]

الخوارج.

فصل

فانظر الآن إلىٰ مناقب أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة وتأملها وفكر في معانيها تجده عليه السلام قد تولىٰ كل فضل كان فيها واختص من ذلك بما لم يشركه فيه أحد من الأمة.

وذلك أنه عليه السلام ثبت مع النبي صلى الله عليه وآله عند انهزام كافة الناس إلّا النفر الذين كان ثبوتهم بثبوته عليه السلام.

وذلك أنا قد أحطنا علماً بتقدمه عليه السلام في الشجاعة والبأس[1] والصبر والنجدة[2] علىٰ العباس والفضل ـ ابنه ـ وأبي سفيان بن الحارث والنفر الباقين لظهور أمره في المقامات التي لم يحضرها أحد منهم واشتهار خبره في منازلة[3] الأقران[4] وقتل الأبطال[5] ولم يعرف لأحد من هؤلاء مقام من مقاماته ولا قتيل عزي إليهم[6] بالذكر.

---

١ ـ البأس: الشدة في الحرب. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٥٠، مادة «بأس»]

٢ ـ النجدة: الشجاعة. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ١٤٩، مادة «نجد»]

٣ ـ المنازلة: مقارعة القرنين. [انظر: الوافي، ج ١٥، ص ١٠٨؛ لسان العرب، ج ١١، ص ٦٥٧، مادة «نزل»]

٤ ـ القرن: المثل في الحرب. [انظر: لسان العرب، ج ١٣، ص ٣٣٧، مادة «قرن»]

٥ ـ الأبطال: جمع بطل، وهو الشجاع. [المحيط في اللغة، ج ٩، ص ١٨٢، مادة «بطل»]

٦ ـ عزي إليه: نسب. [تاج العروس، ج ١٩، ٦٧٣، مادة «عزو»]

فعلم بذلك أن ثبوتهم كان به عليه السلام ولولاه كانت الجناية[1] علىٰ الدين لا تتلافىٰ وأن بمقامه ذلك المقام وصبره مع النبي عليه وآله السلام كان رجوع المسلمين إلىٰ الحرب وتشجعهم في لقاء العدو.

ثمّ كان من قتله أبا جرول متقدم المشركين ما كان هو السبب في هزيمة القوم وظفر المسلمين بهم، وكان من قتله عليه السلام الأربعين الذين تولىٰ قتلهم الوهن علىٰ المشركين وسبب خذلانهم وهلعهم[2] وظفر المسلمين بهم وكان من بلية المتقدم عليه في مقام الخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أن عان[3] المسلمين بإعجابه بالكثرة فكانت هزيمتهم بسبب ذلك أو كان أحد أسبابها.

ثمّ كان من صاحبه في قتل الأسرىٰ[4] من القوم وقد نهىٰ النبي عليه وآله السلام عن قتلهم ما ارتكب به عظيم الخلاف لله تعالىٰ ولرسوله حتىٰ أغضبه ذلك وآسفه[5] فأنكره وأكبره.

وكان من صلاح أمر الأنصار بمعونته للنبي صلى الله عليه وآله في جمعهم وخطابهم ما قوي به الدين وزال به الخوف من الفتنة التي أظلّت[6] القوم بسبب القسمة، فساهم رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل ذلك وشركه فيه دون من سواه، وتولىٰ من أمر العباس بن

---

١ ـ والجِنايَةُ: إيصالُ المَكْروه إلى غَيْرِ مُسْتَحِقّ. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٩١، مادة «جنا»]
٢ ـ الهلع: أشدّ الجزع. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٤١١، مادة «هلع»]
٣ ـ عانه: أصابَهُ بالعين. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٥٨، مادة «شيه»]
٤ ـ الأسرى: جمع الأسير. [لسان العرب، ج ٤، ص ١٩، مادة «أسر»]
٥ ـ آسفه: أغضبه. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٨٣، مادة «أسف»]
٦ ـ أظلّك الأمر: إذا دنا منك كأنّه ألقى ظلّه عليك. [لسان العرب، ج ١١، ص ٤١٩، مادة «ظلل»]

مرداس ما كان سبب استقرار الإيمان في قلبه وزوال الريب في الدين من نفسه والانقياد إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله والطاعة لأمره والرضا بحكمه.

ثمّ جعل رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم علىٰ المعترض في قضائه علماً علىٰ حق أمير المؤمنين عليه السلام في فعاله وصوابه في حروبه ونبه علىٰ وجوب طاعته وحظر[١] معصيته وأن الحق في حيّزه[٢] وجنبته وشهد له بأنه خير الخليقة.

وهذا يباين ما كان من خصومة الغاصبين لمقامه من الفعال ويضاد ما كانوا عليه من الأعمال ويخرجهم من الفضل إلىٰ النقص الذي يوبق صاحبه ـ أو يكاد ـ فضلاً عن سموه علىٰ أعمال المخلصين في تلك الغزاة وقربهم بالجهاد الذي تولوه فبانوا به ممن ذكرناه بالتقصير الذي وصفناه.

فصل

ولما فضّ[٣] الله تعالىٰ جمع المشركين بحنين تفرقوا فرقتين فأخذت الأعراب ومن تبعهم إلىٰ أوطاس[٤]، وأخذت ثقيف ومن تبعها إلىٰ الطائف، فبعث النبي صلى الله عليه وآله أبا عامر الأشعري[٥] إلىٰ أوطاس في جماعة منهم أبو موسىٰ الأشعري

---

١ ـ الحظر: المنع. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٧٣، مادة «حظر»]

٢ ـ الحيّز: الناحية، يقال: هذا في حيّزك، أي في ناحيتك. [المصباح المنير، ج ٢، ص ١٥٦، مادة «حوز»]

٣ ـ الفضّ: الكسر بالتفرقة. [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١٩٨، مادة «فضض»]

٤ ـ أوطاس ـ بفتح الهمزة وسكون الواو ـ: اسم واد في ديار هوازن. [تاج العروس، ج ٩، ص ٣٢، مادة «وطس»]

٥ ـ أبو عامر: اسمه عبيد بن سليم بن حضار الأشعري، عمّ أبي موسى. [الاستيعاب لابن عبد

وبعث أبا سفيان صخر بن حرب إلىٰ الطائف.

فأما أبو عامر فإنه تقدم بالراية وقاتل حتىٰ قتل فقال المسلمون لأبي موسىٰ: أنت ابن عم الأمير وقد قتل فخذ الراية حتىٰ نقاتل دونها، فأخذها أبو موسىٰ فقاتل المسلمون حتىٰ فتح الله عليهم.

وأما أبو سفيان فإنه لقيته ثقيف(١) فضربوه علىٰ وجهه فانهزم ورجع إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فقال: بعثتني مع قوم لا يرقع بهم الدلاء(٢) من هذيل والأعراب فما أغنوا عني شيئاً، فسكت النبي صلى الله عليه وآله عنه.

ثمّ سار بنفسه إلىٰ الطائف فحاصرهم أياماً وأنفذ أمير المؤمنين عليه السلام في خيل وأمره أن يطأ(٣) ما وجد ويكسر كل صنم وجده.

فخرج حتىٰ لقيته خيل خثعم في جمع كثير فبرز له رجل من القوم يقال له شهاب في غبش(٤) الصبح فقال: هل من مبارز؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: من له؟

البر، ج ٤، ص ١٧٠٤، تسلسل ٣٠٦٢]

١ ـ ثقيف ـ كأمير ـ: أبو قبيلة من هوازن واسمه قصيّ بن منبّه بن بكر بن هوازن. [الصحاح للجوهري، ج ٤، ص ١٣٣٤، مادة «ثقف»، وفيه: «قسي» بدل «قصي»]

اللهمّ وفّقني لإتمامه. [دعاء من صاحب الحاشية]

٢ ـ الدلاء: جمع دلو، [تاج العروس، ج ١، ص ٣٩١، مادة «حأب»]. ولا يرقع بهم الدلاء: عبارة عن عجزهم وخورهم.

٣ ـ الوطء في الأصل: الدوس بالقدم، فسمي به النزو والقتل؛ لأنّ من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في إهلاكه وإهانته، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٠٠، مادة «وطأ»]

٤ ـ الغبش: آخر ظلمة الليل. [فقه اللغة، ص ٦٣، فصل في الأواخر]

فلم يقم أحد فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فوثب أبو العاص بن الربيع[١] زوج بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: تكفاه أيها الأمير فقال: لا ولكن إن قتلت فأنت على الناس فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

إن عـلىٰ كـل رئـيس حـقاً   أن يرويَ[٢] الصعدة[٣] أو تدقا[٤]

ثم ضربه فقتله ومضىٰ في تلك الخيل حتىٰ كسر الأصنام وعاد إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محاصر لأهل الطائف.

فلما رآه النبي عليه وآله السلام كبر للفتح وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً[٥].

فروىٰ عبد الرحمن بن سيابة والأجلح جميعاً، عن أبي الزبير، عن جابر بن

---

١ ـ أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، صهر رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته زينب أكبر بناته. وأمّ أبي العاص هالة، واسمها هند بنت خويلد أخت خديجة لأمّها وأبيها، فعلى هذا يكون أبو العاص ابن خالة أولاد رسول الله من خديجة، هكذا أورده ابن الأثير، وكان هو مع المشركين ببدر ثم أسلم وحسن إسلامه. [أسد الغابة لابن الأثير، ج ٥، ص ٢٣٦]

٢ ـ أرويته: إذا سقيته وجعلته ريّان. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٢٤٦، مادة «روي»]

٣ ـ والصَّعْدَة: القَناةُ التي تَنْبُتُ مُسْتَقِيمةً. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢٩، مادة «صعد»]

٤ ـ ودققته فاندقّ: أي كسرته فانكسر، والدقّ أشدّ في الكسر. [لسان العرب، ج ١٠، ص ١٠٠، مادة «دقق»]

٥ ـ في حديث علي عليه السلام: دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الطائف فانْتَجاهُ، فقال الناس: لقد طال نجواه، فقال: ما انْتَجَيْتُهُ ولكنّ الله انتجاه، أي إنّ الله أمرني أن أُناجِيهِ، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٥، مادة «نجا»]

عبد الله الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خلا بعلي عليه السلام يوم الطائف؛ أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به دوننا؟! فقال: يا عمر ما أنا انتجيته، بل الله انتجاه.

قال: فأعرض عمر وهو يقول: هذا كما قلت لنا قبل الحديبية: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[1] فلم ندخله وصددنا[2] عنه! فناداه النبي صلى الله عليه وآله: لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام.

ثم خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان بن معتب في خيل من ثقيف، فلقيه أمير المؤمنين عليه السلام ببطن وجّ[3] فقتله وانهزم المشركون ولحق القوم الرعب، فنزل منهم جماعة إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فأسلموا، وكان حصار النبي صلى الله عليه وآله الطائف بضعة عشر يوماً.

فصل

وهذه الغزاة أيضاً مما خص الله تعالىٰ فيها أمير المؤمنين عليه السلام بما انفرد به من كافة الناس وكان الفتح فيها علىٰ يده، وقتل من قتل من خثعم به دون سواه، وحصل له من المناجاة التي أضافها رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ الله ـ عز اسمه ـ ما ظهر به من فضله وخصوصيته من الله تعالىٰ بما بان به من كافة الخلق، وكان من عدوه فيها ما دل علىٰ باطنه وكشف الله تعالىٰ به عن حقيقة سره وضميره، وفي ذلك عبرة

---

١ ـ [سورة الفتح، الآية ٢٧.]

٢ ـ الصدّ: الصرف والمنع. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٥، مادة «صدد»]

٣ ـ وَجٌّ ـ بفتح الواو ـ: اسم واد بالطائف. [تاج العروس، ج ٣، ص ٥٠٦، مادة «وجج»]

لأولي الألباب.

فصل

ثم كانت غزاة تبوك[١] فأوحىٰ الله عزّ اسمه إلىٰ نبيه صلى الله عليه وآله: أن يسير إليها بنفسه ويستنفر الناس للخروج معه وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلىٰ حرب ولا يمنىٰ[٢] بقتال عدو وأن الأمور تنقاد له بغير سيف، وتعبده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم ليتميزوا بذلك وتظهر سرائرهم.

فاستنفرهم[٣] النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ بلاد الروم وقد أينعت ثمارهم[٤] واشتد القيظ[٥] عليهم فأبطأ أكثرهم عن طاعته رغبة في العاجل وحرصاً علىٰ المعيشة

---

١ ـ تبوك: اسم موضع بين المدينة والشام، وورد في الخبر: أنّه مرّ رسول الله علىٰ أصحابه فرآهم يبوكون حِسْيَ تبوك بِقِدْح، فقال: لا زلتم تبوكون، فسمّيت غزوة تبوك بذلك. [انظر: لسان العرب، ج ١٠، ص ٤٠٣، مادة «بوك»].

البوك: تثوير الماء بعود ومثله ليخرج من الأرض. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ١٦٢، مادة «بوك»].

والحسي: الأرض التي يستنقع منه الماء. [لسان العرب، ج ١٤، ص ١٧٦، مادة «حسا»]

٢ ـ لا يُمنى: أي لا يُبتلى. [انظر: لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٩٣، مادة «مني»]

٣ ـ الاسْتِنْفارُ: الاستنجاد والاستنصار. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٩٢، مادة «نفر»]

٤ ـ أينع الثمر: إذا أدرك ونضج. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٣٠٢، مادة «ينع»]

٥ ـ القيظ: شدّة الحر في الصيف. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٥٢١، مادة «قيظ»]

وإصلاحها وخوفاً من شدة القيظ وبعد المسافة ولقاء العدو، ثم نهض بعضهم علىٰ استثقال للنهوض وتخلف آخرون.

ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له: يا علي إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك.

وذلك: أنه عليه السلام علم من خبث نيات الأعراب[1] وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم فأشفق[2] أن يطلبوا المدينة عند نأيه[3] عنها وحصوله ببلاد الروم أو نحوها، فمتىٰ لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يؤمن من معرتهم[4] وإيقاع الفساد في دار هجرته والتخطي إلىٰ ما يشين أهله ومخلفيه.

وعلم عليه السلام أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها، إلّا أمير المؤمنين عليه السلام فاستخلفه استخلافاً ظاهراً ونص عليه بالإمامة من بعده نصاً جلياً.

وذلك فيما تظاهرت به الرواية أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام علىٰ المدينة حسدوه لذلك وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنها تنحرس به ولا يكون للعدو فيها مطمع فساءهم ذلك، وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأي النبي صلى الله عليه وآله عن المدينة وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها، وغبطوه عليه السلام علىٰ الرفاهية[5]

---

١ ـ الأعراب: سكّان البادية، وليس الأعراب جمع العرب، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ١٧٨، مادة «عرب»]

٢ ـ أشفق الرجل: خاف وحذر. [لسان العرب، ج ١٠، ص ١٨٠، مادة «شفق»]

٣ ـ النأي: البُعْد. [لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٠٠، مادة «نأي»]

٤ ـ المعرّة: الإثم والأذى والخيانة. [تاج العروس، ج ٧، ص ٢٠٦، مادة «عرر»]

٥ ـ الرفاهية: السعة والتنعّم. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٤٧، مادة «رفه»]

والدعة[١] بمقامه في أهله وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر[٢].

فأرجفوا[٣] به عليه السلام وقالوا: لم يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله إكراماً له وإجلالاً ومودة وإنما خلفه استثقالاً له، فبهتوه[٤] بهذا الإرجاف كبهت قريش للنبي عليه وآله السلام بالجنة تارة وبالشعر أخرىٰ وبالسحر مرة وبالكهانة أخرىٰ، وهم يعلمون ضد ذلك ونقيضه كما علم المنافقون ضد ما أرجفوا به علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وخلافه، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان أخص الناس بأمير المؤمنين عليه السلام وكان هو أحب الناس إليه وأسعدهم عنده[٥] وأفضلهم لديه.

فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إنّ المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقالاً ومقتاً![٦] فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ارجع يا أخي إلىٰ مكانك فإنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي، أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبي بعدي؟

---

١ ـ الدَّعة ـ بفتح الدال ـ: السعة في العيش. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٤٠١، مادة «ودع»]

٢ ـ الخطر ـ بالخاء المعجمة والطاء المؤلفة محرّكتين ـ: الأمر العظيم والإشراف على الهلاك والموت. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٩١، مادة «خطر»]

٣ ـ أرجفوا به: خاضوا فيه. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٦٢، مادة «رجف»]

٤ ـ [في المخطوطة: فبهتوا]. بهته بهتاً ـ بالفتح ـ: إذا قال عليه ما لم يفعله. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٩٢، مادة «بهت»]

٥ ـ [في المخطوطة زيادة: «وأحظاهم عنده»]. يقال: هذا أحظى عندي: أي أقرب إليّ وأسعد به. [مجمع البحرين، ج ١، ص ١٠٣، مادة «حظا»]

٦ ـ مقته مقتاً: أبغضه. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٢١، مادة «مقت»]

فتضمن هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله نصه عليه بالإمامة وإبانته[١] عن الكافة بالخلافة، ودل به على فضل لم يشركه فيه سواه وأوجب له به عليه السلام جميع منازل هارون من موسىٰ إلّا ما خصه العرف من الإخوة واستثناه هو عليه السلام من النبوة.

ألا ترىٰ أنه عليه وآله السلام جعل له كافة منازل هارون من موسىٰ إلّا المستثنىٰ منها لفظاً أو عقلاً؟

وقد علم كل من تأمل معاني القرآن وتصفح الروايات والأخبار أن هارون عليه السلام كان أخا موسىٰ لأبيه وأمه وشريكه في أمره ووزيره علىٰ نبوته وتبليغه رسالات ربه وأن الله تعالىٰ شد به أزره، وأنه كان خليفته علىٰ قومه وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته وأنه كان أحب قومه إليه وأفضلهم لديه.

قال الله عزّ وجلّ حاكياً عن موسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[٢] فأجاب الله تعالىٰ مسألته وأعطاه سؤله في ذلك وأمنيته[٣]، حيث يقول: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾[٤].

---

١ ـ الإبانة: الفصل والانفصال. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٧٠، مادة «بين»]

٢ ـ [سورة طه، الآيات ٢٥ ـ ٣٢]. اشدد به أزري: أي قوّ به ظهري. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٠٤، مادة «أزر»]

٣ ـ الأمنية: واحدة الأماني، وهي الآمال. [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٤٩٨، مادة «منا»]

٤ ـ [سورة طه، الآية ٣٦].

وقال حاكياً عن موسىٰ عليه السلام: ﴿وقَالَ مُوسىٰ لأَخِيهِ هٰارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وأَصْلِحْ ولا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١].

فلما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام منه بمنزلة هارون من موسىٰ أوجب له بذلك جميع ما عددناه، إلّا ما خصه العرف من الإخوة واستثناه من النبوة لفظاً.

وهذه فضيلة لم يشرك فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين عليه السلام ولا ساواه في معناها ولا قاربه فيها علىٰ حال، ولو علم الله تعالىٰ أن بنبيه عليه السلام في هذه الغزاة حاجة إلىٰ الحرب والأنصار[٢] لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عليه السلام عنه حسب ما قدمناه، بل علم أن المصلحة في استخلافه وأن أقامته في دار هجرته مقامه أفضل الأعمال، فدبر الخلق والدين بما قضاه في ذلك وأمضاه علىٰ ما بيناه وشرحناه.

فصل

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك إلىٰ المدينة قدم عليه عمرو بن معديكرب فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر فقال: يا محمد وما الفزع الأكبر فإني لا أفزع؟! فقال: يا عمرو إنه ليس مما تحسب وتظن، إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقىٰ ميت إلّا نشر ولا حي إلّا مات إلّا ما شاء الله، ثمّ يصاح بهم صيحة أخرىٰ فينشر من مات ويصفون جميعاً وتنشق

---

١ ـ [سورة الأعراف، الآية ١٤٢].

٢ ـ الأنصار: جمع نصير، وهو الناصر كشريف وأشراف. [تاج العروس، ج ٧، ص ٥٢٩، مادة «نصر»]

السماء وتهدّ الأرض[١] وتخرّ الجبال وتزفر النيران وترمي[٢] بمثل الجبال شرراً[٣]، فلا يبقىٰ ذو روح إلّا انخلع قلبه[٤] وذكر ذنبه وشغل بنفسه إلّا ما شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا؟ قال: ألا إني أسمع أمراً عظيما فآمن بالله ورسوله وآمن معه من قومه ناس ورجعوا إلىٰ قومهم.

ثمّ إنّ عمرو بن معديكرب نظر إلىٰ أبي بن عثعث الخثعمي فأخذ برقبته ثمّ جاء به إلىٰ النبي صلّى الله عليه وآله فقال: أعدني[٥] علىٰ هذا الفاجر الذي قتل والدي فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية[٦]. فانصرف عمرو مرتداً فأغار علىٰ قوم من بني الحارث بن كعب ومضىٰ إلىٰ قومه فاستدعىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام فأمره علىٰ المهاجرين وأنفذه إلىٰ بني زبيد، وأرسل خالد بن الوليد في طائفة من الأعراب وأمره أن يقصد[٧] الجعفي[٨] فإذا

---

١ ـ قوله: يهدّ الأرض: يحتمل أن يكون على البناء للمفعول من قولهم: هدّ البناء يهدُّهُ ـ بالضم ـ هدّاً: كسَرَه وهَدَمه، أو على البناء للفاعل من قولهم: هدّ يَهِدُّ ـ بالكسر ـ هدة: وهي صوت وقع الحائط. [لسان العرب، ج ٣، ص ٤٣٢، مادة «هدد»، علماً أنّ الموجود في المخطوطة «تهدّ»]

٢ ـ [في المخطوطة: «وترمي النار» بدل «وتزفر النيران وترمي».]

٣ ـ الشرر: ما يتطاير من النار، وكذلك الشرارة. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٤٤، مادة «شرر»]

٤ ـ انخلع قلبه: انتزع. [تاج العروس، ج ١١، ص ٩٩ و ١٠٤، مادة «خلع»]

٥ ـ أعدى زيداً عليه: نصره وأعانه. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٦٦١، مادة «عدو»]

٦ ـ أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية: أي أبطله. [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٨٥٢، مادة «هدر»]

٧ ـ [في المخطوطة: يعمد]. عمد الشيء: قصده. [القاموس المحيط، ج ١، ص ٣١٧]

٨ ـ جُعفيّ ـ ككرسيّ ـ: ابن سعد العشيرة، أبو حيّ باليمن، والنسبة جعفيّ، (قاموس).

التقيا فأمير الناس علي بن أبي طالب، فسار أمير المؤمنين واستعمل[١] علىٰ مقدمته[٢] خالد بن سعيد بن العاص واستعمل خالد علىٰ مقدمته أبا موسىٰ الأشعري.

فأما جعفي فإنها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين فذهبت فرقة إلىٰ اليمن وانضمت الفرقة الأخرىٰ إلىٰ بني زبيد فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إلىٰ خالد بن الوليد أن قف حيث أدركك رسولي فلم يقف فكتب إلىٰ خالد بن سعيد تعرض له حتىٰ تحبسه، فاعترض له خالد حتىٰ حبسه وأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فعنفه[٣] علىٰ خلافه، ثمّ سار حتىٰ لقي بني زبيد بواد يقال له كُشَر[٤].

فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت يابا ثور[٥] إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الإتاوة[٦]؟ قال: سيعلم إن لقيني.

[القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٢٣]

١ ـ استعمل السلطان فلاناً: أي جعله عاملاً وولاه الأمرَ. [لسان العرب، ج ١١، ص ٤٧٥، مادة «عمل»]

٢ ـ المقدِمة ـ بكسر الدال ـ: مقدّمة الجيش، وهي الجماعة التي تتقدم الجيش، مأخوذ من قدم بمعنى تقدم، وقد يفتح الدال. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٥٥٦، مادة «قدم»]

٣ ـ التعنيف: التوبيخ والتقريع. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٤٠١، مادة «عنف»]

[في المخطوطة: كِشْر] كِسر ـ بكسر الكاف ـ: قرى كثيرة باليمن، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٢٧]

٥ ـ أبو ثور: كنية عمرو بن معديكرب الزبيدي، وزبيد: بطن من مذحج، (قاموس). [انظر: القاموس المحيط، ج ١، ص ٢٩٧]

٦ ـ الإتاوة: الخراج. [تاج العروس، ج ١٩، ص ١٣٤، مادة «أتو»]

قال: وخرج عمرو فقال: هل من مبارز؟ فنهض إليه[1] أمير المؤمنين عليه السلام فقام خالد بن سعيد فقال له: دعني يا با الحسن بأبي أنت وأمي أبارزه، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت ترىٰ أن لي عليك طاعة فقف مكانك فوقف، ثمّ برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحة فانهزم عمرو وقتل أخوه وابن أخيه وأخذت امرأته ركانة بنت سلامة، وسبي منهم نسوان، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلف علىٰ بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم ويؤمن من عاد إليه من هرابهم[2] مسلماً.

فرجع عمرو بن معديكرب واستأذن علىٰ خالد بن سعيد فأذن له فعاد إلىٰ الإسلام وكلمه في امرأته وولده؛ فوهبهم له.

وقد كان عمرو لما وقف بباب خالد بن سعيد وجد جزوراً[3] قد نحرت فجمع قوائمها ثمّ ضربها بسيفه فقطعها جميعاً وكان يسمىٰ سيفه الصمصامة.

فلما وهب خالد بن سعيد لعمرو امرأته وولده وهب له عمرو الصمصامة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد اصطفىٰ من السبي[4] جارية، فبعث خالد بن الوليد بريدة الأسلمي إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وقال له: تقدم الجيش إليه فأعلمه ما فعل

---

١ ـ فنهض إليه: أي قام. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٣٣، مادة «نهض»]

٢ ـ والهُرّاب ـ بضم الهاء وتشديد الراء ـ: جمع هارب، يعني من فرّ من القوم. [انظر: لسان العرب، ج ١، ص ٧٨٣، مادة «هرب»]

٣ ـ الجَزور من الإبل: يقع على الذكر والأنثى، وهي تؤنّث، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٦١٢، مادة «جزر»]

٤ ـ السبي ـ بتخفيف الياء وتشديده ـ: ما سُبي، أي أسر من الرجال والنساء. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٢١٣، مادة «سبا»]

علي من اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه وقَعْ فيه[١].

فسار بريدة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ باب رسول الله صلى الله عليه وآله فلقيه عمر بن الخطاب فسأله عن حال غزوتهم وعن الذي أقدمه فأخبره أنه إنما جاء ليقع في علي وذكر له اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه، فقال له عمر: امض لما جئت له فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي، فدخل بريدة علىٰ النبي صلى الله عليه وآله ومعه كتاب من خالد بما أرسل به بريدة فجعل يقرؤه ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتغير فقال بريدة: يا رسول الله إنك إن رخصت للناس في مثل هذا ذهب فَيْؤهم[٢].

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ويحك يا بريدة أحدثت نفاقاً! إنّ علي بن أبي طالب يحل له من الفيء ما يحل لي، إنّ علي بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك وخير من أخلف من بعدي لكافة أمتي، يا بريدة احذر أن تبغض علياً فيبغضك الله.

قال بريدة: فتمنيت أن الأرض انشقت بي فسخت[٣] فيها وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، يا رسول الله استغفر لي فلن أبغض علياً أبداً ولا أقول فيه إلّا خيراً، فاستغفر له النبي صلى الله عليه وآله.

فصل

وفي هذه الغزاة من المنقبة لأمير المؤمنين عليه السلام ما لا يماثلها منقبة لأحد

---

١ ـ قَع: أمرٌ من قولك: وقَعَ فيه، أي اغتابه وذكر معايبه. [أساس البلاغة، ص ٦٨٦، مادة «وقع»]

٢ ـ الفيء: الغنيمة والخراج. [لسان العرب، ج ١، ص ١٢٦، مادة «فيأ»]

٣ ـ ساخ قوائمه في الأرض: أي دخلت وغابت. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٤٣٥، مادة «سوخ»]

سواه، والفتح فيها كان علىٰ يديه خاصة وظهر من فضله ومشاركته للنبي عليهما السلام فيما أحله الله تعالىٰ له من الفيء واختصاصه من ذلك بما لم يكن لغيره من الناس، وبان[١] من مودة رسول الله صلى الله عليه وآله وتفضيله إياه ما كان خفياً علىٰ من لا علم له بذلك؛ وكان من تحذيره بريدة وغيره من بغضه وعداوته وحثّه[٢] له علىٰ مودته وولايته ورد كيد أعدائه في نحورهم ما دل علىٰ أنه أفضل البرية عند الله تعالىٰ وعنده، وأحقهم بمقامه من بعده وأخصهم به في نفسه وآثرهم عنده[٣].

فصل

ثم كانت غزاة السلسلة[٤]، وذلك أنّ أعرابياً جاء إلىٰ النبي عليه وآله السلام

---

١ ـ بان الأمر: أي وَضُحَ. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢١٨، مادة «بين»]

٢ ـ الحثّ: الترغيب، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ١، ص ١٦٤]

٣ ـ قوله: وآثرهم عنده: أي أكرمهم وأقربهم. [انظر: لسان العرب، ج ٤، ص ٧، مادة «أثر»]

٤ ـ لا يخفى على النبيه من التسامح في إطلاق اسم الغزوة على مثل هذه الحرب، فإنّ القوم اصطلحوا أن يُسمّوا من حروب النبي ما لم يحضره بنفسه سريّةً، وما حضره غزوة، فالمراد بالغزوة في المقام معناه اللغوي خاصّة. ثم إنّ كلام القوم من المحدّثين والمؤرخين في هذا المقام مضطربٌ، وفيه اختلاف بيّن لا يخفى على من تتبّع وتدبّر، فمنهم من جعلها غزوتين، وسمّى إحداهما وادي الرمل، ونسب الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السلام، [إعلام الورى بأعلام الهدى، ص ١٩٥]. وجعل غزوة أخرى وسمّاها ذات السلاسل، ونسب الفتح فيها لعمرو بن العاص، ومنهم من جعلها غزوة واحدة، وسمّاها بالثاني، ونسب الفتح فيها لعمرو بن العاص، وهذا القول للعامّة خاصّة. [المغازي للواقدي، ج ٢، ص ٧٦٩]. ومنهم من قال غير ذلك، والذي ظهر لنا بعد تدبّر كلماتهم: أنّ المراد من غزوة ذات السلاسل ووادي الرمل وذات السلسلة واحدة، ومنشأ الخلاف: أنّ الخاصّة يذكرون فيها الفتح لأمير المؤمنين عليه السلام، والعامة

فجثا[١] بين يديه وقال له: جئتك لأنصح لك قال: وما نصيحتك؟ قال: قوم من العرب قد اجتمعوا بوادي الرمل وعملوا علىٰ أن يبيتوك[٢] بالمدينة ووصفهم له!

فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن ينادىٰ بالصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون وصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أيها الناس إنّ هذا عدو الله وعدوكم قد عمل علىٰ تبييتكم فمن لهم؟ فقام جماعة من أهل الصفّة[٣] فقالوا: نحن نخرج إليهم يا رسول الله فولّ علينا من شئت، فأقرع بينهم فخرجت القرعة علىٰ ثمانين رجلاً منهم ومن

ينسبونه لعمرو بن العاص، ولأجل ذلك تشابه القول على بعض المتأخرين من أصحاب التاريخ، وقد اختلفوا بعد ذلك في وجه تسميتها بهذا الاسم، فمنهم من قال: إنّ السلاسل ـ بضمّ السين الأول وكسر الثاني ـ : ماءٌ وقعت دونها الغزوة، فسمّيت به، [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣٨٩، مادة «سلسل»]. وقيل: إنّه اسم موضع سمّي به لأنّه كان فيه رملٌ انعقد بعضه على بعض، فالسلاسل في اللغة على هذا المعنى موجودٌ، [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣٨٩، مادة «سلسل»]. وقيل: سمّيت به لأنّ علياً عليه السلام قتل منهم وأسر وشدّ أسراهم في الحبال مكتّفين كأنهم في السلاسل، وهذا هو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام كما ذكره الطبرسي في مجمع البيان، [مجمع البيان، ج ١٠، ص ٨٠٢ و ٨٠٣]. والراوندي في الخرائج [الخرائج والجرائح، ج ١، ص ١٦٧، ح ٢٥٧]، والديلمي في الإرشاد [إرشاد القلوب للديلمي، ج ٢، ص ٢٤٦]، فعلى هذا يصحّ التسمية بالسلسلة أيضاً، وإن كانت الأعلام لا تتغير. [هكذا وردت في حاشية المخطوطة، ص ٨٨]
من العبد المتصدّي لتصحيح الكتاب.

١ ـ جثا: جلس على ركبتيه، أو قام على أطراف أصابعه، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣١١]

٢ ـ بيّتَ العدوّ: أوقع بهم ليلاً. [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٤٥، مادة «بيت»]

٣ ـ أهل الصفّة ـ بضم الصاد وتشديد الفاء ـ : فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلّل في مسجد المدينة يسكنونه، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٧، مادة «صفف»]

غيرهم، فاستدعىٰ أبا بكر فقال له: خذ اللواء وامض إلىٰ بني سليم فإنهم قريب من الحرة[١]، فمضىٰ ومعه القوم حتىٰ قارب أرضهم وكانت كثيرة الحجارة والشجر وهم ببطن الوادي والمنحدر[٢] إليه صعب.

فلما صار أبو بكر إلىٰ الوادي وأراد الانحدار خرجوا إليه فهزموه، وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً وانهزم أبو بكر من القوم.

فلما قدموا علىٰ النبي صلى الله عليه وآله عقد لعمر بن الخطاب وبعثه إليهم، فكمنوا له تحت الحجارة والشجر، فلما ذهب ليهبط خرجوا إليه فهزموه.

فساء رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك فقال له عمرو بن العاص: ابعثني يا رسول الله إليهم ؛ فإنّ الحرب خدعة، فلعلي أخدعهم؛ فأنفذه مع جماعة ووصاه. فلما صار إلىٰ الوادي خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من أصحابه جماعة.

ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله أياماً يدعو عليهم. ثمّ دعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فعقد له ثمّ قال: أرسلته كراراً غير فرار ورفع يديه إلىٰ السماء وقال: اللهم إن كنت تعلم أني رسولك فاحفظني فيه وافعل به وافعل، فدعا له ما شاء الله.

وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله لتشييعه[٣] وبلغ معه إلىٰ مسجد الأحزاب وعلي عليه السلام علىٰ فرس أشقر[٤] مهلوب[٥] عليه بردان

---

١ ـ الحرّة: اسم موضع. [تاج العروس، ج ٦، ص ٢٦٤، مادة «حرر»]

٢ ـ الانحدار: الهبوط والانحطاط. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٢١٩، مادة «حطط»]

٣ ـ شيّعه: خرج معه ليودّعه. [تاج العروس، ج ١١، ص ٢٥٩، مادة «شيع»]

٤ ـ الشقرة في الخيل: حمرة صافية مع احمرار العرف والذنب. [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٧٠١، مادة «شقر»]

٥ ـ والمهلوب: المقطوع الذنب، يقال: هلبت الفرس إذا نتفت هَلبته. [النهاية في غريب الحديث

يمانيان، وفي يده قناة خطية[١]، فشيعه رسول الله صلى الله عليه وآله وأنفذ معه فيمن أنفذ أبا بكر وعمر وعمرو بن العاص فسار بهم عليه السلام نحو العراق متنكّباً[٢] للطريق حتىٰ ظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه ثمّ أخذ بهم علىٰ محجة[٣] غامضة[٤]، فسار بهم حتىٰ استقبل الوادي من فمه وكان يسير الليل ويكمن النهار.

فلما قرب من الوادي أمر أصحابه أن يكعموا[٥] الخيل ووقفهم مكاناً، وقال: لا تبرحوا، وانتبذ أمامهم[٦] فأقام ناحية منهم.

فلما رأىٰ عمرو بن العاص ما صنع لم يشك أن الفتح يكون له فقال لأبي بكر: أنا أعلم بهذه البلاد من علي، وفيها ما هو أشد علينا من بني سليم وهي الضباع والذئاب، فإن خرجت علينا خشيت أن تقطعنا، فكلمه يخل عنا نعلو الوادي.

قال: فانطلق أبو بكر فكلمه فأطال فلم يجبه أمير المؤمنين عليه السلام حرفاً واحداً فرجع إليهم، فقال: لا والله ما أجابني حرفاً واحداً.

فقال عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب: أنت أقوىٰ عليه، فانطلق عمر فخاطبه فصنع به مثل ما صنع بأبي بكر فرجع إليهم فأخبرهم أنه لم يجبه.

والأثر، ج ٥، ص ٢٦٩، مادة «هلب»]

١ ـ الخطّ: موضع باليمامة، وهو خطّ هجر تنسب إليه الرماح الخَطّية؛ لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به فتنسب إليه، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٤٥، مادة «خطط»]

٢ ـ التنكّب: الميل والعدول عن الطريق. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٧٦، مادة «نكب»]

٣ ـ المحجّة: جادّة الطريق. [تاج العروس، ج ٤، ص ٣٨٢، مادة «جدد»]

٤ ـ الغامض: المطمئن من الأرض. [تاج العروس، ج ١٠، ص ١١٣، مادة «غمض»]

٥ ـ [في المخطوطة: يعكموا]. عكمت المتاع: شددته، والعكام: الخيط الذي يعكم به، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ١٩٨٩، مادة «عكم»]

٦ ـ انتبذ فلان: أي ذهب ناحية. [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٥٧١، مادة «نبذ»]

فقال عمرو بن العاص: إنه لا ينبغي أن نضيع أنفسنا، انطلقوا بنا نعلو الوادي فقال له المسلمون: لا والله لا نفعل، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نسمع لعلي عليه السلام ونطيع فنترك أمره ونسمع لك ونطيع؟!

فلم يزالوا كذلك حتىٰ أحس أمير المؤمنين عليه السلام الفجر فكبس القوم[١] وهم غارون[٢] فأمكنه الله منهم ونزلت علىٰ النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَالْعادِياتِ ضَبْحاً...﴾[٣] إلىٰ آخر السورة، فبشر النبي صلى الله عليه وآله أصحابه بالفتح وأمرهم أن يستقبلوا أمير المؤمنين عليه السلام فاستقبلوه، والنبي صلى الله عليه وآله يقدمهم فقاموا له صفين.

فلما بصر بالنبي صلى الله عليه وآله ترجل عن فرسه فقال له النبي عليه وآله السلام: اركب فإنّ الله ورسوله راضيان عنك، فبكىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا علي لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارىٰ في المسيح عيسىٰ ابن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملإ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك.

فصل

فكان الفتح في هذه الغزاة لأمير المؤمنين عليه السلام خاصة بعد أن كان من غيره فيها من الإفساد ما كان، واختص عليه السلام من مديح النبي صلى الله عليه وآله فيها بفضائل لم

---

١ ـ كبس القوم: أي هجم عليهم من كل جانب. [تاج العروس، ج ٨، ص ٤٣٨، مادة «كبس»]

٢ ـ الغارّ ـ بتشديد الراء ـ: الغافل، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٧٦٨، مادة «غرر»]

٣ ـ [سورة العاديات، الآية ١.]

يحصل منها شيء لغيره، وبان[١] له من المنقبة فيها ما لم يشركه فيه سواء.

فصل

ولما انتشر الإسلام بعد الفتح وما وليه من الغزوات المذكورة وقوي سلطانه وفد[٢] إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله الوفود فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن ليعود إلىٰ قومه برأيه عليه السلام فيهم.

وكان فيمن وفد عليه أبو حارثة أسقف[٣] نجران[٤] في ثلاثين رجلاً من النصارىٰ منهم العاقب والسيد وعبد المسيح، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر

---

١ ـ بان الأمر: ظهر ووضح. [تاج العروس، ج ٤، ص ٢٤٨، مادة «وضح»]

٢ ـ الوفود جمع وفد، وهو جمع وافد كصحب وصاحب، كذا في الصحاح. [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٥٥٣، مادة «وفد»]. وفي النهاية: هم القوم يجتمعون ويردون البلاد والذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع، تقول: وفد يفد فهو وافد، وأوفدته فوفد. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٠٩، مادة «وفد»]

٣ ـ أُسقف ـ بضم الهمزة وسكون السين وضمّ القاف وتشديد الفاء ـ: رئيس النصارى في دينهم، وهو اسمٌ سِريانيّ، ويحتمل أن يكون سمّي به لخضوعه وانحنائه في عبادته، فالسقف في اللغة طولٌ في انحناءٍ، (قاموس ونهاية). [القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٥٣ ؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣٧٩، مادة «سقف»]

٤ ـ نجران: موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن، ومنه الحديث: قدم عليه نصارى نجران، وفي حديث نصارى نجران: جاء السيد والعاقب هما من رؤسائهم وأصحاب مراتبهم، والعاقب يتلو السيد، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢١، مادة «نجر» ؛ والمصدر نفسه ج ٣، ص ٢٦٨، مادة «عقب»]

وعليهم لباس الديباج والصلب[١]، فصار إليهم اليهود وتساءلوا بينهم فقالت النصارىٰ لهم: لستم علىٰ شيء وقالت لهم اليهود: لستم علىٰ شيء، وفي ذلك أنزل الله سبحانه: ﴿وقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارىٰ عَلىٰ شَيْءٍ وقَالَتِ النَّصارىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلىٰ شَيْءٍ...﴾[٢] إلىٰ آخر الآية.

فلما صلىٰ النبي صلى الله عليه وآله العصر توجهوا إليه يقدمهم الأسقف فقال له: يا محمد ما تقول في السيد المسيح؟ فقال النبي عليه وآله السلام: عبد لله اصطفاه وانتجبه فقال الأسقف: أتعرف له يا محمد أباً ولده؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لم يكن عن نكاح[٣] فيكون له والد قال: فكيف قلت: إنه عبد مخلوق وأنت لم تر عبداً مخلوقاً إلّا عن نكاح وله والد؟ فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ الآيات من سورة آل عمران إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسىٰ عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وأَبْناءَكُمْ ونِساءَنا ونِساءَكُمْ وأَنْفُسَنا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّٰهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾[٤]، فتلاها النبي صلى الله عليه وآله علىٰ النصارىٰ ودعاهم إلىٰ

---

١ ـ الصُّلُب: جمع الصليب، كذا في الصحاح، [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ١٦٤، مادة «صلب»]. وهو هيكل مربع تزعم النصارى أن عيسى عليه السلام صلب على خشبةٍ مثله، ولذلك يعبدونه ويجعلون على أنفسهم من الذهب والفضة وغيرهما شبه الصليب. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٠١، مادة «صلب»]

٢ ـ [سورة البقرة، الآية ١١٣].

٣ ـ النكاح: الوطي. [تاج العروس، ج ٤، ص ٢٤٠، مادة «نكح»]

٤ ـ [سورة آل عمران، الآيات ٥٩ ـ ٦١]. المباهلة: الملاعنة، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولون: لعنة الله على الظالم منّا، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ١٦٧، مادة «بهل»]

المباهلة وقال: إنّ الله عز اسمه أخبرني أن العذاب ينزل علىٰ المبطل عقيب المباهلة ويبين الحق من الباطل بذلك، فاجتمع الأسقف مع عبد المسيح والعاقب علىٰ المشورة فاتفق رأيهم علىٰ استنظاره[١] إلىٰ صبيحة[٢] غد من يومهم ذلك.

فلما رجعوا إلىٰ رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد فإن غدا[٣] بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه علىٰ غير شيء.

فلما كان من الغد جاء النبي عليه وآله السلام آخذاً بيد علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام يمشيان بين يديه وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه، وخرج النصارىٰ يقدمهم أسقفهم.

فلما رأىٰ الأسقف النبي صلى الله عليه وآله قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له: هذا ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو صهره وأبو ولده وأحب الخلق إليه، وهذان الطفلان ولدا بنته من علي عليه السلام وهما من أحب الخلق إليه، وهذه الجارية بنته فاطمة عليها السلام أعز الناس عليه وأقربهم إلىٰ قلبه.

فنظر الأسقف إلىٰ العاقب والسيد وعبد المسيح وقال لهم: انظروا إليه قد جاء بخاصته من ولده وأهله ليباهل بهم واثقاً بحقه، والله ما جاء بهم وهو يتخوف الحجة عليه فاحذروا مباهلته، والله لولا مكان قيصر لأسلمت له ولكن صالحوه علىٰ ما يتفق بينكم وبينه وارجعوا إلىٰ بلادكم وارتئوا[٤] لأنفسكم، فقالوا له: رأينا

---

١ ـ الاستنظار: الاستمهال. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٧٦، مادة «مهل»]

٢ ـ الصبيحة: أوّل النهار. [تاج العروس، ج ٤، ص ١٠٩، مادة «صبح»]

٣ ـ غدا الرجل: سار في أول النهار، يريد: أنه عليه السلام إن جاء مع أهله وأولاده، الخ. [لسان العرب، ج ١٥، ص ١١٨، مادة «غدا»]

٤ ـ الارتئاء: افتعال من الرأي، بمعنى الفكر والتدبير. [مجمع البحرين، ج ١، ص ١٩٧، مادة

لرأيك تبع فقال الأسقف: يا با القاسم إنا لا نباهلك ولكنا نصالحك فصالحنا علىٰ ما ننهض به(١).

فصالحهم النبي صلى الله عليه وآله علىٰ ألفي حلّة من حُلل(٢) الأواقي(٣) قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي صلى الله عليه وآله كتاباً بما صالحهم عليه وكان الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لنجران وحاشيتها(٤) في كل صفراء وبيضاء وثمرة ورقيق لا يؤخذ منهم شيء غير ألفي حلة من حلل الأواقي ثمن كل حلة أربعون درهماً فما زاد أونقص فعلىٰ حساب ذلك، يؤدون ألفاً منها في صفر وألفاً منها في رجب، وعليهم أربعون ديناراً مثواة رسولي(٥) مما فوق ذلك،

«روا»]

١ ـ فصالحنا على ما ننهض به: أي نقدر به من قولهم: نهض نهوضاً أي قام. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٣٣، مادة «نهض»]

٢ ـ الحُلَل: جمع الحُلّة، وهي برود اليمن، ولا يسمّى حلّة حتى يكون ثوبين. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٤٣٢، مادة «حلل»]

٣ ـ الأواقي: جمع الأوقية، وهي ـ بضمّ الهمزة وتشديد الياء ـ: اسمٌ لأربعين درهماً، والكلام الثاني بيان له. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٨٠، مادة «أوق»]

٤ ـ حاشية كلّ شيء: جانبه وطرفه، وجمعه حواش. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٣٩٢، مادة «حشا»]

٥ ـ قوله: مثوى رسلي (*): أي مسكنهم مدّة مقامهم ومنزلهم، والمثوى: المنزل من ثوى بالمكان يثوي إذا أقام فيه، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٢٣٠، مادة

وعليهم في كل حدث يكون باليمن من كل ذي[1] عدن[2] عارية مضمونة ثلاثون درعاً وثلاثون فرساً وثلاثون جملاً عارية مضمونة لهم بذلك جوار الله[3] وذمة محمد بن عبد الله، فمن أكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة.

وأخذ القوم الكتاب وانصرفوا.

فصل

وفي قصة أهل نجران بيان عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام مع ما فيه من الآية للنبي صلى الله عليه وآله والمعجز الدال علىٰ نبوته.

«ثوا»]

[(*) هكذا ذكرها المحشّي، بينما الموجود في المخطوطة هو «مثواة رسولي» كما هو مثبت في المتن أعلاه.]

١ ـ كانت كلمة ذي في ألقاب التابعة من ملوك اليمن كثيراً، فمنهم: ذو الكلاع، وذو نواس، وذو أصبح، وذو رعين، وذو يزن، وذو جدن، وذو فايش، وغيرهم، وصاروا بذلك مقرونين كالأسماء لهم حتى أنّه جمع على أذواء. [لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٥٧، مادة «ذو وذوات»]. قال في النهاية في حديث صفة المهدي: قرشي يمان ليس من ذي ولا ذو، أي ليس نَسَبه نسب أذواء اليمن، وهم ملوك حمير منهم ذو يزن وذو رعين، انتهى، [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ١٧٢، مادة «ذوي»].

٢ ـ وعدن: جزيرة باليمن، وبلدة بقربه أيضاً. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٤٧]. والمعنى: أنّ عليهم في كل حدث يحدث باليمن من كلّ ملك يملك به أن يعطوا ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين جملاً عارية مضمونة، وإنّما أريد بذلك استمرار هذا العهد عليهم في جميع الأزمنة لا في زمن دون زمن، وفي عهد ملك دون ملك آخر.

٣ ـ لهم بذلك جوار الله: أي أمانه. [انظر: لسان العرب، ج ٤، ص ١٥٥، مادة «جور»]

ألا ترىٰ إلىٰ اعتراف النصارىٰ له بالنبوة وقطعه عليه السلام علىٰ امتناعهم من المباهلة وعلمهم بأنهم لو باهلوه لحل بهم العذاب، وثقته عليه وآله السلام بالظفر بهم والفلج[١] بالحجة عليهم.

وأن الله تعالىٰ حكم في آية المباهلة لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل ومساواته للنبي عليه وآله السلام في الكمال والعصمة من الآثام وأن الله جل ذكره جعله وزوجته وولديه ـ مع تقارب سنّهما[٢] ـ حجة لنبيه عليه وآله السلام وبرهاناً علىٰ دينه، ونص علىٰ الحكم بأن الحسن والحسين أبناؤه وأن فاطمة عليها السلام نساؤه المتوجه إليهن الذكر والخطاب في الدعاء إلىٰ المباهلة والاحتجاج، وهذا فضل لم يشركهم فيه أحد من الأمة ولا قاربهم فيه ولا ماثلهم في معناه وهو لاحق بما تقدم من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام الخاصة له علىٰ ما ذكرناه.

فصل

ثم تلا وفد نجران من القصص المنبئة عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام وتخصصه من المناقب بما بان به من كافة العباد، حجّة الوداع[٣] وما جرىٰ فيها

---

١ ـ الفلج: الظفر. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٢٣، مادة «فلج»]

٢ ـ مع تقارب سنّهما: يعني قلّة سنّهما. قال الزمخشري: يقال: تقاربت إبل فلان، أي قلّت. [أساس البلاغة للزمخشري، ص ٤٩٩، مادة «قرب»]

٣ ـ حجّة الوداع: حجة الفراق، سمّيت بذلك لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما قال: هل بلّغت؟ يعني في خطبته المشهورة، قالوا: نعم، وطفق يقول: اللهمّ اشهد، ثمّ ودّع الناس، أي تركهم فقالوا: هذه حجّة الوداع. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٤٠٠، مادة «ودع»]

من الأقاصيص وكان فيها لأمير المؤمنين عليه السلام من جليل المقامات. فمن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد أنفذه عليه السلام إلىٰ اليمن ليخمّس زكاتها(١) ويقبض ما وافق عليه أهل نجران من الحلل والعين وغير ذلك، فتوجه عليه السلام لما ندبه(٢) إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فأنجزه ممتثلاً فيه أمره، مسارعاً إلىٰ طاعته ولم يأتمن رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً غيره علىٰ ما ائتمنه عليه من ذلك ولا رأىٰ في القوم من يصلح للقيام به سواه، فأقامه عليه السلام مقام نفسه في ذلك واستنابه فيه مطمئناً إليه ساكناً إلىٰ نهوضه بأعباء(٣) ما كلفه فيه.

ثمّ أراد رسول الله صلى الله عليه وآله التوجه للحج وأداء فرض الله تعالىٰ عليه فيه فأذن في الناس به(٤)، وبلغت دعوته عليه السلام أقاصي بلاد الإسلام فتجهز الناس للخروج وتأهبوا معه وحضر المدينة من ضواحيها(٥) ومن حولها ويقرب منها خلق كثير، وتهيأوا للخروج معه فخرج النبي صلى الله عليه وآله بهم لخمس بقين من ذي القعدة، وكاتب أمير المؤمنين عليه السلام بالتوجه إلىٰ الحج من اليمن ولم يذكر له نوع الحج(٦) الذي قد

---

١ ـ [في المخطوطة: «ركازها» بدل «زكاتها»]. الرِّكاز عند أهل الحجاز: كنوز الجاهلية المدفونة في الأرض، وعند أهل العراق المعادن، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٥٨، مادة «ركز»]

٢ ـ ندبه: دعاهُ. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٧٠، مادة «ندب»]

٣ ـ الأعباء: جمع عِبء، وهو الحمل الثقيل، [تاج العروس، ج ١، ص ٢٠٥، مادة «عبأ»]. والنهوض: القيام والحركة، يريد: طاقته وقدرته. [لسان العرب، ج ٧، ص ٢٤٥، مادة «نهض»]

٤ ـ أذّن بالحجّ: أي أعلم به ودعا الناس إليه. [انظر: لسان العرب، ج ١٣، ص ١٢، مادة «أذن»]

٥ ـ الضواحي: النواحي. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٦١٦، مادة «ضحو»]

٦ ـ أنواع الحجّ ثلاثة: تمتّع وقِران وإفراد، وحجّ القران: أن يُحرم بالحجّ أولاً من مياقته ويسوق

عزم عليه، وخرج عليه وآله السلام قارناً للحج بسياق الهدي وأحرم من ذي الحليفة[١] وأحرم الناس معه ولبىٰ عليه السلام من عند الميل الذي بالبيداء[٢] فاتصل ما بين الحرمين بالتلبية حتىٰ انتهىٰ إلىٰ كراع الغميم[٣]، وكان الناس معه ركباناً ومشاة فشق علىٰ المشاة المسير وأجهدهم السير والتعب به فشكوا ذلك إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله واستحملوه فأعلمهم أنه لا يجد لهم ظهراً[٤] وأمرهم أن يشدوا علىٰ أوساطهم ويخلطوا الرمل[٥] بالنسل[٦] ففعلوا ذلك واستراحوا إليه، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام بمن معه من العسكر الذي كان صحبه إلىٰ اليمن ومعه الحلل التي أخذها من أهل نجران.

فلما قارب رسول الله صلى الله عليه وآله مكة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن وتقدم الجيش للقاء النبي صلى الله عليه وآله وخلف عليهم رجلاً

الهدي فيقضي مناسكه، وعليه عمرة مفردة بعد ذلك، وهو فرض حاضري مكّة ومن في حكمه إجماعاً. (رياض). [انظر: رياض المسائل، ج ٦، ص ١٢٠ و ١٢٦]

١ ـ ذو الحليفة: موضع على ستّة أميال من المدينة، وميقات الحاج منه. [تاج العروس، ج ١٢، ص ١٤٨، مادة «حلف»]

٢ ـ البيداء: أرض مخصوصة بين مكّة والمدينة على ميل من ذي الحليفة نحو مكّة. (مجمع البحرين). [مجمع البحرين، ج ٣، ص ١٨، مادة «بيد»]

٣ ـ كراع الغميم ـ كأمير ـ: وادٍ بين الحرمين على مرحلتين من مكّة. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٥٢٣، مادة «غمم»]

٤ ـ الظهر: الإبل التي يحمل عليها وتركب. [لسان العرب، ج ٤، ص ٥٢٢، مادة «ظهر»]

٥ ـ الرَّمَل ـ بالتحريك ـ: الهرولة وتحريك المنكبين. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٨٥، مادة «رمل»]

٦ ـ والنسل ـ بفتح النون وسكون السين ـ: مقاربة الخطوة مع الإسراع كمشي الذئب. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٨٣، مادة «نسل»]

منهم فأدرك النبي عليه وآله السلام وقد أشرف علىٰ مكة فسلم وخبره بما صنع وبقبض ما قبض وأنه سارع للقائه أمام الجيش، فسر رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك وابتهج بلقائه، وقال له: بمَ أهللت[١] يا علي؟ فقال له: يا رسول الله إنك لم تكتب لي بإهلالك ولا عرفتنيه فعقدت نيتي بنيتك فقلت اللهم إهلالاً كإهلال نبيك، وسقت معي من البُدن[٢] أربعاً وثلاثين بدنة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر فقد سقت أنا ستّاً وستين وأنت شريكي في حجي ومناسكي وهديي فأقم علىٰ إحرامك وعد إلىٰ جيشك فعجل بهم إلي حتىٰ نجتمع بمكة إن شاء الله.

فودعه أمير المؤمنين عليه السلام وعاد إلىٰ جيشه فلقيهم عن قرب فوجدهم قد لبسوا الحلل التي كانت معهم فأنكر ذلك عليهم وقال للذي كان استخلفه فيهم: ويلك ما دعاك إلىٰ أن تعطيهم الحلل من قبل أن ندفعها إلىٰ النبي عليه وآله السلام ولم أكن أذنت لك في ذلك؟ فقال: سألوني أن يتجملوا بها ويحرموا فيها ثمّ يردونها علي، فانتزعها أمير المؤمنين عليه السلام من القوم وشدها في الأعدال[٣] فاضطغنوا[٤] لذلك عليه.

فلما دخلوا مكة كثرت شكايتهم من أمير المؤمنين عليه السلام فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله مناديه فنادىٰ في الناس: ارفعوا ألسنتكم عن علي بن أبي طالب فإنه

---

١ ـ الإهلال: التلبية بإحرام. [لسان العرب، ج ١١، ص ٧٠١، مادة «هلل»]

٢ ـ البُدُن ـ بضمّتين ـ: جمع بَدَنة، وهي الناقة التي تنحر بمكّة. [لسان العرب، ج ١٣، ص ٤٨، مادة «بدن»]

٣ ـ الأعدال: جمع عِدل ـ بالكسر ـ وهو الحمل. [انظر: تاج العروس، ج ١، ص ٢٠٥، مادة «عبأ»]

٤ ـ اضطغن: من الضغن، بمعنى الحِقد. [تاج العروس، ج ١٤، ص ١٧٦، مادة «حمل»]

خشن[١] في ذات الله عزّ وجلّ غير مداهن[٢] في دينه فكفّ الناس عن ذكره وعلموا مكانه من النبي صلى الله عليه وآله وسخطه علىٰ من رام الغميزة[٣] فيه، فأقام أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ إحرامه تأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان قد خرج مع النبي صلى الله عليه وآله كثير من المسلمين بغير سياق هدي فأنزل الله عز ذكره: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[٤]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دخلت العمرة في الحج[٥] ـ وشبك بين أصابع إحدىٰ يديه بالأخرىٰ ـ إلىٰ يوم القيامة ثمّ قال عليه وآله السلام: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي[٦].

ثم أمر مناديه فنادىٰ من لم يسق منكم هدياً فليحل وليجعلها عمرة ومن ساق منكم هدياً فليقم علىٰ إحرامه، فأطاع بعض الناس في ذلك وخالف بعض وجرت خطوب بينهم فيه وقال منهم قائلون: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أشعث[٧]

---

١ ـ رجل خشن: شديدٌ قويٌّ. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢٤٣، مادة «خشن»]

٢ ـ المداهنة: إظهار خلاف ما تضمر. [لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٢، مادة «دهن»]

٣ ـ الغميزة: الطعن بذكر العيب. [لسان العرب، ج ٥، ص ٣٩٠، مادة «غمز»]

٤ ـ [سورة البقرة، الآية ١٩٦].

٥ ـ قوله: دخلت العمرة في الحج: يعني في أشهر الحجّ؛ وذلك لأنّ الناس لم يكونوا يعتمرون في أيام الحجّ. [رياض المسائل، ج ٦، ص ١٢٨]

٦ ـ في حديث الحج: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي، أي لو عَنّ لي هذا الرأي الذي رأيته آخراً وأمرتكم به في أول أمري لما سقت الهدي معي وقلّدته وأشعرته، فإنّه إذا فعل ذلك لا يحلّ حتى ينحر، ولا ينحر إلّا يوم النحر، فلا يصحّ له فسخ الحجّ بعمرة، ومن لم يكن معه هدي لا يلتزم هذا، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ١٠، مادة «قبل»]

٧ ـ التشعث: تغيّر الشعر لقلّة تعهّده بالدهن، يقال: رجل أشعث وامرأة شعثاء. [انظر: تاج العروس، ج ٣، ص ٢٢٦، مادة «شعث»]

أغبر[١] ونلبس الثياب ونقرب النساء وندهن!

وقال بعضهم: أما تستحيون أن تخرجوا ورؤوسكم تقطر من الغسل ورسول الله صلى الله عليه وآله على إحرامه!

فأنكر رسول الله على من خالف في ذلك وقال: لولا أني سقت الهدي لأحللت وجعلتها عمرة فمن لم يسق هدياً فليحل، فرجع قوم وأقام آخرون على الخلاف.

وكان فيمن أقام على الخلاف للنبي صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب فاستدعاه رسول الله عليه وآله، وقال له: ما لي أراك يا عمر محرماً أسقت هدياً؟ قال: لم أسق، قال: فلم لا تحل وقد أمرت من لم يسق الهدي بالإحلال؟ فقال: والله يا رسول الله لا أحللت وأنت محرم، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إنك لن تؤمن بها حتى تموت.

فلذلك أقام على إنكار متعة الحج حتى رقى المنبر في إمارته فنهى عنها نهياً مجدداً وتوعد عليها بالعقاب.

ولما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله نسكه أشرك علياً عليه السلام في هديه وقفل[٢] إلى المدينة وهو معه والمسلمون حتى انتهى إلى الموضع المعروف بغدير[٣] خم[٤] وليس بموضع إذ ذاك للنزول لعدم الماء فيه والمرعى فنزل صلى الله عليه وآله في الموضع ونزل المسلمون معه.

---

١ ـ الأغبر: ما فيه لون الغبار. [مجمع البحرين، ج ٤١٩، مادة «غبر»]

٢ ـ قفل من سفره: رجع. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٥٣، مادة «قفل»]

٣ ـ الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل. [تاج العروس، ج ٧، ص ٢٩٥، مادة «غدر»]

٤ ـ وخمّ ـ بضمّ الخاء وتشديد الميم ـ: موضع بين مكّة والمدينة تصبّ فيه عين كان في ذلك المكان. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٨١، مادة «خمم»]

وكان سبب نزوله في هذا المكان نزول القرآن عليه بنصبه أمير المؤمنين عليه السلام خليفة في الأمة من بعده، وقد كان تقدم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت له فأخره لحضور وقت يأمن فيه الاختلاف منهم عليه وعلم الله سبحانه أنه إن تجاوز غدير خم انفصل عنه كثير من الناس إلىٰ بلادهم وأماكنهم وبواديهم فأراد الله تعالىٰ أن يجمعهم لسماع النص علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام تأكيداً للحجة عليهم فيه فأنزل جلت عظمته عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني في استخلاف علي عليه السلام والنص بالإمامة عليه: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[١] فأكد به الفرض عليه بذلك وخوفه من تأخير الأمر فيه وضمن له العصمة ومنع الناس منه.

فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله المكان الذي ذكرناه لما وصفناه من الأمر له بذلك وشرحناه، ونزل المسلمون حوله وكان يوماً قائظاً[٢] شديد الحر فأمر عليه السلام بدوحات[٣] هناك فقمّ[٤] ما تحتها وأمر بجمع الرحال في ذلك المكان ووضع بعضها علىٰ بعض ثمّ أمر مناديه فنادىٰ في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمعوا من رحالهم إليه وإنّ أكثرهم ليلف رداءه علىٰ قدميه من شدّة الرمضاء[٥] فلما اجتمعوا صعد عليه وآله السلام علىٰ تلك الرحال حتىٰ صار في ذروتها[٦] ودعا أمير

---

١ ـ [سورة المائدة، الآية ٦٧.]

٢ ـ يوم قايظ: أي شديد الحرّ. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٤٨٦، مادة «قيظ»]

٣ ـ الدوحة: الشجرة العظيمة من أيّ شجر كان. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٤٩، مادة «دوح»]

٤ ـ قمّت الجارية البيت: كنَسَتها. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٩٣، مادة «قمم»]

٥ ـ الرمض: شدّة وقع الشمس على الرمل وغيره، والأرض رمضاء. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٠٨، مادة «رمض»]

٦ ـ ذروة الشيء: أعلاه. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٤٢٧، مادة «ذرو»]

المؤمنين عليه السلام فرقىٰ معه حتىٰ قام عن يمينه ثمّ خطب للناس فحمد الله وأثنىٰ عليه ووعظ فأبلغ في الموعظة ونعىٰ إلىٰ الأمة نفسه(١)، فقال عليه وآله السلام: إني قد دعيت ويوشك أن أجيب وقد حان(٢) مني خفوف(٣) من بين أظهركم(٤) وإنـي مخلّف فيكم(٥) ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وعترتي(٦) أهل بـيتي فإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض(٧).

ثمّ نادىٰ بأعلىٰ صوته: ألست أولىٰ بكم منكم بأنفسكم؟ فقالوا: اللهم بلىٰ، فقال لهم علىٰ النسق(٨) وقد أخذ بضبعي(٩) أمير المؤمنين عليه السلام فرفعهما حتىٰ رئي بياض إبطيهما وقال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من

---

١ ـ نعي الرجل بنفسه: أخبر بموته. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٤١٨، مادة «نعا»]

٢ ـ حان: بمعنى قرب. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢٤١، مادة «حين»]

٣ ـ [في المخطوطة: خفوق]. خفقت النجم خفوقاً: غابت. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ١٥٥، مادة «خفق»]

٤ ـ من بين أظهركم: أي أوساطكم. [الوافي، ج ١٠، ص ٥٦٧]

٥ ـ في الحديث: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، مَن العترة؟ فقال عليه السلام: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله حتى يردوا على رسول الله حوضه. [كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٢٤٠، ح ٦٤]

٦ ـ عترة الرجل: أخصّ أقاربه منه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٧٧، مادة «عتر»]

٧ ـ الحوض: الكوثر. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٠١، مادة «حوض»]

٨ ـ فقال لهم على النَّسَق ـ محرّكة ـ: أي من دون فاصلة. [انظر: تاج العروس، ج ١٣، ص ٤٥٧، مادة «نسق»]

٩ ـ الضبع: العضد كلّها أو وسطها. [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٥٣]

عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

ثم نزل صلى الله عليه وآله ـ وكان وقت الظهيرة[١] ـ فصلىٰ ركعتين ثمّ زالت الشمس فأذن مؤذنه لصلاة الفرض فصلىٰ بهم الظهر وجلس صلى الله عليه وآله في خيمته وأمر علياً أن يجلس في خيمة له بإزائه ثمّ أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنئوه بالمقام ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلهم ثمّ أمر أزواجه وجميع نساء المؤمنين معه أن يدخلن عليه ويسلمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن.

وكان ممّن أطنب في تهنئته بالمقام عمر بن الخطاب[٢] فأظهر له المسرة به وقال فيما قال: بخ بخ يا علي أصبحت مولاي ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة!

وجاء حسان إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله ائذن لي أن أقول في

---

١ ـ الظهيرة: شدّة الحرّ نصف النهار. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٩٢، مادة «ظهر»]

٢ ـ قال الغزالي ـ وهو من أكابر علماء العامة ـ في كتابه المسمّى بـ«سرّ العالمين» ما لفظه: قال رسول الله لعلي عليه السلام يوم الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم قال: وهذا رضىً وتسليم وولاية وتحكيم، ثم بعد ذلك غلب الهوى وحبّ الرياسة وعقود البنود وخفقان الرايات وازدحام الخيول وفتح الأمصار والأمر والنهي فحملتهم على الخلاف ﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾ ـ إلى أن قال: ـ ثم إنّ أبا بكر قال على منبر رسول الله: أقيلوني فلستُ بخيركم وعليّ فيكم، أفقال ذلك هُزواً أو جدّاً أو امتحاناً؟ فإن كان هُزءاً فالخلفاء لا يليق بهم الهزل، ثم قال: والعجب من منازعة معاوية بن أبي سفيان علياً في الخلافة، أين ومن أين؟ أليس رسول الله صلى الله عليه وآله قطع طمع من طمع فيها بقوله: إذا ولي الخليفتان فاقتلوا الأخير منهما، والعجب من حق واحد كيف ينقسم بين اثنين والخلافة ليست بجسم ولا عرض فتتجزى، انتهى كلامه. نقلناه من المجمع للطريحي في مادّة «غدر». [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٢٠، مادة «غدر»]

هذا المقام ما يرضاه الله؟ فقال له: قل يا حسان على اسم الله، فوقف على نشز[1] من الأرض وتطاول المسلمون لسماع كلامه فأنشأ يقول:

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم وأسمع بالرسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم؟	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه	وكن للذي عادى علياً معاديا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك.

وإنما اشترط رسول الله صلى الله عليه وآله في الدعاء له لعلمه بعاقبة أمره في الخلاف ولو علم سلامته في مستقبل الأحوال لدعا له على الإطلاق، ومثل ذلك ما اشترط الله تعالى في مدح أزواج النبي عليه السلام ولم يمدحهن بغير اشتراط لعلمه أن منهن من يتغير بعد الحال عن الصلاح الذي يستحق عليه المدح والإكرام فقال عز قائلاً: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾[2] ولم يجعلهن في ذلك حسب ما جعل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في محل الإكرام والمدحة حيث بذلوا قوتهم للمسكين واليتيم والأسير فأنزل الله سبحانه وتعالى في علي بن أبي طالب وفاطمة

---

١ ـ النشز: المكان المرتفع. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٨، مادة «نشز»]

٢ ـ [سورة الأحزاب، الآية ٣٢].

والحسن والحسين عليهما السلام وقد آثروا على أنفسهم مع الخصاصة[١] التي كانت بهم فقال تعالىٰ: ﴿ويُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً ويَتِيماً وأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ولا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللّٰهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ ولَقَّاهُمْ نَضْرَةً وسُرُوراً * وجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وحَرِيراً﴾[٢] فقطع لهم بالجزاء ولم يشترط لهم كما اشترط لغيرهم لعلمه باختلاف الأحوال علىٰ ما بيناه.

فصل

فكان في حجة الوداع من فضل أمير المؤمنين عليه السلام الذي اختص به ما شرحناه وانفرد فيه من المنقبة الجليلة بما ذكرناه فكان شريك رسول الله صلى الله عليه وآله في حجه وهديه ومناسكه ووفقه الله تعالىٰ لمساواة نبيه عليه وآله السلام في نيته ووفاقه في عبادته، وظهر من مكانه عنده صلى الله عليه وآله وجليل محله عند الله سبحانه ما نوّه[٣] به في مدحته فأوجب به فرض طاعته علىٰ الخلائق واختصاصه بخلافته والتصريح منه بالدعوة إلىٰ اتباعه والنهي عن مخالفته والدعاء لمن اقتدىٰ به في الدين وقام بنصرته والدعاء علىٰ من خالفه واللعن لمن بارزه بعداوته، وكشف

---

١ ـ الخصاصة: الخلّة والخاصّة. [تاج العروس، ج ٩، ص ٢٦٩، مادة «خصص»]

٢ ـ [سورة الإنسان، الآيات ٨ ـ ١٢.] أجمعت الأمّة من الخاصّة والعامّة أنّ هذه الآيات من سورة هل أتى إنما نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وخادمتهم فضّة على ما هو مشهور في كتب الأخبار، ذكره غير واحد من العلماء. [مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٦١١]

٣ ـ نوَّهه و[نوّه] به: دعاه ورفعه. [تاج العروس، ج ١٩، ص ١٠٩، مادة «نوه»]

بذلك عن كونه أفضل خلق الله تعالىٰ وأجل بريته وهذا مما لم يشركه أيضاً فيه أحد من الأمة ولا تعرض[١] منه بفضل يقاربه علىٰ شبهة[٢] لمن ظنه أو بصيرة لمن عرف المعنىٰ في حقيقته والله المحمود.

فصل

ثم كان مما أكد له الفضل وتخصصه منه بجليل رتبته ما تلاحجة الوداع من الأمور المتجددة لرسول الله صلى الله عليه وآله والأحداث التي اتفقت[٣] بقضاء الله وقدره.

وذلك أنه عليه وآله السلام تحقق من دنو أجله ما كان قدم الذكر به لأمته فجعل عليه السلام يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذرهم من الفتنة بعده والخلاف عليه ويؤكد وصاتهم بالتمسك بسنته والاجتماع عليها والوفاق ويحثهم علىٰ الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين ويزجرهم عن الخلاف والارتداد، فكان فيما ذكره من ذلك عليه وآله السلام ما جاءت به الرواة علىٰ اتفاق واجتماع من قوله عليه السلام:

أيها الناس، إني فرطكم[٤] وأنتم واردون علىٰ الحوض ألا وإني سائلكم

---

١ ـ [في المخطوطة: «تعوّض» بدل «تعرض»]. تعوّض: أخذ العوض. [تاج العروس، ج ١٠، ص ١٠٦، مادة «عوض»]

٢ ـ يعني يعترف بعدم مقاربة أحدٍ معه كل بصير وذي شبهة.

٣ ـ [في المخطوطة: «اثقفت» بدل «اتفقت»]. أُثقَفت ـ بصيغة المجهول ـ: أي قُيضت وقدرت. [لم أعثر على هذا المعنى بهذه المادة فيما توفّر لدي من المعاجم اللغوية، وإنما جاءت بمعنى: صادفت. (انظر: لسان العرب، ج ٩، ص ١٩، مادة «ثقف»)]

٤ ـ أنا فرطكم على الحوض: أي متقدّمكم إليه. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٣٦١، مادة

عن الثقلين[١] فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّ اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتىٰ يلقياني، وسألت ربي ذلك فأعطانيه، ألا وإني قد تركتهما فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي فلا تسبقوهم فتفرقوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

أيها الناس لا ألفينكم بعدي[٢] ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فتلقوني في كتيبة كمجر السيل الجرار، ألا وإنّ علي بن أبي طالب أخي ووصيي يقاتل بعدي علىٰ تأويل القرآن كما قاتلت علىٰ تنزيله.

فكان عليه وآله السلام يقوم مجلساً بعد مجلس بمثل هذا الكلام ونحوه.

ثمّ إنه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة وندبه[٣] أن يخرج بجمهور الأمة إلىٰ حيث أصيب أبوه من بلاد الروم واجتمع رأيه عليه السلام علىٰ إخراج جماعة من متقدمي المهاجرين والأنصار في معسكره حتىٰ لا يبقىٰ في المدينة عند وفاته صلى الله عليه وآله من يختلف في الرئاسة ويطمع في التقدم علىٰ الناس بالإمارة ويستتب الأمر[٤] لمن استخلفه من بعده ولا ينازعه في حقه منازع، فعقد له الإمرة علىٰ من

«فرط»]

١ ـ الثَّقَل ـ محرّكة ـ: الشيء المصون ومتاع المسافر. [تاج العروس، ج ١٤، ص ٨٥، مادة «ثقل»]. قال ابن الأثير: سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيلٌ، ويقال لكلّ خطير ثَقَل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٢١٦، مادة «ثقل»]

٢ ـ قوله: لا ألفينّكم بعدي: أي لا أجدنّكم. [نهج البلاغة (تحقيق: د. صبحي الصالح)، ص ٥٣٩، وصية رقم ٤٧]

٣ ـ ندبه: دعاه. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٧٠، مادة «ندب»]

٤ ـ [في المخطوطة: «يستسبّ» بدل «يستتبّ»]. استسبّ الأمر: استقام. [انظر: أساس البلاغة،

ذكرناه.

وجد عليه وآله السلام في إخراجهم فأمر أسامة بالبروز[١] عن المدينة بمعسكره إلىٰ الجُرف[٢] وحث الناس علىٰ الخروج إليه والمسير معه وحذّرهم من التلوّم[٣] والإبطاء عنه.

فبينا هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة[٤] التي توفي فيها فلما أحس بالمرض الذي عراه[٥] أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام واتبعه جماعة من الناس وتوجه إلىٰ البقيع فقال لمن تبعه: إنني قد أمرت بالاستغفار لأهل البقيع فانطلقوا معه حتىٰ وقف بين أظهرهم وقال: السلام عليكم يا أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها، ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلاً وأقبل علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: إنّ جبرئيل عليه السلام كان يعرض علي القرآن كل سنة مرة وقد عرضه علي العام مرتين ولا أراه إلّا لحضور أجلي.

ثم قال: يا علي إني خيرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها أو الجنة فاخترت لقاء ربي والجنة، فإذا أنا مت فاغسلني واستر عورتي فإنه لا يراها أحد إلّا أُكمه[٦].

ص ٢٨٢، مادة «سبب»]

١ ـ البروز: الخروج، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٦٥]

٢ ـ الجُرف ـ بالضمّ ـ: موضع قرب المدينة. [لسان العرب، ج ٩، ص ٢٧، مادة «جرف»]

٣ ـ تَلوَّمَ في الأمر: تمكّث. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٦٦٢، مادة «لوم»]

٤ ـ الشكاة: المرض. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٥٨١، مادة «شكي»]

٥ ـ عراه: أي غشيه واشتدّ عليه. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٦٦٩، مادة «عرو»]

٦ ـ الكمه: العمى. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٨٧، مادة «كمه»]

ثم عاد إلىٰ منزله عليه وآله السلام فمكث ثلاثة أيام موعوكاً[١] ثمّ خرج إلىٰ المسجد معصوب الرأس معتمداً علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بيمنىٰ يديه وعلىٰ الفضل بن العباس باليد الأخرىٰ حتىٰ صعد المنبر فجلس عليه، ثم قال: معاشر الناس قد حان[٢] مني خفوف[٣] من بين أظهركم[٤] فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطه إياها ومن كان له عليّ دين فليخبرني به.

معاشر الناس ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً أو يصرف به عنه شراً إلّا العمل.

أيها الناس لا يدعي مدع ولا يتمنىٰ متمن والذي بعثني بالحق لا ينجي إلّا عمل مع رحمة، ولو عصيت لهويت اللهم هل بلغت؟

ثم نزل فصلىٰ بالناس صلاة خفيفة ودخل بيته وكان إذ ذاك في بيت أم سلمة رضي الله عنها، فأقام به يوماً أو يومين.

فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلىٰ بيتها لتتولىٰ تعليله[٥] وسألت أزواج النبي عليه وآله السلام في ذلك فأذن لها فانتقل ﷺ إلىٰ البيت الذي أسكنه

---

١ ـ الوعك: شدّة المرض أو الحمّى خاصة، يقال: وَعَكه المرض: أي ضعّفه فهو موعوك. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٠٧، مادة «وعك»]

٢ ـ حان: قرب. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢٤١، مادة «حين»]

٣ ـ [في المخطوطة: «خفوق» بدل «خفوف»]. الخفوق: الغيبة. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ١٥٥، مادة «خفق»]

٤ ـ من بين أظهركم: أي أوساطكم. [الوافي، ج ١٠، ص ٥٦٧]

٥ ـ التعليل: الاشتغال بلوازم أحوال المريض. [نظر: لسان العرب، ج ١١، ص ٤٦٩، مادة «علل»]

عائشة واستمر به المرض أياماً وثقل.

فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله صلى الله عليه وآله مغمور بالمرض فنادىٰ: الصلاة يرحمكم الله فأوذن[١] رسول الله صلى الله عليه وآله بندائه فقال: يصلي بالناس بعضهم فإنني مشغول بنفسي.

فقالت عائشة: مروا أبا بكر، وقالت حفصة: مروا عمر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين سمع كلامهما ورأىٰ حرص كل واحدة منهما علىٰ التنويه[٢] بأبيها وافتتانهما بذلك ورسول الله صلى الله عليه وآله حي: اكففن فإنكن صويحبات[٣] يوسف، ثمّ قام صلى الله عليه وآله مبادراً خوفاً من تقدم أحد الرجلين وقد كان أمرهما بالخروج مع أسامة ولم يكن عنده أنهما قد تخلفا.

فلما سمع من عائشة وحفصة ما سمع علم أنهما متأخران عن أمره فبدر لكف الفتنة وإزالة الشبهة فقام عليه السلام ـ وأنه لا يستقل علىٰ الأرض من الضعف ـ فأخذ بيده علي بن أبي طالب عليه السلام والفضل بن عباس فاعتمدهما ورجلاه تخطان الأرض من الضعف.

فلما خرج إلىٰ المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلىٰ المحراب فأومأ إليه بيده أن تأخر عنه فتأخر أبو بكر وقام رسول الله صلى الله عليه وآله مقامه فكبر وابتدأ الصلاة التي كان قد ابتدأ بها أبو بكر ولم يبن علىٰ ما مضىٰ من فعاله.

---

١ ـ الإيذان: النداء إلى الصلاة والإعلام به. [تاج العروس، ج ١٨، ص ١٤، مادة «أذن»]

٢ ـ نَوّه به: رفعه. [تاج العروس، ج ١٩، ص ١٠٣، مادة «نبه»]

٣ ـ يقال في تصغير صاحبة: صُوَيحبة، والجمع: صويحبات، وإنما شبّههن بصاحبات يوسف لأنّ كلّاً منهن طلب لقاء يوسف لنفسه دون غيره. [انظر: بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ١٦٢]

فلما سلم انصرف إلىٰ منزله واستدعىٰ أبا بكر وعمر وجماعة ممن حضر المسجد من المسلمين ثمّ قال: ألم آمر أن تنفذوا جيش أسامة، فقالوا: بلىٰ يا رسول الله قال: فلم تأخرتم عن أمري؟ فقال أبو بكر: إنني كنت خرجت ثمّ رجعت لأجدد بك عهداً.

وقال عمر: يا رسول الله لم أخرج لأنني لم أحب أن أسأل عنك الركب[١] فقال النبي صلى الله عليه وآله: فانفذوا جيش أسامة فانفذوا جيش أسامة، يكررها ثلاث مرات ثمّ أغمي عليه من التعب الذي لحقه والأسف[٢]، فمكث هنيهة مغمىً عليه وبكىٰ المسلمون وارتفع النحيب[٣] من أزواجه وولده والنساء المسلمات ومن حضر من المسلمين.

فأفاق[٤] عليه وآله السلام فنظر إليهم. ثم قال: ايتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً[٥] لا تضلوا بعده أبداً. ثم أغمي عليه، فقام بعض من حضر يلتمس دواتاً وكتفاً فقال له عمر: ارجع فإنه يهجر[٦]!!! فرجع وندم من حضره علىٰ ما كان منهم

---

١ ـ الركب: الراكبون، وهو في الأصل راكب الإبل ثم اتّسع فيه فأطلق على كلّ من ركب دابّة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٥٦، مادة «ركب»]

٢ ـ [في المخطوطة إضافة: الذي لحقه]. الأسف: أشدّ الحزن. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٨١، مادة «أسف»]

٣ ـ النحيب: أشدّ البكاء. [تاج العروس، ج ٢، ص ٤١٩، مادة «نحب»]

٤ ـ أفاق المريض من مرضه: أي رجع إلى حالته الأولى في صحّته، وكذلك المغمى والمغشيّ عليه. [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢٧٨]

٥ ـ ايتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً، الكتف: عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدوابّ كانوا يكتبون فيه لقلّة القراطيس عندهم، (نهاية ابن أثير). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ١٥٠، مادة «كتف»]

٦ ـ الهجر: الهذيان، يقال: هجر يهجر هجراً: أي هذى. [تاج العروس، ج ٧، ص ٦٠٨، مادة

من التضجيع[١] في إحضار الدواة والكتف فتلاوموا بينهم فقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون لقد أشفقنا[٢] من خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلما أفاق صلى الله عليه وآله قال بعضهم: ألا نأتيك بكتف يا رسول الله ودواة؟ فقال: أبعد الذي قلتم!! لا ولكنني أوصيكم بأهل بيتي خيراً، ثمّ أعرض بوجهه عن القوم فنهضوا وبقي عنده العباس والفضل وعلي بن أبي طالب وأهل بيته خاصة عليهم السلام.

فقال له العباس: يا رسول الله إن يكن هذا الأمر فينا مستقراً بعدك فبشرنا وإن كنت تعلم أنا نغلب عليه فأوص بنا، فقال: أنتم المستضعفون من بعدي وأصمت[٣] فنهض القوم وهم يبكون قد أيسوا من النبي صلى الله عليه وآله.

فلما خرجوا من عنده قال صلى الله عليه وآله: اردوا عليَّ أخي علي بن أبي طالب وعمي فانفذوا من دعاهما فحضرا، فلما استقر بهما المجلس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عباس يا عم رسول الله تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي عني ديني؟ فقال العباس: يا رسول الله عمك شيخ كبير ذو عيال كثير وأنت تباري الريح سخاء[٤] وكرماً وعليك وعدٌ لا ينهض به عمّك[٥].

«هجر»]

إن كان الشيخ رحمه الله روى هذا الخبر فقد رواه غيره، وما اختصّت الشيعة بهذا النقل، بل رواه من العامّة أعيانهم وأكابرهم ككتب الصحاح حتى أنه لم يمكنهم إنكار ذلك، فأوّلوه بتأويلات تقرح قلب النبي والطيبين والطيّبات.

١ ـ التضجيع: التقصير. [لسان العرب، ج ٨، ص ٢٢٠، مادة «ضجع»]

٢ ـ أشفقنا: أي خفنا وحذرنا. [الوافي، ج ٢، ص ١٢٨]

٣ ـ أصمت الرجل: سكت. [تاج العروس، ج ٣، ص ٨٥، مادة «صمت»]

٤ ـ أنت تباري الريح سخاءً: أي تعارضه وتفعل مثل فعله. [لسان العرب، ج ١٤، ص ٧٢، مادة «بري»]

٥ ـ لا ينهض به عمك: أي لا يطيقه ولا يقدر أن يقوم به. [انظر: لسان العرب، ج ٧، ص ٢٤٥،

فأقبل علي أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أخي تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي عني ديني وتقوم بأمر أهلي من بعدي؟ قال: نعم يا رسول الله فقال له: ادن مني فدنا منه فضمه إليه ثمّ نزع خاتمه من يده فقال له: خذ هذا فضعه في يدك ودعا بسيفه ودرعه وجميع لامته[1] فدفع ذلك إليه والتمس عصابة كان يشدها علىٰ بطنه إذا لبس سلاحه وخرج إلىٰ الحرب فجيء بها إليه فدفعها إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: امض علىٰ اسم الله إلىٰ منزلك.

فلما كان من الغد حجب[2] الناس عنه وثقل في مرضه وكان أمير المؤمنين لا يفارقه إلّا لضرورة فقام في بعض شؤونه فأفاق عليه السلام إفاقة فافتقد[3] علياً عليه السلام فقال ـ وأزواجه حوله ـ: ادعوا لي أخي وصاحبي وعاوده الضعف فأصمت فقالت عائشة: ادعوا له أبا بكر فدعي فدخل عليه فقعد عند رأسه فلما فتح عينه نظر إليه وأعرض عنه بوجهه، فقام أبو بكر فقال: لو كان له إلي حاجة لأفضىٰ بها إليّ[4]، فلما خرج أعاد رسول الله صلى الله عليه وآله القول ثانية وقال: ادعوا لي أخي وصاحبي فقالت حفصة: ادعوا له عمر فدعي فلما حضر رآه النبي عليه السلام فأعرض عنه فانصرف.

ثمّ قال عليه السلام: ادعوا لي أخي وصاحبي فقالت أم سلمة رضي الله عنها: ادعوا له علياً فإنه لا يريد غيره فدعي أمير المؤمنين عليه السلام.

مادة «نهض»]

١ ـ اللامة ـ مهموزاً ـ: أداة الحرب، وقد يحذف همزته تخفيفاً. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٢٠، مادة «لأم»]

٢ ـ حجب: أي منع. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٤، مادة «حجب»]

٣ ـ افتقده وتفقّده: طلبه عند غيبته. [تاج العروس، ج ٥، ص ١٦٧، مادة «فقد»]

٤ ـ أفضى بها إليّ: أي أظهرها لي. [انظر: تاج العروس، ج ٢٠، ص ٥٢، مادة «فضو»]

فلما دنا منه أومأ إليه فأكبّ عليه[١] فناجاه رسول الله صلى الله عليه وآله طويلاً ثمّ قام فجلس ناحية حتىٰ أغفىٰ[٢] رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له الناس: ما الذي أوعز إليكَ[٣] يا أبا الحسن؟ فقال: علمني ألف باب فتح لي كل باب ألف باب ووصاني بما أنا قائم به إن شاء الله تعالىٰ.

ثمّ ثقل عليه السلام وحضره الموت وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر عنده، فلما قرب خروج نفسه قال له: ضع يا علي رأسي في حجرك فقد جاء أمر الله عزّ وجلّ فإذا فاضت نفسي[٤] فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ثمّ وجهني إلىٰ القبلة وتول أمري وصلِّ عليَّ أول الناس ولا تفارقني حتىٰ تواريني[٥] في رمسي[٦] واستعن بالله تعالىٰ، فأخذ علي عليه السلام رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه فأكبت فاطمة عليها السلام تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول[٧]:

---

١ ـ أكبّ عليه: أقبل ولزم. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٥١، مادة «كبب»]

٢ ـ الإغفاء: النوم والنعاس. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٧٠]

٣ ـ أوعز إليه أن يفعل كذا: أمره. [مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٧٥]

٤ ـ فاضت نفسه: أي خرج روحه. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٢٤، مادة «فيض»]. وفي النهاية: فاضت نفسه: أي لعابه الذي يجتمع على شفتيه عند خروج روحه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٤٨٥، مادة «فيض»]

٥ ـ واراه في قبره: أي دفنه وستره. [تاج العروس، ج ٧، ص ٣٦٤، مادة «قبر»]

٦ ـ الرمس: القبر والتراب الذي يحثى على القبر أيضاً. [تاج العروس، ج ٨، ص ٣١١، مادة «رمس»]

٧ ـ هذا الشعر لأبي طالب بن عبد المطلب من قصيدته اللاميّة المشهورة التي قالها في مدح النبي، وصدرها:

أعوذ بربّ البيت من كلّ طاعنٍ ... علينا بسوء أو يلوح بباطلِ

وهي كثيرة شريفة وفيها دليل على إيمانه، رحمة الله عليه ورضوانه. [راجع: شرح نهج

وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه ثمال[١] اليتامىٰ عصمة للأرامل[٢]

ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه وقال بصوت ضئيل[٣]: يا بنية هذا قول عمك أبي طالب لا تقوليه ولكن قولي: ﴿وما مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوقُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ﴾[٤]. فبكت طويلاً فأومأ إليها بالدنو منه فدنت منه فأسرّ إليها شيئاً تهلّل[٥] وجهها له.

ثم قضىٰ عليه الصلاة والسلام ويد أمير المؤمنين عليه السلام اليمنىٰ تحت حنكه[٦] ففاضت نفسه عليه السلام فيها فرفعها إلىٰ وجهه فمسحه بها ثمّ وجّهه وغمضه ومد عليه إزاره واشتغل بالنظر في أمره.

فجاءت الرواية: أنه قيل لفاطمة عليها السلام: ما الذي أسر إليك رسول الله صلى الله عليه وآله فسري عنك ما كنت عليه من الحزن والقلق[٧] بوفاته؟ قالت: إنه خبرني أنني أول

البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١٤، ص ٧٩]

١ ـ الثِّمال ـ بالكسر ـ: الملجأ والغياث، وقيل: هو المطعم في الشدّة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٢٢٢، مادة «ثمل»]

٢ ـ الأَرامِلُ: المساكين من رجال ونساء، يقال لكلّ واحدٍ من الفريقين على انفراده: أرامل، وهو بالنساء أخصّ وأكثر استعمالاً، والواحد أَرْمَلُ وَأَرْمَلَة، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٦٥، مادة «رمل»]

٣ ـ الضئيل: الضعيف. [لسان العرب، ج ١١، ص ٣٨٩، مادة «ضأل»]

٤ ـ [سورة آل عمران، الآية ١٤٤.]

٥ ـ تهلّل وجهُها: أي استنار وظهرت عليه أمارات السرور. [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٧٠]

٦ ـ الحَنَك: ما تحت الذقن أو أسفل داخل الفم في طرف مقدم اللحيين. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٥٤٦، مادة «حنك»]

٧ ـ القلق: الاضطراب. [لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٢٤، مادة «قلق»]

أهل بيته لحوقاً به وأنه لن تطول المدة بي بعده حتىٰ أدركه فسري ذلك عنّي[1].

فلما أراد أمير المؤمنين عليه السلام غسله صلوات الله عليه استدعىٰ الفضل بن عباس فأمره أن يناوله الماء لغسله ـ بعد أن عصب عينيه ـ ثمّ شق قميصه من قبل جيبه حتىٰ بلغ به إلىٰ سرته وتولىٰ عليه السلام غسله وتحنيطه وتكفينه والفضل يعاطيه الماء ويعينه عليه فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم فصلىٰ عليه وحده لم يشركه معه أحد في الصلاة عليه.

وكان المسلمون في المسجد يخوضون[2] فيمن يؤمهم في الصلاة عليه وأين يدفن؟!

فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إمامنا حياً وميتاً فيدخل إليه فوج فوج منكم فيصلون عليه بغير إمام وينصرفون وإنّ الله تعالىٰ لم يقبض نبياً في مكان إلّا وقد ارتضاه لرمسه[3] فيه وإني دافنه في حجرته التي قبض فيها. فسلم القوم لذلك ورضوا به.

ولما صلىٰ المسلمون عليه أنفذ العباس بن عبد المطلب برجل إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح[4] وكان ذلك عادة أهل مكة وأنفذ إلىٰ زيد بن سهل وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد[5] واستدعاهما وقال: اللهم خر

---

١ ـ انسرى الهمّ عنّي وسُرّي: انكشف، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٤٢]

٢ ـ الخوض: تطويل الحديث في الباطل والوقوع فيه. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٠٤، مادة «خوض»]

٣ ـ الرمس: الدفن والقبر أيضاً. [أساس البلاغة، ص ٢٥٢، مادة «رمس»]

٤ ـ الضرح: الشقّ في وسط القبر، وقد ضرحت ضرحاً إذا حفرته. [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٣٨٦، مادة «ضرح»]

٥ ـ اللحد ـ بالتسكين ـ: الشقّ في جانب القبر، واللُّحد ـ بالضم ـ لغة فيه، تقول: لَحَدتُ القبر

لنبيك فوجد أبو طلحة زيد بن سهل فقيل له: احتفر لرسول الله صلى الله عليه وآله فحفر له لحداً ودخل أمير المؤمنين عليه السلام والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد ليتولوا دفن رسول الله صلى الله عليه وآله فنادت الأنصار من وراء البيت: يا علي إنا نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يذهب أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ليدخل أوس بن خولي وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف من الخزرج فلما دخل قال له علي عليه السلام: انزل القبر فنزل ووضع أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ يديه ودلّاه في حفرته[1] فلما حصل في الأرض قال له: اخرج فخرج ونزل علي بن أبي طالب عليه السلام القبر فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ووضع خده علىٰ الأرض موجهاً إلىٰ القبلة علىٰ يمينه ثمّ وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب[2].

وكان ذلك في يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدىٰ عشرة من هجرته وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ولم يحضر دفن رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر الناس لما جرىٰ بين المهاجرين والأنصار من التشاجر[3] في أمر الخلافة وفات أكثرهم الصلاة عليه لذلك، وأصبحت فاطمة عليها السلام تنادي: وا سوء صباحاه، فسمعها أبو بكر فقال لها: إنّ صباحك لصباح سوء واغتنم القوم الفرصة لشغل علي بن أبي طالب برسول الله صلى الله عليه وآله وانقطاع بني هاشم عنهم بمصابهم برسول الله صلى الله عليه وآله فتبادروا[4] إلىٰ ولاية

لحداً وألحدت أيضاً. (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٥٣٤، مادة «لحد»]

١ ـ دلّاه في حفرته: أرسله. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٤١٣، مادة «دلو»]

٢ ـ أهال عليه التراب: صبّه. (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٧١]

٣ ـ التشاجر: التخالف والتنازع. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٤٣، مادة «شجر»]

٤ ـ تبادر إلى الشيء: أسرع وتقدّم. [لسان العرب، ج ٤، ص ٤٨، مادة «بدر»]

الأمر، واتفق لأبي بكر ما اتفق لاختلاف الأنصار فيما بينهم وكراهة الطلقاء[١] والمؤلّفة قلوبهم[٢] من تأخر الأمر حتىٰ يفرغ بنو هاشم فيستقر الأمر مقره فبايعوا أبا بكر لحضوره المكان، وكانت أسباب معروفة تيسر منها للقوم ما راموه[٣] ليس هذا الكتاب موضع ذكرها فنشرح القول فيها علىٰ التفصيل.

وقد جاءت الرواية: أنه لما تم لأبي بكر ما تم وبايعه من بايع جاء رجل إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسوي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسحاة[٤] في يده فقال له: إنّ القوم قد بايعوا أبا بكر ووقعت الخذلة في الأنصار لاختلافهم، وبدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر فوضع طرف المسحاة في الأرض ويده عليها ثمّ قال: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ * ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾[٥].

وقد كان أبو سفيان جاء إلىٰ باب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والعباس متوفران[٦] علىٰ النظر في أمره فنادىٰ:

---

١ ـ الطلقاء: هم الذين خلى عنهم رسول الله يوم فتح مكّة وأطلقهم لم يسترقّهم، واحدهم طليق فعيلٌ بمعنى مفعول، وهو الأسير إذا أطلق سبيله، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٣٦، مادة «طلق»]

٢ ـ المؤلّفة قلوبهم: أي المستمالة قلوبهم بالمودة والإحسان، [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٦، مادة «ألف»]. وقد سبق ذكر بعضهم في أحوال غزوة حنين.

٣ ـ رام الشيء: قصده وطلبه. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٧٦، مادة «روم»]

٤ ـ المسحاة ـ بكسر الميم ـ: ما يسحى به الأرض، أي يقشر ويحرث، يقال لها بالفارسية: بيل. [لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٧٢، مادة «سحا»]

٥ ـ [سورة العنكبوت، الآيات ١ ـ ٤.]

٦ ـ توفّر عليه: أي راعى حرماته. [لسان العرب، ج ٥، ص ٢٨٧، مادة «وفر»]

بني هاشم لا تطمعوا[١] الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرّة أو عدي[٢]
فما الأمر إلّا فيكم وإليكم وليس لها[٣] إلّا أبو الحسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم[٤] فإنك بالأمر الذي يرتجىٰ ملي[٥]

ثم نادىٰ بأعلىٰ صوته: يا بني هاشم يا بني عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل[٦] الرذل بن الرذل أما والله لئن شئتم لأملأنها خيلاً ورجلاً.

فناداه أمير المؤمنين عليه السلام: ارجع يا باسفيان فوالله ما تريد الله بما تقول وما زلت تكيد الإسلام وأهله ونحن مشاغيل برسول الله صلى الله عليه وآله وعلىٰ كل امرىء ما اكتسب وهو ولي ما احتقب[٧].

فانصرف أبو سفيان إلىٰ المسجد فوجد بني أمية مجتمعين فيه فحرضهم

---

١ ـ أطمعتُ الرجل فيك: جعلته ذا طمع. [لسان العرب، ج ٨، ص ٢٤٠، مادة «طمع»]

٢ ـ تيم بن مرّة: أبو قبيلة، منهم أبو بكر بن أبي قحافة، [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ١٨٧٩، مادة «تيم»]. وعديّ: قبيلة منها عمر بن الخطاب، [بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ١٦١]. وهما من أضعف بيوت العرب، ولأجل ذلك أوردهما بلا سيّما.

٣ ـ الضمير في «لها» راجع إلى الخلافة.

٤ ـ اشدد بها كفّ حازم: أي خذها وقاوم عليها بكفّ حازم، يقال: رجل حازم: أي ضابط لأمره. [لسان العرب، ج ١٢، ١٣١، مادة «حزم»]

٥ ـ الملي: الثقة الغنيّ، وهو مهموز، لكن جرت الألسن بترك همزته. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٣٥٢، مادة «ملأ»]

٦ ـ الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمّه، [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٤٢، مادة «فصل»]. والمراد بأبي فصيل هو أبو بكر؛ وذلك لأنّ البكر لغةً ولد الناقة. [مرآة العقول للعلاّمة المجلسي، ج ٢٦، ص ١١٨]

٧ ـ احتقب الإثم: اكتسبَ. [المصباح المنير، ج ٢، ص ١٤٣، مادة «حقب»]

علىٰ الأمر فلم ينهضوا له، وكانت فتنة عمت وبلية شملت وأسباب سوء اتفقت تمكن بها الشيطان وتعاون فيها أهل الإفك والعدوان فتخاذل في إنكارها أهل الإيمان وكان ذلك تأويل قول الله عز اسمه: ﴿واتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾[1].

فصل

وفيما عددناه من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام بعد الذي تقدم ذكره من ذلك في حجة الوداع أدل دليل علىٰ تخصصه عليه السلام فيها بما لم يشركه فيه أحد من الأنام إذ كان كل واحد منه باباً من الفضل قائماً بنفسه غير محتاج في معناه إلىٰ سواه.

ألا ترىٰ أن تحققه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله في مرضه إلىٰ أن توفاه الله يقتضي فضله في الدين والقربىٰ من النبي صلى الله عليه وآله بالأعمال المرضية الموجبة لسكونه إليه وتعويله[2] في أمره عليه وانقطاعه عن الكافة في تدبير نفسه إليه واختصاصه من مودته بما لم يشركه فيه من عداه، ثمّ وصيته إليه بما وصاه بعد أن عرض ذلك علىٰ غيره فأباه وتحمّله أعباء[3] حقوقه فيه وضمانه للقيام به وأداء الأمانة فيما تولاه وتخصصه بإخوة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبته المرضية حين دعاه وإيداعه من علوم الدين ما أفرده به ممن سواه وتولي غسله وجهازه إلىٰ الله وسبق الكافة إلىٰ الصلاة عليه وتقدمهم في ذلك بمنزلته عنده وعند الله تعالىٰ، ودلالة الأمة علىٰ كيفية

---

١ ـ [سورة الأنفال، الآية ٢٥].

٢ ـ التعويل: الاعتماد. [مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص ٥٩٧، مادة «عول»]

٣ ـ الأعباء: جمع عبء، وهو الحمل الثقيل. [تاج العروس، ج ١، ص ٢٠٥، مادة «عبأ»]

الصلاة عليه وقد التبس الأمر عليهم في ذلك، وإرشاده لهم إلىٰ موضع دفنه مع الاختلاف الذي كان بينهم فيه فانقادوا إلىٰ ما دعاهم إليه من ذلك وراه، فصار بذلك كله أوحداً في فضله وأكمل به من مآثره[1] في الإسلام ما ابتدأه في أوله إلىٰ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وحصل له به نظام الفضائل علىٰ الاتساق ولم يتخلل شيئاً من أعماله في الدين فتور ولا شان[2] فضله عليه السلام فيما عددناه قصور عن غاية في مناقب الإيمان وفضائل الإسلام وهذا لاحق بالمعجز الباهر الخارق للعادات وهو مما لا يوجد مثله إلّا لنبي مرسل أوملك مقرب ومن لحق بهما في درج[3] الفضائل عند الله تعالىٰ إذ كانت العادة جارية فيمن عدا الأصناف الثلاثة بخلاف ذلك علىٰ الاتفاق من ذوي العقول والألسن والعادات، والله نسأل التوفيق وبه نعتصم من الضلال.

فصل

فأما الأخبار التي جاءت بالباهر من قضاياه عليه السلام في الدين وأحكامه التي افتقر إليه في علمها كافة المؤمنين بعد الذي أثبتناه من جملة الوارد في تقدمه في العلم وتبريزه[4] علىٰ الجماعة بالمعرفة والفهم وفزع[5] علماء الصحابة إليه فيما

---

١ ـ المآثر: جمع مأثرة، بمعنى المكرمة، سمّيت بها لأنّها تؤثر وتروى. [تاج العروس، ج ٦، ص ٩، مادة «أثر»]

٢ ـ شانه: أي عابه. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢٧٣، مادة «شين»]

٣ ـ الدرج: المراقي، جمع دَرجة، مثل قصب وقصبة، أريد به الطبقات والمراتب. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٠٠، مادة «درج»]

٤ ـ برز فلان على أصحابه تبريزاً: فاقهم. [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ٨٦٤، مادة «برز»]

٥ ـ الفزع: الالتجاء. [لسان العرب، ج ٨، ص ٢٥٢، مادة «فزع»]

أعضل[١] من ذلك والتجائهم إليه فيه وتسليمهم له القضاء به فهي أكثر من أن تحصىٰ وأجل من أن تتعاطىٰ، وأنا مورد منها جملة تدل علىٰ ما بعدها إن شاء الله تعالىٰ.

فصل

فمن ذلك ما رواه نقلة الآثار من العامة والخاصة في قضاياه ورسول الله صلى الله عليه وآله حي فصوّبه[٢] فيها وحكم له بالحق فيما قضاه ودعا له بخير وأثنىٰ عليه به وأبانه بالفضل في ذلك من الكافة، ودل به علىٰ استحقاقه الأمر من بعده ووجوب تقدمه علىٰ من سواه في مقام الإمامة كما تضمن ذلك التنزيل فيما دل علىٰ معناه وعرف به ما حواه التأويل حيث يقول الله عزوجل: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلّا أَنْ يُهْدىٰ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٣] وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[٤] وقوله عزوجل في قصة آدم عليه السلام وقد قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هٰؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ *

---

١ ـ أعضل الأمر: اشتدّ. [تاج العروس، ج ١٥، ص ٤٩٨، مادة «عضل»]

٢ ـ صوّبه: قال له أصبتَ. [تاج العروس، ج ٢، ص ١٥٦، مادة «صوب»]

٣ ـ [سورة يونس، الآية ٣٥]. يهدّي ـ بتشديد الدال ـ: أصله يهتدي. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٣٢٨، مادة «هدي»]

٤ ـ [سورة الزمر، الآية ٩.]

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[١].

فنبه الله تعالىٰ الملائكة علىٰ أن آدم أحق بالخلافة منهم لأنه أعلم منهم بالأسماء وأفضلهم في علم الأنباء.

وقال تقدست أسماؤه في قصة طالوت: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

فجعل جهة حقه في التقدم عليهم ما زاده الله من البسطة في العلم والجسم واصطفاءه إياه علىٰ كافتهم بذلك، فكانت هذه الآيات موافقة لدلائل العقول في أن الأعلم أحق بالتقدم في محل الإمامة ممن لا يساويه في العلم ودلت علىٰ وجوب تقدم أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ كافة المسلمين في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وإمامة الأمة لتقدمه عليهم في العلم والحكمة وقصورهم عن منزلته في ذلك.

---

١ ـ [سورة البقرة، الآيات ٣٠ ـ ٣٣.]

٢ ـ [سورة البقرة، الآية ٢٤٧]. ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾: أي زاده سعة وامتداداً فيهما، وكان أعلم بني إسرائيل في وقته وأتمّهم جسماً وأشجعهم. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٣٨، مادة «بسط»]

فصل

فمما جاءت به الرواية في قضاياه والنبي صلى الله عليه وآله حي موجود أنه لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله تقليده قضاء اليمن وإنفاذه إليهم ليعلمهم الأحكام ويعرفهم الحلال من الحرام ويحكم فيهم بأحكام القرآن قال له أمير المؤمنين عليه السلام: تنفذني[١] يا رسول الله للقضاء وأنا شاب ولا علم لي بكل القضاء فقال له: ادن مني، فدنا منه فضرب علىٰ صدره بيده وقال: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه» قال أمير المؤمنين عليه السلام: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام.

ولما استقرت به الدار باليمن ونظر فيما ندبه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله من القضاء والحكم بين المسلمين رفع[٢] إليه رجلان بينهما جارية يملكان رقها علىٰ السواء قد جهلا حظر[٣] وطئها فوطئاها معاً في طهر واحد علىٰ ظن منهما جواز ذلك لقرب عهدهما بالإسلام وقلة معرفتهما بما تضمنته الشريعة من الأحكام، فحملت الجارية ووضعت غلاماً فاختصما إليه فيه فقرع علىٰ الغلام باسميهما فخرجت القرعة لأحدهما فألحق الغلام به وألزمه نصف قيمته لأنه كان عبداً لشريكه وقال: لو علمت أنكما أقدمتما علىٰ ما فعلتماه بعد الحجة عليكما بحظره لبالغت في عقوبتكما، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه القضية فأمضاها وأقر الحكم بها في الإسلام.

---

١ ـ [في المخطوطة «تندبني» بدل «تنفذني»]. ندبه إلى الأمر: دعاه وبعثه. [تاج العروس، ج ٢، ص ٤٢٥، مادة «ندب»]

٢ ـ رفعت فلاناً إلى الحاكم: إذا قدّمته إليه، ورفعت أمري إلى الحاكم أيضاً. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٤٤، مادة «رفع»]

٣ ـ الحظر: المنع. [تاج العروس، ج ٦، ص ٢٩٣، مادة «حظر»]

وقال: الحمد لله الذي جعل فينا ـ أهل البيت ـ من يقضي على سنن[١] داود عليه السلام وسبيله في القضاء، يعني القضاء بالإلهام الذي هو في معنى الوحي ونزول النص به أن لو نزل على التصريح.

ثم رفع إليه عليه السلام وهو باليمن خبر زبية[٢] حفرت للأسد فوقع فيها فغدا الناس ينظرون إليه فوقف على شفير الزبية رجل فزلت قدمه فتعلق بآخر وتعلق الآخر بثالث وتعلق الثالث بالرابع فوقعوا في الزبية فدقهم الأسد[٣] وهلكوا جميعاً فقضى عليه السلام أن الأول فريسة الأسد[٤] وعليه ثلث الدية للثاني وعلى الثاني ثلثا الدية للثالث وعلى الثالث الدية كاملة للرابع، فانتهى الخبر بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لقد قضى أبو الحسن فيهم بقضاء الله عزّ وجلّ فوق عرشه.

ثمّ رفع إليه خبر جارية حملت جارية على عاتقها عبثاً ولعباً فجاءت جارية أخرى فقرصت الحاملة فقفزت[٥] لقرصتها[٦] فوقعت الراكبة فاندقت عنقها وهلكت، فقضى عليه السلام على القارصة بثلث الدية وعلى القامصة[٧] بثلثها

---

١ ـ السَّنَن ـ محرّكة ـ: الطريقة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٤١٠، مادة «سنن»]

٢ ـ الزُّبية ـ بالضم ـ: حفيرة تحفر للأسد والصيد ويغطى رأسها بما يسترها ليقع فيها. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٩٥،، مادة «زبا»]

٣ ـ قوله: فدقّهم الأسد: أي أهلكهم وهشّمهم. [لسان العرب، ج ١٠، ص ١٠٠، مادة «دقق»]

٤ ـ الفريسة: صيد الأسد ممّا افترسه. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٩٢، مادة «فرس»]

٥ ـ [في المخطوطة: فقمصت.]

٦ ـ القرص: أخذك لحم الإنسان بإصبعيك حتّى تؤلمه، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣١٢]

٧ ـ القامصة: النافرة الضاربة برجلها. [لسان العرب، ج ٧، ص ٨٣، مادة «قمص»]

وأسقط الثلث الباقي بقموص الراكبة لركوب الواقعة[١] عبثاً القامصة، وبلغ الخبر بذلك إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فأمضاه وشهد له بالصواب.

وقضىٰ عليه السلام في قوم وقع عليهم حائط فقتلهم وكان في جماعتهم امرأة مملوكة وأخرىٰ حرة وكان للحرة ولد طفل من حر، وللجارية المملوكة ولد طفل من مملوك فلم يعرف الحر ـ من الطفلين ـ من المملوك فقرع بينهما وحكم بالحرية لمن خرج سهم الحرية عليه منهما وحكم بالرق لمن خرج عليه سهم الرق منهما، ثمّ أعتقه وجعله مولاه وحكم في ميراثهما بالحكم في الحر ومولاه، فأمضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله عليه هذا القضاء وصوبه حسب إمضائه ما أسلفنا ذكره ووصفناه.

فصل

وجاءت الآثار أن رجلين اختصما إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله في بقرة قتلت حماراً فقال أحدهما: يا رسول الله بقرة هذا الرجل قتلت حماري فقال رسول الله عليه وآله السلام: اذهبا إلىٰ أبي بكر فاسألاه عن ذلك، فجاءا إلىٰ أبي بكر وقصا عليه قصتهما فقال: كيف تركتما رسول الله صلى الله عليه وآله وجئتماني؟ قالا: هو أمرنا بذلك فقال لهما: بهيمة قتلت بهيمة لا شيء علىٰ ربها[٢].

فعادا إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فأخبراه بذلك فقال لهما: امضيا إلىٰ عمر بن الخطاب

---

١ ـ [في المخطوطة: «الواقصة» بدل «الواقعة»]. الوقص: كسر العنق، يقال: وُقص الرجل فهو موقوص، ولا يقال: وقصت العنق نفسها، والواقصة ههنا بمعنى الموقوصة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢١٤، مادة «وقص»]

٢ ـ ربّ الدابّة: صاحبها، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ١، ص ٧٠]

وقصا عليه قصتكما واسألاه القضاء في ذلك فذهبا إليه وقصا عليه قصتهما فقال لهما: كيف تركتما رسول الله صلى الله عليه وآله وجئتماني؟ قالا: هو أمرنا بذلك قال: فكيف لم يأمركما بالمصير إلىٰ أبي بكر؟ قالا: قد أمرنا بذلك فصرنا إليه فقال: ما الذي قال لكما في هذه القضية؟ قالا له: كيت وكيت[1] قال: ما أرىٰ فيها إلّا ما رأىٰ أبو بكر.

فعادا إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فخبراه الخبر فقال: اذهبا إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام ليقضي بينكما فذهبا إليه فقصا عليه قصتهما فقال عليه السلام: إن كانت البقرة دخلت علىٰ الحمار في مأمنه فعلىٰ ربها قيمة الحمار لصاحبه، وإن كان الحمار دخل علىٰ البقرة في مأمنها فقتلته فلا غُرم[2] علىٰ صاحبها، فعادا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبراه بقضيته بينهما فقال صلى الله عليه وآله: لقد قضىٰ علي بن أبي طالب بينكما بقضاء الله عز اسمه ثمّ قال: الحمد لله الذي جعل فينا ـ أهل البيت ـ من يقضي علىٰ سنن داود في القضاء.

وقد روىٰ بعض العامة أن هذه القضية كانت من أمير المؤمنين عليه السلام بين الرجلين باليمن. وروىٰ بعضهم حسب ما قدمناه وأمثال ذلك كثيرة، وإنما الغرض في إيراد موجز منه علىٰ الاختصار.

---

١ ـ كيت [و] كيت، ويكسر آخرهما: كناية عن الأمر أي كذا وكذا. [تاج العروس، ج ٣، ص ١٢٣، مادة «كيت»]

٢ ـ الغُرم: الغرامة، وهي ما يجب أداؤه. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٢٦، مادة «غرم»]

فصل

في ذكر مختصر من قضائه عليه السلام في إمارة أبي بكر بن أبي قحافة

فمن ذلك ما جاء الخبر به عن رجال من العامة والخاصة أن رجلاً رفع إلىٰ أبي بكر وقد شرب الخمر فأراد أن يقيم عليه الحد فقال له: إنني شربتها ولا علم لي بتحريمها لأني نشأت بين قوم يستحلونها ولم أعلم بتحريمها حتىٰ الآن، فارتجّ[١] علىٰ أبي بكر الأمر بالحكم عليه ولم يعلم وجه القضاء فيه، فأشار عليه بعض من حضره أن يستخبر أمير المؤمنين عليه السلام عن الحكم في ذلك فأرسل إليه من سأله عنه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: مر ثقتين من رجال المسلمين يطوفان به علىٰ مجالس المهاجرين والأنصار ويناشدانهم الله[٢] هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه وإن لم يشهد أحد بذلك فاستتبه[٣] وخل سبيله.

---

١ ـ ارتجّ عليه الأمر ـ بصيغة المجهول وتشديد الجيم ـ اضطرب والتبس، وارتج ـ بتخفيف الجيم ـ أي أغلق. [تاج العروس، ج ٣، ص ٣٨١، مادة «رجج»]

٢ ـ ناشدتك الله وبالله: أي سألتك وأقسمت عليك، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٥٣، مادة «نشد»]

٣ ـ استتابَه: أي سأله أن يتوب. [تاج العروس، ج ١، ص ٣٢٩، مادة «توب»]

ففعل ذلك أبو بكر فلم يشهد أحد من المهاجرين والأنصار أنه تلا عليه آية التحريم ولا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فاستتابه أبو بكر وخلىٰ سبيله وسلم لعلي عليه السلام في القضاء به.

ورووا أن أبا بكر سئل عن قوله تعالىٰ: ﴿وفاكِهَةً وأَبّاً﴾[1] فلم يعرف معنىٰ الأب في القرآن وقال: أي سماء تظلني وأيّ أرض تقلّني[2] أم كيف أصنع إن قلت في كتاب الله تعالىٰ بما لا أعلم، أما الفاكهة فنعرفها وأما الأب فالله أعلم به، فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام مقاله في ذلك فقال عليه السلام: يا سبحان الله أما علم أن الأب هو الكلاء[3] والمرعىٰ وإنّ قوله عز اسمه: ﴿وفاكِهَةً وأَبّاً﴾ اعتداد من الله سبحانه بإنعامه علىٰ خلقه فيما غذاهم به وخلقه لهم ولأنعامهم مما تحيا به أنفسهم وتقوم به أجسادهم.

وسئل أبو بكر عن الكلالة فقال: أقول فيها برأيي فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما أغناه عن الرأي في هذا المكان! أما علم أن الكلالة هم الإخوة والأخوات من قبل الأب والأم ومن قبل الأب علىٰ انفراده ومن قبل الأم أيضاً علىٰ حدتها، قال الله عز قائلاً: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ولَهُ أُخْتٌ فَلَهٰا نِصْفُ مٰا تَرَكَ وَهُوَ يرِثُها إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ﴾[4]، وقال عز قائلاً: ﴿وإِنْ كٰانَ

---

١ ـ [سورة عبس، الآية ٣١].

٢ ـ أقللت الشيء: رفعته وحملته. [لسان العرب، ج ١١، ص ٥٦٥، مادة «قلل»]

٣ ـ الكلأ: النبات والعشب سواء رطبه ويابسه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ١٩٤، مادة «كلأ»]

٤ ـ [سورة النساء، الآية ١٧٦].

رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾[١].

وجاءت الرواية أن بعض أحبار[٢] اليهود جاء إلىٰ أبي بكر فقال: أنت خليفة نبي هذه الأمة؟ فقال له: نعم فقال: فإنا نجد في التوراة أن خلفاء الأنبياء أعلم أممهم فخبرني عن الله تعالىٰ أين هو في السماء أم في الأرض؟ فقال له أبو بكر: في السماء علىٰ العرش فقال اليهودي: فأرىٰ الأرض خالية منه وأراه علىٰ هذا القول في مكان دون مكان فقال أبو بكر: هذا كلام الزنادقة[٣] اغرب[٤] عني وإلّا قتلتك فولىٰ الحبر متعجباً يستهزىء بالإسلام فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه وما أجبت به وإنا نقول: إنّ الله جل وعز أيّن الأين فلا أين له وجلّ عن أن يحويه مكان وهو في كل مكان بغير مماسة ولا مجاورة يحيط علماً بما فيها ولا يخلو شيء منها من تدبيره وإني مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدق ما ذكرته لك فإن عرفته أتؤمن به؟ قال اليهودي: نعم قال: ألستم تجدون في بعض كتبكم أن موسىٰ بن عمران عليه السلام كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق فقال له موسىٰ: من أين أقبلت؟ قال: من عند الله عزّ وجلّ ثمّ جاءه ملك من المغرب فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند الله وجاءه ملك آخر

---

١ ـ [سورة النساء، الآية ١٢].

٢ ـ الأحبار: جمع حبر، وهو العالم والصالح، ويستعمل في اليهود كثيراً. [تاج العروس، ج ٦، ص ٢٣٥، مادة «حبر»]

٣ ـ الزنادقة: جمع زنديق، وهو الكافر بالله، أو مخصوص بالثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢٤٢]

٤ ـ [في المخطوطة: «اعزب» بدل «اغرب»]. عزب الرجل ـ بالعين المهملة ثم المعجمة ـ: أي غاب وذهب. [تاج العروس، ج ٢، ص ٢٢٨، مادة «عزب»]

فقال: قد جئتك من السماء السابعة من عند الله تعالىٰ، وجاءه ملك آخر فقال: قد جئتك من الأرض السابعة السفلىٰ من عند الله عز اسمه فقال موسىٰ عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلىٰ مكان أقرب من مكان فقال اليهودي: أشهد أن هذا هو الحق وأنك أحق بمقام نبيك ممن استولىٰ عليه.

وأمثال هذه الأخبار كثيرة.

فصل

في ذكر ما جاء من قضاياه عليه السلام في إمارة عمر بن الخطاب

فمن ذلك ما جاءت به العامة والخاصة في قصة قدامة بن مظعون[١] وقد شرب الخمر فأراد عمر أن يحده فقال له قدامة: إنه لا يجب علي الحد لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿لَيْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وآمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالحاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا﴾[٢] فدرأ[٣] عمر عنه الحد فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فمشىٰ إلىٰ عمر. فقال له: لم تركت إقامة الحد علىٰ قدامة

---

١ ـ قدامة بضمّ الأول وتخفيف الثاني، ابن مظعون بالظاء المعجمة: أخو عثمان بن مظعون خال عبد الله بن عمر وحفصة، وكانت بنت الخطاب أخت عمر تحته أيضاً. [الاستيعاب لابن عبد البر، ج ٣، ص ١٢٧٧، تسلسل ٢١٠٨]

٢ ـ [سورة المائدة، الآية ٩٣.]

٣ ـ دَرَأ: أي رفع وكفّ. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ١٠٩، مادة «درأ»]

في شربه الخمر؟ فقال له: إنه تلا عليّ الآية وتلاها عمر فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ليس قدامة من أهل هذه الآية ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرم الله تعالىٰ، إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلون حراماً فاردد قدامة واستتبه مما قال: فإن تاب فأقم عليه الحد وإن لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملة، فاستيقظ[١] عمر لذلك وعرف قدامة الخبر فأظهر التوبة والإقلاع[٢] فدرأ عمر عنه القتل ولم يدر كيف يحده، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: أشر علي في حده فقال: حده ثمانين، إنّ شارب الخمر إذا شربها سكر وإذا سكر هذىٰ[٣] وإذا هذىٰ افترىٰ، فجلده عمر ثمانين وصار إلىٰ قوله في ذلك.

ورووا أن مجنونة علىٰ عهد عمر فجر بها رجل فقامت البينة عليها بـذلك فأمر عمر بجلدها الحد فمر بها علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام لتجلد فقال: ما بال مجنونة آل فلان تعتل[٤]؟ فقيل له: إنّ رجلاً فجر بها وهرب وقامت البينة عليها فأمر عمر بجلدها فقال لهم: ردوها إليه وقولوا له أما علمت أن هذه مجنونة آل فلان، وأن النبي صلى الله عليه وآله قال: رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون حتىٰ يفيق[٥]! إنها مغلوبة علىٰ عقلها ونفسها فردت إلىٰ عمر وقيل له ما قال أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: فرج الله عنه، لقد كدت أن أهلك في جلدها فدرأ عنها الحد.

وروي أنه أتي بحامل قد زنت فأمر برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هب

---

١ ـ استيقظ: انتبه. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٤٩٩، مادة «يقظ»]

٢ ـ الإقلاع: الكفّ. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٨٣، مادة «قلع»]

٣ ـ هذى هذياً وهذياناً: تكلّم بغير معقول. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٣٣٤، مادة «هذي»]

٤ ـ العتل: الجرّ العنيف. [تاج العروس، ج ١٥، ص ٤٦٢، مادة «عتل»]

٥ ـ أفاق المجنون: أي رجع إلى حالته الأولى من الصحة. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٣١، مادة «فوق»]

لك سبيل عليها أي سبيل لك علىٰ ما في بطنها؟! والله تعالىٰ يقول: ﴿ولا تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾ فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو حسن ثمّ قال: فما أصنع بها؟ قال: احتط عليها[1] حتىٰ تلد فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم الحد عليها، فسري بذلك عن عمر وعول في الحكم به علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام.

وروي أنه استدعىٰ امرأة تتحدث عندها الرجال فلما جاءها رسله فزعت وارتاعت وخرجت معهم فأملصت[2] فوقع إلىٰ الأرض ولدها يستهلّ[3] ثمّ مات فبلغ عمر ذلك فجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسألهم عن الحكم في ذلك فقالوا بأجمعهم: نراك مؤدباً ولم ترد إلّا خيراً ولا شيء عليك في ذلك، وأمير المؤمنين عليه السلام جالس لا يتكلم في ذلك فقال له عمر: ما عندك في هذا يا أبا الحسن؟ قال: قد سمعت ما قالوا قال: فما تقول أنت؟ قال: قد قال القوم ما سمعت قال: أقسمت عليك لتقولن ما عندك قال: إن كان القوم قاربوك فقد غشّوك[4] وإن كانوا ارتأوا[5] فقد قصروا الدية علىٰ عاقلتك[6] لأن قتل الصبي خطأ تعلق بك

---

١ ـ احتط عليها: أي احفظها بالحزم. [لسان العرب، ج ٧، ص ٢٧٩، مادة «حوط»]

٢ ـ أملصت المرأة: ألقت ولدها قبل وقت الولادة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٣٥٦، مادة «ملص»]

٣ ـ استهلال الصبي: تصويته عند ولادته. [النهاية في غريب الحديث والأثـر، ج ٥، ص ٢٧١، مادة «هلل»]

٤ ـ الغشّ: خلاف النصح. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٦٩، مادة «غشش»]

٥ ـ ارتأى: افتعال من الرأي. [مجمع البحرين، ج ١، ص ١٧٠، مادة «رأى»]

٦ ـ العاقلة: العَصَبة ممّن يعطي دية قتيل الخطأ من الأقارب من قبل الأب، وههنا معطي الديـة مطلقاً. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢٧٨، مادة «عقل»]

فقال: أنت والله نصحتني من بينهم، والله لا تبرح حتىٰ تجزىء الدية علىٰ بني عدي ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام.

وروي أن امرأتين تنازعتا علىٰ عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما ولداً لها بغير بينة ولم ينازعهما فيه غيرهما فالتبس الحكم في ذلك علىٰ عمر وفزع فيه إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فاستدعىٰ المرأتين ووعظهما وخوفهما فأقامتا علىٰ التنازع والاختلاف فقال عليه السلام عند تماديهما[١] في النزاع: ايتوني بمنشار[٢] فقالت له المرأتان: ما تصنع؟ فقال: أقدّه[٣] نصفين لكل واحدة منكما نصفه فسكتت إحداهما وقالت الأخرىٰ: الله الله يا أبا الحسن إن كان لابد من ذلك فقد سمحت به لها، فقال: الله أكبر هذا ابنك دونها ولوكان ابنها لرقت عليه وأشفقت فاعترفت المرأة الأخرىٰ بأن الحق مع صاحبتها والولد لها دونه فسري عن عمر، ودعىٰ لأمير المؤمنين عليه السلام بما فرج عنه في القضاء.

وروي عن يونس، عن الحسن أن عمر أتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهمّ برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن خاصمتك[٤] بكتاب الله خصمتك إنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وحَمْلُهُ وفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[٥] ويقول جل قائلاً: ﴿والْوالِدٰاتُ

---

١ ـ التمادي: الإلحاح والتوسع في الأمر حتى المنتهى. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٢٥]

٢ ـ المنشار ـ بالكسر ـ: آلة ينشر بها الخشبة، يقال لها بالفارسة: ارّه. [القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٤٢]

٣ ـ القدّ: الشقّ طولاً. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ١٢٤، مادة «قدد»]

٤ ـ خاصمه مخاصمة فخصمه: أي غلبه. [لسان العرب، ج ١٢، ص ١٨٠، مادة «خصم»]

٥ ـ [سورة الأحقاف، الآية ١٥.]

يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾(١) فإذا تممت المرأة الرضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً كان الحمل منها ستة أشهر فخلىٰ عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك يعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنه إلىٰ يومنا هذا.

وروي أن امرأة شهد عليها الشهود أنهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يطؤها ليس ببعل(٢) لها، فأمر عمر برجمها وكانت ذات بعل فقالت: اللهم إنك تعلم أني بريئة فغضب عمر وقال: وتجرح الشهود(٣) أيضاً قال أمير المؤمنين عليه السلام: ردوها واسألوها فلعل لها عذراً فردت وسئلت عن حالها فقالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي وحملت معي ماء ولم يكن في إبلي لبن وخرج معي خليطنا(٤) وكانت في إبله لبن فنفذ مائي فاستسقيته فأبىٰ أن يسقيني حتىٰ أمكنه من نفسي فأبيت فلما كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي كرهاً فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله أكبر: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ ولا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾(٥) فلما سمع ذلك عمر خلىٰ سبيلها.

---

١ ـ [سورة البقرة، آية ٢٣٣.]

٢ ـ البعل: الزوج. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٢٢، مادة «بعل»]

٣ ـ جرح الشاهد: طعن فيه وردّ شهادته. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٢٥٥، مادة «جرح»]

٤ ـ الخليط: المشارك في الطريق والشِّرب، ومن خلط دوابّه بدوابّك. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٢٤٢، مادة «خلط»]

٥ ـ [سورة البقرة، الآية ١٧٣].

فصل

ومما جاء عنه عليه السلام في معنىٰ القضاء وصواب الرأي وإرشاد القوم إلىٰ مصالحهم وتدارك ما كاد يفسد بهم لولا تنبيهه علىٰ وجه الرأي فيه؛ ما حدث به شبابة بن سوار، عن أبي بكر الهذلي قال: سمعت رجالاً من علمائنا يقولون تكاتبت الأعاجم من أهل همذان وأهل الري وأهل أصفهان وقومس[1] ونهاوند وأرسل بعضهم إلىٰ بعض أن ملك العرب الذي جاء بدينهم وأخرج كتابهم قد هلك ـ يعنون النبي صلى الله عليه وآله ـ وأنه ملكهم من بعده رجل ملكاً يسيراً ثمّ هلك ـ يعنون أبا بكر ـ وقام بعده آخر قد طال عمره حتىٰ تناولكم في بلادكم وأغزاكم[2] جنوده ـ يعنون عمر بن الخطاب ـ وأنه غير منته عنكم حتىٰ تخرجوا من في بلادكم من جنوده وتخرجوا إليه فتغزوه[3] في بلاده فتعاقدوا علىٰ هذا وتعاهدوا عليه.

فلما انتهىٰ الخبر إلىٰ من بالكوفة من المسلمين أنهوه إلىٰ عمر بن الخطاب فلما انتهىٰ إليه الخبر فزع عمر لذلك فزعاً شديداً ثمّ أتىٰ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: معاشر المهاجرين والأنصار إنّ الشيطان قد جمع لكم جموعاً وأقبل بها ليطفىء نور الله ألا إنّ أهل همذان وأهل أصفهان والري وقومس ونهاوند مختلفة ألسنتها وألوانها وأديانها قد تعاهدوا

---

١ ـ قومس ـ بالضمّ وفتح الميم ـ: صُقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل، كذا في القاموس، وهي دامقان وما والاها. [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٢٤٢]

٢ ـ أغزيت فلاناً: إذا جهّزته للغزو، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٦٦، مادة «غزا»]

٣ ـ غزاه غزواً: سار إلى قتاله وانتهابه، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٦٩]

وتعاقدوا أن يخرجوا من بلادهم إخوانكم من المسلمين ويخرجوا إليكم فيغزوكم في بلادكم فأشيروا عليّ وأوجزوا ولا تطنبوا في القول فإنّ هذا يوم له ما بعده من الأيام.

فتكلموا فقام طلحة بن عبيد الله وكان من خطباء قريش فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين قد حنكتك الأمور[١] وجرستك الدهور وعجمتك البلايا وأحكمتك التجارب وأنت مبارك الأمر ميمون النقيبة[٢] قد وليت فخبرت واختبرت وخبرت فلم تنكشف من عواقب قضاء الله إلّا عن خيار فاحضر هذا الأمر برأيك ولا تغب عنه ثمّ جلس.

فقال عمر: تكلموا فقام عثمان بن عفان فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أما بعد يا أمير المؤمنين فإني أرىٰ أن تشخص أهل الشام من شامهم وأهل اليمن من يمنهم وتسير أنت في أهل هذين الحرمين وأهل المصرين الكوفة والبصرة فتلقىٰ جمع المشركين بجمع المؤمنين فإنك يا أمير المؤمنين لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز[٣] فاحضره برأيك ولا

---

١ ـ في حديث طلحة: قال لعمر: قد حنكتك الأمور، أي راضتك وهذبتك، يقال بالتخفيف والتشديد، وأصله من حنك الفرس يحنكه إذاجعل في حنكه الأسفل حبلاً يقوده به، [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٤٥٢، مادة «حنك»] وفيه: قد جرستك الدهور أي حنكتك وأحكمتك وجعلتك خبيراً بالأمور مجرّباً، ويروى بالشين المعجمة بمعناه، [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٢٦١، مادة «جرس»] وفيه: عجمتك الأمور أي خبرتك من العجم، بمعنى العضّ، يقال: عجمت العود إذا عضضته لتنظر أصلب هو أم رخوٌ، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٨٨، مادة «عجم»]

٢ ـ إنه ميمون النقيبة: أي منجح الفعال مظفّر المطالب، والنقيبة: النفس، وقيل: الطبيعة والخليقة، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ١٠٢، مادة «نقب»]

٣ ـ قوله: ولا تلوذ منها بحريز: أي لا يمكنك أن تلوذ وتلتجيء بشيء يحرزك، يقال: حرزٌ

تغب عنه ثمّ جلس.

فقال عمر: تكلموا. فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: الحمد لله ـ حتىٰ أتم التحميد والثناء علىٰ الله والصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ثمّ قال: أما بعد فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلىٰ ذراريهم وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلىٰ ذراريهم وإن أشخصت من بهذين الحرمين انتقضت العرب عليك من أطرافها وأكنافها حتىٰ يكون ما تدع وراء ظهرك من عيالات العرب أهم إليك مما بين يديك، وأما ذكرك كثرة العجم ورهبتك من جموعهم فإنا لم نكن نقاتل علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالنصر، وأما ما بلغك من اجتماعهم علىٰ المسير إلىٰ المسلمين فإنّ الله لمسيرهم أكره منك لذلك وهو أولىٰ بتغيير ما يكره، وإنّ الأعاجم إذا نظروا إليك قالوا: هذا رجل العرب فإن قطعتموه فقد قطعتم العرب فكان أشدّ لكلبهم[1] وكنت قد ألّبتهم[2] علىٰ نفسك وأمدهم من لم يكن يمدهم، ولكني أرىٰ أن تقر هؤلاء في أمصارهم وتكتب إلىٰ أهل البصرة فليتفرقوا علىٰ ثلاث فرق فلتقم فرقة منهم علىٰ ذراريهم حرساً لهم ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلّا ينتقضوا ولتسر فرقة منهم إلىٰ إخوانهم مدداً لهم.

فقال عمر: أجل هذا الرأي وقد كنت أحب أن أتابع عليه وجعل يكرر قول أمير المؤمنين عليه السلام وينسقه[3] إعجاباً به واختياراً له.

حريز كقولهم: حِصنٌ حصينٌ. [المصباح المنير، ج ٢، ص ١٢٩، مادة «حرز»]

١ ـ الكَلَب ـ بالتحريك ـ: الحرص والشدّة. [تاج العروس، ج ٢، ص ٣٨١، مادة «كلب»]

٢ ـ التأليب: التحريض. [تاج العروس، ج ١، ص ٣٠٦، مادة «ألب»]

٣ ـ نسق الكلام ينسقه إذا جعله في نظام واحد عاطفاً بعضه على بعض. [تاج العروس، ج ١٣،

قال الشيخ المفيد رحمه الله: فانظروا ـ أيدكم الله ـ إلىٰ هذا الموقف الذي ينبىء بفضل الرأي إذ تنازعه أولو الألباب والعلم وتأملوا التوفيق الذي قرن الله به أمير المؤمنين عليه السلام في الأحوال كلها وفزع القوم إليه في المعضل من الأمور وأضيفوا ذلك إلىٰ ما أثبتناه عنه من القضاء في الدين الذي أعجز متقدمي القوم حتىٰ اضطروا في علمه إليه تجدوه من باب المعجز الذي قدمناه والله ولي التوفيق.

فهذا طرف من موجز الأخبار فيما قضىٰ به أمير المؤمنين عليه السلام في إمارة عمر بن الخطاب وله مثل ذلك في إمارة عثمان بن عفان.

فصل

فمن ذلك ما رواه نقلة الآثار من العامة والخاصة أن امرأة نكحها شيخ كبير فحملت فزعم الشيخ أنه لم يصل إليها وأنكر حملها فالتبس الأمر علىٰ عثمان وسأل المرأة هل اقتضك[١] الشيخ؟ وكانت بكراً فقالت: لا فقال عثمان: أقيموا الحد عليها فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ للمرأة سمّين[٢] سم المحيض وسم البول فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم المحيض فحملت منه فاسألوا الرجل عن ذلك فسئل فقال: قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالاقتضاض فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمل له والولد ولده وأرىٰ عقوبته علىٰ الإنكار له فصار

ص ٤٥٧، مادة «نسق»]

١ ـ [في المخطوطة: «افتضّك» بدل «اقتضّك»]. الافتضاض: الفضّ، وهو الكسر، أريد به الوطي بكسر ما هي عليه من البكارة. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٢٢، مادة «فضض»]

٢ ـ السمّ: الثقب. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٩٢، مادة «سمم»]

عثمان إلىٰ قضائه بذلك وتعجب منه.

ورووا أن رجلاً كانت له سرية[1] فأولدها ثمّ اعتزلها وأنكحها عبداً له ثمّ توفي السيد فعتقت بملك ابنها لها فورث ولدُها زوجها ثمّ توفي الابن فورثت من ولدها زوجها فارتفعا إلىٰ عثمان يختصمان تقول هذا عبدي ويقول هي امرأتي ولست مفرجاً عنها فقال عثمان: هذه قضية مشكلة وأمير المؤمنين حاضر فقال: سلوها هل جامعها بعد ميراثها له؟ فقالت: لا فقال: لو أعلم أنه فعل ذلك لعذبته اذهبي فإنه عبدك ليس له عليك سبيل إن شئت أن تسترقيه أو تعتقيه أو تبيعيه فذاك لك.

ورووا أن مكاتبة[2] زنت علىٰ عهد عثمان وقد عتق منها ثلاثة أرباع فسأل عثمان أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يجلد منها بحساب الحرية ويجلد منها بحساب الرق وسأل زيد بن ثابت فقال: تجلد بحساب الرق فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كيف تجلد بحساب الرق وقد عتق منها ثلاثة أرباعها؟ وهلا جلدتها بحساب الحرية فإنها فيها أكثر! فقال زيد: لو كان ذلك كذلك لوجب توريثها بحساب الحرية فيها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أجل ذلك واجب.

فأفحم زيد[3] وخالف عثمان أمير المؤمنين عليه السلام وصار إلىٰ قول زيد ولم

---

١ ـ السُّرِية ـ بالضمّ ـ: الأمة التي بوّأتها بيتاً منسوب إلى السِّرّ بالكسر للجماع، والضمّ من تغيير النَّسب. [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٦٨٢، مادة «سرر»]

٢ ـ المكاتبة: وهو أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه منجّماً عليه، فإذا أدّاه فهو حرّ. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٥٤، مادة «كتب»]

٣ ـ قوله: فأفحم زيدٌ على المجهول، من قولك: كلّمته حتى أفحمته إذا أسكتّه في خصومة أو غيرها. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٤٩، مادة «فحم»]

يصغ إلىٰ ما قال بعد ظهور الحجة عليه، وأمثال ذلك مما يطول بذكره الكتاب وينتشر به الخطاب.

فصل

وكان من قضاياه عليه السلام بعد بيعة العامة له ومضي عثمان بن عفان علىٰ ما رواه أهل النقل من حملة الآثار أن امرأة ولدت علىٰ فراش زوجها ولداً له بدنان ورأسان علىٰ حقو[1] واحد فالتبس الأمر علىٰ أهله أهو واحد أم اثنان؟ فصاروا إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام يسألونه عن ذلك ليعرفوا الحكم فيه فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: اعتبروه إذا نام ثمّ أنبهوا أحد البدنين والرأسين فإن انتبها جميعاً معاً في حالة واحدة فهما إنسان واحد، وإن استيقظ أحدهما والآخر نائم فهما اثنان وحقهما من الميراث حق اثنين.

وروىٰ الحسن بن علي العبدي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة قال: بينا شريح في مجلس القضاء إذ جاءه شخص فقال: يا أبا أمية أخلني فإنّ لي حاجة قال: فأمر من حوله أن يخفوا عنه فانصرفوا وبقي خاصة من حضر فقال له: اذكر حاجتك فقال: يا أبا أمية إنّ لي ما للرجال وما للنساء فما الحكم عندك فيّ أرجل أنا أم امرأة؟ فقال له: قد سمعت من أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك قضية أنا أذكرها خبرني عن البول من أي الفرجين يخرج؟ قال الشخص: من كليهما قال: فمن أيهما ينقطع؟ قال: منهما معاً فتعجب شريح فقال الشخص: سأورد عليك من

---

١ ـ الحقو ـ بفتح المهملة وسكون ـ: موضع شدّ الأزار، وهو الخاصرة، ويكسر، (قاموس).
[القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣١٨]

أمري ما هو أعجب قال شريح: وما ذاك؟ قال: زوجني أبي علىٰ أنني امرأة فحملت من الزوج وابتعت جارية تخدمني فأفضيت إليها[١] فحملت مني.

قال: فضرب شريح إحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ متعجباً وقال: هذا أمر لا بد من إنهائه[٢] إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فلا علم لي بالحكم فيه، فقام وتبعه الشخص ومن حضر معه حتىٰ دخل علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقص عليه القصة فدعا أمير المؤمنين عليه السلام بالشخص فسأله عما حكاه شريح فأقر به فقال له: ومن زوجك؟ قال: فلان بن فلان وهو حاضر في المصر فدعي وسئل عما قال، فقال: صدق فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لأنت أجرأ من صائد الأسد حين تقدم علىٰ هذا الحال ثمّ دعا قنبراً مولاه فقال: أدخل هذا الشخص بيتاً ومعه أربع نسوة من العدول ومرهن بتجريده وعد أضلاعه بعد الاستيثاق من ستر فرجه فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما آمن علىٰ هذا الشخص الرجال والنساء فأمر أن يشد عليه تبّان[٣] وأخلاه في بيت ثمّ ولجه[٤] فعد أضلاعه فكانت من الجانب الأيسر سبعة ومن الجانب الأيمن ثمانية فقال: هذا رجل وأمر بطمّ شعره[٥] وألبسه القلنسوة والنعلين والرداء وفرّق بينه وبين الزوج.

وروىٰ بعض أهل النقل أنه لما ادعىٰ الشخص ما ادعاه من الفرجين أمر أمير المؤمنين عليه السلام عدلين من المسلمين أن يحضرا بيتاً خالياً وأحضر الشخص معهما

---

١ ـ أفضى إلى المرأة: جامَعها، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٧٤]

٢ ـ الإنهاء: الإبلاغ. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٤٢٦، مادة «نها»]

٣ ـ التبّان ـ كرُمّان ـ: سراويل صغير يستر العورة المغَلّظة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ١٨١، مادة «تبن»]

٤ ـ ثمّ ولجه: أي دخل عليه متفرّداً متخلّياً. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٣٥، مادة «ولج»]

٥ ـ طَمَّ شعره: جزّه. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٠٧، مادة «طمم»]

وأمر بنصب مرآتين[١] إحداهما مقابلة لفرج الشخص والأخرىٰ مقابلة للمرآة الأخرىٰ وأمر الشخص بالكشف عن عورته في مقابلة المرآة حيث لا يراه العدلان وأمر العدلين بالنظر في المرآة المقابلة لها فلما تحقق العدلان صحة ما ادعاه الشخص من الفرجين اعتبر حاله بعد أضلاعه، فلما ألحقه بالرجال أهمل قوله في ادعاء الحمل وألغاه ولم يعمل به وجعل حمل الجارية منه وألحقه به.

ورووا أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل ذات يوم المسجد فوجد شاباً حدثاً يبكي وحوله قوم فسأل أمير المؤمنين عليه السلام عنه فقال: إنّ شريحاً قضىٰ علي بقضية لم ينصفني فيها قال: وما شأنك؟ قال: إنّ هؤلاء النفر[٢] ـ وأومأ إلىٰ نفر حضور[٣] ـ أخرجوا أبي معهم في سفر فرجعوا ولم يرجع فسألتهم عنه فقالوا مات فسألتهم عن ماله الذي استصحبه فقالوا: ما نعرف له مالاً فاستحلفهم[٤] شريح وتقدّم[٥] إلي بترك التعرض لهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: اجمع القوم وادع لي شرط الخميس[٦] ثمّ

---

١ ـ المرآة ـ بكسر الميم ـ: ما ينظر فيه، ويقال لها بالفارسية: آيينه. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٤٣٦، مادة «رأي»]

٢ ـ النَّفَر ـ بالتحريك ـ: الناس كلّهم وما دون العشرة من الرجال، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٤٦]

٣ ـ حُضور: جمع حاضر، كسُجود في ساجد. [تاج العروس، ج ٦، ص ٢٩٠، مادة «حضر»]

٤ ـ استحلفه: طلب منه أن يحلف. [تاج العروس، ج ١٢، ص ١٤٩، مادة «حلف»]

٥ ـ تقدّمت إليه بكذا، وقدّمت: أمرته به، (أساس). [أساس البلاغة، ص ٤٩٦، مادة «قدم»]

٦ ـ الشُّرَط ـ كصُرَد ـ: طائفة من أعوان الولاة، والخميس أضيفوا إليه تفخيماً بهم، ولأجل أنّ لهم في الجيش خدمة وقدمة، والنسبة شرطيّ. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٥٧، مادة «شرط»]

جلس ودعا النفر والحدث[١] معهم فسأله عما قال: فأعاد الدعوىٰ وجعل يبكي ويقول: أنا والله أتهمهم علىٰ أبي يا أمير المؤمنين فإنهم احتالوا عليه حتىٰ أخرجوه معهم وطمعوا في ماله، فسأل أمير المؤمنين عليه السلام القوم فقالوا كما قالوا لشـريح: مات الرجل ولا نعرف له مالاً فنظر في وجوههم ثمّ قال لهم: ما ذا؟ أتظنون أني لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتىٰ! إني إذاً لقليل العلم.

ثمّ أمر بهم أن يفرقوا ففرقوا في المسجد وأقيم كل رجل منهم إلىٰ جـانب أسطوانة من أساطين المسجد ثمّ دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه يومئذ فقال له: اجلس ثمّ دعا واحداً منهم فقال له: أخبرني ولا ترفع صوتك في أي يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الغلام معكم؟ فقال: في يوم كذا وكذا فقال لعبيد الله: اكتب ثمّ قال له: في أي شهر كان؟ قال: في شهر كذا قال: اكتب، ثم قال: في أي سنة؟ قال: في سنة كذا فكتب عبيد الله ذلك قال: فبأي مرض مات؟ قال: بمرض كذا قال: ففي أي منزل مات؟ قال: في موضع كذا قال: من غسله وكفنه؟ قال: فلان قـال: فـبم كفنتموه؟ قال: بكذا قال: فمن صلىٰ عليه؟ قال: فلان قال: فمن أدخله القبر؟ قال: فلان وعبيد الله بن أبي رافع يكتب ذلك كله فلما انتهىٰ إقراره إلىٰ دفنه كبّر أمـير المؤمنين عليه السلام تكبيرة سمعها أهل المسجد ثمّ أمر بالرجل فرد إلىٰ مكانه.

ودعا بآخر من القوم فأجلسه بالقرب منه ثمّ سأله عما سـأل الأول عـنه فأجاب بما خالف الأول في الكلام كله وعبيد الله بن أبي رافع يكتب ذلك فـلما فرغ من سؤاله كبر تكبيرة سمعها أهل المسجد ثمّ أمر بالرجلين جميعاً أن يخرجا عن المسجد نحو الحبس[٢] فيوقف بهما علىٰ بابه.

---

١ ـ الحَدَث: الشابُّ. [تاج العروس، ج ٣، ص ١٩٠، مادة «حدث»]

٢ ـ [في المخطوطة: «السجن» بدل «الحبس»]. السـجن: الحـبس. [تـاج العـروس، ج ١٨،

ثمّ دعا بثالث فسأله عما سأل الرجلين فحكىٰ خلاف ما قالا وأثبت ذلك عنه ثمّ كبر وأمر بإخراجه نحو صاحبيه.

ودعا برابع من القوم فاضطرب قوله ولجلج[١] فوعظه وخوفه فاعترف أنه وأصحابه قتلوا الرجل وأخذوا ماله وأنهم دفنوه في موضع كذا وكذا بالقرب من الكوفة فكبر أمير المؤمنين عليه السلام وأمر به إلىٰ السجن.

واستدعىٰ واحداً من القوم فقال له: زعمت أن الرجل مات حتف أنفه[٢] وقد قتلته أصدقني عن حالك وإلّا نكّلت بك[٣] فقد وضح لي الحق في قصتكم فاعترف من قتل الرجل بما اعترف به صاحبه ثمّ دعا الباقين فاعترفوا عنده بالقتل وسقط[٤] في أيديهم[٥] واتفقت كلمتهم علىٰ قتل الرجل وأخذ ماله فأمر من مضىٰ مع بعضهم إلىٰ موضع المال الذي دفنوه فاستخرجه منه وسلمه إلىٰ الغلام ابن الرجل المقتول ثمّ قال له: ما الذي تريد؟ قد عرفت ما صنع القوم بأبيك قال: أريد أن يكون القضاء بيني وبينهم بين يدي الله عزّ وجلّ وقد عفوت عن دمائهم في

ص ٢٧١، مادة «سجن»]

١ ـ [في المخطوطة: «تلجلج» بدل «لجلج»]. التلجلج: التردّد في الكلام. [القاموس المحيط، ج ١، ص ٢٠٥]

٢ ـ الحتف: الموت، ومات فلانٌ حتف أنفه: أي على فراشه من غير قتل ولا ضرب. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٤، مادة «حتف»]

٣ ـ نكّل به تنكيلاً: صنع به صنيعاً يحذر غيره.(قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٦٠]

٤ ـ [في المخطوطة:«وسقطوا» بدل «وسقط»].

٥ ـ سقطوا في أيديهم ـ بصيغة الفعل المجهول ـ : أي ندِموا. [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٥٤١، مادة «يدي»]

الدنيا فدرأ[١] عنهم أمير المؤمنين عليه السلام حد القتل وأنهكهم عقوبة[٢].

فقال شريح: يا أمير المؤمنين كيف هذا الحكم؟ فقال له: إنّ داود عليه السلام مر بغلمان يلعبون وينادون بواحد منهم: يا مات الدين قال: والغلام يجيبهم فدنا داود عليه السلام منهم فقال له: يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمي مات الدين قال له داود: ومن سماك بهذا الاسم؟ قال: أمي فقال له داود عليه السلام: وأين أمك؟ قال: في منزلها فقال داود عليه السلام: انطلق بنا إلىٰ أمك فانطلق به إليها فاستخرجها من منزلها فخرجت فقال: يا أمة الله ما اسم ابنك هذا؟ قالت: اسمه مات الدين، قال لها داود: ومن سماه بهذا الاسم؟ قالت: أبوه قال: وما كان سبب ذلك؟ قالت: إنه خرج في سفر له ومعه قوم وأنا حامل بهذا الغلام فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي معهم فسألتهم عنه فقالوا: مات فسألتهم عن ماله فقالوا: ما ترك مالاً فقلت لهم: فهل وصاكم بوصية؟ قالوا: زعم أنك حبلىٰ فإن ولدت جارية أو غلاماً فسميه مات الدين فسميته كما وصىٰ ولم أحب خلافه، فقال لها داود عليه السلام: فهل تعرفين القوم؟ قالت: نعم قال لها داود: انطلقي مع هؤلاء ـ يعني قوماً بين يديه ـ فاستخرجيهم من منازلهم، فلما حضروه حكم فيهم بهذه الحكومة فثبت عليهم الدم واستخرج منهم المال، ثمّ قال لها: يا أمة، الله سمي ابنك هذا (بعاش الدين).

وروي أن امرأة هويت[٣] غلاماً فراودته عن نفسه[٤] فامتنع الغلام فمضت

١ ـ الدرء: الدفع. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٣٣، مادة «دره»]

٢ ـ أنهكه السلطان عقوبة: أي بالغ في عقوبته، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٢٢]

٣ ـ هويه كرضيه هوياً: أحبّه. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٣٤٧، مادة «هوي»]

٤ ـ راودته عن نفسه: هو كناية عمّا تريد النساء من الرجال، من قولهم: راودته على الأمر مراودةً إذا طلبتَ منه فعله. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٥٥، مادة «رود»]

وأخذت بيضة فألقت بياضها علىٰ ثوبها ثمّ علقت بالغلام ورفعته إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وقالت: إنّ هذا الغلام كابرني[١] علىٰ نفسي وقد فضحني ثمّ أخذت ثيابها فأرت بياض البيض وقالت: هذا ماؤه علىٰ ثوبي فجعل الغلام يبكي ويبرأ مما ادعته ويحلف فقال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: مر من يغلي ماء حتىٰ تشتد حرارته ثم لتأتني به علىٰ حاله فجيء بالماء فقال: ألقوه علىٰ ثوب المرأة فألقوه عليه فاجتمع بياض البيض والتأم فأمر بأخذه ودفعه إلىٰ رجلين من أصحابه فقال تطعماه والفظاه، فتطعماه فوجداه بيضاً فأمر بتخلية الغلام وجلد المرأة عقوبة علىٰ ادعائها الباطل.

وروىٰ الحسن بن محبوب قال: حدثني عبد الرحمن بن الحجاج قال: سمعت ابن أبي ليلىٰ يقول: قضىٰ أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما سبقه إليها أحد وذلك أن رجلين اصطحبا في سفر فجلسا يتغديان[٢] فأخرج أحدهما خمسة أرغفة[٣] وأخرج الآخر ثلاثة أرغفة فمر بهما رجل فسلم فقالا له: الغداء فجلس معهما يأكل فلما فرغ من أكله رمىٰ إليهما ثمانية دراهم وقال لهما: هذه عوض عما أكلت من طعامكما فاختصما وقال صاحب الثلاثة: هذه نصفان بيننا وقال صاحب الخمسة بل لي خمسة ولك ثلاثة، فارتفعا إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وقصا عليه القصة فقال لهما: هذا أمر فيه دناءة والخصومة غير جميلة فيه والصلح أحسن فقال صاحب الثلاثة الأرغفة: لست أرضىٰ إلّا بمرّ[٤] القضاء فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فإذا كنت

---

١ ـ المكابرة: المغالبة. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٥٢٤، مادة «كبر»]

٢ ـ الغداء: الطعام الذي يغدى به. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٩،، مادة «غدو»]

٣ ـ الأرغفة: جمع رغيف، نوع من الخبز المستدير. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٦٤، مادة «رغف»]

٤ ـ المُرّ: ضدّ الحلو؛ وذلك لأنّ الحكم بين اثنين لا يخلو من مرارة. [تاج العروس، ج ٧،

لا ترضىٰ إلّا بمر القضاء فإنّ لك واحداً من ثمانية ولصاحبك سبعة فقال: سبحان الله كيف صار هذا هكذا؟ فقال له: أخبرك أليس كان لك ثلاثة أرغفة قال: بلىٰ قال ولصاحبك خمسة أرغفة قال: بلىٰ فهذه أربعة وعشرون ثلثاً أكلت أنت ثمانية وصاحبك ثمانية والضيف ثمانية، فلما أعطاكم الثمانية كان لصاحبك السبعة ولك واحدة فانصرف الرجلان علىٰ بصيرة من أمرهما في القضية.

وروىٰ علماء السير أن أربعة نفر شربوا المسكر علىٰ عهد أمير المؤمنين عليه السلام فسكروا فتباعجوا بالسكاكين[1] فنال الجراح كل واحد منهم ورفع خبرهم إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فأمر بحبسهم حتىٰ يفيقوا فمات في الحبس منهم اثنان وبقي منهم اثنان، فجاء قوم الاثنين إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: أقدنا[2] من هذين النفسين فإنهما قتلا صاحبينا فقال لهم: وما علمكم بذلك؟ ولعل كل واحد منهما قتل صاحبه فقالوا: لا ندري فاحكم فيها بما علمك الله فقال عليه السلام: دية المقتولين علىٰ قبائل الأربعة بعد مقاصة الحيين منها بدية جراحهما.

فكان ذلك هو الحكم الذي لا طريق إلىٰ الحق في القضاء سواه ألا ترىٰ أنه لا بينة علىٰ القاتل تفرده من المقتول ولا بينة علىٰ العمد في القتل فلذلك كان القضاء فيه علىٰ حكم الخطأ في القتل واللبس في القاتل دون المقتول.

وروي أن ستة نفر نزلوا في الفرات فتغاطوا[3] فيها لعباً فغرق واحد منهم

ص ٤٧٤، مادة «مرر»]

١ ـ بعج بطنه بالسكين: شقّه، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٣٠٠، مادة «بعج»]

٢ ـ القود: القصاص، وأقدتُ القاتل بالقتيل: أي قتلته به، يقال: أقادنا السلطان من فلان: أي قتله قصاصاً لقتيلنا. [لسان العرب، ج ٣، ص ٣٧٢، مادة «قود»]

٣ ـ الغَطّ في الماء: الغوص، يقال: هم يتغاطون في الماء: أي يتغامسون يغطّ بعضهم بعضاً.

فشهد اثنان علىٰ ثلاثة منهم أنهم غرقوه وشهد الثلاثة علىٰ الاثنين أنهما غرقاه فقضىٰ عليه السلام بالدية أخماساً علىٰ الخمسة النفر ثلاثة منها علىٰ الاثنين بحساب الشهادة عليهما، وخمسان علىٰ الثلاثة بحساب الشهادة أيضاً، ولم يكن في ذلك قضية أحق بالصواب مما قضىٰ به عليه السلام .

ورووا أن رجلاً حضرته الوفاة فوصىٰ بجزء من ماله ولم يعينه فاختلف الوارث بعده في ذلك وترافعوا إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقضىٰ عليهم بإخراج السُّبع من ماله، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿لَهٰا سَبْعَةُ أَبْوٰابٍ لِكُلِّ بٰابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾(١) .

وقضىٰ عليه السلام في رجل وصىٰ عند الموت بسهم من ماله ولم يبينه فلما مضىٰ اختلف الورثة في معناه فقضىٰ عليه السلام بإخراج الثمن من ماله وتلا قوله جلت عظمته: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقٰاتُ لِلْفُقَرٰاءِ وَالْمَسٰاكِينِ وَالْعٰامِلِينَ عَلَيْهٰا﴾(٢) إلىٰ آخر الآية وهم ثمانية أصناف لكل صنف منهم سهم من الصدقات.

وقضىٰ عليه السلام في رجل وصىٰ فقال: أعتقوا عني كل عبد قديم في ملكي فلما مات لم يعرف الوصي ما يصنع فسأله عن ذلك فقال: يعتق عنه كل عبد له في ملكه ستة أشهر وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنٰاهُ مَنٰازِلَ حَتّٰى عٰادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾(٣) وقد ثبت أن العرجون إنما ينتهي إلىٰ الشبه بالهلال في تقوسه وضؤولته بعد ستة

[لسان العرب، ج ٧، ص ٣٦٢، مادة «غطط»]

١ ـ [سورة الحجر، الآية ٤٤.]

٢ ـ [سورة التوبة، الآية ٦٠.]

٣ ـ [سورة يس، الآية ٣٩]. العُرجون: هو العود الأصفر الذي فيه شماريخ العذق، وهو فعلون من الانعراج بمعنى الانعطاف، والواو والنون زائدتان، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢٠٣ ،مادة «عرج»]

أشهر من أخذ الثمرة منه.

وقضىٰ عليه السلام في رجل نذر أن يصوم حيناً ولم يسم وقتاً بعينه أن يصوم ستة أشهر وتلا قوله تعالىٰ ذكره: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[١] وذلك في كل ستة أشهر.

وجاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنه كان بين يدي تمر فبدرت زوجتي فأخذت منه واحدة فألقتها في فيها فحلفت أنها لا تأكلها ولا تلفظها فقال أمير المؤمنين عليه السلام تأكل نصفها وترمي نصفها وقد تخلصت من يمينك.

وقضىٰ عليه السلام في رجل ضرب امرأة فألقت علقة أن عليه ديتها أربعين ديناراً وتلا قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٢] ثم قال: في النطفة عشرون ديناراً وفي العلقة أربعون ديناراً وفي المضغة ستون ديناراً وفي العظم قبل أن يستوي خلقاً ثمانون ديناراً وفي الصورة قبل أن تلجها[٣] الروح مائة دينار فإذا ولجتها الروح كان فيها ألف دينار.

فهذا طرف من ذكر قضاياه عليه السلام وأحكامه الغريبة التي لم يقض بها أحد قبله

---

١ ـ [سورة إبراهيم، الآية ٢٥.]

٢ ـ [سورة المؤمنون، الآية ١٢ ـ ١٤]. العلقة: هي القطعة الجامدة من الدم بعد أن كانت منيّاً، وبعد أربعين يوماً تصير مضغة، [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢١٦، مادة «علق»]. والمضغة ـ بالضمّ ـ: قطعة لحم حمراء فيها عروق خضر مشتبكة سمّيت بذلك لأنّها بقدر ما يُمضَغ، (مجمع البحرين). [مجمع البحرين، ج ٥، ص ١٦، مادة «مضغ»]

٣ ـ ولج يلج وُلوجاً ولجةً: أي دخل. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٣٥، مادة «ولج»]

ولا عرفها من العامة والخاصة أحد إلّا عنه واتفقت عترته علىٰ العمل بها ولو مني[١] غيره بالقول فيها لظهر عجزه عن الحق في ذلك كما ظهر فيما هو أوضح منه وفيما أثبتناه من قضاياه علىٰ الاختصار كفاية فيما قصدناه إن شاء الله تعالىٰ.

---

١ ـ مُني: أي ابتلي وامتحن. [لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٩٣، مادة «مني»]

باب

مختصر من كلامه عليه السلام

في وجوب المعرفة بالله والتوحيد له ونفي التشبيه عنه والوصف لعدله وصنوف الحكمة والدلائل والحجة

فمن ذلك ما رواه أبو بكر الهذلي، عن الزهري وعيسىٰ بن يزيد، عن صالح بن كيسان أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في الحثّ[1] علىٰ معرفة الله تعالىٰ والتوحيد له: أول عبادة الله معرفته وأصل معرفته توحيده ونظام توحيده نفي التشبيه عنه، جل عن أن تحله الصفات لشهادة العقول أن كل من حلته الصفات مصنوع وشهادة العقول أنه جل جلاله صانع ليس بمصنوع بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول تعتقد معرفته وبالنظر تثبت حجته، جعل الخلق دليلاً عليه فكشف به عن ربوبيته هو الواحد الفرد في أزليته لا شريك له في إلهيته ولا ند له في ربوبيته، بمضادته بين الأشياء المتضادة علم أن لا ضد له وبمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن لا قرين له.

في كلام يطول بإثباته الكتاب.

ومما حفظ عنه عليه السلام في نفي التشبيه عن الله عز اسمه ما رواه الشعبي قال:

---

١ ـ الحثّ: الترغيب. [لسان العرب، ج ٢، ص ١٢٩، مادة «حثث»]

سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول: والذي احتجب بسبع طباق، فعلاه بالدرّة[١] ثم قال له: يا ويلك إنّ الله أجل من أن يحتجب عن شيء أو يحتجب عنه شيء سبحان الذي لا يحويه[٢] مكان ولا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء فقال الرجل: أفأكفّر عن يميني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا لم تحلف بالله فتلزمك كفّارة[٣] وإنما حلفت بغيره.

وروىٰ أهل السيرة وعلماء النقلة أن رجلاً جاء إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين خبرني عن الله تعالىٰ أرأيته حين عبدته؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لم أك بالذي أعبد من لم أره فقال له: كيف رأيته؟ فقال له: يا ويحك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، معروف بالدلالات منعوت بالعلامات لا يقاس بالناس ولا تدركه الحواس، فانصرف الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وفي هذا الحديث دليل علىٰ أنه عليه السلام كان ينفي عن الله سبحانه رؤية الأبصار.

وروىٰ الحسن بن أبي الحسن البصري قال: جاء رجل إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من حرب صفين فقال له: يا أمير المؤمنين خبرنا عما كان بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب أكان ذلك بقضاء من الله تعالىٰ وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما علوتم تلعة[٤] ولا هبطتم وادياً إلّا ولله فيه قضاء وقدر

---

١ ـ الدرّة ـ بالكسر ـ التي يضربُ بها. [تاج العروس، ج ٦، ص ٣٩٧، مادة «درر»]

٢ ـ حواه يحويه حيّاً: جمعه. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٣٥٤، مادة «حوي»]

٣ ـ [في المخطوطة: إضافة كلمة «الحنث»]. الحنث: الخُلف في اليمين. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٥٠، مادة «حنث»]

٤ ـ التلعة: من الأضداد يقع على ما ارتفع من الأرض وما انحدر أيضاً، والمراد الأول بقرينة

فقال الرجل: فعند الله أحتسب عناي[١] يا أمير المؤمنين فقال له: ولم؟ قال: إذا كان القضاء والقدر ساقانا إلىٰ العمل فما وجه الثواب لنا علىٰ الطاعة؟ وما وجه العقاب لنا علىٰ المعصية؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أوظننت يا رجل أنه قضاء حتم وقدر لازم لا تظن ذلك فإنّ القول به مقال عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وقدرية[٢] هذه الأمة ومجوسها، إنّ الله جل جلاله أمر تخييراً ونهىٰ تحذيراً وكلّف يسيراً ولم يطع مكرهاً ولم يعص مغلوباً ولم يخلق السماء والأرض وما بينهما باطلاً: ﴿ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ فقال الرجل: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال: الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية والتمكين من فعل الحسنة وترك السيئة والمعونة علىٰ القربة إليه والخذلان لمن عصاه والوعد والوعيد والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا، فأما غير ذلك فلا تظنه فإنّ الظن له محبط للأعمال، فقال الرجل: فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك وأنشأ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم المآب من الرحمن غفرانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ... جزاك ربك بالإحسان إحسانا

وهذا الحديث موضح عن قول أمير المؤمنين عليه السلام في معنىٰ العدل ونفي الجبر وإثبات الحكمة في أفعال الله تعالىٰ ونفي العبث عنها.

الثاني. [لسان العرب، ج ٨، ص ٣٧، مادة «تلع»]

١ ـ العناء ـ بالفتح والمدّ ـ: التعب والمشقّة. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٣٠٨، مادة «عنا»]

٢ ـ القدريّة: طائفة من المسلمين يزعمون أنّ الأفعال كلّها خيرها وشرّها مخلوقة للّه تعالى بقَدَره، وشبّههم عليه السلام بالمجوس لأنّهم أحدثوا في الدين ما ليس من الدين كإحداثات المجوس. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٩٩، مادة «مجس»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام في مدح العلماء وتصنيف الناس وفضل العلم والحكمة

ما رواه أهل النقل عن كميل بن زياد رحمه الله أنه قال: أخذ بيدي أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم من المسجد حتىٰ أخرجني منه فلما أصحر[1] تنفّس الصُّعداء[2] ثمّ قال: ياكميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها[3] احفظ عني ما أقول:

الناس ثلاثة عالم ربّاني[4] ومتعلّم علىٰ سبيل نجاة وهمج رعاع[5] أتباع

---

١ ـ أصحر الرجل: إذا خرج إلى الصحراء. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٦٢، مادة «صحر»]

٢ ـ فتنفّس الصُّعداء ـ بضمّ الصاد وفتح المهملتين والمدّ ـ : نوعٌ من التنفّس يصعده المتلهّف الحزين، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٨٧، مادة «صعد»]

٣ ـ فخيرها أوعاها: أي أحفظها للعلم وأجمعها، مجمع. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٤٤٤، مادة «وعا»]

٤ ـ عالم ربّاني: قد مرّ معناه في صفحة ٢٣ [من المخطوطة، حيث ذكر هناك: «قيل: هو من الربّ بمعنى التربية، وكانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، والرباني: العالم الراسخ في العلم والدين، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله، وقيل: العالم العامل المعلم». (بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ٢٩٩، البيان المذكور في ذيل الحديث ١٩)]

٥ ـ الهَمَجُ ـ بالتحريك ـ : جمع هَمَجَةٍ، وهو ذباب صغير كالبعوضة يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها، ويستعار للأسقاط من الناس والجهلة، ويقال للرعاع من الناس: هَمَجٌ.

كل ناعق[١]، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلىٰ ركن وثيق.

يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو علىٰ الإنفاق.

يا كميل صحبة العالم دين يدان به وبه تكملة الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، هاه هاه[٢] إنّ هاهنا علماً جماً[٣] ـ وأشار بيده إلىٰ صدره ـ لو أصبت له حملة بل أصيب لقناً[٤] غير مأمون يستعمل آلة الدين للدنيا ويستظهر بحجج الله علىٰ أوليائه وبنعمه علىٰ كتابه أومنقاداً للحكمة لا بصيرة له في إخباته[٥] يقدح الشك له في قلبه[٦] بأول عارض من

والرّعاع ـ بالمهملات وفتح الراء ـ: العوام والسفلة، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٣٦، مادة «همج»]

١ ـ الناعق: الصايح. [الوافي، ج ١٢، ص ٣٥٧]

٢ ـ هاه: كلمة توجّع، والهاء مبدلة من الهمزة، أصله آه. [انظر: لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٥١، مادة «هوه»]

٣ ـ الجمّ: الكثير. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٣٠، مادة «جمم»]

٤ ـ غلام لَقِن: أي سريع الفهم. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٣١١، مادة «لقن»]

٥ ـ الإخبات: الخشوع والتواضع. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٩٩، مادة «خبت»]

٦ ـ قوله: يقدح الشك، الخ: أي يؤثر فيه ويغلبه من قولهم: قدح الدود في الأسنان والشجر إذا وقع فيه وأكله. [تاج العروس، ج ٤، ص ١٦٥، مادة «قدح»]

شبهة ألا لا ذا ولا ذاك فمنهوم[١] باللذات سلس القياد[٢] للشهوات أو مغرم[٣] بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة[٤] كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلىٰ لا تخلو الأرض من حجة لك علىٰ خلقك إما ظاهراً معلوماً أو خائفاً مغموراً[٥] لئلّا تبطل حججك وبيناتك، وأين أولئك؟ الأقلون عدداً الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالىٰ حججه حتىٰ يودعوها قلوب أشباههم هجم بهم العلم علىٰ حقائق الإيمان فاستلانوا روح اليقين فأنسوا بما استوحش منه الجاهلون واستلانوا[٦] ما استوعره المترفون[٧]، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلىٰ أولئك خلفاء الله في أرضه وحججه علىٰ عباده ـ ثمّ تنفس الصعداء وقال ـ: هاه هاه شوقاً إلىٰ رؤيتهم ونزع يده علىٰ يدي، وقال لي: انصرف إذا شئت.

---

١ ـ [في المخطوطة: «فمنهوماً»]. المنهوم: الحريص، (قاموس). [انظر: القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٨٤]

٢ ـ قوله: سلس القياد: أي منقاد. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٧٧، مادة «سلس»]

٣ ـ [في المخطوطة: «مغرماً»]. المغرم ـ كمكرم ـ: الحريص المولع بالشيء. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٢٧، مادة «غرم»]

٤ ـ الأنعام السائمة: أي الراعية. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٩٤، مادة «سوم»]

٥ ـ المغمور: المستور. [لسان العرب، ج ٥، ص ٣١، مادة «غمر»]

٦ ـ [في المخطوطة: «واستسهلوا» بدل «واستلانوا»].

٧ ـ قوله: ما استوعره المترفون: هو من الوعر من الأرض ضدّ السهل، والمترف: المتنعّم من التّرف بالضمّ، وهي النعمةُ، أي استسهَلَ ما استصعبه المتنعّمون من رفض الشهوات البدنية وقطع التعلّقات الدنيوية وملازمة الصمت والسهر والجوع والمراقبة والاحتراز من صرف ساعة من العمر فيما لا يوجب زيادة القرب منه تعالى شأنه، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٥١٢، مادة «وعر»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام في الدعاء إلىٰ معرفته وبيان فضله وصفة العلماء وما ينبغي لمتعلم العلم أن يكون عليه

ما رواه العلماء بالأخبار في خطبة تركنا ذكر صدرها إلىٰ قوله: والحمد لله الذي هدانا من الضلالة وبصرنا من العمىٰ ومن علينا بالإسلام وجعل فينا النبوة وجعلنا النجباء وجعل أفراطنا[١] أفراط الأنبياء وجعلنا خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهىٰ عن المنكر ونعبد الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ من دونه ولياً، فنحن شهداء الله والرسول شهيد علينا نشفع فنشفع فيمن شفعنا له وندعو فيستجاب دعاؤنا ويغفر لمن ندعو له ذنوبه، أخلصنا لله فلم ندع من دونه ولياً.

أيها الناس تعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ ولا تعاونوا علىٰ الإثم والعدوان واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب.

أيها الناس إني ابن عم نبيكم وأولاكم بالله ورسوله فاسألوني ثمّ اسألوني فكأنكم بالعلم قد نفد وإنه لا يهلك عالم إلّا هلك معه بعض علمه وإنما العلماء في الناس كالبدر في السماء يضيء نوره علىٰ سائر الكواكب خذوا من العلم ما بدا لكم وإياكم أن تطلبوه لخصال أربع: لتباهوا به العلماء أو تماروا[٢] به السفهاء أو

---

١ ـ الأفراط: المتقدّمون. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٤٣٤، مادة «فرط»]

٢ ـ المماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤،

تراؤوا به في المجالس أو تصرفوا وجوه الناس إليكم للترؤس[(١)]، لا يستوي عند الله في العقوبة الذين يعلمون، والذين لا يعلمون نفعنا الله وإياكم بما علمنا وجعله لوجهه خالصاً إنه سميع مجيب .

فصل

ومن كلامه عليه السلام في صفة العالم وأدب المتعلم

ما رواه الحارث الأعور قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من حق العالم أن لا يكثر عليه السؤال ولا يعنت[(٢)] في الجواب ولا يلحّ عليه[(٣)] إذا كسل ولا يؤخذ بثوبه إذا نهض ولا يشار إليه بيد في حاجة ولا يفشىٰ له سر ولا يغتاب عنده أحد، ويعظم كما حفظ أمر الله ولا يجلس المتعلم أمامه ولا يغرض من طول صحبته، وإذا جاءه طالب العلم وغيره فوجده في جماعة عمهم بالسلام وخصه بالتحية، وليحفظه شاهداً وغائباً وليعرف له حقه فإنّ العالم أعظم أجراً من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة[(٤)] لا يسدّها إلّا

ص ٣٢٢، مادة «مرا»]

١ ـ الترؤُس: الرياسة. [تاج العروس، ج ٨، ص ٢٩٨، مادة «رأس»]

٢ ـ عنّته تعنيتاً: شدّد عليه وألزمه ما يصعب عليه أداؤه. [تاج العروس، ج ٣، ص ٩٤، مادة «عنت»]

٣ ـ ألحّ على الشيء: إذا لزمه وأصرّ عليه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٣٦، مادة «لحح»]

٤ ـ في الحديث: إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء: الثلمة ـ كبُرمة ـ: الخلل

خلف منه، وطالب العلم تستغفر له الملائكة وتدعوله في السماء والأرض.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في أهل البدع ومن قال في الدين برأيه وخالف طريق أهل الحق في مقاله

ما رواه ثقات أهل النقل عند العامة والخاصة في كلام افتتاحه الحمد لله والصلاة علىٰ نبيه صلى الله عليه وآله: أما بعد: فذمّتي[1] بما أقول رهينة وأنا به زعيم[2]، إنه لا يهيج علىٰ التقوىٰ[3] زرع قوم ولا يظمأ[4] عليه سنخ أصل[5] وإنّ الخير كله فيمن

الواقع في الحائط وغيره، والجمع ثُلَم كبُرَم، وعلّل ذلك بأنّهم حصون كحصون سور المدينة، فذكر ذلك على سبيل الاستعارة والتشبيه، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢٥، مادة «ثلم»]

١ ـ الذمّة: العقد والعهد، تقول: هذا الدين في ذمّتي، كقولك: في عنقي، وهما كناية عن الالتزام والضمان. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٧٤]

٢ ـ والزعيم: الكفيل، (ابن أبي الحديد). [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٧٤]

٣ ـ هاج النبت هياجاً: أي يبس واصفرّ، وحديث عليّ عليه السلام: لا يهيج على التقوى زرعُ قوم، أراد: من عمل لله عملاً لم يفسد ولم يبطل كما يهيج الزرع فيهلك، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٨٦، مادة «هيج»]

٤ ـ ظمأ يظمأ ـ كفرح يفرح ـ: عطش. [لسان العرب، ج ١، ص ١١٦، مادة «ظمأ»]

٥ ـ في حديث عليّ عليه السلام: لا يظمأ على التقوى سنخُ أصلٍ: السنخ والأصل واحد، فلمّا اختلف اللفظان أضاف أحدهما إلى الآخر، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢،

عرف قدره وكفىٰ بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره وإنّ أبغض الخلق إلىٰ الله رجل وكله إلىٰ نفسه جائر عن قصد السبيل[١] مشعوف بكلام بدعة قد لهج[٢] فيها بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدي[٣] من كان قبله مضل لمن اقتدىٰ به، حمال خطايا غيره رهن بخطيئته، ورجل قد قمش جهلاً[٤] في جهال عشوة[٥] غارّ[٦] بأغباش[٧] الفتنة عم عن الهدىٰ قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً[٨] بكّر[٩] فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر حتىٰ إذا

ص ٤٠٨، مادة «سنخ»]

١ ـ جار عن قصد الطريق يجور: مال وضلّ. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٣١٣، مادة «جور»]

٢ ـ لهج به ـ كفرح ـ: أغرى به فواظب عليه، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ١، ص ٢٠٦]

٣ ـ الهَدي ـ بالفتح فالسكون ـ: الطريقة والسيرة. [لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٥٦، مادة «هدي»]

٤ ـ قمش جهلاً: جمعه. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٨٤]

٥ ـ العشوة ـ بتثليث العين ـ: الأمر الملتبس وأن يركب الشخص أمراً بجهالة لا يعرف وجهه، من عَشْوة الليل: ظلمته، [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢٤٢، مادة «عشا»]. والمراد به ههنا الرجل الماشي الخبّاط في العشوات، [مجمع البحرين، ج ١، ص ٢٩٣، مادة «عشا»]. وفي بعض النسخ: غشوة بالعين المعجمة والشين المشدّدة.

٦ ـ الغارّ: الغافل. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٢٣، مادة «غرر»]

٧ ـ الأغباش: جمع غبش، وهي آخر ظلمة الليل. [لسان العرب، ج ٦، ص ٣٢٢، مادة «غبش»]

٨ ـ قوله: لم يغن فيه يوماً سالماً: أي لم يلبث في العلم يوماً تامّاً، من قولك: غنيت بالمكان أغنى إذا أقمت به. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٩٢، مادة «غنا»]

٩ ـ بكّر: أي خرج للطلب بكرة، [تاج العروس، ج ٦، ص ١٠٨، مادة «بكر»]. قال الفاضل ابن ميثم: استعار لفظ التبكير للسبق في أول العمر إلى جميع الشبهات والآراء الباطلة. [اختيار

ارتوىٰ[١] من آجن[٢] واستكثر من غير طائل جلس للناس قاضياً ضامناً لتخليص[٣] ما التبس علىٰ غيره إن خالف من سبقه لم يأمن من نقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدىٰ المبهمات[٤] هيأ لها حشواً[٥] من رأيه ثمّ قطع عليه فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ ولا يرىٰ أن من وراء ما بلغ مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب رأيه وإن أظلم عليه أمر اكتتم به[٦] لما يعلم من نفسه في الجهل والنقص والضرورة[٧] كيلا يقال إنه لا يعلم ثمّ أقدم بغير علم، فهو خائض[٨] عشوات[٩] ركاب شبهات خبّاط جهالات[١٠]، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا

مصباح السالكين لابن ميثم البحراني، ص ١١٣]

١ ـ ارتوى: افتعال من الريّ. [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٣٦٣، مادة «روى»]

٢ ـ الآجن: الماء الفاسد. [نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٨٤]

٣ ـ التخليص: التبيين. [نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٨٤]

٤ ـ المبهمات: المشكلات. [نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٨٤]

٥ ـ حشواً: أي كثيراً لا فائدة فيه. [نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٨٤]

٦ ـ اكتتم به: أي كتمه وستره. [نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٨٥]

٧ ـ الضرورة: الحاجة. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٧٣، مادة «ضرر»]

٨ ـ الخائض: الوارد المقتحم. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٤٩، مادة «خوض»]

٩ ـ العشوات: جمع عشوة. [نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٦، ص ٣٦٤]

١٠ ـ والخبّاط: الذي مشى في الليل بلا مصباح يتحيّر ويضلّ، وربما هلك في بئر أو سقط على سبع. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٨، مادة «خبط»]

يعضّ[١] في العلم بضرس[٢] قاطع فيغنم، يذري[٣] الروايات ذرو الريح الهشيم[٤] تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء ويستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم به الحلال لا يسلم بإصدار[٥] ما عليه ورد، ولا يندم علىٰ ما منه فرط.

أيها الناس، عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعذرون بجهالته فإنّ العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به النبيون إلىٰ خاتم النبيين في عترة محمد صلى الله عليه وآله فأين يتاه[٦] بكم؟ بل أين تذهبون؟ يا من نسخ[٧] من أصلاب أصحاب السفينة هذه مثلها فيكم فاركبوها فكما نجا في هاتيك من نجا فكذلك ينجو في هذه من دخلها أنا رهين بذلك قسماً حقاً وما أنا من المتكلفين والويل لمن تخلف ثمّ الويل لمن تخلف! أما بلغكم ما قال فيهم نبيكم صلى الله عليه وآله حيث يقول في حجة الوداع: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما، ألا هذا عذب فرات فاشربوا وهذا ملح أجاج فاجتنبوا.

---

١ ـ عضضته: أي مسكته بأسناني. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٩٩، مادة «عضض»]

٢ ـ الضرس: الناجذ. [لسان العرب، ج ٣، ص ٥١٣، مادة «نجذ»]

٣ ـ ذرت الريح الشيء تذري وتذرو ذرواً: إذا أطارته وفرّقته. [لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٨٢، مادة «ذرا»]

٤ ـ الهشيم: ما يبس من النبت وتفتّت. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٦١٢، مادة «هشم»]

٥ ـ الإصدار: الإرجاع. [تاج العروس، ج ٧، ص ٨٠، مادة «صدر»]. أي ليس له [... بياض في الحاشية ...] بسلامة في إرجاع المسائل التي وردت عليه، كذا يستفاد من الشروح. [انظر: بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٠٣]

٦ ـ تاه الرجل في مسيره: أي ضلّ وتحيّر. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٢٥، مادة «توه»]

٧ ـ النسخ: إزالة الشيء وإقامة آخر مقامه. [تاج العروس، ج ٤، ص ٣١٩، مادة «نسخ»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام في صفة الدنيا والتحذير منها

أما بعد، فإنما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها شديد نهشها[١]، فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فإنّ صاحبها كلما اطمأن منها إلىٰ سرور أسخطه منها مكروه والسلام.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في التزود للإخوة وأخذ الأهبة[٢] للقاء الله تعالىٰ والوصية للناس بالعمل الصالح

ما رواه العلماء بالأخبار ونقلة السيرة والآثار أنه كان عليه السلام ينادي في كل ليلة حين يأخذ الناس مضاجعهم للمنام بصوت يسمعه كافة أهل المسجد ومن جاوره من الناس: تزودوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل وأقلّوا العرجة[٣]

١ ـ نهشته الحيّة: لسعته. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ١٥٦، مادة «نهش»]

٢ ـ الأهبة: العُدّة. [تاج العروس، ج ١، ص ٣١٠، مادة «أهب»]

٣ ـ أقلوا العرجة: أي الإقامة. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣١٨، مادة «عرج»]

علىٰ الدنيا وانقلبوا بصالح ما يحضركم من الزاد فإنّ أمامكم عقبة كؤوداً[١] ومنازل مهولة[٢] لابد من الممر بها والوقوف عليها فإما برحمة من الله نجوتم من فظاعتها[٣] وإما هلكة ليس بعدها انجبار[٤] يا لها حسرة علىٰ ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة وتؤديه أيامه إلىٰ شقوة، جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره[٥] نعمة ولا تحل به بعد الموت نقمة فإنما نحن به وله وبيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في التزهيد في الدنيا والترغيب في أعمال الآخرة

يا ابن آدم لا يكن أكبر همك يومك الذي إن فاتك لم يكن من أجلك فإنّ كل يوم تحضره يأتي الله فيه برزقك، واعلم أنك لن تكتسب شيئاً فوق قوتك إلّا كنت فيه خازناً لغيرك يكثر في الدنيا به نصبك[٦] ويحظىٰ به وارثك[٧] ويطول معه

---

١ ـ عقبة كؤود: أي شاقة المصعد. [تاج العروس، ج ٥، ص ٢١٥، مادة «كأد»]

٢ ـ منازل مهولة: أي ذات هول ومخافة. [انظر: مجمع البحرين، ج ٥، ص ٥٠١، مادة «هول»]

٣ ـ الفظاعة: الشدّة والشناعة. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٧٦، مادة «فظع»]

٤ ـ الجبر: إصلاح ما فسد من عظم وغيره، تقول: جبرته فانجبر. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٤٢، مادة «جبر»]

٥ ـ أبطره: أي أطغاه وجعله ذا بطر ونشاط. [تاج العروس، ج ٦، ص ٩٨، مادة «بطر»]

٦ ـ النَّصَب: التعب. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٦٢، مادة «نصب»]

٧ ـ يحظى به وارثك: أي يصير ذا حظّ وعيش من الرزق ببلوغ المرام. [انظر: مجمع البحرين،

يوم القيامة حسابك، فاسعد بمالك في حياتك وقدم ليوم معادك زاداً يكون أمامك، فإنّ السفر بعيد والموعد القيامة والمورد الجنة أو النار.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في مثل ذلك ما اشتهر بين العلماء وحفظه ذوو الفهم والحكماء

أما بعد، أيها الناس فإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع[١] وإنّ الآخرة قد أظلت وأشرفت باطلاع[٢].

ألا وإنّ المضمار[٣] اليوم وغداً السباق[٤] والسَّبقة الجنة والغاية النار[٥]،

ج ١، ص ١٠٣، مادة «حظا»]

١ ـ آذنت: أي أعلمت. [لسان العرب، ج ١٣، ص ١٢، مادة «أذن»]

٢ ـ أشرف عليه: إذا اطّلع من فوق، والاطلاع ـ بتشديد الطاء ـ: العلم، أريد بها قربها. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٣٠١، مادة «شرف»]

٣ ـ تضمير الفرس: أن تعلفه حتى يسمن ثم لا تعلف إلّا قوتاً ليخفّ، وذلك في مدّة أربعين يوماً، وهذه المدّة تسمى المضمار بكسر الميم، ويقال للموضع الذي يضمر فيه مضمار أيضاً. [لسان العرب، ج ٤، ص ٤٩١، مادة «ضمر»]

٤ ـ السباق: مصدر من قولك: سابق في العدو مسابقة. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٢٠٨، مادة «سبق»]

٥ ـ والسَّبقة ـ بفتح السين فالسكون ـ: ما يتسابق إليه، [مجمع البحرين، ج ٥، ص ١٨٣، مادة «سبق»]. قال السيد الرضي أبو الحسن في نهج البلاغة في جملة كلام من تعظيم هذه الخطبة

ألا وإنكم في أيام مهل[1] من ورائه أجل يحثّه[2] عجل، فمن أخلص لله عمله لم يضره أمله ومن بطأ به عمله في أيام مهلة قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أمله.

ألا فاعملوا في الرغبة والرهبة فإن نزلت بكم رغبة[3] فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة[4]، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإنّ الله قد تأذن للمحسنين بالحسنىٰ ولمن شكره بالزيادة، ولا كسب خير من كسب

قال: ومن أعجبه قوله عليه السلام: «ألا وإنّ اليوم المضمار وغداً السباق والسبقة الجنة والغاية النار» فإنّ فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرّاً عجيباً ومعنى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام: والسبقة الجنة والغاية النار، فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل: السبقة النار، كما قال: والسبقة الجنة؛ لأنّ الاستباق إنما يكون إلى أمرٍ محبوب وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجوداً في النار، نعوذ بالله منها، فلم يجز أن يقول: والسبقة النار، بل قال: والغاية النار؛ لأن الغاية قد ينتهي إليها من لا يسرّه الانتهاء إليها، ومن يسرّه ذلك فصلح أن يعبّر عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل، قال الله تعالى: ﴿قل تمتّعوا فإنّ مصيركم إلى النار﴾، ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال: فإنّ سبقتكم إلى النار، فتأمّل ذلك فباطنه عجيبٌ وغوره بعيد لطيف، وكذلك أكثر كلامه عليه السلام، وقد جاء في رواية أخرى: «والسُّبقة» بضمّ السين، والسُّبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مالٍ أو عَرَضٍ، والمعنيان متقاربان؛ فإنّ ذلك لا يكون جزاءً على فعل الأمر المذموم، وإنما يكون جزاءً على فعل الأمر المحمود، انتهى كلامه رفع في العليين مقامه. [نهج البلاغة (تحقيق: د. صبحي الصالح)، ص ٦٥]

١ ـ المَهَل ـ بالتحريك والسكون ـ: المُهلة، والمُهل ـ بضمّ الميم وفتح الهاء ـ: جمع مهلة. [تاج العروس، ج ١٥، ص ٧٠٤، مادة «مهل»]

٢ ـ الحثّ: الحضّ والإسراع بالشيء. [لسان العرب، ج ٢، ص ١٢٩، مادة «حثث»]

٣ ـ الرغبة: الطمع والسؤال. [تاج العروس، ج ٢، ص ٢٧، مادة «رغب»]

٤ ـ والرهبة: الخوف. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٨٠، مادة «رهب»]

ليوم تدخر فيه الذخائر وتجمع فيه الكبائر وتبلىٰ فيه السرائر[١]، وإني لم أر مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها.

ألا وإنه من لا ينفعه اليقين يضره الشك ومن لا ينفعه حاضر لبّه[٢] ورأيه فغائبه عنه أعجز، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن[٣] ودللتم علىٰ الزاد، وإن أخوف ما أتخوف عليكم اثنان اتباع الهوىٰ وطول الأمل لأن اتباع الهوىٰ يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة.

ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإنّ الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا إن استطعتم من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإنّ اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في ذكر خيار الصحابة وزهادهم

ما رواه صعصعة بن صوحان العبدي قال: صلىٰ بنا أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم صلاة الصبح فلما سلّم أقبل علىٰ القبلة بوجهه يذكر الله تعالىٰ لا يلتفت يميناً ولا شمالاً حتىٰ صارت الشمس علىٰ حائط مسجدكم هذا ـ يعني جامع الكوفة ـ

---

١ ـ تبلى السرائر: أي تظهر وتختبر. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٢٨، مادة «سرر»]
قد تمّ بعون الله وبتوفيقه. [هكذا ورد في الحاشية]

٢ ـ اللبّ: العقل. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٦٤، مادة «لبب»]

٣ ـ الظعن: السير والارتحال. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢٧٨، مادة «ظعن»]

قيس رمح[١] ثمّ أقبل علينا بوجهه عليه السلام فقال: لقد عهدت[٢] أقواماً علىٰ عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وإنهم ليراوحون[٣] في هذا الليل بين جباههم وركبهم فإذا أصبحوا أصبحوا شعثاً غبراً بين أعينهم شبه ركب المعزىٰ[٤]، فإذا ذكروا مادوا كما تميد الشجر في الريح ثمّ انهملت[٥] عيونهم حتىٰ تبلّ[٦] ثيابهم، ثمّ نهض عليه السلام وهو يقول: كأنما القوم باتوا غافلين.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في صفة شيعته المخلصين

ما رواه نقلة الآثار أنه خرج ذات ليلة من المسجد وكانت ليلة قمراء فأمّ[٧] الجبّانة[٨] ولحقه جماعة يقفون أثره[٩]، فوقف ثمّ قال: من أنتم؟ قالوا: نحن

---

١ ـ قيس رمح: أي قدره. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٩٨، مادة «قيس»]

٢ ـ عهدته عهداً: التقيتُهُ وعرفته. [لسان العرب، ج ٣، ص ٣١٣، مادة «عهد»]

٣ ـ يراوحون بين جباههم ورُكبهم: أي قائماً وساجداً يوصلون كلّا من الجبهة والركبة الراحة عند عجزه باستعمال الآخر. [بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٣٠٥]

٤ ـ المعزىٰ: المعز. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٥، مادة «معز»]

٥ ـ انهملت عينه: جرى دمعها. [بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ١٩٤]

٦ ـ البلّة: الرطوبة والنداوة، تقول: بللته بالماء بَلَلاً وبلّته فابتلّ. [تاج العروس، ج ١٤، ص ٦٢، مادة «بلل»]

٧ ـ أمَّ الشيء يؤمّ: قصده. [تاج العروس، ج ١٦، ص ٢٦، مادة «أمم»]

٨ ـ الجبّانة: الصحراء، وتسمى به المقابر؛ لأنها تكون في الصحراء، فهي تسمية للشيء باسم محلّه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٢٣٧، مادة «جبن»]

٩ ـ قفى أثره: اتّبعه. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٩٢، مادة «قفو»]

شيعتك يا أمير المؤمنين، فتفرّس في وجوههم[١] ثمّ قال: فما لي لا أرىٰ عليكم سيماء الشيعة؟ قالوا: وما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين؟ فقال: صفر الوجوه من السهر[٢] عمش العيون[٣] من البكاء حدب[٤] الظهور من القيام، خمص البطون[٥] من الصيام، ذبل[٦] الشفاه من الدعاء عليهم غبرة الخاشعين.

فصل

ومن كلامه عليه السلام ومواعظه وذكره الموت

ما استفاض عنه من قوله: الموت طالب ومطلوب حثيث[٧] لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب فأقدموا ولا تنكلوا[٨]، فإنه ليس عن الموت محيص[٩] إنكم إن

---

١ ـ تفرّس في وجوههم: أي نظر فراسة وتثبّت. [تاج العروس، ج ٨، ص ٣٩٦، مادة «فرس»]

٢ ـ سهر الرجل سهراً: لم ينم ليلاً. [تاج العروس، ج ٦، ص ٥٥٧، مادة «سهر»]

٣ ـ العمش: ضعف رؤية العين، وهو أعمش، والجمع عُمش. [تاج العروس، ج ٩، ص ١٤٨، مادة «عمش»]

٤ ـ والحدب: انحناء الظهر. [تاج العروس، ج ١، ص ٤٠٧، مادة «حدب»]

٥ ـ رجل خمص البطن: أي ضامر البطن بحيث يلتصق إلى ظهره. [القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣٠١]

٦ ـ ذبل جلده: أي يبس وذهبت نضارته. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٧٥، مادة «ذبل»]

٧ ـ [في المخطوطة: الموت طالب حثيث ومطلوب]. طالب حثيث: أي سريع. [تاج العروس، ج ٣، ص ١٨٨، مادة «حثث»]

٨ ـ النكول: الامتناع وترك الإقامة على الأمر. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٨٧، مادة «نكل»]

٩ ـ المحيص: المهرب. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ١٦٦، مادة «حيص»]

لا تقتلوا تموتوا، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف علىٰ الرأس أيسر من موت علىٰ فراش.

ومن ذلك قوله عليه السلام: أيها الناس أصبحتم أغراضاً[١] تنتضل فيكم المنايا[٢] وأموالكم نهب للمصائب، ما طعمتم في الدنيا من طعام فلكم فيه غصص[٣] وما شربتم من شراب فلكم فيه شرق[٤]، وأشهد بالله ما تنالون من الدنيا نعمة تفرحون بها إلا بفراق أخرىٰ تكرهونها. أيها الناس إنا خلقنا وإياكم للبقاء لا للفناء لكنكم من دار إلىٰ دار تنقلون، فتزودوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه والسلام.

---

١ ـ الأغراض: جمع غَرَض بالفتحتين، وهو الهدف الذي يرمى إليه. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢١٧، مادة «غرض»]

٢ ـ تنتضل فيه المنايا: تترامى فيه للسبق، ومنه الانتضال بالكلام والشعر، كأنّه عليه السلام يجعل المنايا أشخاصاً تتناضل بالسهام من الناس من يموت قتلاً ومنهم من يموت غرقاً ويتردّى في بئر أو يسقط عليه حائط أو يموت على فراشه، (ابن أبي الحديد). [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٩، ص ٩١]

٣ ـ الغُصَص ـ بضمّ العين المعجمة ـ: جمع غُصّة، وبفتح العين: مصدر قولك: غَصِصتَ ـ بالكسر والفتح ـ غَصَصاً فأنت غاصٌّ. [تاج العروس، ج ٩، ص ٣١٦، مادة «غصص»]

٤ ـ شرق الرجل بريقه شَرَقاً ـ بفتحتين ـ: إذا غُصَّ. [لسان العرب، ج ١٠، ص ١٧٧، مادة «غصص»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام في الدعاء إلىٰ نفسه والدلالة علىٰ فضله والإبانة عن حقه والتعريض بظالمه والإشارة إلىٰ ذلك والتنبيه عليه

ما رواه الخاصة والعامة عنه وذكر ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ وغيره ممن لا يتهمه خصوم الشيعة في روايته أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في أول خطبة خطبها بعد بيعة الناس له علىٰ الأمر، وذلك بعد قتل عثمان بن عفان:

أما بعد فلا يرعين[1] مرع إلّا علىٰ نفسه شغل عن الجنة من النار أمامه[2] ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ثلاثة واثنان، ملك طار بجناحيه ونبي أخذ الله بضبعيه لا سادس. هلك من ادعىٰ[3] وردي من اقتحم. اليمين والشمال

---

١ ـ قوله عليه السلام: لا يرعين: أي لا يبقينّ، من قولك: أرعيت عليه إذا أبقيت، يقول عليه السلام: من أبقى على الناس فإنّما أبقى على نفسه، (ابن أبي الحديد). [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٧٦]

٢ ـ قوله عليه السلام : شغل الخ: يريد أنّ من كانت هاتان الداران أمامه لفي شغلٍ عن أمور الدنيا إن كان رشيداً. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٧٧]

٣ ـ قوله: هلك من ادّعى وكذب(*): لابد من تقدير ذلك؛ لأنّ الدعوى تعمّ الصدق والكذب، وكأنّه عليه السلام يقول: هلك من ادّعى الإمامة، وردي من اقتحمها وولجها من غير استحقاق؛ لأنّ كلامه عليه السلام في هذه الخطبة كلّها كنايات عن الإمامة لا عن غيرها،(ابن أبي الحديد). [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٧٨]

مضلة والوسطىٰ الجادة منهج[١] عليه باقي الكتاب والسنة وآثار النبوة. إنّ الله تعالىٰ داوىٰ هذه الأمة بدواءين: السوط والسيف لا هوادة[٢] عند الإمام فاستتروا ببيوتكم وأصلحوا فيما بينكم والتوبة من ورائكم، من أبدىٰ صفحته للحق هلك.

قد كانت أمور[٣] لم تكونوا عندي فيها معذورين أما إني لو أشاء أن أقول لقلت عفىٰ الله عما سلف، سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب[٤] همته بطنه ويله لو قصّ[٥] جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له. انظروا فإن أنكرتم فأنكروا وإن عرفتم فبادروا، حق وباطل ولكل أهل ولئن أمر الباطل[٦] لقديماً فعل ولئن قلّ الحق[٧]

[(*) كلمة «وكذب» لم ترد في كلامه عليه السلام، وإنما هي من باب التقدير الذي بيّنه ابن أبي الحديد ليتّضح المعنى، فكلام ابن أبي الحديد بهذه الصورة: وقوله: هلك من ادعى، وردي من اقتحم، يريد: هلك من ادعى وكذب، ثم قال: لابد من تقدير ذلك...]

١ ـ المنهج: الطريقة. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٦٢٧، مادة «نهج»]

٢ ـ الهوادة: الرفق واللين. [تاج العروس، ج ٥، ص ٣٤٠، مادة «هود»]

٣ ـ قوله عليه السلام: قد كانت أمور، الخ، فمراده عليه السلام: أمر عثمان وتقديمه في الخلافة عليه. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٨٠]

٤ ـ وقوله عليه السلام: كالغراب، يعني الحِرص والجشع، والغراب يقع على الجيفة وعلى التمرة وعلى الحبّة، وفي الأمثال: أجشع وأحرص من غراب، (ابن أبي الحديد). [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٧٩]

٥ ـ قصّ الشعر والظفر: قطعهما بالمقراض، [تاج العروس، ج ٩، ص ٣٣٥، مادة «قصص»]. قال الشارح: يريد عليه السلام: لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبّس بالخلافة لكان خيراً من أن يعيش ويدخل فيها، (ابن أبي الحديد). [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٧٩]

٦ ـ أَمِر الباطل: كثر. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٧٤]

٧ ـ قوله عليه السلام: لئن قلّ الحقّ، الخ: إشارة إلى أنّ الحقّ وإن قلّ فربّما يرجع إلى الكثرة، قال

فلربما ولعل، ولقل ما أدبر شيء فأقبل ولئن رجعت إليكم نفوسكم إنكم لسعداء، وإني لأخشىٰ أن تكونوا في فترة[1] وما علي إلّا الاجتهاد.

ألا إن أبرار عترتي وأطائب أرومتي[2]، أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً، ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا وبقول صادق أخذنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا، معنا راية الحق من تبعها لحق ومن تأخر عنها غرق، ألا وبنا تدرك تِرة[3] كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم، وبنا فتح لا بكم، وبنا يختم لا بكم.

فصل

ومن مختصر كلامه عليه السلام في الدعاء إلىٰ نفسه وعترته

قوله: إنّ الله خص محمداً بالنبوة واصطفاه بالرسالة وأنبأه بالوحي، فأنال[4] في الناس وأنال. وعندنا ـ أهل البيت ـ معاقل العلم وأبواب الحكم وضياء الأمر

الفاضل ابن ميثم: وكان في هذه الأحرف الوجيزة إخبار بقلّة الحق ووعد بقوّته مع نوع تشكيك في ذلك وتمنّ لكثرته. [شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني، ج ١، ص ٣٠٢]

١ ـ الفترة: هي الأزمنة التي بين الأنبياء إذا انقطعت الرسل فيها، يقول عليه السلام: إني لأخشى أن لا أتمكن من الحكم بكتاب الله فيكم فتكونوا كالأمم الذين في أزمنة الفترة. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٨١]

٢ ـ الأرومة ـ بفتح الهمزة وتضمّ ـ: أعلى الشجرة. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٧، مادة «أرم»]

٣ ـ التِّرة ـ بالكسر ـ: الثار. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٥٠٩، مادة «وتر»]

٤ ـ نلته نيلاً: أصبته وأنلتُهُ إيّاه، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٤، ص ٦٢]

فمن يحبنا ينفعه إيمانه ويتقبل عمله، ومن لا يحبنا لا ينفعه إيمانه ولا يتقبل عمله وإن دأب[١] الليل والنهار.

فصل

ومن ذلك ما رواه عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه جندب بن عبد الله قال: دخلت علىٰ علي بن أبي طالب بالمدينة بعد بيعة الناس لعثمان فوجدته مطرقاً[٢] كئيباً[٣] فقلت له: ما أصاب قومك؟

قال: صبر جميل.

فقلت له: سبحان الله والله إنك لصبور.

قال: فأصنع ماذا؟

فقلت: تقوم في الناس وتدعوهم إلىٰ نفسك وتخبرهم أنك أولىٰ بالنبي صلى الله عليه وآله بالفضل والسابقة وتسألهم النصر علىٰ هؤلاء المتمالئين عليك[٤]، فإن أجابك عشرة من مائة شددت بالعشرة علىٰ المائة، وإن دانوا[٥] لك كان ذلك علىٰ ما أحببت، وإن أبوا قاتلتهم فإن ظهرت عليهم فهو سلطان الله الذي آتاه نبيه عليه السلام وكنت أولىٰ به منهم، وإن قتلت في طلبه قتلت شهيداً وكنت أولىٰ بالعذر عند الله

---

١ ـ دَأَبَ في العمل: إذا جدّ وتعب. [تاج العروس، ج ١، ص ٤٧٦، مادة «دأب»]

٢ ـ أطرق الرجل: إذا سكت ونظر إلى الأرض. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٢٩٥، مادة «طرق»]

٣ ـ الكئيب: الحزين. [كتاب العين، ج ٥، ص ٤١٨، مادة «كأب»]

٤ ـ تمالؤوا عليه: أي اجتمعوا على خلافه. [لسان العرب، ج ١، ص ١٥٩، مادة «ملأ»]

٥ ـ دان الرجل: ذلّ وأطاعَ. [تاج العروس، ج ١٨، ص ٢١٨، مادة «دين»]

وأحق بميراث رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: أتراه يا جندب يبايعني عشرة من مائة؟

قلت: أرجو ذلك.

قال: لكنني لا أرجو ولا من كل مائة اثنين وسأخبرك من أين ذلك، إنما ينظر الناس إلىٰ قريش وإنّ قريشاً تقول: إنّ آل محمد يرون أن لهم فضلاً علىٰ سائر الناس وإنهم أولياء الأمر دون قريش وإنهم إن ولوه لم يخرج منهم هذا السلطان إلىٰ أحد أبداً، ومتىٰ كان في غيرهم تداولتموه[1] بينكم، ولا والله لا تدفع قريش إلينا هذا السلطان طائعين أبداً.

قال: فقلت له: أفلا أرجع فأخبر الناس بمقالتك هذه وأدعوهم إليك.

فقال لي: يا جندب ليس هذا زمان ذلك .

قال: فرجعت بعد ذلك إلىٰ العراق فكنت كلما ذكرت للناس شيئاً من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ومناقبه وحقوقه زبروني[2] ونهروني حتىٰ رفع ذلك من قولي إلىٰ الوليد بن عقبة ليالي ولينا، فبعث إلي فحبسني حتىٰ كلم في فخلىٰ سبيلي.

---

١ ـ تداولته الأيدي: أي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٤، ص ١٧٠٠، مادة «دول»]

٢ ـ زبره يزبره زبراً: انتهره وزجره. [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٦٦٧، مادة «زبر»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام حين تخلف عن بيعته عبد الله بن عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وحسان بن ثابت وأسامة بن زيد

ما رواه الشعبي قال: لما اعتزل سعد ومن سميناه أمير المؤمنين عليه السلام وتوقفوا عن بيعته، حمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أيها الناس إنكم بايعتموني علىٰ ما بويع عليه من كان قبلي وإنما الخيار إلىٰ الناس قبل أن يبايعوا فإذا بايعوا فلا خيار لهم، وإن علىٰ الإمام الاستقامة وعلىٰ الرعية التسليم وهذه بيعة عامة من رغب عنها[١] رغب عن دين الإسلام واتبع غير سبيل أهله ولم تكن بيعتكم إياي فلتة[٢]، وليس أمري وأمركم واحداً وإني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم، وأيم الله لأنصحن للخصم ولأنصفن للمظلوم، وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة وأسامة وعبد الله وحسان بن ثابت أمور كرهتها والحق بيني وبينهم.

١ ـ رغب عنها: أعرض ولم يُردها. [تاج العروس، ج ٢، ص ٢٧، مادة «رغب»]

٢ ـ الفلتة: وقوع الأمر فجأة من غير تدبّر وروية، وقال عمر يوماً على المنبر: كانت بيعة أبي بكر فلتةً وقى الله شرّها. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢١٣، مادة «فلت»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام عند نكث طلحة والزبير بيعته وتوجههما إلىٰ مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه[١] والتألف علىٰ خلافه

ما حفظه العلماء عنه بعد أن حمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أما بعد فإنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله للناس كافة وجعله رحمة للعالمين فصدع[٢] بما أمر به وبلغ رسالات ربه، فلمَّ به الصدع[٣] ورتق به الفتق[٤] وآمن به السبل وحقن به الدماء[٥] وألف به بين ذوي الإحن[٦] والعداوة والوغر[٧] في الصدور والضغائن الراسخة في القلوب، ثمّ قبضه الله تعالىٰ إليه حميداً لم يقصر عن الغاية التي إليها أداء الرسالة

---

١ ـ ألب الناس إليه: جمعه. [تاج العروس، ج ١، ص ٣٠٤، مادة «ألب»]

٢ ـ صَدَعَ بالأمر: أظهر. [تاج العروس، ج ١١، ص ٢٦٥، مادة «صدع»]

٣ ـ لمّ به الصدعَ: أي جمع به ما تفرّق من الأمور. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ١٠]

٤ ـ الفتق: الشقّ، والرتق ضدّ الفتق وهو الالتيام. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٢٣، مادة «فتق» ؛ والمصدر نفسه، ج ٥، ص ١٦٦، مادة «رتق»]

٥ ـ حقن به الدماء: أي منع من إراقتها. [تاج العروس، ج ١٨، ص ١٥٧، مادة «حقن»]

٦ ـ الإحن: جمع إحنة ـ بالكسر ـ : وهي الحقد والضغينة. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٩٨، مادة «احن»]

٧ ـ الوغر: الحِقد والعداوة والتوقّد. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٥١٢، مادة «وغر»]

ولا بلغ شيئاً كان في التقصير عنه القصد، وكان من بعده من التنازع في الإمرة ما كان فتولىٰ أبو بكر وبعده عمر ثمّ تولىٰ عثمان فلما كان من أمره ما عرفتموه أتيتموني فقلتم: بايعنا فقلت: لا أفعل فقلتم: بلىٰ فقلت: لا وقبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم فجذبتموها وتداككتم[1] عليَّ تداكّ الإبل الهيم[2] علىٰ حياضها يوم ورودها حتىٰ ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعض فبسطت يدي فبايعتموني مختارين، وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين ثمّ لم يلبثا أن استأذناني في العمرة والله يعلم أنهما أرادا الغدرة فجددت عليهما العهد في الطاعة وأن لا يبغيا للأمة الغوائل[3] فعاهداني ثمّ لم يفيا لي ونكثا بيعتي ونقضا عهدي، فعجباً لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما لي ولست بدون أحد الرجلين! ولو شئت أن أقول لقلت اللهم احكم عليهما بما صنعا في حقي وصغرا من أمري وظفرني بهما.

فصل

ثم تكلم عليه السلام في مقام آخر بما حفظ عنه في هذا المعنىٰ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

---

١ ـ تداككتم: أي ازدحمتم. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٤٠٨]

٢ ـ الهيم: جمع أهيم، وهو الذي أصابه الهيام، أي العطش الشديد. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٦٢٧، مادة «هيم»]

٣ ـ الغوائل: جمع غائلة، وهي صفة لخصلة مهلكة، ولا يبغيا الأمة الغوائل: أي لا يطلبا لها المهالك. [تاج العروس، ج ١٥، ص ٥٥٨، مادة «غول»]

أما بعد فإنّ الله تعالىٰ لما قبض نبيه عليه السلام قلنا: نحن أهل بيته وعصبته[١] وورثته وأولياؤه وأحق الخلائق به لا ننازع حقه وسلطانه، فبينا نحن كذلك إذ نفر المنافقون فانتزعوا سلطان نبينا منا وولوه غيرنا، فبكت والله لذلك العيون والقلوب منا جميعاً معاً وخشنت[٢] له الصدور وجزعت النفوس جزعاً أرغم[٣].

وأيم الله لولا مخافتي الفرقة بين المسلمين وأن يعود أكثرهم إلىٰ الكفر ويعور الدين[٤] لكنا قد غيرنا ذلك ما استطعنا. وقد بايعتموني الآن وبايعني هذان الرجلان طلحة والزبير علىٰ الطوع منهما ومنكم والإيثار ثمّ نهضا يريدان البصرة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم[٥] بينكم. اللهم فخذهما بغشّهما[٦] لهذه الأمة وبسوء نظرهما للعامة.

ثمّ قال: انفروا رحمكم الله في طلب هذين الناكثين القاسطين الباغين قبل أن يفوت تدارك ما جنياه[٧].

---

١ ـ عصبة الرجل: الجماعة القريبة المختصّة به. [لسان العرب، ج ١، ص ٦٠٥، مادة «عصب»]

٢ ـ الخشونة: ضدّ اللين، وخشّنت صدره: أوغرته. [لسان العرب، ج ١٣، ص ١٤٠ و ١٤١، مادة «خشن»]

٣ ـ أرغم أنفه: أي ألصقه بالرغام وهو التراب، هذا هو الأصل ثم استعمل في الذلّ والعجز عن الانتصاف والانتصار والانقياد على كُرهٍ، فالمعنى: جزعاً لا يؤدّي إلى انتصاف وانتصار. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٣٨، مادة «رغم»]

٤ ـ يعور الدين: أي يصير أعور بيّن العور ذا خلل. [تاج العروس، ج ٧، ص ٢٧٢، مادة «عور»]

اللهم اغفر لنا جميعاً.

٥ ـ البأس: الشدّة والخوف. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٥٠، مادة «بأس»]

٦ ـ الغشّ: خلاف النصح. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١٣٣]

٧ ـ [في المخطوطة: «خبياه» بدل «جنياه»]. خبياه: أي أخفياه وستراه. [النهاية في غريب

فصل

ولما اتصل به مسير عائشة وطلحة والزبير إلىٰ البصرة من مكة حمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: قد سارت عائشة وطلحة والزبير كل واحد منهما يدعي الخلافة دون صاحبه فلا يدعي طلحة الخلافة إلّا أنه ابن عم عائشة[1] ولا يدعيها الزبير إلّا أنه صهر أبيها[2]. والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربن الزبير عنق طلحة وليضربن طلحة عنق الزبير، ينازع هذا علىٰ الملك هذا.

وقد والله علمت أنها الراكبة الجمل لا تحل عقدة ولا تسير عقبة ولا تنزل منزلاً إلّا إلىٰ معصية حتىٰ تورد نفسها ومن معها مورداً، يقتل ثلثهم ويهرب ثلثهم ويرجع ثلثهم، والله إنّ طلحة والزبير ليعلمان أنهما مخطئان وما يجهلان ولربما عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه. والله لينبحنها كلاب[3] الحوأب[4]، فهل يعتبر

الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣، مادة «خبأ»]

١ ـ كان طلحة ابن عمّ لأبي بكر بثلاث طبقات، فأبو بكر هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو التيميّ، وطلحة هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيميّ، كذا قال ابن قتيبة. [انظر: المعارف لابن قتيبة الدينوري، ص ١٦٧ و ٢٢٨]

٢ ـ كانت أسماء بنت أبي بكر ـ الملقّبة بذات النطاقين ـ تحت الزبير. [انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ج ٤، ص ١٧٨١، تسلسل ٣٢٢٦ ترجمة أسماء بنت أبي بكر]

٣ ـ نبح الكلب نباحاً: صاح. [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٤٠٨، مادة «نبح»]

٤ ـ حوأب: اسم موضع بين مكّة والبصرة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٤٥٦، مادة «حوب»]. وفي الأخبار: أنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم لنسائه: ليت شعري أيّتكنّ صاحبة الجمل الأذيب التي تنبحها كلابُ الحوأب، [بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٢٧٨]. والخبر

معتبر أو يتفكر متفكر! ثمّ قال: قد قامت الفئة الباغية فأين المحسنون؟

فصل

ولما توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ البصرة نزل الربذة فلقيه بها آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه[١].

قال ابن عباس ـ رحمة الله عليه ـ: فأتيته فوجدته يخصف نعلاً[٢] فقلت له: نحن إلىٰ أن تصلح أمرنا أحوج منا إلىٰ ما تصنع، فلم يكلمني حتىٰ فرغ من نعله ثمّ ضمها إلىٰ صاحبتها ثمّ قال لي: قومها فقلت: ليس لها قيمة قال: علىٰ ذاك قلت: كسر درهم قال: والله لهما أحب إلي من أمركم هذا إلّا أن أقيم حقاً أوأدفع باطلاً قلت: إنّ الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي أن أتكلم، فإن كان حسناً كان منك وإن كان غير ذلك كان مني قال: لا، أنا أتكلم ثمّ وضع يده في صدري ـ وكان شثن الكف[٣] ـ فآلمني[٤] ثمّ قام فأخذت بثوبه فقلت: نشدتك الله والرحم قال: لا تنشدني ثمّ خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

معروف لا حاجة إلى بيانه.

١ ـ الخباء: الخيمة. [مجمع البحرين، ج ١، ص ١١٩، مادة «خبا»]

٢ ـ خصف النعل: خرزها وضمّ بعضها إلى بعض. [تاج العروس، ج ١٢، ص ١٧١، مادة «خرز»]

٣ ـ [في المخطوطة: «الكفين» بدل «الكف»]. شَثن الكفين: أي غليظ الكفين ضخيمهما. [تاج العروس، ج ١٨، ص ٣١٣، مادة «شثن»]

٤ ـ آلمني: أوجعني. [لسان العرب، ج ٧، ص ٢٣٣، مادة «مضض»]

أما بعد، فإنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس في العرب أحد يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة، فساق الناس إلىٰ منجاتهم، أم والله ما زلت في ساقتها ما غيرت ولا خنت حتىٰ تولّت بحذافيرها[١]. ما لي ولقريش أم والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين وإنّ مسيري هذا عن عهد إلي فيه. أم والله لأبقرن[٢] الباطل حتىٰ يخرج الحق من خاصرته. ما تنقم منا قريش إلّا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا. وأنشد:

ذنب لعمري شربك المحض خالصاً[٣]
وأكلك بالزبد المقشرة البجرا[٤]

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن
علياً وحطنا حولك الجرد[٥] والسمرا[٦]

---

١ ـ بحذافيرها: أي بجوانبها وأجمعها. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٦٢، مادة «حذفر»]
٢ ـ بقرت الشيء بقراً: شققته وفتحته. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٢٨، مادة «بقر»]
٣ ـ المحض: اللبن الخالص الذي لا يخالطه الماء. [تاج العروس، ج ١٠، ص ١٤٩، مادة «محض»]
٤ ـ [في المخطوطة: «التمرا» بدل «البجرا»]. المقشرة: صفة مقدّمة للتمر، أي التمر المأخوذة القشر.
٥ ـ الجرد: فضاء لا نبات فيه. [تاج العروس، ج ٤، ص ٣٨٤، مادة «جرد»]
٦ ـ السمر ـ بضمّ الميم ـ: نوع من الشجر. [تاج العروس، ج ٦، ص ٥٤٢، مادة «سمر»]
وللعلامة المجلسي رحمه الله في المجلد الثامن من البحار في ترجمة البيتين كلام وبيان، من أراد فليرجع إليه. [انظر: بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٧٧]

فصل

ولما نزل بذي قار أخذ البيعة علىٰ من حضره ثمّ تكلم فأكثر من الحمد لله والثناء عليه والصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: قد جرت أمور صبرنا فيها ـ وفي أعيننا القذىٰ[1] ـ تسليماً لأمر الله تعالىٰ فيما امتحننا به رجاء الثواب علىٰ ذلك وكان الصبر عليها أمثل[2] من أن يتفرق المسلمون وتسفك دماؤهم. نحن أهل بيت النبوة وأحق الخلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة التي ابتدأ الله بها هذه الأمة. وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوة ولا من ذرية الرسول حين رأيا أن الله قد رد علينا حقنا بعد أعصر فلم يصبرا حولاً واحداً ولا شهراً كاملاً حتىٰ وثبا[3] علىٰ دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقي ويفرقا جماعة المسلمين عني، ثمّ دعا عليهما.

فصل

وقد روىٰ عبد الحميد بن عمران العجلي، عن سلمة بن كهيل قال: لما التقىٰ أهل الكوفة وأمير المؤمنين عليه السلام بذي قار[4] رحّبوا به[5] وقالوا: الحمد لله الذي

---

١ ـ القذى ـ بالقصر ـ: ما يقع في العين. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٢٤٣، مادة «شجا»]

٢ ـ الأمثل: الأفضل [و] الأشرف. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٧١، مادة «مثل»]

٣ ـ وثبا: أي نهضا. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٧٩، مادة «وثب»]

٤ ـ ذو قار: اسم موضع. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١٣، ص ٩]

٥ ـ رحّبوا به: أي قالوا: مرحباً.

خصنا بجوارك وأكرمنا بنصرتك. فقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

يا أهل الكوفة إنكم من أكرم المسلمين وأقصدهم تقويماً[١] وأعدلهم سنة وأفضلهم سهماً في الإسلام وأجودهم في العرب مركباً ونصاباً. أنتم أشد العرب وداً للنبي صلى الله عليه وآله ولأهل بيته. وإنما جئتكم ثقة ـ بعد الله ـ بكم للذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلعهما طاعتي وإقبالهما بعائشة للفتنة وإخراجهما إياها من بيتها حتىٰ أقدماها البصرة فاستغووا طغامها[٢] وغوغاءها[٣] مع أنه قد بلغني أن أهل الفضل منهم وخيارهم في الدين قد اعتزلوا وكرهوا ما صنع طلحة والزبير.

ثمّ سكت فقال أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك علىٰ عدوك ولودعوتنا إلىٰ أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه.

فدعا لهم أمير المؤمنين عليه السلام وأثنىٰ عليهم ثمّ قال: قد علمتم ـ معاشر المسلمين ـ أن طلحة والزبير بايعاني طائعين راغبين ثمّ استأذناني في العمرة فأذنت لهما فسارا إلىٰ البصرة فقتلا المسلمين وفعلا المنكر. اللهم إنهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألّبا الناس عليّ[٤] فاحلل ما عقدا ولا تحكم ما أبرما[٥]،

---

١ ـ أقصدهم تقويماً: أي أعدلهم استقامة. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ١٢٧، مادة «قصد»]

٢ ـ الطغام ـ كسحاب ـ: أوغاد الناس ورذال الطير. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٤٤١، مادة «طغم»]

٣ ـ الغوغاء: الكثير المختلط من الناس. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٤٨، مادة «غوغ»]

٤ ـ ألب الناس إليه: جمع. [تاج العروس، ج ١، ص ٣٠٤، مادة «ألب»]

٥ ـ أبرَمَ الأمر: أحكمه. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٦، مادة «برم»]

وأرهما المساءة فيما عملا.

فصل

ومن كلامه عليه السلام حين نهض من ذي قار متوجهاً إلىٰ البصرة

بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله: أما بعد، فإنّ الله فرض الجهاد وعظمه وجعله نصرة له، والله ما صلحت دنيا قط ولا دين إلّا به. وإنّ الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله وشبّه[1] في ذلك وخدع وقد بانت الأمور[2] وتمخضت[3]. والله ما أنكروا علي منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً وإنهم ليطلبون حقاً تركوه ودماً هم سفكوه ولئن كنت شركتهم فيه إن لهم لنصيبهم منه وإن كانوا ولوه دوني فما تبعته إلّا قبلهم وإنّ أعظم حجتهم لعلىٰ أنفسهم وإني لعلىٰ بصيرتي ما لبست علي وإنها للفئة الباغية فيها الحمىٰ والحمة[4] قد طالت

---

١ ـ شبّهت له الأمر: أي مثّلت، والأمر مشتبه ومشبّه كمعظّم. [لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٠٥، مادة «شبه»]

٢ ـ بان الأمر: ظهر. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢١٨، مادة «بين»]

٣ ـ [في المخطوطة: تمحّضت]. تمحّضت الأمور: أي خلصت. [تاج العروس، ج ١٠، ص ١٤٩، مادة «محض»]

٤ ـ [في المخطوطة: «اللحم واللحمة» بدل «الحمى والحمة»]. قال الفاضل المجلسي: لحم كل شيء: لُبّه، واللحمة بالضمّ القرابة، يعني أنّ في هذه الفتنة من يظنّ الناس أنّهم لبّ الصحابة، وفيهم من يدّعي قرابة الرسول صلى الله عليه وآله، وفي بعض النسخ: فيها الحَمُ والحمة. [بحار الأنوار،

هلبتها[١] وأمكنت درّتها[٢] يرضعون أماً فطمت[٣] ويحيون بيعة تركت، ليعود الضلال إلىٰ نصابه[٤].

ما أعتذر مما فعلت ولا أتبرأ مما صنعت فخيبة[٥] للداعي ومن دعا لو قيل له: إلىٰ من دعواك؟ وإلىٰ من أجبت؟ ومن إمامك؟ وما سنته؟ إذاً لزاح[٦] الباطل عن مقامه ولصمت لسانه فما نطق. وأيم الله لأفرطن[٧] لهم حوضاً أنا ماتحه لا

ج ٣٢، ص ١١٧]. قال الشارح ابن أبي الحديد في جملة كلامه: الحما ـ بألف مقصورة ـ: كناية عن الزبير؛ لأنّ كل من كان نسيب [في المصدر: بسبب] الرجل فهم الأحماء، واحدهم حماء، مثل قفا، وما كان نسيب [في المصدر: بسبب] المرأة فهم الأحماة [في المصدر: الأخاتن]، وأمّا الأصهار فيجمع الجهتين جميعاً، وكان الزبير ابن عمة رسول الله وقد كان النبي أعلم علياً بأنّ فئة تبغي عليه أيام خلافته فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه، فكنّى عليه السلام عن الزوجة بالحمة، وهي سمّ العقرب، فظهر أنّ الحما الذي أخبر النبي بخروجه مع هؤلاء البغاة هو الزبير ابن عمته، وفي الحما أربع لغات: حما مثل قفا، وحمم مثل كمم، وحمو مثل أبو، وحم مثل أب، انتهى [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٩، ص ٣٤]. ولا يخفى أنّ الثاني هو الأنسب.

١ ـ الهلبة: الشدّة. [تاج العروس، ج ٢، ص ٤٩٥، مادة «هلب»]

٢ ـ الدرّة: اللبن، يريد حلبها. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٧، ص ٥٥]

٣ ـ فطم الصبي: فصله عن الرضاع. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٣١، مادة «فطم»]

٤ ـ النصاب: الأصل والمرجع. [تاج العروس، ج ٢، ص ٤٣٦، مادة «نصب»]

٥ ـ [في المخطوطة: فيا خيبة» بدل «فخيبة»]. الخيبة: الحرمان والخسران. [تاج العروس، ج ١، ص ٤٧٦، مادة «خيب»]. والنداء فيه كالنداء في قوله تعالى: ﴿يا حسرة على العباد﴾، أي احضري فهذا أوانك. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٣٠٤]

٦ ـ زاح ـ بالزاي المعجمة يزوحا ـ: زال. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٦٦، مادة «زيح»]

٧ ـ قوله: لأفرطن الخ: أي لأسبقنّهم إلى حوض أنا مستقيه لهم. [انظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٦٣]

يصدرون[١] عنه ولا يلقون بعده رياً[٢] أبداً وإني لراض بحجة الله عليهم وعذره فيهم إذ أنا داعيهم فمعذر إليهم فإن تابوا وأقبلوا فالتوبة مبذولة والحق مقبول وليس على الله كفران وإن أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى به شافياً من باطل وناصراً لمؤمن.

فصل

ومن كلامه عليه السلام حين دخل البصرة وجمع أصحابه فحرضهم على الجهاد

فكان مما قال: عباد الله انهدوا[٣] إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم فإنهم نكثوا بيعتي وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرّح[٤] والعقوبة الشديدة، وقتلوا السيابجة[٥] وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي وقتلوا رجالاً صالحين ثمّ تتبعوا منهم من نجا يأخذونهم في كل حائط وتحت كل رابية[٦] ثمّ

---

١ ـ لا يصدرون: أي لا يخرجون. [انظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ٣٤٠]

٢ ـ الريّ: ضدّ العطش. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ١٤٣، مادة «عطش»]

٣ ـ نَهَد الرجل: نهض. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ١٥٢، مادة «نهد»]

٤ ـ ضربٌ مبرح ـ بكسر الراء ـ: أي شاقّ، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٤٢، مادة «برح»]

٥ ـ السيابجة: قوم صالحون من السِّند كانوا بالبصرة وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام سلّم بيت مال البصرة إليهم فقتلهم أصحاب الجمل. [انظر: الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٣٢١، مادة «سبج»]

٦ ـ الرابية: ما ارتفع من الأرض، أريد به كلّ من استخفى في بناء. [تاج العروس، ج ١٩،

يأتون بهم فيضربون رقابهم صبراً. ما لهم قاتلهم الله أنىٰ يؤفكون.

انهدوا إليهم وكونوا أشداء عليهم وألقوهم صابرين محتسبين تعلمون أنكم منازلوهم ومقاتلوهم وقد وطنتم أنفسكم علىٰ الطعن الدعسي[1] والضرب الطلخفي[2] ومبارزة الأقران وأي امرىء منكم أحس من نفسه رباطة جأش[3] عند اللقاء ورأىٰ من أحد من إخوانه فشلاً فليذب عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله.

فصل

ومن كلامه عليه السلام حين قتل طلحة وانفض[4] أهل البصرة

بنا تسنّمتم[5] الشرفاء[6] وبنا انفجرتم[7] عن السرار[8] وبنا اهتديتم في

ص ٤٤٢، مادة «ربو»]

١ ـ الدعس: الطعن، أريد به شدّته. [تاج العروس، ج ٨، ص ٢٨٦، مادة «دعس»]

٢ ـ [في المخطوطة: «الطلحفيّ»]. ضربٌ طلحفيّ ـ بكسر الطاء والحاء ـ: شديد. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١٥، ص ١١٤]

٣ ـ الجأش: القلب. [تاج العروس، ج ٩، ص ٦٧، مادة «جأش»]

٤ ـ انفضّ القوم: تفرّقوا. [تاج العروس، ج ١٠، ص ١٢٧، مادة «فضض»]

٥ ـ تسنّمتُ الراحلة: ركبت سنامها. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٣٠٦، مادة «سنم»]

٦ ـ [في المخطوطة: «الشرف»].

٧ ـ انفجرتم: أي دخلتم في الفجر. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٠٨]

٨ ـ السرار: الليلة أو الليلتان في آخر الشهر يستتر القمر فيهما. [شرح نهج البلاغة لابن أبي

الظلماء وقر سمع[١] لم يفقه الواعية[٢] كيف يراع للنبأة[٣] من أصمته الصيحة ربط جنان[٤] لم يفارقه الخفقان[٥]، ما زلت أتوقع بكم عواقب الغدر وأتـوسّمكم[٦] بحلية المغترين سترني عنكم جلباب[٧] الدين وبصرنيكم صدق النية أقمت لكم الحق حيث تعرفون ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون[٨].

اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان عزب[٩] فهم امرىء تخلف عـني مـا شككت في الحق منذ رأيته كان بنو يعقوب علىٰ المحجة العظمىٰ حتىٰ عقوا أباهم وباعوا أخاهم وبعد الإقرار كانت توبتهم وباستغفار أبيهم وأخيهم غفر لهم.

الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٠٨]

١ ـ وُقِرَت أذن زيدٍ ـ بضمّ الواو ـ فهي موقورة وقراً: وهو الثقل في الأذن. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٠٨]

٢ ـ الواعية: الصراخ والصارخة، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٥٢٦، مادة «وعى»]

٣ ـ النبأة: الصوت الخفيّ. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٤٠٦، مادة «نبا»]

٤ ـ الجنان ـ كسحاب ـ: القلب، وربطه تشديده وتقويته. [تاج العروس، ج ١٨، ص ١١٤، مادة «جنن»]

٥ ـ الخفقان: اضطراب القلب. [تاج العروس، ج ١٣، ص ١١٨، مادة «خفق»]

٦ ـ أتوسّمكم: أي أتعرّفكم. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٦٣٧، مادة «وسم»]

٧ ـ الجلباب: كل ما يستتر به من ثياب وغيره. [لسان العرب، ج ١، ص ٢٧٣، مادة «جلب»]

٨ ـ أماه المحتفر يميه: أنبط الماء. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢١٠]

٩ ـ عزب ـ بالراء المعجمة كقتل وضرب ـ: أي غاب. [تاج العروس، ج ٢، ص ٢٢٨، مادة «عزب»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام عند تطوافه على القتلى

هذه قريش جدعت أنفي[١] وشفيت نفسي، لقد تقدمت إليكم أحذركم عضّ السيوف[٢] وكنتم أحداثاً لا علم لكم بما ترون ولكنه الحين[٣] وسوء المصرع فأعوذ بالله من سوء المصرع.

ثمّ مر على معبد بن المقداد فقال: رحم الله أبا هذا أما إنه لو كان حياً لكان رأيه أحسن من رأي هذا. فقال عمار بن ياسر: الحمد لله الذي أوقعه وجعل خده الأسفل إنا والله يا أمير المؤمنين ما نبالي من عَنَد[٤] عن الحق من ولد ووالد. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: رحمك الله وجزاك عن الحق خيراً.

قال: ومر بعبد الله بن ربيعة بن دراج وهو في القتلى فقال: هذا البائس ما كان أخرجه؟ أدين أخرجه أم نصر لعثمان؟ والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن.

ثمّ مر بمعبد بن زهير بن أبي أمية فقال: لوكانت الفتنة برأس الثريا لتناولها

---

١ ـ الجدع: قطع الأنف، (صحاح). [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١١٩٣، مادة «جدع»]

٢ ـ [في المخطوطة: «السيف»]. العضّ: المسك بالأسنان، وعضّ السيف: حدّه. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ١٩٠]

٣ ـ الحين: الهلاك أو قدره. [تاج العروس، ج ١٨، ص ١٦٩، مادة «حين»]

٤ ـ عَنَدَ عن الطريق: مال. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٢، ص ١٧٦]

هذا الغلام والله ما كان فيها بذي نحيزة[١]، ولقد أخبرني من أدركه وأنه ليولول[٢] فرقاً[٣] من السيف.

ثمّ مر بمسلم بن قرظة فقال: البر أخرج هذا! والله لقد كلمني أن أكلم له عثمان في شيء كان يدعيه قبله بمكة فأعطاه عثمان وقال: لولا أنت ما أعطيته، إنّ هذا ـ ما علمت ـ بئس أخو العشيرة ثمّ جاء المشوم للحين ينصر عثمان.

ثمّ مر بعبد الله بن حميد بن زهير فقال: هذا أيضاً ممن أوضع[٤] في قتالنا، زعم يطلب الله بذلك ولقد كتب إلي كتباً يؤذي فيها عثمان فأعطاه شيئاً فرضي عنه.

ثم مر بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال: هذا خالف أباه في الخروج وأبوه حيث لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا وإن كان قد كف وجلس حيث شك في القتال، وما ألوم اليوم من كف عنا وعن غيرنا ولكن المليم[٥] الذي يقاتلنا.

ثمّ مر بعبد الله بن المغيرة بن الأخنس فقال: أما هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار فخرج مغضباً لمقتل أبيه وهو غلام حدث حُيِّنَ لقتله.

ثمّ مر بعبد الله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق فقال: أما هذا فإني أنظر

---

١ ـ [في المخطوطة: «نخيرة»]. النخيرة: صوت في الأنف، يريد عليه السلام: أنه كان يخاف من الحرب ولم يكن له فيها صوت، كذا قيل. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٧، ص ٨٣]

٢ ـ ولولت المرأة: أعولت. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٩٦]

٣ ـ الفرق: شدّة الفزع. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ١٩٠]

٤ ـ أوضع في تجارته ـ بصيغة المجهول ـ: أي خَسِر. [الصحاح للجوهري، ج ٣، ص ١٣٠٠، مادة «وضع»]

٥ ـ رجل مليم: مذموم. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ١٩٠]

إليه وقد أخذ القوم السيوف هارباً يعدومن الصف فنهنهت عنه[١] فلم يسمع من نهنهت حتىٰ قتله وكان هذا مما خفي علىٰ فتيان قريش أغمار[٢] لا علم لهم بالحرب، خدعوا واستزلوا فلما وقفوا وقعوا[٣] فقتلوا.

ثمّ مشىٰ قليلاً فمر بكعب بن سور فقال: هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصر أمه يدعو الناس إلىٰ ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ثمّ استفتح فخاب كل جبار عنيد. أما إنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله. أجلسوا كعب بن سور فأجلس فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا كعب قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثمّ قال: أضجعوا كعباً.

ومر علىٰ طلحة بن عبيد الله فقال: هذا الناكث بيعتي والمنشىء الفتنة في الأمة والمجلب عليَّ[٤] الداعي إلىٰ قتلي وقتل عترتي. أجلسوا طلحة فأجلس فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا طلحة بن عبيد الله قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعد ربك حقاً؟ ثم قال: أضجعوا طلحة. وسار فقال له بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين أتكلم كعباً وطلحة بعد قتلهما؟ قال: أم والله إنهما لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب[٥] كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر.

---

١ ـ نَهنَهه عن الأمر: كفّه وزجره. [لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٥٠، مادة «نهنه»]

٢ ـ الأغمار: جمع غمر، وهو الذي لم يجرّب الأمور. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٨٥، مادة «غمر»]

٣ ـ [في المخطوطة: «لحجوا» بدل «وقعوا»]. لَحج السيفُ غيره ـ بالكسر يلحج لحجاً ـ: أي نشب فلا يخرج. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ١٩١]

٤ ـ أجلب عليه الناس: أي دعاهم وجمعهم. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ١٩١]

٥ ـ القليب: البئر التي لم تُطوَ، يذكّر ويؤنّث، وكان حُفر يوم بدر قليب ألقي فيه القتلى من الكفار.

فصل

ومن كلامه عليه السلام بالبصرة حين ظهر علىٰ القوم بعد حمد الله والثناء عليه

أما بعد فإنّ الله ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة وعفو جمّ(١) وعقاب أليم، قضىٰ أن رحمته ومغفرته وعفوه لأهل طاعته من خلقه وبرحمته اهتدىٰ المهتدون، وقضىٰ أن نقمته وسطواته وعقابه علىٰ أهل معصيته من خلقه، وبعد الهدىٰ والبينات ما ضل الضالون. فما ظنكم ـ يا أهل البصرة ـ وقد نكثتم بيعتي وظاهرتم عليَّ عدوي؟

فقام إليه رجل فقال: نظن خيراً ونراك قد ظفرت وقدرت فإن عاقبت فقد اجترمنا ذلك وإن عفوت فالعفو أحب إلىٰ الله.

فقال: قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة فإنكم أول الرعية نكث البيعة وشقّ عصا(٢) هذه الأمة قال: ثمّ جلس للناس فبايعوه.

[منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ١٩١]

١ ـ عفوٌ جمٌّ: أي كثيرٌ. [تاج العروس، ج ١٦، ص ١١٦، مادة «جمم»]

٢ ـ شقّ العصا: كناية عن تفريق الكلمة. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٢٤٦، مادة «شقق»]

فصل

ثم كتب عليه السلام بالفتح إلىٰ أهل الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلىٰ أهل الكوفة، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو.

أما بعد: فإنّ الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال.

أخبركم عنا وعمن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن تأشب إليهم[١] من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكثهم صفقة أيمانهم[٢] فنهضت من المدينة حين انتهىٰ إليَّ خبر من سار إليها وجماعتها وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف حتىٰ قدمت ذاقار فبعثت الحسن بن علي وعمار بن ياسر وقيس بن سعد فاستنفرتكم بحق الله وحق رسوله وحقي فأقبل إلي إخوانكم سراعاً حتىٰ قدموا علي فسرت بهم حتىٰ نزلت ظهر البصرة، فأعذرت بالدعاء وقمت بالحجة وأقلت العثرة[٣] والزلة من أهل الردة من قريش وغيرهم واستتبتهم من نكثهم بيعتي

١ ـ تأشب إليه: انضمّ. [تاج العروس، ج ١، ص ٣٠٤، مادة «أشب»]

٢ ـ صفقت يدي بالبيعة على يده وبيده: أي ضربت، وذلك إذا لزمت البيعة. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٢٧١، مادة «صفق»]

٣ ـ العثرة: الزلّة والخطيئة، يقال: أقال الله عثرته: أي سامح في مؤاخذة خطيئته. [مجمع

وعهد الله عليهم فأبوا إلّا قتالي وقتال من معي والتمادي في البغي[١] فناهضتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثاً وولىٰ من ولىٰ إلىٰ مصرهم، وقتل طلحة والزبير علىٰ نكثهما وشقاقهما، وكانت المرأة عليهم أشأم من ناقة الحجر[٢] فخذلوا وأدبروا وتقطعت بهم الأسباب، فلما رأوا ما حل بهم سألوني العفو فقبلت منهم وغمدت السيف عنهم وأجريت الحق والسنة بينهم، واستعملت عبد الله بن العباس علىٰ البصرة وأنا سائر إلىٰ الكوفة إن شاء الله، وقد بعثت إليكم زحر بن قيس الجعفي لتسألوه فيخبركم عنا وعنهم وردهم الحق علينا ورد الله لهم وهم كارهون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فصل

ومن كلامه عليه السلام حين قدم الكوفة من البصرة

بعد حمد الله والثناء عليه: أما بعد فالحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه وأعز الصادق المحق وأذل الكاذب المبطل.

عليكم يا أهل هذا المصر[٣] بتقوىٰ الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت

البحرين، ج ٣، ص ٣٩٦، مادة «عثر»]

١ ـ [في المخطوطة: «الغيّ» بدل «البغي»]. تمادى في ضلاله: أي بالغ فيه. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٢٥]

٢ ـ قال الفاضل المجلسي رحمه الله تعالى: الحجر ـ بالكسر ـ منازل ثمود، قال الله تعالى: ﴿كذّب أصحاب الحجر المرسلين﴾، انتهى. [بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٢٣٢]

٣ ـ المصر: البلد العظيم، والمصران: الكوفة والبصرة. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٨٢، مادة

نبيكم الذين هم أولىٰ بطاعتكم من المنتحلين[١] المدعين القائلين: إلينا إلينا يتفضلون بفضلنا ويجاحدونا أمرنا وينازعونا حقنا ويدفعونا عنه، وقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غياً. وقد قعد عن نصرتي منكم رجال وأنا عليهم عاتب زار[٢] فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتىٰ يعتبونا[٣] ونرىٰ منهم ما نحب.

فصل

ومن كلامه عليه‌السلام لما عمل علىٰ المسير إلىٰ الشام لقتال معاوية بن أبي سفيان

بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة علىٰ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: اتقوا الله ـ عباد الله ـ وأطيعوه وأطيعوا إمامكم فإنّ الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل. ألا وإنّ الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقي ناكثاً لبيعتي طاعناً في دين الله عزّ وجلّ. وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس فجئتموني راغبين إلي في أمركم حتىٰ استخرجتموني من منزلي

«مصر»]

١ ـ انتحل الشيء: ادّعاه لنفسه وهو لغيره. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٣٧٢]

٢ ـ عاتب زار: أي ساخط غير راض. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٤٩٢، مادة «زري»]

٣ ـ العتاب: الموجدة والملامة، يقال: عاتبه معاتبة وعتب عتباً فهو عاتب، وتقول: أعتبني فلان إذا رجع إلى مسرّتك راجعاً عن الإساءة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٧٥، مادة «عتب»]

لتبايعوني فالتويت[١] عليكم لأبلو[٢] ما عندكم فرادتموني القول مراراً ورادتكموه وتكأكأتم[٣] عليّ تكأكؤ الإبل الهيم[٤] علىٰ حياضها حرصاً علىٰ بيعتي حتىٰ خفت أن يقتل بعضكم بعضاً فلما رأيت ذلك منكم رويت في أمري[٥] وأمركم فقلت: إن أنا لم أجبهم إلىٰ القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً منهم يقوم فيهم مقامي ويعدل فيهم عدلي. وقلت: والله لألينّهم[٦] وهم يعرفون حقي وفضلي أحب إلي من أن يلوني وهم لا يعرفون حقي وفضلي. فبسطت يدي لكم فبايعتموني ـ يا معشر المسلمين ـ وفيكم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان فأخذت عليكم عهد بيعتي وواجب صفقتي عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ علىٰ النبيين من عهد وميثاق لتفنّ لي ولتسمعن لأمري ولتطيعوني وتناصحوني وتقاتلون معي كل باغ علي أو مارق[٧] إن مرق فأنعمتم لي[٨] بذلك جميعاً. وأخذت عليكم عهد الله وميثاقه وذمة الله وذمة رسوله فأجبتموني إلىٰ ذلك وأشهدت الله عليكم وأشهدت بعضكم علىٰ بعض فقمت فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله.

فالعجب من معاوية بن أبي سفيان! ينازعني الخلافة ويجحدني الإمامة

---

١ ـ التوى عن الأمر: تثاقل. [بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٣٩٠]

٢ ـ بلوت الرجل: امتحنته واختبرته. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ١٥٥، مادة «بلا»]

٣ ـ تكأكأوا عليه: أي تجمّعوا وازدحموا. [لسان العرب، ج ١، ص ١٣٦، مادة «كأكأ»]

٤ ـ الهيم: جمع الأهيم، وهو العطشان. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٧٧٠، مادة «هيم»]

٥ ـ روّيت في الأمر: نظرت وتفكّرت. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٤٨١، مادة «روي»]

٦ ـ ولي الأمر ولاية: أي باشره سلطنة وإمارة. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٤٥٥، مادة «ولا»]

٧ ـ مرق من الدين: خرج. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٢]

٨ ـ أنعم عليه: أي قبل وأجاب بنعم. [بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٣٩٠]

ويزعم أنه أحق بها مني جرأة منه علىٰ الله وعلىٰ رسوله بغير حق له فيها ولا حجة، لم يبايعه عليها المهاجرون ولا سلم له الأنصار والمسلمون.

يا معشر المهاجرين والأنصار وجماعة من سمع كلامي أما أوجبتم لي علىٰ أنفسكم الطاعة أما بايعتموني علىٰ الرغبة أما أخذت عليكم العهد بالقبول لقولي أما كانت بيعتي لكم يومئذ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر؟ فما بال من خالفني لم ينقض عليهما حتىٰ مضيا ونقض علي ولم يف لي؟ أما يجب عليكم نصحي ويلزمكم أمري؟ أما تعلمون أن بيعتي تلزم الشاهد منكم والغائب؟

فما بال معاوية وأصحابه طاعنين في بيعتي؟ ولِمَ لم يفوا بها لي وأنا في قرابتي وسابقتي وصهري[١] أولىٰ بالأمر ممن تقدمني؟ أما سمعتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير في ولايتي وموالاتي؟ فاتقوا الله أيها المسلمون وتحاثوا[٢] علىٰ جهاد معاوية القاسط الناكث وأصحابه القاسطين.

اسمعوا ما أتلوعليكم من كتاب الله المنزل علىٰ نبيه المرسل لتتعظوا فإنه والله عظة لكم فانتفعوا بمواعظ الله وازدجروا عن معاصي الله[٣] فقد وعظكم الله بغيركم فقال لنبيه صلى الله عليه وآله: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرٰائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ إِذْ قٰالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنٰا مَلِكاً نُقٰاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ قٰالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتٰالُ أَلّٰا تُقٰاتِلُوا قٰالُوا وَمٰا لَنٰا أَلّٰا نُقٰاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَقَدْ أُخْرِجْنٰا مِنْ دِيٰارِنٰا وَأَبْنٰائِنٰا فَلَمّٰا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتٰالُ تَوَلَّوْا إِلّٰا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ * وَقٰالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ**

---

١ ـ الصِّهر ـ بالكسر ـ: القرابة وحرمة الختونة. [تاج العروس، ج ٧، ص ١١٤، مادة «صهر»]

٢ ـ التحاثّ: التحاضّ، أي حرّضوا بعضكم بعضاً وأسرعوا إلى جهاد هؤلاء. [تاج العروس، ج ٣، ص ١٨٨، مادة «حثث»]

٣ ـ ازدجر عن المكروه: أي امتنع وانتهى. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣١٦، مادة «زجر»]

اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا ونَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ولَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ والْجِسْمِ واللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ واللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

أيها الناس إنّ لكم في هذه الآيات عبرة لتعلموا أن الله تعالىٰ جعل الخلافة والإمرة من بعد الأنبياء في أعقابهم وأنه فضل طالوت وقدمه علىٰ الجماعة باصطفائه إياه وزيادته بسطة في العلم والجسم، فهل تجدون الله اصطفىٰ بني أمية علىٰ بني هاشم، وزاد معاوية علي بسطة في العلم والجسم؟ فاتقوا الله عباد الله وجاهدوا في سبيله قبل أن ينالكم سخطه بعصيانكم له قال الله عزوجل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلىٰ لِسانِ داوُدَ وعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِما عَصَوْا وكانُوا يَعْتَدُونَ * كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾(٢) ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ﴾(٣) ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ورَسُولِهِ وتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ويُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ ومَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٤).

---

١ ـ [سورة البقرة، الآيتان ٢٤٦ و ٢٤٧].

٢ ـ [سورة المائدة، الآيتان ٧٨ و ٧٩].

٣ ـ [سورة الحجرات، الآية ١٥].

٤ ـ [سورة الصف، الآيات ١٠ ـ ١٢.]

اتقوا الله عباد الله وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم فلو كان لي منكم عصابة[١] بعدد أهل بدر[٢] إذا أمرتهم أطاعوني وإذا استنهضتهم نهضوا معي لاستغنيت بهم عن كثير منكم وأسرعت النهوض إلىٰ حرب معاوية وأصحابه فإنه الجهاد المفروض.

فصل

ومن كلامه عليه السلام وقد بلغه عن معاوية وأهل الشام ما يؤذيه من الكلام

فقال: الحمد لله قديماً وحديثاً، ما عاداني الفاسقون فعاداهم الله ألم تعجبوا إنّ هذا لهو الخطب الجليل، إنّ فساقاً غير مرضيين وعن الإسلام وأهله منحرفين خدعوا بعض هذه الأمة وأشربوا قلوبهم حبّ الفتنة[٣] واستمالوا أهواءهم بالإفك[٤] والبهتان قد نصبوا لنا الحرب وهبّوا[٥] في إطفاء نور الله والله متم نوره

---

١ ـ العصابة ـ بالكسر ـ: الجماعة. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٢٣، مادة «عصب»]

٢ ـ اختلف في عدد أصحاب بدر، والمشهور أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

٣ ـ يقال: أشرب فلان حبّ فلان: أي خالط قلبه وحلّ منه محلّ الشراب، [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٨٧، مادة «شرب»]. يعني أنهم خلطوا حبّ الفتنة بقلوبهم كخلط الشراب بالشارب والصبغ بالثوب مثلاً، كذا قيل.

٤ ـ الإفك: الكذب. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٥٠٨، مادة «أفك»]

٥ ـ الهبوب: ثوران الريح ونشاط السائر وسرعته. [تاج العروس، ج ٢، ص ٤٨١، مادة «هبب»]

ولو كره الكافرون. اللهم فإن ردوا الحق فاقصص جذمتهم[١] وشتّت[٢] كلمتهم وأبسلهم[٣] بخطاياهم فإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت.

فصل

ومن كلامه عليه السلام في تحضيضه[٤] علىٰ القتال يوم صفين

عباد الله اتقوا الله وغضوا الأبصار[٥] واخفضوا الأصوات وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم علىٰ المنازلة والمجاولة والمبارزة والمبالطة[٦] والمبالدة والمعانقة والمكادمة[٧] واثبتوا، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم[٨]، واصبروا إنّ الله مع الصابرين. اللهم ألهمهم الصبر

---

١ ـ [في المخطوطة: «فافضض خدمتهم» بدل «فاقصص جذمتهم»]. فضّ خدمتهم: أي فرّق جمعهم. [لسان العرب، ج ٧، ص ٢٠٧، مادة «فضض»]

٢ ـ التشتيت: التفريق. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٣٩٨، مادة «فرق»]

٣ ـ أبسلتُ فلاناً: إذا أسلمته للهلكة. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٨، ص ٧]

٤ ـ التحضيض: التحريض. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٣٥، مادة «حرض»]

٥ ـ غضّ بصره: أي خفضه. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢١٨، مادة «غضض»]

٦ ـ بالط القوم: أي تجالدوا بالسيوف، وكذلك المُبالَدة، وهذه بالعصا أيضاً. [بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٥٦٦]

٧ ـ المكادمة: أخذك الرجل بالأسنان بحيث لا تستمكن منه. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٥١٠، مادة «كدم»]

٨ ـ فتذهب ريحكم: أي دولتكم. [أساس البلاغة، ص ٢٥٧، مادة «روح»]

وأنزل عليهم النصر وأعظم لهم الأجر.

فصل

ومن كلامه عليه السلام أيضاً في هذا المعنىٰ

معاشر المسلمين إنّ الله قد دلكم علىٰ تجارة تنجيكم من عذاب أليم وتشفي بكم علىٰ الخير العظيم[١]، الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله والجهاد في سبيله، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة في جنات عدن. ثمّ أخبركم أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، فقدّموا الدارع[٢] وأخّروا الحاسر[٣] وعضّوا علىٰ الأضراس[٤] فإنه أنبىٰ للسيوف[٥] عن الهام[٦] والتووا في أطراف الرماح فإنه أمور[٧] للأسنة وغضّوا الأبصار[٨] فإنه أضبط[٩]

---

١ ـ تشفي بكم: أي تشرف وتقبل بكم على الخير العظيم. [انظر: تاج العروس، ج ١٩، ص ٥٧٩، مادة «شفو»]

٢ ـ رجل دارع: أي عليه درع. [تاج العروس، ج ١١، ص ١٠٨، مادة «درع»]

٣ ـ الحاسر: من لا مغفر له ولا درع. [تاج العروس، ج ٦، ص ٢٧٤، مادة «حسر»]

٤ ـ الأضراس: الأسنان، والعضّ: المسك بها. [لسان العرب، ج ٦، ص ١١٦، مادة «ضرس»]

٥ ـ نبا السيف: إذا لم يعمل في الضربة. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٥، ص ١٦٩]

٦ ـ الهام ـ بالتخفيف ـ: الرأس. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٧٧١، مادة «هيم»]

٧ ـ المور: التحرك والاضطراب. [تاج العروس، ج ٧، ص ٤٩٦، مادة «مور»]

٨ ـ غضّ بصره: خفضه. [لسان العرب، ج ٧، ص ١٩٧، مادة «غضض»]

٩ ـ [في المخطوطة: «أربط».]

للجأش[١] وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات[٢] فإنه أطرد للفشل[٣] وأولىٰ بالوقار. ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها إلّا بأيدي شجعانكم فإن المانعين للذمار[٤] الصابرين علىٰ نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها[٥].

رحم الله امرءاً منكم آسىٰ أخاه بنفسه ولم يكل قرنه[٦] إلىٰ أخيه[٧] فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه فيكتسب بذلك لائمة ويأتي به دناءة فلا تعرضوا المقت الله ولا تفروا من الموت فإنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلّا قَلِيلاً﴾. وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة فاستعينوا بالصبر والصلاة والصدق في النية فإنّ الله تعالىٰ بعد الصبر ينزل النصر.

---

١ ـ قوله: أربط للجأش: أي أثبت للقلب. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٨، ص ٤]

٢ ـ إماتة الصوت: إخفاؤه. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٢٠٧]

٣ ـ الفشل: الجبن والخوف. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٤٤٩، مادة «فشل»]

٤ ـ الذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته. [تاج العروس، ج ٦، ص ٤٤٥، مادة «ذمر»]

٥ ـ اكتنفوا فلاناً: أحاطوا به. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٤٦٨، مادة «كنف»]

٦ ـ القرن: المقاوم في الحرب. [لسان العرب، ج ١٣، ص ٣٣٧، مادة «قرن»]

٧ ـ لم يكل قرنه، الخ: أي لم يدع قرنه ينضمّ إلى قرن أخيه، مثاله زيد وعمرو مسلمان ولهما قرنان كافران في الحرب، لا يجوز لزيد أن ينكل عن قرنه فيجتمع قرنه وقرن عمرو على عمرو، (ابن أبي الحديد). [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٨، ص ٥]

فصل

ومن كلامه عليه السلام وقد مر براية لأهل الشام لا يزول أصحابها عن مواقفهم صبراً على قتال المؤمنين

فقال لأصحابه: إنّ هؤلاء لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك[1] يخرج منه النسيم[2] وضرب يفلق[3] الهام ويطيح[4] العظام وتسقط منه المعاصم[5] والأكف وحتىٰ تصدع[6] جباههم بعمد الحديد وتنتثر حواجبهم علىٰ الصدور والأذقان. أين أهل الصبر أين طلاب الأجر؟ فثار إليهم حينئذ عصابة من المسلمين فكشفوهم.

---

١ ـ طعن دراك: أي طعن يتدارك بعضه بعضاً. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ١٦٤]

٢ ـ [في المخطوطة: النسم]. النسم ـ محرّكة ـ: نفس الروح. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٦٨٤، مادة «نسم»]

٣ ـ الفلق: الشقّ. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٤٠٧، مادة «فلق»]

٤ ـ أطاح الشيء: أفناه. [تاج العروس، ج ٤، ص ١٤٦، مادة «طوح»]

٥ ـ المعصم: موضع السوار من اليد، والجمع معاصم. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٤٨٤، مادة «عصم»]

٦ ـ الصدع: الشقّ المنكر. [تاج العروس، ج ١١، ص ٢٦٤، مادة «صدع»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام في هذا المعنىٰ

إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا لينيبوا إلىٰ الحق ولا ليجيبوا إلىٰ كلمة السواء[(١)] حتىٰ يرموا بالمناسر[(٢)] تتبعها العساكر وحتىٰ يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب[(٣)] وحتىٰ يجر ببلادهم الخميس[(٤)] يتلوه الخميس وحتىٰ تدعق الخيول في نواحي أرضهم وبأعنان[(٥)] مساربهم ومسارحهم[(٦)] وحتىٰ تشنّ الغارات[(٧)] في كل فجّ[(٨)] وتخفق عليهم الرايات[(٩)] ويلقاهم قوم صدق صبّر لا يزيدهم هلاك

---

١ ـ السواء: العدل والوسط. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٥٤٦، مادة «سوو»]

٢ ـ المناسر: جمع منسر، وهو القطعة من الجيش تكون أمامَ الجيش. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٤٧، مادة «نسر»]

٣ ـ الحلائب ـ بالمهملة ـ: جمع حليبة، وهي الطائفة المجتمعة من كلّ وجهٍ. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ٥٩، علماً أن الموجود في المخطوطة «الجلائب» كما في المتن أعلاه. (انظر ص ١٤٣ من المخطوطة)]

٤ ـ الخميس: الجيش. [تاج العروس، ج ٨، ص ٢٦٤، مادة «خمس»]

٥ ـ أعنان الشيء: أطرافه ونواحيه. [لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٩٤، مادة «عنن»]

٦ ـ والمسارب والمسارح: المراعي، والفرق بين سرح وسرب: أنّ السروح إنما يكون في أول النهار، وليس ذلك بشرط في السروب. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٨، ص ٩]

٧ ـ شنّ الغارة عليهم: إذا فرّقها في كلّ وجه. [تاج العروس، ج ١٨، ص ٣٢٧، مادة «شنن»]

٨ ـ الفجّ: الطريق. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٢١، مادة «فجج»]

٩ ـ خفقت الراية: تحرّكت واضطربت. [تاج العروس، ج ١٣، ص ١١٦، مادة «خفق»]

من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلّا جداً في طاعة الله وحرصاً على لقاء الله.

والله لقد كنا مع النبي صلى الله عليه وآله يقتل آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً ومضياً على مضّ[1] الألم وجرأة على جهاد العدو واستقلالاً بمبارزة الأقران. ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان[2] تصاول الفحلين ويتخالسان[3] أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنية فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا فلما رآنا الله تعالى صبراً صدقاً أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر. ولعمري لو كنا نأتي مثل ما أتيتم ما قام الدين ولا عز الإسلام. وأيم الله لتحتلبنها دماً عبيطاً[4] فاحفظوا ما أقول.

---

١ ـ [في المخطوطة: مضض]. المَضَضُ: وجع المصيبة. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٣٠، مادة «مضض»]

٢ ـ يتصاولان: أي يتحاملان. [شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني، ج ٢، ص ١٤٧]

٣ ـ التخالس: التسالب والانتهاب. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٤، ص ٣٣]

٤ ـ قال ابن أبي الحديد: يقال لمن أسرف في الأمر: لتحلبنّ دماً، وأصله الناقة يفرط في حلبها فيحلب الحالب الدم. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٤، ص ٣٣]

فصل

ومن كلامه عليه السلام حين رجع أصحابه عن القتال بصفين لما اغترهم معاوية برفع المصاحف فانصرفوا عن الحرب

لقد فعلتم فعلة ضعضعت(١) من الإسلام قواه وأسقطت منته(٢) وأورثت وهناً وذلة. لما كنتم الأعلين وخاف عدوكم الاجتياح(٣) واستحرّ بهم القتل(٤) ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف ودعوكم إلىٰ ما فيها ليفثئوكم عنهم(٥) ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم ويتربصوا بكم ريب المنون(٦) خديعة ومكيدة. فما أنتم إن جامعتموهم علىٰ ما أحبوا وأعطيتموهم الذي سألوا إلّا مغرورون. وايم الله ما أظنكم بعدها موافقي رشد ولا مصيبي حزم.

---

١ ـ ضعضعه: هدمه حتى الأرض. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٦٥، مادة «ضعضع»]

٢ ـ المُنّة: القوة. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٣١٩، مادة «منن»]

٣ ـ الاجتياح: الإهلاك والاستيصال. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٧، ص ٣٣١]

٤ ـ استحرّ القتل: اشتدّ. [تاج العروس، ج ٦، ص ٢٦٨، مادة «حرر»]

٥ ـ فثاء الغضبَ: سكنه وكسره، والشيء عنه: كفّه. [القاموس المحيط، ج ١، ص ٢٣]

٦ ـ ريب المنون: حوادث الدهر. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٧٦، مادة «ريب»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام بعد كتب الصحيفة بالموادعة والتحكيم وقد اختلف عليه أهل العراق في ذلك

والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا فإذ أبيتم إلّا أن ترضوا فقد رضيت وإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلّا أن يعصىٰ الله بنقض العهد ويتعدىٰ كتابه بحل العقد فقاتلوا حينئذ من ترك أمر الله.

وأما الذي ذكرتم عن الأشتر من تركه أمري بخط يده في الكتاب وخلافه ما أنا عليه فليس من أولئك ولا أخافه علىٰ ذلك وليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرىٰ في عدوكم ما يرىٰ إذاً لخفّت علي مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم[1] وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتموني فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن[2]:

وهل أنا إلّا من غُزية[3] إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

---

١ ـ الأود: العوج. [لسان العرب، ج ٣، ص ٧٥، مادة «أود»]

٢ ـ الشعر لدُريد بن الصمّة، رجل من بني هوازن. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ١٥]

٣ ـ غُزيّة ـ كسُميّة ـ: اسم رجل من أجداده سمّى به قبيلته. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ١٥، مادة «غزو»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام للخوارج حين رجع إلىٰ الكوفة وهو بظاهرها قبل دخوله إياها

بعد حمد الله والثناء عليه: اللهم هذا مقام[1] من فلج[2] فيه كان أولىٰ بالفلج يوم القيامة ومن نطف[3] فيه أوغل[4] فهو في الآخرة أعمىٰ وأضل سبيلاً. نشدتكم بالله أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلىٰ كتاب الله قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال، امضوا علىٰ حقكم وصدقكم. إنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة ووهناً ومكيدة فرددتم عليَّ رأيي وقلتم: لا بل نقبل منهم فقلت لكم: اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي فلما أبيتم إلّا الكتاب اشترطت علىٰ الحكمين أن يحييا ما أحياه القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن

---

١ ـ و «هذا» في قوله عليه السلام إشارة إلى مقام المقال، فكأنّ هذا الكلام تأسيس وتمهيد لكلام يجري بعده، يقول عليه السلام: إنّ من فاز في هذا المقام وظفر ولم يُغلب من قبل نفسه وهواه أولى بالغلبة والظفر بالمرام يوم القيامة، بخلاف من أثم وفسد ولم يظفر بما هو أولى بالطلب.

٢ ـ الفلج: الظفر والفوز. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٢٤، مادة «فلج»]

٣ ـ النطف: التلطّخ بالعيب، يقال: نطف الرجل ـ بالكسر ـ: إذا اتّهم بريبة، ونطف الشيء: فسد. [لسان العرب، ج ٩، ص ٣٣٤، مادة «نطف»]

٤ ـ [في المخطوطة: «عَنَتَ» بدل «غَلّ»]. عنت الرجل ـ بالكسر ـ: أثم. [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٢٥٨، مادة «عنت»]

حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء.

فقال له بعض الخوارج: فخبرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟

فقال عليه السلام: إنا لم نحكم الرجال إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال.

قالوا له: فخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم.

قال: ليتعلم الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة[1] هذه الأمة. ادخلوا مصركم رحمكم الله ودخلوا من عند آخرهم.

فصل

ومن كلامه عليه السلام حين نقض معاوية العهد

وبعث بالضحاك بن قيس للغارة على أهل العراق، فلقي عمرو بن عميس بن مسعود، فقتله الضحاك وقتل ناساً من أصحابه وذلك بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح وإلى جيش لكم قد أصيب منه طرف. اخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

قال: فردوا عليه رداً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً[2]، فقال: والله لوددت

---

١ ـ الهدنة: الصلح. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٣٢٨، مادة «هدن»]

٢ ـ الفشل ـ بالتحريك ـ: الجبن. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٤٠، مادة «فشل»]

أن لي بكل ثمانية منكم رجلاً منهم. ويحكم اخرجوا معي ثمّ فروا عني إن بدا لكم فوالله ما أكره لقاء ربي علىٰ نيتي وبصيرتي وفي ذلك روح لي عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارىٰ البكار[١] العمدة[٢] أو الثياب المتهترة[٣] كلما خيطت من جانب تهتكت من جانب علىٰ صاحبها.

فصل

ومن كلامه عليه السلام أيضاً في استنفار القوم واستبطائهم عن الجهاد وقد بلغه مسير بسر بن أرطاة إلىٰ اليمن

أما بعد: أيها الناس، فإنّ أول رفثكم[٤] وبدء نقضكم ذهاب أولي النهىٰ

---

١ ـ البكار: جمع بكر، وهو الفتي من الإبل. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٢٩، مادة «بكر»]

٢ ـ والعمدة: التي قد انشدخت أسنمتها من داخل وظاهرها صحيح لكثرة ركوبها. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٦، ص ١٠٢]

٣ ـ قال الفاضل المجلسي رحمه الله: المتهترة ـ في بعض النسخ بالتاء المثنّاة ـ قال في القاموس: الهتر: مزق العِرض، وبالكسر: السقط من الكلام، وهتره الكبر يهتره، وفي بعضها بالباء الموحّدة من قولهم: هبره قطعه قطعاً كباراً، وهو أنسب، ويحتمل الياء من قولهم: هار البنار: هدمه فهار وتهوّر وتهيّر وانهار، وهو أنسب بما في بعض الروايات مكانه من المتداعية. [بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ١٥٠]

٤ ـ وأوّل رفثكم ـ في أكثر النسخ بالفاء والثاء المثلثة ـ: وهو الفحش من القول، ولا يناسب كثيراً، ويحتمل التاء من قولهم: رفته يرفته ويرفته: كسره ودقّه، وانكسر واندقّ، وانقطع، لازم ومتعدّ، وفي بعض النسخ بالقاف والتاء، وهو أظهر، أي ضعفكم وقلّتكم، انتهى كلامه أعلى

وأهل الرأي منكم الذين كانوا يلقون فيصدقون ويقولون فيعدلون ويدعون فيجيبون، وإني والله قد دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً وفي الليل والنهار والغدو والآصال ما يزيدكم دعائي إلّا فراراً وإدباراً، ما تنفعكم العظة والدعاء إلىٰ الهدىٰ والحكمة وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم لي أودكم، ولكني والله لا أصلحكم بفساد نفسي ولكن أمهلوني قليلاً فكأنكم والله بامرىء قد جاءكم يحرمكم ويعذبكم فيعذبه الله كما يعذبكم. إنّ من ذل المسلمين وهلاك الدين أن بني أبي سفيان يدعو الأرذال الأشرار فيجاب وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون ما هذا بفعل المتقين.

فصل

ومن كلامه عليه السلام أيضاً في استبطاء من قعد عن نصرته

أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهن[١] الصم[٢] الصلاب وفعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب. تقولون في المجالس كيت وكيت[٣] فإذا جاء القتال قلتم حيدي حيادِ[٤] ما عزت دعوة من دعاكم، ولا

الله مقامه. [بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ١٥١]

١ ـ [في المخطوطة: «يوهي» بدل «يوهن»]. يوهي: أي الضعف. [لسان العرب، ج ١٥، ص ٤١٧، مادة «وهي»]

٢ ـ الصمّ ـ بالضمّ ـ: جمع صمّاء، وهي الصخرة الصلبة. [الوافي، ج ١٣، ص ١٠٧٧]

٣ ـ كيت وكيتَ: بنيا على الفتح كناية عن الحديث، أي كذا وكذا، ولا يستعمل إلّا مكرّراً، ويروى فيهما الضمّ والكسر. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢١٧، مادة «كيت»]

٤ ـ حيدي حيادِ: كلمة يقولها الفارّ الهارب مخاطبة للحرب، أي ميلي وجانبي عنّا، وحياد مبنية

استراح قلب من قاساكم[١]، أعاليل أضاليل[٢] سألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول[٣] لا يمنع الضيم[٤] الذليل ولا يدرك الحق إلّا بالجدّ[٥]. أي دار بعد داركم تمنعون؟ أم مع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب[٦]. أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصرتكم فرق الله بيني وبينكم وأبدلني بكم من هو خير لي منكم. والله لوددت أن لي بكل عشرة منكم رجلاً من بني فراس بن غنم صرف الدينار بالدرهم.

فصل

ومن كلامه عليه السلام أيضاً في هذا المعنىٰ

بعد حمد الله والثناء عليه: ما أظن هؤلاء القوم ـ يعني أهل الشام ـ إلّا ظاهرين عليكم[٧].

على الكسر. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٢، ص ١١١ و ١١٢]

١ ـ قاساه: أي كابده. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٧٨، مادة «قسو»]

٢ ـ أعاليل وأضاليل: جمع أعلال وأضلال، وهما جمع علّة وضلّة، وعلّة اسم لما يتعلل به من مرض وغيره، وضلّة اسم من الضلال. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ١٦]

٣ ـ المَطول: من يتعلّل في أداء الوعد ويؤخّره من وقت إلى وقت. [نهج البلاغة (تحقيق: د. صبحي الصالح): ص ٦٧، خطبة ٢٩]

٤ ـ الضيم: الظلم. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٠٥، مادة «ضيم»]

٥ ـ الجدّ: الاجتهاد. [تاج العروس، ج ٤، ص ٣٧٩، مادة «جدد»]

٦ ـ السهم الأخيب: من سهام الميسر، هو الذي لا غنم به أو به غرم. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ١٩]

٧ ـ ظهر عليه: غلب. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٣٣٩]

فقالوا له: بما ذا يا أمير المؤمنين؟

قال: أرىٰ أمورهم قد علت ونيرانكم قد خبت وأراهم جادين وأراكم وانين[١] وأراهم مجتمعين وأراكم متفرقين وأراهم لصاحبهم مطيعين وأراكم لي عاصين. أم والله لئن ظهروا عليكم لتجدنهم أرباب سوء من بعدي لكم لكأني أنظر إليهم وقد شاركوكم في بلادكم وحملوا إلىٰ بلادهم فيئكم[٢]، وكأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب[٣] لا تأخذون حقاً ولا تمنعون لله حرمة وكأني أنظر إليهم يقتلون صالحيكم ويخيفون قراءكم ويحرمونكم ويحجبونكم ويدنون الناس دونكم فلو قد رأيتم الحرمان والأثرة ووقع السيف ونزول الخوف لقد ندمتم وخسرتم علىٰ تفريطكم في جهادهم وتذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض والعافية حين لا ينفعكم التذكار.

---

١ ـ الوني: الفتور والتقصير، ونى في الأمر فهو وان، وهم وانون. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٤٦٥، مادة «ونا»]

٢ ـ الفيء: الخراج والغنيمة. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٤٨٦، مادة «فيأ»]

٣ ـ الضباب: جمع ضبّ، [تاج العروس، ج ٢، ص ١٦٣، مادة «ضبب»]. وكشيش الأفعى: صوت جلدها إذا تحرّكت. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ١٧٦، مادة «كشش»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام لما نقض معاوية بن أبي سفيان شرط الموادعة وأقبل يشن الغارات[١] علىٰ أهل العراق

فقال ـ بعد حمد الله والثناء عليه ـ: ما لمعاوية قاتله الله؟! لقد أرادني علىٰ أمر عظيم أراد أن أفعل كما يفعل فأكون قد هتكت ذمتي ونقضت عهدي فيتخذها عليّ حجة فتكون علي شيناً إلىٰ يوم القيامة كلما ذكرت. فإن قيل له: أنت بدأت قال: ما علمت ولا أمرت فمن قائل يقول قد صدق ومن قائل يقول كذب. أم والله إنّ الله لذو أناة[٢] وحلم عظيم لقد حلم عن كثير من فراعنة الأولين وعاقب فراعنة، فإن يمهله الله فلن يفوته وهو له بالمرصاد علىٰ مجاز طريقه فليصنع ما بدا له فإنا غير غادرين بذمتنا ولا ناقضين لعهدنا ولا مروعين لمسلم ولا معاهد حتىٰ ينقضي شرط الموادعة بيننا إن شاء الله تعالىٰ.

---

١ ـ شنّ الغارة عليهم: إذا فرّقها عليهم من كلّ وجه. [تاج العروس، ج ١٨، ص ٣٢٧، مادة «شنن»]

٢ ـ الأناة ـ كقناة ـ: الرفق والإنظار. [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٢٧٣، مادة «أنا»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام في مقام آخر

الحمد لله وسلام علىٰ رسول الله:

أما بعد: فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رضيني لنفسه أخاً واختصني له وزيراً.

أيها الناس أنا أنف الهدىٰ وعيناه فلا تستوحشوا من طريق الهدىٰ لقلة من يغشاه. من زعم أن قاتلي مؤمن فقد قتلني ألا وإنّ لكل دم ثائراً[١] يوماً ما وإنّ الثائر في دمائنا والحاكم في حق نفسه وحق ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل الذي لا يعجزه ما طلب ولا يفوته من هرب: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[٢]. فأقسم بالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة[٣] لتنتحرن[٤] عليها يا بني أمية ولتعرفنها في أيدي غيركم ودار عدوكم عما قليل وليعلمن نبأه بعد حين.

---

١ ـ الثائر: من يطلب الثار. [لسان العرب، ج ٤، ص ٩٧، مادة «ثأر»]

٢ ـ [سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.]

٣ ـ النسمة: الإنسان. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٧٥، مادة «نسم»]

٤ ـ انتحر: قتل نفسه، والقوم على الأمر: تشاحّوا عليه فكاد بعضهم يقتل بعضاً. [تاج العروس، ج ٧، ص ٥١١، مادة «نحر»]



فصل

ومن كلامه أيضاً في معنىٰ ما تقدم

يا أهل الكوفة خذوا أهبتكم[١] لجهاد عدوكم معاوية وأشياعه.

قالوا: يا أمير المؤمنين أمهلنا يذهب عنا القرّ[٢].

فقال: أم والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس بأنهم أولىٰ بالحق منكم ولكن لطاعتهم معاوية ومعصيتكم لي. والله لقد أصبحت الأمم كلها تخاف ظلم رعاتها وأصبحت أنا أخاف ظلم رعيتي. لقد استعملت منكم رجالاً فخانوا وغدروا ولقد جمع بعضهم ما ائتمنته عليه من فيىء المسلمين فحمله إلىٰ معاوية وآخر حمله إلىٰ منزله تهاوناً بالقرآن وجرأة علىٰ الرحمن حتىٰ لو أنني ائتمنت أحدكم علىٰ علاقة سوط لخانني، ولقد أعييتموني.

ثمّ رفع يده إلىٰ السماء فقال: اللهم إني قد سئمت الحياة بين ظهراني هؤلاء القوم وتبرّمت[٣] الأمل فأتح[٤] لي صاحبي حتىٰ أستريح منهم ويستريحوا مني ولن يفلحوا بعدي.

---

١ ـ الأهبة: العُدّة. [تاج العروس، ج ١، ص ٣١٠، مادة «أهب»]

٢ ـ القرّ: البرد. [تاج العروس، ج ٧، ص ٣٧٨، مادة «قرر»]

٣ ـ تبرّمت: أي سئمت ومللت. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٣، مادة «برم»]

٤ ـ أتاحه الله: أي قدّره. [تاج العروس، ج ٤، ص ٢٠، مادة «توح، تيح»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام في مقام آخر

أيها الناس إني استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا ولسمعتكم فلم تجيبوا ونصحت لكم فلم تقبلوا، شهود كالغيب أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها كأنكم حمر مستنفرة فرّت من قسورة، وأحثكم علىٰ جهاد أهل الجور فما آتي علىٰ آخر قولي حتىٰ أراكم متفرّقين أيادي سبأ[١] ترجعون إلىٰ مجالسكم تتربعون حلقاً تضربون الأمثال وتناشدون الأشعار وتجسسون الأخبار حتىٰ إذا تفرقتم تسألون عن الأسعار جهلة من غير علم وغفلة من غير ورع وتتبعاً[٢] في غير خوف، نسيتم الحرب والاستعداد لها فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها شغلتموها بالأعاليل والأباطيل. فالعجب كل العجب وما لي لا أعجب من اجتماع قوم علىٰ باطلهم وتخاذلكم عن حقكم!

يا أهل الكوفة أنتم كأم مجالد حملت فأملصت[٣] فمات قيّمها[٤] وطال

---

١ ـ قوله: ذهبوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ: أي متفرّقين، وهما اسمان جعلا واحداً مثل معديكرب، وهو مصروف به ؛ لأنّه لا يقع إلّا حالاً، أضفت إليه أو لم تضف. [الصحاح للجوهري، ج ٦، ص ٢٣٧١، مادة «سبى»]

٢ ـ [في المخطوطة: «تثبّطاً» بدل «تتبّعاً»]. التثبّط: التثاقل والتأخير. [انظر: تاج العروس، ج ١٠، ص ٢٠٧، مادة «ثبط»]

٣ ـ أملصت الحامل: ألقت ما في بطنها. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٦، ص ١٢٧]

٤ ـ قيّم المرأة: بعلها. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ١٣٥، مادة «قيم»]

تأيمها[١] وورثها أبعدها.

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّ من ورائكم للأعور الأدبر جهنم الدنيا لا يبقي ولا يذر ومن بعده النهاس[٢] الفرّاس[٣] الجموع المنوع ثمّ ليتوارثنكم من بني أمية عدة ما الآخر بأرأف بكم من الأول ما خلا رجلاً واحداً[٤]، بلاء قضاه الله علىٰ هذه الأمة لا محالة كائن، يقتلون خياركم ويستعبدون أراذلكم ويستخرجون كنوزكم وذخائركم من جوف حجالكم نقمة بما ضيعتم من أموركم وصلاح أنفسكم ودينكم.

يا أهل الكوفة أخبركم بما يكون قبل أن يكون لتكونوا منه علىٰ حذر ولتنذروا به من اتعظ واعتبر. كأني بكم تقولون إنّ علياً يكذب كما قالت قريش لنبيها صلى الله عليه وآله وسيدها نبي الرحمة محمد بن عبد الله حبيب الله.

فيا ويلكم أفعلىٰ من أكذب؟ أعلىٰ الله فأنا أول من عبده ووحده أم علىٰ رسوله فأنا أول من آمن به وصدقه ونصره! كلا ولكنها لهجة خدعة[٥] كنتم عنها

---

١ ـ وتأيّمها: خلوّها عن الأزواج. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٦، ص ١٢٧]

٢ ـ نهس اللحم: أخَذَه بمقدّم الأسنان. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ١٢١، مادة «نهس»]

٣ ـ وفرس الأسد فريسته: دقّ عنقها. والمراد بالنهاس الفراس إما هشام بن عبد الملك لاشتهاره بالبخل، أو سليمان بن عبد الملك فإنّه الذي قُيضت له الخلافة بعد وفاة الحجّاج بقليل، والأول أنسب. [بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ١٤٠]

٤ ـ والمراد بالرجل الواحد عمر بن عبد العزيز، قاله المجلسي رحمه الله في كتاب الفتن والمحن. [بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ١٤٠]

٥ ـ الضمير في قوله «لكنّها» راجعة إلى ما ذكره من نسبته عليه السلام إلى الكذب، يعني: أنّ ما ذكرتم من نسبتي إلى الكذب لهجة خُدِعتم فيها من الشيطان، ولم تكن لكم إلى ذكرها حاجة، وقد

أغبياء(١).

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتعلمن نبأه بعد حين وذلك إذا صيركم إليها جهلكم ولا ينفعكم عندها علمكم فقبحاً لكم يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال(٢)، أم والله أيها الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة أهواؤهم ما أعز الله نصر من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم ولا قرت عين من آواكم، كلامكم يوهي الصّم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب. يا ويحكم أي دار بعد داركم تمنعون ومع أي إمام بعدي تقاتلون! المغرور ـ والله ـ من غررتموه من فاز بكم فاز بالسهم الأخيب أصبحت لا أطمع في نصركم ولا أصدق قولكم فرق الله بيني وبينكم وأعقبني بكم من هو خير لي منكم وأعقبكم من هو شر لكم مني.

إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه والله لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم. والله لوددت أني لم أعرفكم ولم تعرفوني فإنها معرفة جرت ندماً. لقد وريتم صدري غيظاً(٣) وأفسدتم عليَّ أمري بالخذلان والعصيان

قيل في توجيه المقام غير هذا الكلام. [انظر: بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ١٤٠]

١ ـ ونقل عن بعض النسخ: «أغبياء» بالباء الموحّدة. [كما هو مثبت في المتن أعلاه]

٢ ـ الحِجال ـ بالكسر ـ: جمع حجلة بالتحريك، وهي بيت العروس، وربّات الحجال: نساؤها. [نهج البلاغة (تحقيق: د. صبحي الصالح): ص ٦٣، خطبة ٢٧، البرم بالناس]

[قال المحشّي في نهاية هذه الحاشية:] قد سبق بعض هذا الفصل في صفحة ١٤٦ [من المخطوطة].

٣ ـ قوله: لقد وريتم صدري غيظاً: أي أفسدتموه وجرحتموه بالغيظ. [انظر: لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٨٨، مادة «وري»]

حتىٰ لقد قالت قريش: إنّ علياً رجل شجاع لكن لا علم له بالحروب. لله درهم هل كان فيهم أحد أطول لها مراساً[١] مني! وأشد لها مقاساة! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ثمّ ها أنا ذا قد ذرفت[٢] علىٰ الستين لكن لا أمر لمن لا يطاع. أم والله لوددت أن ربي قد أخرجني من بين أظهركم إلىٰ رضوانه وإنّ المنية لترصدني[٣] فما يمنع أشقاها أن يخضبها ـ وترك يده علىٰ رأسه ولحيته ـ عهد عهده إلي النبي الأمي وقد خاب من افترىٰ ونجا من اتقىٰ وصدق بالحسنىٰ.

يا أهل الكوفة دعوتكم إلىٰ جهاد هؤلاء ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً وقلت لكم: اغزوهم فإنه ما غزي قوم في عقر دارهم[٤] إلّا ذلوا، فتواكلتم[٥] وتخاذلتم وثقل عليكم قولي واستصعب عليكم أمري واتخذتموه وراءكم ظهرياً حتىٰ شنت[٦] عليكم الغارات[٧] وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات تمسيكم وتصبحكم كما فعل بأهل المثلات[٨] من قبلكم حيث أخبر الله تعالىٰ عن الجبابرة

---

١ ـ المراس: الممارسة والمعالجة. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ١٠٦، مادة «مرس»]

٢ ـ يقال: ذرّف على المائة: أي زاد. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٦٠، مادة «ذرف»]

٣ ـ رصده رصداً: رَقَبَه. [تاج العروس، ج ٤، ص ٤٥٥، مادة «رصد»]

٤ ـ عقر الدار: أصلها، وتضمّ العين وتفتح في الحجاز، وعن ابن فارس: العُقْرُ: أصل كل شيء، وفي الخبر: ما غُزِيَ قَوْمٌ في عُقْرِ دارِهِمْ إلّا ذَلُّوا، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٠٩، مادة «عقر»]

٥ ـ تواكل القوم: اتّكل بعضهم على بعض. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٩٥، مادة «وكل»]

٦ ـ شنّ الغارة عليهم: فرّقها من كل وجه. [تاج العروس، ج ١٨، ص ٣٢٧، مادة «شنن»]

٧ ـ اتّخذتموه وراءكم ظهريّاً حتّى شنّت عليكم الغارات: أي جعلتموه وراء ظهوركم كالمنسيّ المنبوذ، وهو منسوبٌ إلى الظهر، والكسر من تغييرات النسب. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٨٨، مادة «ظهر»]

٨ ـ بأهل المثلات: أي بأهل العقوبات من أمثالكم. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٧٠، مادة

والعتاة الطغاة والمستضعفين الغواة في قوله عزّوجلّ: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد حل بكم الذي توعدون.

عاتبتكم يا أهل الكوفة بمواعظ القرآن فلم أنتفع بكم وأدبتكم بالدرة فلم تستقيموا وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعووا ولقد علمت أن الذي يصلحكم هو السيف وماكنت متحرياً صلاحكم بفساد نفسي ولكن سيسلط عليكم من بعدي سلطان صعب لا يوقر كبيركم ولا يرحم صغيركم ولا يكرم عالمكم ولا يقسم الفيء بالسوية بينكم وليضربنكم وليذلنكم ويجمرنكم في المغازي ويقطعن سبيلكم وليحجبنكم علىٰ بابه حتىٰ يأكل قويكم ضعيفكم ثمّ لا يبعد الله[١] إلّا من ظلم منكم ولقلّما أدبر شيء ثمّ أقبل وإني لأظنكم في فترة وما علي إلّا النصح لكم.

يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين صم ذوو أسماع وبكم ذوو ألسن وعمي ذوو أبصار لا إخوان صدق عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء. اللهم إني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني. اللهم لا ترض عنهم أميراً ولا ترضهم عن أمير وأمث قلوبهم كما يماث[٢] الملح في الماء. أم والله لو أجد بداً[٣] من كلامكم ومراسلتكم ما فعلت ولقد عاتبتكم في رشدكم حتىٰ لقد سئمت الحياة كل ذلك تراجعون بالهزء من القول فراراً من الحق وإلحاداً إلىٰ الباطل[٤] الذي لا يعز الله

«مثل»]

١ ـ أبعده الله: نحّاه عن الخير وأهلكه. [تاج العروس، ج ٤، ص ٣٥٨، مادة «بعد»]

٢ ـ ماث الشيء في الماء يموثه موثاً: خلطه ودافه. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٢٦٧، مادة «موث»]

٣ ـ لو أجد بدّاً: أي مخلصاً. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ١١، مادة «بدد»]

٤ ـ ألحد إلى الباطل: مال. [تاج العروس، ج ٥، ص ٢٣٧، مادة «لحد»]

بأهله الدين وإني لأعلم أنكم لا تزيدونني غير تخسير. كلما أمرتكم بجهاد عدوكم اثاقلتم إلىٰ الأرض[١] وسألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول[٢]. إن قلت لكم في القيظ سيروا قلتم الحر شديد وإن قلت لكم في البرد سيروا قلتم القر شديد[٣] كل ذلك فراراً عن الجنة. إذا كنتم عن الحر والبرد تعجزون فأنتم عن حرارة السيف أعجز وأعجز فإنا لله وإنا إليه راجعون.

يا أهل الكوفة قد أتاني الصريخ[٤] يخبرني أن أخا غامد[٥] قد نزل

---

١ ـ اثّاقل إلى الأرض: أي تثاقل. [أساس البلاغة، ص ٧٤، مادة «ثقل»]

٢ ـ المَطول: من يؤخّر وعده من وقت إلى وقت. [نهج البلاغة (تحقيق: د. صبحي الصالح): ص ٦٧، خطبة ٢٩]

٣ ـ [وردت هذه العبارة في المخطوطة بهذا الترتيب: إذا قلت لكم انفروا في الشتاء قلتم: هذا أوان قُرّ وصردٍ، وإن قلت لكم انفروا في الصيف، قلتم: هذا حمارة القيظ، أنظرنا ينصرم الحرّ عنا].

القرّ: البرد، وكذلك الصرد، وهو معرب سرد. [تاج العروس، ج ٧، ص ٣٧٨، مادة «قرر»، والمصدر نفسه، ج ٥، ص ٥٥، مادة «صرد»]

القيظ: صميم الصيف، وحمارة القيظ ـ بتشديد الراء ـ شدّة حرارته. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٤٨٥، مادة «قيظ» ؛ والمصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٠٥، مادة «حمر»]

ينصرم الحرّ عنّا: أي ينقضي وينقطع. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٤١٢، مادة «صرم»]

٤ ـ الصريخ: المستغيث، [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٤٣٧، مادة «صرخ»]. وفي بعض النسخ بالمهملة، فيكون صفة للخبر. [انظر: بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ١٤١، حيث قال: في أكثر النسخ بالحاء المهملة]

٥ ـ أخو غامد الذي ذكره عليه السلام هو سفيان بن عوف بن المغفّل الغامديّ، وغامد قبيلة من اليمن، [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٢، ص ٨٥]. وفي بعض نسخ الإرشاد: عامد بالعين المهملة، وقد احتمله صاحب القاموس.

الأنبار[١] علىٰ أهلها ليلاً في أربعة آلاف فأغار عليهم كما يغار علىٰ الروم والخزر[٢] فقتل بها عاملي ابن حسان وقتل معه رجالاً صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة بوأ الله لهم جنات النعيم وأنه أباحها. ولقد بلغني أن العصبة[٣] من أهل الشام كانوا يدخلون علىٰ المرأة المسلمة والأخرىٰ المعاهدة فيهتكون سترها ويأخذون القناع من رأسها والخرص[٤] من أذنها والأوضاح[٥] من يديها ورجليها وعضديها والخلخال والمئزر من سوقها[٦] فما تمتنع إلّا بالاسترجاع[٧] والنداء ياللمسلين فلا يغيثها مغيث ولا ينصرها ناصر. فلو أن مؤمناً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي ملوماً بل كان عندي باراً محسناً.

واعجباً كل العجب من تظافر هؤلاء القوم علىٰ باطلهم وفشلكم عن حقكم! قد صرتم غرضاً يرمىٰ ولا ترمون وتغزون ولا تغزون ويعصىٰ الله وترضون، تربت أيديكم[٨] يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما اجتمعت من جانب تفرقت من جانب.

---

١ ـ الأنبار: بلدة بالعراق. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٩١]

٢ ـ الخُزر ـ بضمّ المعجمة وسكون الزاي وفتحها وفي الأخير راء مهملة ـ: طائفة من الأمم من ولد يافث بن نوح عليه السلام. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٨٥، مادة «خزر»]

٣ ـ العصبة: الجماعة. [لسان العرب، ج ١، ص ٦٠٥، مادة «عصب»]

٤ ـ الخرص: حلقة الذهب أو الفضّة أو حلقة القرط. [تاج العروس، ج ٩، ص ٢٦٦، مادة «خرص»]

٥ ـ الأوضاح: الحلي من الفضّة والذهب والخلخال. [تاج العروس، ج ٤، ص ٢٤٨، مادة «وضح»]

٦ ـ السوق: جمع ساق. [لسان العرب، ج ١٠، ص ١٦٨، مادة «سوق»]

٧ ـ الاسترجاع: قول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٣٥، مادة «رجع»]

٨ ـ تربت يداك: أي لا أصبت خيراً. [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٩١، مادة «ترب»]

فصل

ومن كلامه عليه السلام في تظلمه من أعدائه ودافعيه عن حقه

ما رواه العباس بن عبيد الله العبدي، عن عمرو بن شمر، عن رجاله قالوا: سمعنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: ما رأيت منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله رخاء[1] فالحمد لله، والله لقد خفت صغيراً وجاهدت كبيراً أقاتل المشركين وأعادي المنافقين حتىٰ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله فكانت الطامة[2] الكبرىٰ فلم أزل حذراً وجلاً أخاف أن يكون ما لا يسعني معه المقام فلم أر بحمد الله إلّا خيراً. والله ما زلت أضرب بسيفي صبياً حتىٰ صرت شيخاً وإنه ليصبرني[3] علىٰ ما أنا فيه أنّ ذلك كله في الله ورسوله. وأنا أرجو أن يكون الروح عاجلاً قريباً فقد رأيت أسبابه.

قالوا: فما بقي بعد هذه المقالة إلّا يسيراً حتىٰ أصيب عليه السلام.

ورویٰ عبد الله بن بكير الغنوي، عن حكيم بن جبير قال: حدثنا من شهد علياً بالرحبة[4] يخطب فقال فيما قال: أيها الناس إنكم قد أبيتم إلّا أن أقول، أما ورب السموات والأرض لقد عهد إلي خليلي أن الأمة ستغدر بك من بعدي.

---

١ ـ الرخاء ـ بالفتح ـ: سعة العيش. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٤٥٣، مادة «رخو»]

٢ ـ الطامة: الداهية. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٠٧، مادة «طمم»]

٣ ـ صبّره: أمره بالصبر، وجعل له صبراً. [تاج العروس، ج ٧، ص ٧١، مادة «صبر»]

٤ ـ الرحبة: المكان المتّسع ومحلّة بالكوفة. [تاج العروس، ج ٢، ص ١٩، مادة «رحب»]

وروىٰ إسماعيل بن سالم، عن أبي إدريس الأودي قال: سمعت علياً يقول: إنّ فيما عهد إليَّ النبي الأمي أن الأمة ستغدر بك من بعدي.

فصل

ومن كلامه عليه‌السلام عند الشورىٰ(١) وفي الدار

ما رواه يحيىٰ بن عبد الحميد الحماني، عن يحيىٰ بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن أبي صادق قال: لما جعلها عمر شورىٰ في ستة وقال: إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن، خرج أمير المؤمنين عليه‌السلام من الدار وهو معتمد علىٰ يد عبد الله

---

١ ـ لمّا طعن أبو لؤلؤ فيروز العجمي عمرَ بن الخطاب فحمل إلى بيته وتيقّن بموته قال: ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري، فدعوه له، فقال: انظر يا أبا طلحة إذا عدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفهم فخذ هؤلاء النفر ـ يعني علياً عليه‌السلام وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ـ بإمضاء الأمر وتعجيله واجمعهم في بيت وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم، فإن اتّفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه، وإن اتّفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما، وإن اتّفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن فارجع إلى ما قد اتفقت عليه، فإن أصرّت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم، فلمّا دفن عمر عمل أبو طلحة بحكمه. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٨٧]

فسمّي اليوم يوم الشورى، والخبر معروف مشهور مجمع على روايته.

بن العباس فقال له: يا ابن عباس إنّ القوم قد عادوكم بعد نبيكم كمعاداتهم لنبيكم صلى الله عليه وآله في حياته. أم والله لا ينيب بهم إلىٰ الحق إلّا السيف.

فقال له ابن عباس: وكيف ذاك؟

قال: أما سمعت قول عمر: إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن؟

قال ابن عباس: بلىٰ.

قال: أفلا تعلم أن عبد الرحمن ابن عم سعد وأن عثمان صهر عبد الرحمن؟

قال: بلىٰ.

قال: فإنّ عمر قد علم أن سعداً وعبد الرحمن وعثمان لا يختلفون في الرأي وأنه من بويع منهم كان الاثنان معه فأمر بقتل من خالفهم ولم يبال أن يقتل طلحة إذا قتلني وقتل الزبير. أم والله لئن عاش عمر لأعرفنه سوء رأيه فينا قديماً وحديثاً ولئن مات ليجمعني وإياه يوم يكون فيه فصل الخطاب.

فصل

روىٰ عمرو بن سعيد، عن حنش الكناني قال: لما صفق عبد الرحمن علىٰ يد عثمان بالبيعة في يوم الدار قال له أمير المؤمنين عليه السلام: حركك الصهر وبعثك علىٰ ما صنعت، والله ما أملت منه إلّا ما أمل صاحبك من صاحبه دقّ الله بينكما عطر منشم[1].

---

١ ـ دقّ الله بينكما عطر منشم: دعاء على الرجلين، أي ألقى الله بينكما عداوة لا حبّ ولا رفق

فصل

وروىٰ جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه‌السلام بالرحبة فذكرت الخلافة وتقدم من تقدم عليه فيها فتنفس الصعداء ثمّ قال: أم والله لقد تقمصها[1] ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلّي منها محلّ القطب من الرحىٰ[2] ينحدر عني السيل ولا يرقىٰ إلي الطير لكني سدلت[3] دونها ثوباً وطويت دونها كشحاً[4] وطفقت[5] أرتئي[6] بين أن أصول بيد جذّاء[7]

بعدها، وهذا مثل، والأصل فيه ـ كما قيل ـ أنّ منشم ـ كمجلس ومقعد ـ اسم امرأة عطارة كانت تبيع الطيب، وكان الناس إذا دخلوا الحرب بطيبها لم يرجعوا منها حتى قَتَلوا أو قتِلوا، ولذلك قيل: أشأم من عطر منشم. [الصحاح للجوهري، ج ٥، ص ٢٠٤١، مادة «نشم»]. وله وجوه أخر لا ينبغي للمقام، وقد كان عبد الرحمن يبغض عثمان بعد يوم الشورى أشدّ بغضية، وكذلك عثمان، حتى ماتا متساخطين متباغضين. [انظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٤]

١ ـ تقمّصها: أي أخذها قميصاً، والضمير راجع إلى الخلافة. [بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٥٠٩]

٢ ـ قطب الرحى: ما تدور عليه من الحديد. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٧٨]

٣ ـ سدلت الثوب: أرخيته وأرسلته. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٩٤، مادة «سدل»]

٤ ـ طويت عنها كشحاً. الكشح: الخاصرة، وطيّ الكشح كناية عن الإعراض وعدم الالتفات إليها. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٤٠٧، مادة «كشح»]

٥ ـ وطفقت: أي شرعت. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٤]

٦ ـ أرتئي في الأمر: أي أطلب الرأي والتدبير. [مجمع البحرين، ج ١، ص ١٧٠، مادة «رأى»]

٧ ـ بيد جذّاء ـ بالذال والدال ـ: أي مقطوعة. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣،

أو أصبر علىٰ طخية[١] عمياء يهرم[٢] فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح[٣] فيها مؤمن حتىٰ يلقىٰ ربه، فرأيت الصبر علىٰ هاتا[٤] أحجىٰ[٥] فصبرت وفي العين قذىٰ[٦] وفي الحلق شجاً[٧] من أن أرىٰ تراثي[٨] نهباً[٩] إلىٰ أن حضره أجله فأدلىٰ بها[١٠] إلىٰ عمر.

فيا عجباً! بينا هو يستقيلها[١١] في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته

ص ٤٤]

١ ـ الطخية ـ بحركات الطاء ـ: الظلمة. [لسان العرب، ج ١٥، ص ٥، مادة «طخا»]

٢ ـ هرم الرجل: إذا [بلغ] أقصى الكبر. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٧]

٣ ـ كدح في العمل: سعى وعمل لنفسه خيراً أو شرّاً. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٧]

٤ ـ هاتا: لغة في هاتي.

٥ ـ أحجى ـ بتقديم الحاء على الجيم ـ: أي أجدر وأحق. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٩٦، مادة «حجا»].

٦ ـ القذى ـ بالفتح والقصر ـ: ما يقع في العين من تراب ورمل وغيره. [لسان العرب، ج ١٥، ص ١٧٤، مادة «قذي»]

٧ ـ والشجى ـ كقذى ـ: ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٥٣]

٨ ـ التراث: الميراث. [تاج العروس، ج ٣، ص ٢٧٧، مادة «ورث»]

٩ ـ النهب: المنهوب. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٧٨، مادة «نهب»]

١٠ ـ أدلى بها: أي دفعها رشوة. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٦٢]

١١ ـ الاستقالة: طلب الإقالة، أي الفسخ، يريد به قول أبي بكر في المنبر: أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم. [بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٥١٩]

لشدّ[١] ما تشطرا[٢] ضرعيها[٣]:

شتّان[٤] ما يومي على كورها[٥] ويوم حيان أخي جابر[٦]

فصيرها والله في ناحية خشناء يجفو[٧] مسّها ويغلظ كلمها[٨] فصاحبها كراكب الصعبة[٩] إن أشنق[١٠] لها خرق[١١] وإن أسلس[١٢] لها عسف[١٣]، يكثر فيها

---

١ ـ شدّ الشيء: صار شديداً، أصله شَدِدَ كحبّ في حبّذا. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٧٠]

٢ ـ الشطر: البعض، تشطّر: أخذ بعضه، أي اقتسما فائدتها، يعني الخلافة. [انظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٧ و ٤٨]

٣ ـ الضرع: لكلّ ذات ظلف أو خفّ كالثدي للمرأة. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٦٤، مادة «ضرع»]

٤ ـ وشتّان: أي بعد. [تاج العروس، ج ٣، ص ٧٧، مادة «شتت»]

٥ ـ الكور: الرمل. [لسان العرب، ج ٥، ص ١٥٤، مادة «كور»]

٦ ـ البيت لأعشى بن قيس. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٥٥]

٧ ـ يجفو: أي يغلظ. [المصباح المنير، ج ٢، ص ١٠٤، مادة «جفو»]

٨ ـ الكلم: الجرح. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٦٢٥، مادة «كلم»]

٩ ـ الصعبة: خلاف الذلول من النوق. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٠٠، مادة «صعب»]

١٠ ـ أشنق البعير: إذا كفّه بزمامه. [لسان العرب، ج ١٠، ص ١٨٧، مادة «شنق»]

١١ ـ [في المخطوطة: خرم]. خرم فلاناً: إذا شقّ وَتَرَة أَنْفِهِ، وهي ما بين منخريه. [تاج العروس، ج ١٦، ص ١٩٩، مادة «خرم»]

١٢ ـ أسلَسَ لها: أي أرخى. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٨]

١٣ ـ عسف عن الطريق: أي جار وتقحّم في المهالك بغير علم، [انظر: لسان العرب، ج ٩، ص ٢٤٥، مادة «عسف»]. فكنى عليه السلام عن عمر بالناحية الخشناء، ثم بالصعبة الغير المرتاضة، وأثبت أنّه لابد لراكبها من أحد الأمرين: إمّا أن يكفّ زمامها فيخرم أنفها، أو أن يسلسها

العثار[١] ويقل منها الاعتذار، فمني الناس[٢] ـ لعمر الله ـ بخبط وشماس[٣] وتلون واعتراض إلىٰ أن حضرته الوفاة فجعلها شورىٰ بين جماعة زعم أني أحدهم.

فيا للشورىٰ ولله هم متىٰ اعترض الريب فيّ مع الأولين منهم حتىٰ صرت الآن أقرن بهذه النظائر لكني أسففت[٤] إذ أسفوا وطرت إذ طاروا صبراً علىٰ طول المحنة وانقضاء المدة، فمال رجل لضغنه[٥] وصغا آخر لصهره[٦] مع هن وهن[٧]

فيقتحم بها في المهالك.

١ ـ العثار: الزلّة. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٩٦، مادة «عثر»]

٢ ـ مني الناس: أي افتتن. [نهج البلاغة (تحقيق: د. صبحي الصالح)، ص ٢٩، خطبة ٣]

٣ ـ شمس الفرس شماساً: إذا منع ظهره. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٨٠، مادة «شمس»]

٤ ـ أسفّ الطائر: إذا دنا في طيرانه من الأرض. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٢٧٤، مادة «سفف»]

٥ ـ الرجل الذي مال لضغنه من أمير المؤمنين إلى عثمان هو طلحة بن عبيد الله؛ لأنّه كان تيميّاً، وكان ابن عمّ أبي بكر، وقد ثبت أنّه تمكن الحقد والضغينة في قلوب بني تيم على آل هاشم وبالعكس كما هو ظاهر، وهذا على القول بأنّ طلحة كان حاضراً يوم الشورى، وأما على الرواية التي جاءت بأنّ طلحة لم يكن حاضراً وأنه جاء بعد أيّام فذو الضغن هو سعد بن أبي وقّاص؛ لأنّ أمّه حَمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، وقد كان عليه السلام قتل من أخواله من بني أمية ببدر وغيرها ما لا خفاء فيه، وهذا القول هو الذي اختاره الطبري في تاريخه. [انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٩٢، قصة الشورى؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٨٩ وما بعدها]

٦ ـ الرجل المائل لصهره هو عبد الرحمن بن عوف، فإنّه مال إلى عثمان لمصاهرة كانت بينهما، وهي أنّ عبد الرحمن كان زوجاً لأمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أخت عثمان لأمّه أروى بنت كُريز. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٨٩]

٧ ـ مع هنٍ وهنٍ: أي مع أمور يكنى عنها ولا يصرّح بها لقبحها. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٨٤]

إلىٰ أن قام ثالث القوم نافجاً[١] حضنيه[٢] بين نثيله[٣] ومعتلفه[٤] وأسرع معه بنو أبيه يخضمون[٥] مال الله خضم الإبل نبتة الربيع إلىٰ أن نزت[٦] به بطنته[٧] وأجهز عليه عمله[٨]، فما راعني من الناس إلّا وهم رسل[٩] إلي كعرف[١٠] الضبع[١١] يسألونني أن أبايعهم وانثالوا عليّ[١٢] حتىٰ لقد وطيء الحسنان[١٣] وشقّ عطفاي[١٤]، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرىٰ وقسط

---

١ ـ يقال: نفج الثدي القميص إذا رفعه. [تاج العروس، ج ٣، ص ٥٠١، مادة «نفج»]

٢ ـ الحضن: ما بين الإبط والكشح، يقال لمن امتلأ بطنه طعاماً: جاء نافجاً حضنيه. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٩٧]

٣ ـ النثيل: الروث. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٧٧، مادة «نثل»]

٤ ـ والمعتلف: موضع العلف. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٩٧]

٥ ـ الخضم: الأكل بكلّ الفمّ. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٩٧]

٦ ـ [في المخطوطة: ثَوَت].

٧ ـ البِطنة: الإسراف في الشبع، [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٩٧]. وثوت به بِطنته: يعني ألصقته بالأرض بحيث لم يقدر أن يقوم.

٨ ـ أجهز عليه عمله: أي أتم، يقال: أجهز على الجريح إذا أتم قتله. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٩٧]

٩ ـ جاء الناس رَسلاً ـ بفتح الراء ـ: أي فرقة بعد فرقة. [انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٦، ص ٢٤٩]

١٠ ـ العرف: شعر عنق الفرس. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٣٧٧، مادة «عرف»]

١١ ـ الضبع ـ بضمّ الباء في لغة، وسكونها في أخرى ـ: حيوان معروف. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٦٣، مادة «ضبع»]

١٢ ـ انثالوا عليّ: أي تتابعوا وتزاحموا. [انظر: لسان العرب، ج ١١، ص ٩٥، مادة «ثول»]

١٣ ـ والحسنان: ابناه عليهما السلام.

١٤ ـ عِطفا الشيء: جانباه. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ١٠١، مادة «عطف»]

آخرون[١] كأنهم لم يسمعوا الله تعالىٰ يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ ولا فَسَاداً والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

بلىٰ والله لقد سمعوها ووعوها ولكن حليت دنياهم في أعينهم وراقهم[٣] زبرجها[٤]. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الناصر ولزوم الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله علىٰ أولياء الأمر ألّا يقروا علىٰ كظة ظالم[٥] أو سغب[٦] مظلوم لألقيت حبلها علىٰ غاربها[٧] ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفوا دنياهم أزهد عندي من عفطة[٨] عنز.

قال: فقام إليه رجل من أهل السواد فناوله كتاباً فقطع كلامه.

قال ابن عباس: فما أسفت علىٰ شيء ولا تفجعت كتفجعي علىٰ ما فاتني من كلام أمير المؤمنين عليه السلام. فلما فرغ من قراءة الكتاب قلت: يا أمير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث انتهيت إليها؟ قال: هيهات هيهات يا ابن عباس كانت

---

١ ـ قوله: فلما نهضت بالأمر ... الخ: إشارة إلى أصحاب الجمل ومعاوية وأهل النهروان كما مرّ.

٢ ـ [سورة القصص، الآية ٨٣.]

٣ ـ راقه الأمر: أعجبه. [تاج العروس، ج ١٣، ص ١٨٠، مادة «روق»]

٤ ـ الزبرج ـ بكسر الزاي والراء ـ: الزينة. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٠٣، مادة «زبرج»]

٥ ـ الكظّة: البطنة، والمراد به قوّة الظالم وقدرته. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٤٨٧، مادة «كظظ»]

٦ ـ السغب: الجوع. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٨٣، مادة «سغب»]

٧ ـ الغارب: الكاهل. [تاج العروس، ج ٢، ص ٢٨٦، مادة «غرب»]

٨ ـ العفطة من الشاة كالعطاس من الإنسان، كذا قال الفاضل ابن ميثم رحمه الله تعالى. [شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني، ج ١، ص ٢٥٤]

شقشقة[١] هدرت[٢] ثمّ قرت .

فصل

وروىٰ مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه‌السلام يقول: خطب أمير المؤمنين عليه‌السلام الناس بالكوفة فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أنا سيد الشيب وفي سنة من أيوب وسيجمع الله لي أهلي كما جمع ليعقوب وذلك إذا استدار الفلك وقلتم ضل أو هلك ألا فاستشعروا[٣] قبلها الصبر وتوبوا إلىٰ الله بالذنب فقد نبذتم قدسكم[٤] وأطفأتم مصابيحكم وقلدتم هدايتكم من لا يملك لنفسه ولا لكم سمعاً ولا بصراً ضعف والله الطالب والمطلوب هذا ولو لم تتواكلوا أمركم ولم تتخاذلوا عن نصرة الحق بينكم ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يتشجع عليكم من ليس مثلكم ولم يقومن قوي عليكم وعلىٰ هضم[٥] الطاعة وإزوائها[٦] عن أهلها فيكم.

١ ـ الشقشقة ـ بالكسر ـ: شيء يخرجه البعير من فيه إذا هاج، وإذا قيل للخطيب: ذو شقشقة، فإنّما شبّهوه بالفحل. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٢٠٥]

٢ ـ هَدَر البعير: صات. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٥١٨، مادة «هدر»]

٣ ـ الشعار: الثوب الذي يلي البدن، واستشعره: لبسه، والمراد به شدّة التمسك بالصبر. [تاج العروس، ج ٧، ص ٣٣، مادة «شعر»]

٤ ـ القدس: الطهر والطهارة. [تاج العروس، ج ٨، ص ٤٠٧، مادة «قدس»]

٥ ـ هضمه: دفعه عن موضعه وغصبه. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٨٧، مادة «هضم»]

٦ ـ زويه زيّاً: نحّاه، والأمر عنه: منعه. [لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٦٣، مادة «زوي»]

تهتم[١] كما تاهت بنو إسرائيل علىٰ عهد موسىٰ وبحق أقول ليضعفن عليكم التيه من بعدي ـ باضطهادكم ولدي ـ ضعف ما تاهت بنو إسرائيل فلو قد استكملتم نهلاً وامتلأتم عللاً[٢] من سلطان الشجرة الملعونة في القرآن لقد اجتمعتم علىٰ ناعق[٣] ضلال ولأجبتم الباطل ركضاً[٤] ثمّ لغادرتم داعي الحق وقطعتم الأدنىٰ من أهل بدر ووصلتم الأبعد من أبناء حرب. ألا ولو ذاب ما في أيديهم لقد دنا التمحيص[٥] للجزاء وكشف الغطاء وانقضت المدة وأزف الوعيد[٦] وبدا لكم النجم من قبل المشرق وأشرق لكم قمركم كملء شهره[٧] وكليلة تمه فإذا استتم ذلك فراجعوا التوبة وخالعوا الحوبة[٨]. واعلموا أنكم إن أطعتم طالع المشرق سلك بكم منهاج الرسول صلى الله عليه وآله فتداويتم من الصمم واستشفيتم من البكم وكفيتم مؤونة التعسف والطلب ونبذتم الثقل[٩] الفادح عن الأعناق فلا يبعد الله إلّا من أبىٰ الرحمة وفارق العصمة وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

---

١ ـ تاه الرجل: تحيّر. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٢٥، مادة «توه»]

٢ ـ النهل: الشرب الأولي، والعلل: الشرب الثاني، وذلك لأنّ الإبل تسقى السقاية الأولى ثم ترجع إلى العطن ثم تعود إلى الماء ثانياً ليستكمل ما عساه ينقص. [تاج العروس، ج ١٥، ص ٧٦١، مادة «نهل»]

٣ ـ نعق الراعي غنمه: إذا صاح بها. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٣٩، مادة «نعق»]

٤ ـ ركضاً: أي سريعاً. [انظر: لسان العرب، ج ٧، ص ١٥٩، مادة «ركض»]

٥ ـ التمحيص: الابتلاء والاختبار. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ١٨٣، مادة «محص»]

٦ ـ [في المخطوطة: الوعد]. أزف الوعد: قرب. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٣، مادة «أزف»]

٧ ـ كملء شهر: يعني كقمر الممتلىء في شهر، وإنما القمر يمتلىء ويكمل في ليلة البدر، وكذلك قوله: كليلة تم: أي كليلة تمام. [انظر: بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١١٢]

٨ ـ الحوبة: الخطيئة. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٤٧، مادة «حوب»]

٩ ـ ثقل فادح: أي ثقيل. [الوافي، ج ١٧، ص ١٠٧]

فصل

وروىٰ مسعدة بن صدقة أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالمدينة فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

أما بعد فإنّ الله لم يقصم جباري[١] دهر قط إلّا من بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر كسر عظم[٢] أحد من الأمم إلّا من بعد أزل[٣] وبلاء.

أيها الناس وفي دون ما استقبلتم من خطب واستدبرتم من عصر معتبر[٤] وما كل ذي قلب بلبيب ولا كل ذي سمع بسميع ولا كل ذي ناظر عين ببصير. ألا فأحسنوا النظر عباد الله فيما يعنيكم[٥] ثمّ انظروا إلىٰ عرصات[٦] من قد أقاده[٧] الله[٨] بعلمه كانوا علىٰ سنة من آل فرعون أهل جنات وعيون وزروع ومقام كريم

---

١ ـ قصم الشيء ـ كضرب ـ: كسره. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٥٧٧، مادة «قصم»]. وقاصم الجبارين مهلكهم. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٣٩، مادة «قصم»]

٢ ـ جبر العظم: أصلحه فانجبر. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٤٢، مادة «جبر»]

٣ ـ الأزل: الشدّة والضيق. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٠٥، مادة «أزل»]

٤ ـ المعتبر: محلّ العبرة أو الاعتبار وهو الاتّعاظ. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٩٣، مادة «عبر»]

٥ ـ يعنيكم: أي يقصدكم ويهمّكم. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٣٠٩، مادة «عنا»]

٦ ـ العرصات: جمع عرصة، وهي كلّ موضع وسيع [لا] بناء فيه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢٠٨، مادة «عرص»]

٧ ـ في المخطوطة: أباده.

٨ ـ أباده الله: أهلكه. [تاج العروس، ج ٤، ص ٣٦٧، مادة «بيد»]

فها هي عرصة المتوسّمين[١] وإنها لبسبيل مقيم تنذر من نابها[٢] من الثبور[٣] بعد النظرة والسرور ومقيل من الأمن والحبور[٤] ولمن صبر منكم العاقبة ولله عاقبة الأمور.

فواهاً لأهل العقول كيف أقاموا بمدرجة السيول! واستضافوا غير مـأمون! ويساً[٥] لهذه الأمة الجائرة في قصدها الراغبة عن رشدها! لا يقتفون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولا يؤمنون بغيب ولا يرعوون عن عيب[٦]. كيف ومفزعهم في المبهمات إلىٰ قلوبهم فكل امرىء منهم إمام نفسه آخذ منها فيما يرىٰ بعرىً[٧] ثقات لا يألون[٨] قصداً[٩] ولن يزدادوا إلّا بعداً لشد أنس بعضهم ببعض وتصديق بعضهم بعضاً حياداً[١٠] كل ذلك عما ورث الرسول صلى الله عليه وآله ونفوراً مما أدي إليه من

---

١ ـ المتوسّم: المتأمّل المتفرّس في الأمر ليعلم حدود حقيقته. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ١٨٣، مادة «وسم»]

٢ ـ من نابها: أي من أتاها وقصدها نايباً عمن قبله. [نظر: النهاية في غريب الحديث والأثـر، ج ٥، ص ١٢٣، مادة «نوب»]

٣ ـ الثبور: الهلاك. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٣٥، مادة «ثبر»]

٤ ـ الحبور: السرور. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٥٦، مادة «حبر»]

٥ ـ ويس: كلمة تقال لمن يُرحم ويُرفق به مثل ويـح. [لسـان العـرب، ج ٦، ص ٢٥٩، مـادة «ويس»]

٦ ـ ارعوى عن القبيح: كفّ وانصرف. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٤٦٥، مادة «رعو»]

٧ ـ العرى: جمع عروة، وهي المقبض من الكوز ومثله. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٢٨٩، مادة «عرا»]

٨ ـ لا يألون: أي لا يستطيعون. [لسان العرب، ج ١٤، ص ٤١، مادة «ألا»]

٩ ـ القصد: طريق العدل. [لسان العرب، ج ٣، ص ٣٥٣، مادة «قصد»]

١٠ ـ حياداً: أي مجانبة. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٢، مادة «حيد»]

فاطر السماوات والأرضين العليم الخبير، فهم أهل غشوات[١] كهوف[٢] شبهات قادة حيرة وريبة. من وكل إلىٰ نفسه فاغرورق في الأضاليل[٣] هذا وقد ضمن الله قصد السبيل: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ويَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وإِنَّ اللّٰهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

فيا ما أشبهها أمة صدت عن ولاتها ورغبت عن رعاتها ويا أسفاً أسفاً يكلم[٤] القلب ويدمن[٥] الكرب من فعلات شيعتنا بعد مهلكي علىٰ قرب مودتها وتأشب[٦] ألفتها كيف يقتل بعضها بعضاً وتحور ألفتها[٧] بغضاً فللّه الأسرة[٨] المتزحزحة[٩] غداً عن الأصل المخيمة بالفرع المؤملة للفتح من غير جهته المتوكّفة[١٠] الروح من غير مطلعه، كل حزب منهم معتصم بغصن آخذ به أينما مال الغصن مال معه مع أن الله ـ وله الحمد ـ سيجمعهم كقزع[١١] الخريف ويؤلف بينهم

---

١ ـ [في المخطوطة: عشوات]. العشوة: الظلمة والأمر الملتبس. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢٤٢، مادة «عشا»]

٢ ـ الكهوف: جمع كهف، بمعنى الملجأ. [تاج العروس، ج ١٢، ص ٤٧٢، مادة «كهف»]

٣ ـ اغرورق في الأضاليل: أي وقع فيها وغرق. [انظر: تاج العروس، ج ١٣، ص ٣٧٤، مادة «غرق»]

٤ ـ كلمه كلماً: جرحه. [لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٢٤، مادة «كلم»]

٥ ـ أدمن الشيء: أدامه. [تاج العروس، ج ١٨، ص ٢٠٢، مادة «دمن»]

٦ ـ التأشب: التآلف والاجتماع. [الصحاح للجوهري، ج ١، ص ٨٨، مادة «أشب»]

٧ ـ وتحور أُلفتها: أي ترجع فتصير بغضاً. [انظر: لسان العرب، ج ٤، ص ٢١٧، مادة «حور»]

٨ ـ الأسرة ـ بالضمّ ـ: الرهط الأدنون. [تاج العروس، ج ٦، ص ٢٣، مادة «أسر»]

٩ ـ المتزحزح: المتباعد. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٢٥١، مادة «زحح»]

١٠ ـ المتوكّف: المنتظر. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٢١، مادة «وكف»]

١١ ـ القزعة: القطعة من الغيم، وجمعها قزع، ومنه حديث علي عليه السلام: فتجتمعون إليه كما يجتمع

ثمّ يجعلهم ركاماً[١] كركام السحاب يفتح الله لهم أبواباً يسيلون من مستشارهم[٢] إليها كسيل العرم[٣] حيث لم تسلم عليه قارة[٤] ولم تمنع منه أكمة[٥] ولم يرد ركن طود[٦] سننه[٧] يغرسهم الله في بطون أودية ويسلكهم ينابيع في الأرض ينفي بهم عن حرمات قوم ويمكن لهم في ديار قوم لكي يعتقبوا[٨] ما غصبوا يضعضع[٩] الله بهم ركناً وينقض بهم طي الجندل[١٠] من إرم[١١] ويملأ منهم بطنان الزيتون.

قزع الخريف، أي قطع السحاب المتفرق، وإنّما خصّ الخريف لأنّه أوّل الشتاء، والسحاب يكون فيه متفرقاً غير متراكم ولا مطبق، ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٥٩، مادة «قزع»]

١ ـ الركام: المتراكم. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٧٥، مادة «ركم»]

٢ ـ المستشار: محلّ الهيجان والانتشار. [بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٥٦٠]

٣ ـ سيل العرم: هو السيل الذي أرسله الله تعالى على قوم سبأ. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٠١، مادة «سيل»]

٤ ـ القارة ـ بالتخفيف ـ: الجبل الصغير. [بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٢٦]

٥ ـ الأكمة: التلّ. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٨، مادة «أكم»]

٦ ـ الطود: الجبل. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٩٢، مادة «طود»]

٧ ـ السَّنَنُ: أخذك الطريق. [لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٢٦، مادة «سنن»]

٨ ـ [في المخطوطة: «يغتصبوا» بدل «يعتقبوا»]. الاغتصاب: أخذك الشيء قهراً. [تاج العروس، ج ٢، ص ٢٨٨، مادة «غصب»]

٩ ـ ضعضعه: هدمه حتى الأرض. [تاج العروس، ج ١١، ص ٣٠٧، مادة «ضعع»]

١٠ ـ الجندل: الحجارة، وطيّ الجندل: ما انطوى منها. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٣٦، مادة «جدل»]

١١ ـ الإرم: حجارة تنصب في المفاوز ويهتدى بها، يجمع على آرام وأُروم، كأضلاع وضلوع، وفي حديث الشيعة: وَيَنْقُضُ بِهِمْ طَيَّ الْجَنادِلِ مِنْ إِرَمَ. قيل: فيه إشارة إلى استيلاء الشيعة على دمشق وحواليها، وعلى من كان فيها من بني أمية (*). كذا قال في المجمع. [مجمع البحرين،

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليذوبن ما في أيديهم من بعد التمكن في البلاد والعلو علىٰ العباد كما يذوب القار[١] والآنك[٢] في النار ولعل الله يجمع شيعتي بعد التشتيت لشر يوم لهؤلاء وليس لأحد علىٰ الله الخيرة بل لله الخيرة والأمر جميعاً.

فصل

وروىٰ نقلة الآثار أن رجلاً من بني أسد وقف علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين العجب منكم يا بني هاشم كيف عدل بهذا الأمر عنكم وأنتم الأعلون نسباً نوطاً بالرسول وفهماً للكتاب؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن دودان[٣] إنك لقلق الوضين[٤] ضيق

ج ٦، ص ٧، مادة «ارم»].

وكأنّه مبني على قول من فسّر «إرم» بالشام، ويؤيده ما يتلوه من قوله عليه السلام: ويملأ منهم بطنان الزيتون، يعني الشام أيضاً. الضمير في أيديهم راجع إلى أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله من بني أميّة لعنهم الله تعالى.

[(*) في حاشية المخطوطة: «بني آدم»، وما أثبتناه فهو من المجمع]

١ ـ القار: القير. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٦٥، مادة «قير»]

٢ ـ الآنك ـ بالمدّ وضمّ النون ـ: الأُسرب. [لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٩٤، مادة «أنك»]

٣ ـ دودان: أبو قبيلة من أسدٍ، وهو دودان بن أسد بن خزيمة. [الصحاح للجوهري، ج ٢، ص ٤٧١، مادة «دود»]

٤ ـ الوضين: ما يشدّ به الهودج كالحزام، ويقال للرجل المضطرب في أمره: إنه لَقلق الوضين، أي مضطربٌ شاكٌّ فيه. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٩، ص ٢٤٢]

المحزم ترسل غير ذي مسد لك ذمامة[١] الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم، كانت أثرة سخت بها نفوس قوم وشحت عليها نفوس آخرين فدع عنك نهباً[٢] صيح في حجراته[٣] وهلم الخطب في أمر ابن أبي سفيان فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه ولا غرو[٤] يئس القوم ـ والله ـ من خفضي وهينتي وحاولوا الإدهان في ذات الله وهيهات ذلك مني[٥] فإن تنحسر[٦] عنا محن البلوىٰ أحملهم من الحق علىٰ محضه، وإن تكن الأخرىٰ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فلا تأس علىٰ القوم الفاسقين.

---

١ ـ الذمامة: الحرمة، وأما كون الأسدي صهراً فلأنّ زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت أسدية، قالوا: المصاهرة المذكورة في كلامه هذه، وقيل: بل كان علي عليه السلام متزوّجاً في بني أسد. [بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٤٨٦]

٢ ـ النهب: المنهوب. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ١٧٨، مادة «نهب»]

٣ ـ والشعر لامرىء القيس، وعجزه:

.... ولكن حديثاً ما حديث الرواحلِ

والحجرات: النواحي، والأصل في ذلك أنّ امرأ القيس نزل على خالد بن سدوس النبهاني فأغار عليه باعث بن حويص و[ذهب] بإبله، فقال له خالد: أعطني صنايعك ورواحلك أطلب عليها مالك، فأعطاها خالداً، فذهب بها جميعاً فلحق القوم واستردّ إبله، فلما رأى القوم ذلك رجعوا إليه وأخذا الرواحل منه وذهبوا بها جميعاً. فقال امرؤ القيس القصيدة التي منها: ودع ... الخ. فصار البيت من أمثالهم الدائرة السائرة. [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٩، ص ٢٤٤]

٤ ـ لا غرو: أي لا عجب. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٤٤٦، مادة «غرو»]

٥ ـ [في المخطوطة إضافة: وقد جدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً]. شرابٌ وبيءٌ: أي ذو وباء. [بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ١٦٢]

٦ ـ الانحسار: الانكشاف. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٦٨، مادة «حسر»]

فصل ٧

ومن كلامه عليه السلام في الحكمة والموعظة

قوله عليه السلام: خذوا رحمكم الله من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفىٰ عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم فللآخرة خلقتم وفي الدنيا حبستم، إن المرء إذا هلك قالت الملائكة ما قدم؟ وقال الناس ما خلف؟ فللّه آباؤكم قدموا بعضاً يكن لكم ولا تخلفوا كلاً فيكون عليكم فإنما مثل الدنيا مثل السم يأكله من لا يعرفه.

ومن ذلك قوله عليه السلام: لا حياة إلّا بالدين ولا موت إلّا بجحود اليقين فاشربوا العذب الفرات ينبهكم من نومة السبات(١) وإياكم والسمائم المهلكات.

ومن ذلك قوله عليه السلام: الدنيا دار صدق لمن عرفها ومضمار الخلاص لمن تزود منها، هي مهبط وحي الله ومتجر أوليائه اتجروا فربحوا الجنة.

ومن ذلك كلامه عليه السلام لرجل سمعه يذم الدنيا من غير معرفة بما يجب أن يقول في معناها: الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنىً لمن تزود منها، مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلىٰ ملائكته ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة. فمن ذا يذمها وقد آذنت(٢) ببينها(٣)

---

١ ـ السُّبات: الراحة. [تاج العروس، ج ٣، ص ٦٠، مادة «سبت»]

٢ ـ آذنت: أي أخبرت وأعلمت. [لسان العرب، ج ١٣، ص ٩، مادة «أذن»]

٣ ـ البين: الفراق. [مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢١٧، مادة «بين»]

ونادت بفراقها ونعت نفسها فشوقت بسرورها إلىٰ السرور وببلائها إلىٰ البلاء تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً. فأيها الذام للدنيا والمعتل بتغريرها متىٰ غرتك؟ أبمصارع آبائك من البلىٰ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرىٰ! كم عللت بكفيك ومرضت بيديك! تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تسفعهم بشفاعتك. مثلت الدنيا بهم مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك أحباؤك.

ومن ذلك قوله عليه السلام: أيها الناس خذوا عني خمساً فوالله لو رحلتم المطي[1] فيها لأنضيتموها[2] قبل أن تجدوا مثلها، لا يرجونّ أحد إلّا ربه ولا يخافن إلّا ذنبه ولا يستحيين العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، ولا يستحيين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له.

ومن ذلك قوله عليه السلام: كل قول ليس لله فيه ذكر فلغو وكل صمت ليس فيه فكر فسهو وكل نظر ليس فيه اعتبار فلهو.

وقوله عليه السلام: ليس من ابتاع نفسه فأعتقها كمن باع نفسه فأوبقها.

وقوله عليه السلام: من سبق إلىٰ الظل ضحي[3] ومن سبق إلىٰ الماء ظمىء[4].

---

١ ـ المطي: الدواب. [لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٨٥، مادة «مطا»]

٢ ـ النضو: الدابّة التي أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها، يقال: أنضاه ينضيه إنضاءً فهو نضوٌ. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٧٢، مادة «نضو»]

٣ ـ ضحي الرجل برز للشمس: يريد إصابة أذى الشمس عليه. [معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٣٩٢، مادة «ضحى»]

٤ ـ والظمأ: العطش، وقد ظمأ يظمأ ظمأً. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٢٨٠، مادة «ظما»]

وقوله عليه السلام: حسن الأدب ينوب عن الحسب.

وقوله عليه السلام: الزاهد في الدنيا كلما ازدادت له تحلياً ازداد عنها تولياً.

وقوله عليه السلام: المودة أشبك الأنساب والعلم أشرف الأحساب.

وقوله عليه السلام: إن يكن الشغل مجهدة فاتصال الفراغ مفسدة.

وقوله عليه السلام: من بالغ في الخصومة[١] أثم ومن قصر فيها خصم.

وقوله عليه السلام: العفو يفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم.

وقوله عليه السلام: من أحب المكارم اجتنب المحارم.

وقوله عليه السلام: من حسنت به الظنون رمقته[٢] الرجال بالعيون.

وقوله عليه السلام: غاية الجود أن تعطي من نفسك المجهود[٣].

وقوله عليه السلام: ما بعد كائن ولا قرب بائن.

وقوله عليه السلام: جهل المرء بعيوبه من أكبر ذنوبه.

وقوله عليه السلام: تمام العفاف الرضا بالكفاف.

وقوله عليه السلام: أتم الجود ابتناء المكارم واحتمال المغارم.

وقوله عليه السلام: أظهر الكرم صدق الإخاء في الشدة والرخاء.

وقوله عليه السلام: الفاجر إن سخط ثلب[٤] وإن رضي كذب وإن طمع

---

١ ـ خصمته: غلبته في الخصومة. [لسان العرب، ج ١٢، ص ١٨٢، مادة «خصم»]

٢ ـ رمقه رمقاً: لحظه لحظاً خفيفاً. [تاج العروس، ج ١٣، ص ١٧٥، مادة «رمق»]

٣ ـ المجهود: ما تستطيع أن تعطيه. [انظر: مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٣، مادة «جهد»]

٤ ـ ثلبه ثلباً: لامه وذكر معايبه. [تاج العروس، ج ١، ص ٣٣٩، مادة «ثلب»]

خلب[١].

وقوله عليه السلام: من لم يكن أكثر ما فيه عقله كان بأكثر ما فيه قتله.

وقوله عليه السلام: احتمل زلة وليك لوقت وثبة عدوك.

وقوله عليه السلام: حسن الاعتراف يهدم الاقتراف[٢].

وقوله عليه السلام: لم يضع من مالك ما بصرك صلاح حالك.

وقوله عليه السلام: القصد أسهل من التعسف والكف أودع من التكلف.

وقوله عليه السلام: شر الزاد إلىٰ المعاد احتقاب ظلم العباد.

وقوله عليه السلام: لا نفاد لفائدة إذا شكرت ولا بقاء لنعمة إذا كفرت.

وقوله عليه السلام: الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك فإن كان لك فلا تبطر وإن كان عليك فاصبر.

وقوله عليه السلام: رب عزيز أذله خلقه وذليل أعزه خلقه.

وقوله عليه السلام: من لم يجرب الأمور خدع ومن صارع الحق صرع.

وقوله عليه السلام: لو عرف الأجل قصر الأمل.

وقوله عليه السلام: الشكر زينة الغنىٰ والصبر زينة البلوىٰ.

وقوله عليه السلام: قيمة كل امرىء ما يحسنه[٣].

---

١ ـ خلب: أي خدع. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٥٢، مادة «خلب»]

٢ ـ الاقتراف: الاكتساب، يقال: اقترف الشيء أي اكتسبه. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ١٠٨، مادة «قرف»]

٣ ـ فلان يحسن الشيء: أي يعلمه. [تاج العروس، ج ١٨، ص ١٤٣، مادة «حسن»]

وقوله عليه السلام: الناس أبناء ما يحسنون.

وقوله عليه السلام: المرء مخبوء تحت لسانه[١].

وقوله عليه السلام: من شاور ذوي الألباب دل علىٰ الصواب.

وقوله عليه السلام: من قنع باليسير استغنىٰ عن الكثير ومن لم يستغن بالكثير افتقر إلىٰ الحقير.

وقوله عليه السلام: من صحت عروقه أثمرت فروعه.

وقوله عليه السلام: من أمل إنساناً هابه ومن قصر عن معرفة شيء عابه.

ومن كلامه عليه السلام في وصف الإنسان

قوله عليه السلام: أعجب ما في الإنسان قلبه وله مواد من الحكمة وأضدادها فإن سنح له[٢] الرجاء أذله الطمع وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ وإن أسعف بالرضا[٣] نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر وإن اتسع له الأمن استولت عليه الغرة، وإن جددت له نعمة أخذته العزة وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه

---

١ ـ المرء مخبوء تحت لسانه: أي مستور حاله في سكوته، فإذا تكلّم ظهر مقداره وعقله. [انظر: منهاج البلاغة في شرح نهج البلاغة، ج ٢١، ص ٤٨٠]

٢ ـ سنح لي الشيء: ظهر وعرض. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٢٩١، مادة «سنح»]

٣ ـ وإن أسعف بالرضا: يعني وإن ناله الرضا بوصوله مرامه. [انظر: لسان العرب، ج ٩، ص ١٥٢، مادة «سعف»]

الغنىٰ وإن عضّته[1] فاقة شغله البلاء، وإن أجهده[2] الجوع قعد به الضعف وإن أفرط في الشبع كظّته البطنة[3]، فكل تقصير به مضر وكل إفراط له مفسد.

ومن كلامه عليه السلام وقد سأل شاه زنان بنت كسرىٰ حين أسرت ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل؟ قالت: حفظنا عنه أنه كان يقول: إذا غلب الله علىٰ أمر ذلت المطامع دونه وإذا انقضت المدة كان الحتف[4] في الحيلة.

فقال عليه السلام: ما أحسن ما قال أبوك! تذل الأمور للمقادير حتىٰ يكون الحتف في التدبير.

ومن كلامه عليه السلام: من كان علىٰ يقين فأصابه شك فليمض علىٰ يقينه فإنّ اليقين لا يدفع بالشك.

ومن كلامه عليه السلام: المؤمن من نفسه في تعب والناس منه في راحة.

وقال عليه السلام: من كسل لم يؤد حقاً لله تعالىٰ عليه.

وقال عليه السلام: أفضل العبادة الصبر والصمت وانتظار الفرج.

وقال عليه السلام: الصبر علىٰ ثلاثة أوجه: فصبر علىٰ المصيبة وصبر عن المعصية وصبر علىٰ الطاعة.

---

١ ـ عضّته: أي أوجعته، مأخوذ من عضّ الأسنان. [انظر: مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢١٦، مادة «عضض»]

٢ ـ أجهده: أوقعه في مشقّة. [انظر: تاج العروس، ج ٤، ص ٤٠٧، مادة «جهد»]

٣ ـ كظّه الطعام: أي ملأه حتى لا يقدر على تنفّس. [لسان العرب، ج ٧، ص ٤٥٧، مادة «كظظ»]

٤ ـ الحتف: الموت. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٤، مادة «حتف»]

وقال عليه السلام: الحلم وزير المؤمن والعلم خليله والرفق أخوه والبر والده والصبر أمير جنوده.

وقال عليه السلام: ثلاثة من كنوز الجنة: كتمان الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان المرض.

وقال عليه السلام: احتج إلىٰ من شئت تكن أسيره واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأفضل علىٰ من شئت تكن أميره.

وكان يقول عليه السلام: لا غنىٰ مع فجور ولا راحة لحسود ولا مودّة لملول[١].

وقال للأحنف بن قيس: الساكت أخو الراضي ومن لم يكن معنا كان علينا.

وقال عليه السلام: الجود من كرم الطبيعة والمن مفسدة للصنيعة[٢].

وقال عليه السلام: ترك التعاهد للصديق داعية القطيعة.

وكان عليه السلام يقول: إرجاف[٣] العامة بالشيء دليل علىٰ مقدمات كونه.

وقال عليه السلام: اطلبوا الرزق فإنه مضمون لطالبه.

وقال عليه السلام: أربعة لا ترد لهم دعوة: الإمام العادل لرعيته والوالد البار لولده، والولد البار لوالده والمظلوم يقول الله عز اسمه وعزتي وجلالي لأنتصرن لك ولو بعد حين.

وقال عليه السلام: خير الغنىٰ ترك السؤال وشر الفقر لزوم الخضوع.

---

١ ـ مللت منه ملاً من باب تعب: سئمت وضجرت، والفاعل ملول، (مجمع). [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٧٥، مادة «ملل»]

٢ ـ الصنيعة: الإحسان. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٦١، مادة «صنع»]

٣ ـ أرجفوا في الأخبار: خاضوا فيها. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٦٢، مادة «رجف»]

وقال عليه السلام: ضاحك معترف بذنبه أفضل من باك مدل على ربه.

وقال عليه السلام: المعروف عصمة من البوار والرفق نعشة[١] من العثار.

وقال عليه السلام: لا عدة أنفع من العقل ولا عدو أضر من الجهل.

وقال عليه السلام: لولا التجارب عميت المذاهب.

وقال عليه السلام: من اتسع أمله قصر عمله.

وقال عليه السلام: أشكر الناس أقنعهم، وأكفرهم للنعم أجشعهم[٢].

في أمثال هذا الكلام المفيد للحكمة وفصل الخطاب لم نستوف ما جاء في معناه عنه لئلّا ينتشر الخطاب ويطول الكتاب وفيما أثبتناه منه مقنع لذوي الألباب.

---

١ ـ النعشة: قيام العاثر من عثرته. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ١٥٥، مادة «نعش»]

٢ ـ الجشع: أشدّ الحرص، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٣]

فصل

في آيات الله تعالىٰ وبراهينه الظاهرة علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام الدالة علىٰ مكانه من الله عزّ وجلّ واختصاصه من الكرامات بما انفرد به ممن سواه للدعوة إلىٰ طاعته والتمسك بولايته والاستبصار بحقه واليقين بإمامته والمعرفة بعصمته وكماله وظهور حجته

فمن ذلك ما ساوىٰ به نبيين من أنبياء الله ورسله وحجتين له علىٰ خلقه ما لا شبهة في صحته ولا ريب في صوابه، قال الله عز اسمه في ذكر المسيح عيسىٰ ابن مريم روح الله وكلمته ونبيه ورسوله إلىٰ خليقته وقد ذكر قصة والدته في حملها له ووضعها إياه والأعجوبة في ذلك: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً * قَالَ كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِياً﴾[1].

وكان من آيات الله تعالىٰ في المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام نطقه في المهد وخرق العادة بذلك والأعجوبة فيه والمعجز الباهر لعقول الرجال، وكان من آيات الله تعالىٰ في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كمال عقله ووقارته ومعرفته

---

١ ـ [سورة مريم، الآيتان ٢٠ ـ ٢١.]

بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله مع تقارب سنّه[١] وكونه علىٰ ظاهر الحال في عداد الأطفال حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ التصديق به والإقرار وكلفه العلم بحقه والمعرفة بصانعه والتوحيد له، وعهد إليه في الاستسرار[٢] بما أودعه من دينه والصيانة له والحفظ وأداء الأمانة فيه.

وكان إذ ذاك عليه السلام علىٰ قول بعضهم من أبناء سبع سنين وعلىٰ قول بعض آخر من أبناء تسع وعلىٰ قول الأكثر من أبناء عشر، فكان كمال عقله عليه السلام وحصول المعرفة له بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله آية لله فيه باهرة، خرق بها العادة ودل بها علىٰ مكانه منه واختصاصه به وتأهيله لما رشحه[٣] له من إمامة المسلمين والحجة علىٰ الخلق أجمعين، فجرىٰ في خرق العادة لما ذكرناه مجرىٰ عيسىٰ ويحيىٰ عليهما السلام بما وصفناه ولولا أنه عليه السلام كان في تلك الحال كاملاً وافراً وبالله عزّ وجلّ عارفاً لما كلفه رسول الله صلى الله عليه وآله الإقرار بنبوته ولا ألزمه الإيمان به والتصديق لرسالته ولا دعاه إلىٰ الاعتراف بحقه ولا افتتح الدعوة به قبل كل أحد من الناس سوىٰ خديجة عليها السلام زوجته، ولما ائتمنه علىٰ سرّه الذي أمر بصيانته[٤]، فلما أفرده النبي صلى الله عليه وآله بذلك من أبناء سنه كلهم في عصره وخصه به دون من سواه ممن ذكرناه دل ذلك علىٰ أنه عليه السلام كان كاملاً مع تقارب سنه وعارفاً بالله تعالىٰ وبنبيه صلى الله عليه وآله قبل حلمه[٥] وهذا هو معنىٰ قول الله تعالىٰ في يحيىٰ عليه السلام: ﴿وآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ

---

١ ـ تقارب سنّه: قلّ. [الطراز الأول لعلي خان المدني، ج ٢، ص ٣٨١]

٢ ـ استسرّ بالشيء: طلب أن يخفوه. [انظر: لسان العرب، ج ٤، ص ٣٥٧، مادة «سرر»]

٣ ـ الترشيح: التوزير، تقول: فلان يرشّح للوزارة: أي يربّي ويؤهل لها. [لسان العرب، ج ٢، ص ٤٥٠، مادة «رشح»]

٤ ـ صيانة السرّ: كتمانه. [انظر: لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٥٠، مادة «صون»]

٥ ـ الحلم: البلوغ. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٧، مادة «بلغ»]

صَبِيّاً﴾[١] إذ لا حكم أوضح من معرفة الله وأظهر من العلم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وأشهر من القدرة علىٰ الاستدلال وأبين من معرفة النظر والاعتبار والعلم بوجوه الاستنباط والوصول بذلك إلىٰ حقائق الغائبات، وإذا كان الأمر علىٰ ما بيناه ثبت أن الله سبحانه قد خرق العادة في أمير المؤمنين عليه السلام بالآية الباهرة التي ساوىٰ بها نبييه اللذين نطق القرآن بآياته العظمىٰ فيهما علىٰ ما شرحناه.

فصل

ومن آيات الله عزّ وجلّ الخارقة للعادة في أمير المؤمنين عليه السلام أنه لم يعهد لأحد من مبارزة الأقران ومنازلة الأبطال[٢] مثل ما عرف له عليه السلام من كثرة ذلك علىٰ مرّ الزمان[٣]، ثمّ إنه لم يوجد في ممارسي الحروب إلّا من عرته[٤] بشر ونيل منه بجراح أو شين إلّا أمير المؤمنين فإنه لم ينله[٥] مع طول مدة زمان حربه جراح من عدو ولا شين ولا وصل إليه أحد منهم بسوء حتىٰ كان من أمره مع ابن ملجم ـ لعنه الله ـ علىٰ اغتياله[٦] إياه ما كان، وهذه أعجوبة أفرده الله تعالىٰ بالآية فيها وخصه بالعلم الباهر في معناها فدل بذلك علىٰ مكانه منه وتخصصه بكرامته التي

---

١ ـ [سورة مريم، الآية ١٢.]

٢ ـ الأبطال: جمع بطل، وهو الشجاع. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٥٢، مادة «بطل»]

٣ ـ مرّ الزمان: مروره. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٨١، مادة «مرر»]

٤ ـ عراه بشرّ: ناله به وغشيه. [انظر: لسان العرب، ج ٤، ص ٥٥٨، مادة «عرر»]

٥ ـ يعني: لم يصبه عليه السلام جراح يعجزه عن عدوّه أو يقتله.

٦ ـ اغتال عليه اغتيالاً وغيلةً: أي قتله خدعةً وغرّةً. [لسان العرب، ج ١١، ص ٥٠٧، مادة «غول»]

بان بفضلها من كافة الأنام.

فصل

ومن آيات الله تعالىٰ فيه عليه السلام أنه لا يذكر ممارس للحروب التي لقي فيها عدواً إلّا وهو ظافر به حينا وغير ظافر به حيناً، ولا نال أحد منهم خصمه بجراح إلّا وقضىٰ[1] منها وقتاً وعوفي منها زمانا ولم يعهد من لم يفلت[2] منه قرن في الحرب ولا نجا من ضربته أحد فصلح منها إلّا أمير المؤمنين عليه السلام فإنه لا مرية[3] في ظفره بكل قرن بارزه وإهلاكه كل بطل نازله، وهذا أيضاً مما انفرد به عليه السلام من كافة الأنام وخرق الله عزّ وجل به العادة في كل حين وزمان وهو من دلائله الواضحة.

فصل

ومن آيات الله تعالىٰ فيه أيضاً أنه مع طول ملاقاته للحروب وملابسته إياها وكثرة من مني به[4] فيها من شجعان الأعداء وصناديدهم وتجمعهم عليه

---

١ ـ قضى الرجل: مات. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٨٦، مادة «قضى»]

٢ ـ أفلت الشيء وانفلت بمعنى واحد، أي خلص. [تاج العروس، ج ٣، ص ١٠١، مادة «فلت»]

٣ ـ المرية: الشكّ. [تاج العروس، ج ٣، ص ٣٤٣، مادة «حوج»]

٤ ـ مني به: أي بلي. [المحيط في اللغة، ج ١٠، ص ٤١٥، مادة «منى ومنو»]

واحتيالهم في الفتك به وبذل الجهد في ذلك، ما ولىٰ قط عن أحد منهم ظهره ولا انهزم عن أحد منهم ولا تزحزح عن مكانه[١] ولا هاب أحداً من أقرانه ولم يلق أحد سواه خصماً له في حرب إلّا وثبت له حيناً وانحرف عنه حيناً وأقدم عليه وقتاً وأحجم عنه[٢] زماناً.

وإذا كان الأمر علىٰ ما وصفناه ثبت ما ذكرناه من انفراده بالآية الباهرة والمعجزة الزاهرة وخرق العادة فيه بما دل الله به علىٰ إمامته وكشف به عن فرض طاعته وأبانه بذلك من كافة خليقته.

فصل

ومن آياته عليه السلام وبيناته التي انفرد بها ممن عداه ظهور مناقبه في الخاصة والعامة وتسخير الجمهور[٣] لنقل فضائله وما خصه الله به من كرائمه وتسليم العدو من ذلك بما فيه الحجة عليه، هذا مع كثرة المنحرفين عنه والأعداء له وتوفر أسباب دواعيهم إلىٰ كتمان فضله وجحد حقه وكون الدنيا في يد خصومه وانحرافها عن أوليائه، وما اتفق لأضداده من سلطان الدنيا وحمل الجمهور علىٰ إطفاء نوره ودحض أمره[٤]، فخرق الله العادة بنشر فضائله وظهور مناقبه وتسخير

---

١ ـ تزحزح عن مكانه: أي تنحّا. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٩٧، مادة «زحزح»]

٢ ـ أحجم عنه: أي فرّ ناكصاً. [تاج العروس، ج ١٦، ص ١٣٠، مادة «حجم»]

٣ ـ جمهور الناس: جلّهم. تاج العروس، ج ٦، ص ٢١٥، مادة «جمهر»

٤ ـ دحض الأمر: أبطله. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٠٥، مادة «دحض»]

الكل للاعتراف بذلك والإقرار بصحته واندحاض ما احتال به أعداؤه في كتمان مناقبه وجحد حقوقه حتىٰ تمت الحجة له وظهر البرهان لحقه.

ولما كانت العادة جارية بخلاف ما ذكرناه فيمن اتفق له من أسباب خمول[1] أمره ما اتفق لأمير المؤمنين عليه السلام فانخرقت العادة فيه دل ذلك علىٰ بينونته من الكافة بباهر الآية علىٰ ما وصفناه.

وقد شاع الخبر واستفاض عن الشعبي أنه كان يقول: لقد كنت أسمع خطباء بني أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علىٰ منابرهم فكأنما يشال[2] بضبعه[3] إلىٰ السماء، وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم علىٰ منابرهم فكأنما يكشفون عن جيفة.

وقال الوليد بن عبد الملك لبنيه يوماً: يا بني عليكم بالدين فإني لم أر الدين بنىٰ شيئاً فهدمته الدنيا، ورأيت الدنيا قد بنت بنياناً هدمه الدين. ما زلت أسمع أصحابنا وأهلنا يسبون علي بن أبي طالب ويدفنون فضائله ويحملون الناس علىٰ شنآنه[4] فلا يزيده ذلك من القلوب إلّا قرباً ويجتهدون في تقريبهم من نفوس الخلق فلا يزيدهم ذلك إلّا بعداً.

وفيما انتهىٰ إليه الأمر في دفن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والحيلولة بين العلماء ونشرها ما لا شبهة فيه علىٰ عاقل حتىٰ كان الرجل إذا أراد أن يروي عن أمير المؤمنين عليه السلام رواية لم يستطع أن يضيفها إليه بذكر اسمه ونسبه، وتدعوه

---

١ ـ خمل ذكره خمولاً: خفي. [تاج العروس، ج ١٤، ص ٢١٢، مادة «خمل»]

٢ ـ شال به: رفعه. [تاج العروس، ج ١٤، ص ٣٩٧، مادة «شول»]

٣ ـ والضبع: العضد. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٦٢، مادة «عضد»]

٤ ـ الشنآن ـ بتسكين النون ـ: البغض. [تاج العروس، ج ١، ص ١٨٢، مادة «شنأ»]

الضرورة إلىٰ أن يقول: حدثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أو يقول حدثني رجل من قريش، ومنهم من يقول حدثني أبو زينب.

وروىٰ عكرمة عن عائشة ـ في حديثها له بمرض رسول الله صلى الله عليه وآله ووفاته ـ فقالت في جملة ذلك: فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله متوكئاً علىٰ رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل بن العباس. فلما حكىٰ عنها ذلك لعبد الله بن عباس رحمه الله قال له: أتعرف الرجل الآخر؟ قال: لا لم تسمه لي قال: ذاك علي بن أبي طالب، وما كانت أمنا تذكره بخير وهي تستطيع.

وكانت الولاة الجورة[1] تضرب بالسياط من ذكره بخير بل تضرب الرقاب علىٰ ذلك وتعترض الناس بالبراءة منه، والعادة جارية فيمن اتفق له ذلك ألّا يذكر علىٰ وجه بخير فضلاً عن أن تذكر له فضائل أو تروىٰ له مناقب أو تثبت له حجة بحق. وإذا كان ظهور فضائله عليه السلام وانتشار مناقبه علىٰ ما قدمنا ذكره من شياع ذلك في الخاصة والعامة وتسخير العدو والولي لنقله ثبت خرق العادة فيه وبان وجه البرهان في معناه بالآية الباهرة علىٰ ما قدمناه.

فصل

ومن آيات الله تعالىٰ فيه عليه السلام أنه لم يُمنَ أحد في ولده وذريته بما مني عليه السلام في ذريته وذلك أنه لم يعرف خوف شمل جماعة من ولد نبي ولا إمام ولا ملك زمان ولا بر ولا فاجر كالخوف الذي شمل ذرية أمير المؤمنين عليه السلام، ولا لحق أحداً من القتل والطرد عن الديار والأوطان والإخافة والإرهاب ما لحق ذرية

١ ـ الجَوَرَة: جمع جائر. [لسان العرب، ج ٤، ص ١٥٣، مادة «جور»]

أمير المؤمنين عليه السلام وولده، ولم يجر علىٰ طائفة من الناس من ضروب النكال ما جرىٰ عليهم من ذلك فقتلوا بالفتك والغيلة والاحتيال وبني علىٰ كثير منهم ـ وهم أحياء ـ البنيان وعذبوا بالجوع والعطش حتىٰ ذهبت أنفسهم علىٰ الهلاك، وأحوجهم ذلك إلىٰ التمزّق[1] في البلاد ومفارقة الديار والأهل والأوطان وكتمان نسبهم عن أكثر الناس. وبلغ بهم الخوف إلىٰ الاستخفاء من أحبائهم فضلاً عن الأعداء وبلغ هربهم من أوطانهم إلىٰ أقصىٰ الشرق والغرب والمواضع النائية[2] عن العمران وزهد في معرفتهم أكثر الناس ورغبوا عن تقريبهم والاختلاط بهم مخافة علىٰ أنفسهم وذراريهم من جبابرة الزمان.

وهذه كلها أسباب تقتضي انقطاع نظامهم واجتثاث[3] أصولهم وقلة عددهم. وهم مع ما وصفناه أكثر ذرية أحد من الأنبياء والصالحين والأولياء بل أكثر من ذراري كل أحد من الناس، قد طبقوا بكثرتهم البلاد[4] وغلبوا في الكثرة علىٰ ذراري أكثر العباد، هذا مع اختصاص مناكحهم في أنفسهم دون البعداء وحصرها في ذوي أنسابهم دنية من الأقرباء. وفي ذلك خرق العادة علىٰ ما بيناه وهو دليل الآية الباهرة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما وصفناه وبيناه وهذا ما لا شبهة فيه والحمد لله رب العالمين.

---

١ ـ التمزّق: التفرّق والتقطع. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٢، مادة «قدد»]

٢ ـ النائية: البعيدة. [لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٠٠، مادة «نأي»]

٣ ـ اجتثّ أصله: اقتلعه. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٤٣، مادة «جثث»]

٤ ـ طبّقوا بكثرتهم البلاد: أي ملؤوها، من قولهم: طبّق السحاب الجوّ تطبيقاً: غشّاه. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٢٨٥، مادة «طبق»]

فصل

ومن آيات الله عزّ وجلّ الباهرة فيه عليه السلام والخواص التي أفرده بها ودل بالمعجز منها علىٰ إمامته ووجوب طاعته وثبوت حجته ما هو من جملة الخرائج[1] التي أبان بها الأنبياء والرسل عليهم السلام وجعلها أعلاما لهم علىٰ صدقهم.

فمن ذلك ما استفاض عنه عليه السلام من إخباره بالغائبات والكائن قبل كونه فلا يخرم من ذلك شيئاً ويوافق المخبر منه خبره حتىٰ يتحقق الصدق فيه، وهذا من أبهر معجزات الأنبياء عليهم السلام.

ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ فيما أبان به المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام من المعجز الباهر والآية العجيبة الدالة علىٰ نبوته: ﴿وأُنَبِّئُكُمْ بِمٰا تَأْكُلُونَ ومٰا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[2]. وجعل عز اسمه مثل ذلك من عجيب آيات رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال عند غلبة فارس الروم: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[3] فكان الأمر في ذلك كما قال.

وقال عزّ وجلّ في أهل بدر قبل الوقعة: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[4]

---

١ ـ [في المخطوطة: الجرايح]. الخرايج ـ بالخاء المعجمة ثم بالجيم ـ: هي التي تخرج على أيدي الأنبياء والأوصياء ممّا يدلّ على صحّة مدّعاهم، وكذلك الجرايح ـ بالجيم فالحاء المهملة ـ: وهي المعجزات؛ لأنّها تجرح أي تكسب لأربابها التصديق فيما يدّعون. [انظر: الخرائج والجرائح، ج ١، ص ١٩، مقدمة المؤلف]

٢ ـ [سورة آل عمران، الآية ٤٩].

٣ ـ [سورة الروم، الآيات ١ ـ ٤].

٤ ـ [سورة القمر، الآية ٤٥].

فكان كما قال من غير اختلاف في ذلك.

وقال عزّوجل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ﴾[1] فكان الأمر في ذلك كما قال.

وقال سبحانه: ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً﴾[2] فكان الأمر في ذلك كما قال.

وقال مخبراً عن ضمائر قوم من أهل النفاق: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ﴾[3] فخبر عن ضمائرهم وما أخفوه في سرائرهم.

وقال عزّ وجلّ في قصة اليهود: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[4] فكان الأمر كما قال، ولم يجسر أحد منهم أن يتمناه فحقق ذلك خبره وأبان عن صدقه ودل به على نبوته عليه السلام في أمثال ذلك مما يطول به الكتاب.

فصل

والذي كان من أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الجنس ما لا يستطاع إنكاره إلّا

---

١ ـ [سورة الفتح، الآية ٢٧].

٢ ـ [سورة النصر، الآيتان ١ و ٢].

٣ ـ [سورة المجادلة، الآية ٨].

٤ ـ [سورة الجمعة، الآيتان ٦ و ٧].

مع الغباوة والجهل والبهت[١] والعناد، ألا ترىٰ إلىٰ ما تظاهرت به الأخبار وانتشرت به الآثار ونقلته الكافة عنه عليه السلام من قوله قبل قتاله الفرق الثلاث بعد بيعته: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. فقاتلهم عليه السلام وكان الأمر فيما خبر به علىٰ ما قال.

وقال عليه السلام لطلحة والزبير حين استأذناه في الخروج إلىٰ العمرة: لا والله ما تريدان العمرة وإنما تريدان البصرة. فكان الأمر كما قال.

وقال عليه السلام لابن عباس وهو يخبره عن استئذانهما له في العمرة: إنني أذنت لهما مع علمي بما قد انطويا عليه من الغدر واستظهرت بالله عليهما وإنّ الله تعالىٰ سيرد كيدهما ويظفرني بهما. فكان الأمر كما قال.

وقال عليه السلام بذي قار[٢] وهو جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً يبايعوني علىٰ الموت، قال ابن عباس: فجزعت لذلك وخفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه فيفسد الأمر علينا ولم أزل مهموماً دأبي إحصاء القوم حتىٰ ورد أوائلهم فجعلت أحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل وتسعة وتسعين رجلاً ثمّ انقطع مجيء القوم فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ماذا حمله علىٰ ما قال؟ فبينا أنا مفكر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل حتىٰ دنا فإذا هو راجل عليه قباء صوف معه سيفه وترسه وإداوته[٣] فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: امدد يدك أبايعك فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وعلىٰ مَ تبايعني؟ قال: علىٰ السمع والطاعة والقتال بين يديك حتىٰ

---

١ ـ البهت: الكذب والبهتان. [تاج العروس، ج ٣، ص ١٩، مادة «بهت»]

٢ ـ ذو قار: موضع قرب البصرة. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٦٤، مادة «قور»]

٣ ـ الإداوة ـ بالكسر ـ: المطهرة. [تاج العروس، ج ١٩، ص ١٤٥، مادة «أدو»]

أموت أويفتح الله عليك فقال له: ما اسمك؟ قال: أويس قال: أنت أويس القرني؟ قال: نعم قال: الله أكبر أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أني أدرك رجلاً من أمته يقال له أويس القرني يكون من حزب الله ورسوله يموت علىٰ الشهادة يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر[١]. قال ابن عباس فسري عني.

ومن ذلك قوله عليه السلام وقد رفع أهل الشام المصاحف وشك فريق من أصحابه ولجأوا إلىٰ المسالمة ودعوه إليها، ويلكم إنّ هذه خديعة وما يريد القوم القرآن لأنهم ليسوا بأهل قرآن فاتقوا الله وامضوا علىٰ بصائركم في قتالهم فإن لم تفعلوا تفرقت بكم السبل وندمتم حيث لا تنفعكم الندامة. فكان الأمر كما قال وكفر القوم بعد التحكيم وندموا علىٰ ما فرط منهم في الإجابة إليه وتفرقت بهم السبل وكان عاقبتهم الدمار[٢].

وقال عليه السلام وهو متوجه إلىٰ قتال الخوارج: لولا أنني أخاف أن تتكلوا وتتركوا العمل لأخبرتكم بما قضاه الله علىٰ لسان نبيه صلى الله عليه وآله فيمن قاتل هؤلاء القوم مستبصراً بضلالتهم وإنّ فيهم لرجلاً مودون اليد[٣] له كثدي المرأة هم شر الخلق والخليقة قاتلهم أقرب الخلق إلىٰ الله وسيلة ولم يكن المخدج[٤] معروفاً في

---

١ ـ مضر وربيعة: قبيلتان من بني نزار بن معد بن عدنان، يريد به كثرة ما يشفع فيه من الناس. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٤٨٢، مادة «مضر» ؛ لسان العرب، ج ٨، ص ١١٢، مادة «ربع»]

٢ ـ الدمار: الهلاك. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٠٣، مادة «دمر»]

٣ ـ في حديث ذي الثدية أنّه كان مودون اليد، وفي رواية: مؤدن اليد، أي ناقص اليد، أي صغيرها، يقال: ودنت الشيء وأودنته إذا أنقصته وصغرته، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ١٦٩، مادة «ودن»]

٤ ـ المخدج ـ بضمّ الميم وفتح الدال ـ: لقب حرقوص بن زهير؛ لأنه كان مخدج اليد أي ناقصها. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٩١، مادة «خدج»]

القوم فلما قتلوا جعل عليه السلام يطلبه في القتلىٰ ويقول: والله ما كذبت ولا كذبت حتىٰ وجد في القوم فشق قميصه فكان علىٰ كتفه سلعة[1] كثدي المرأة عليها شعرات إذا جذبت انجذب كتفه معها وإذا تركت رجع كتفه إلىٰ موضعه. فلما وجده كبر ثمّ قال: إنّ في هذا العبرة لمن استبصر.

فصل

وروىٰ أصحاب السيرة عن جندب بن عبد الله الأزدي قال: شهدت مع علي عليه السلام الجمل وصفين لا أشك في قتال من قاتله حتىٰ نزلنا النهروان فدخلني شك وقلت: قراؤنا وخيارنا نقتلهم؟! إنّ هذا الأمر عظيم. فخرجت غدوة أمشي ومعي إداوة ماء حتىٰ برزت عن الصفوف فركزت رمحي ووضعت ترسي إليه واستترت من الشمس فإني لجالس حتىٰ ورد علي أمير المؤمنين عليه السلام فقال لي: يا أخا الأزد أمعك طهور؟ قلت: نعم فناولته الإداوة فمضىٰ حتىٰ لم أره ثمّ أقبل وقد تطهر فجلس في ظل الترس فإذا فارس يسأل عنه فقلت: يا أمير المؤمنين هذا فارس يريدك قال: فأشر إليه فأشرت إليه فجاء فقال: يا أمير المؤمنين قد عبر القوم وقد قطعوا النهر فقال: كلا ما عبروا فقال: بلىٰ والله لقد فعلوا قال: كلا ما فعلوا قال: فإنه لكذلك إذ جاء آخر فقال: يا أمير المؤمنين قد عبر القوم قال: كلا ما عبروا قال: والله ما جئتك حتىٰ رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال، قال: والله ما فعلوا وإنه لمصرعهم ومهراق دمائهم[2] ثمّ نهض ونهضت معه.

---

١ ـ السِّلعة ـ بكسر السين ـ: زيادة في الجسد كالغدّة. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٤٦، مادة «سلع»]

٢ ـ مهراق الدماء: محلّ سفكها وإراقتها. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٧٠، مادة «سفك»]

فقلت في نفسي: الحمد لله الذي بصرني هذا الرجل وعرفني أمره هذا أحد رجلين إما رجل كذاب جريء أو علىٰ بينة من ربه وعهد من نبيه. اللهم إني أعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أول من يقاتله وأول من يطعن بالرمح في عينه وإن كانوا لم يعبروا أن أقيم علىٰ المناجزة[١] والقتال، فدفعنا إلىٰ الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال كما هي قال: فأخذ بقفاي ودفعني ثمّ قال: يا أخا الأزد أتبين لك الأمر؟ قلت: أجل يا أمير المؤمنين قال: فشأنك بعدوك فقتلت رجلاً ثمّ قتلت آخر ثمّ اختلفت أنا ورجل آخر أضربه ويضربني فوقعنا جميعاً فاحتملني أصحابي فأفقت حين أفقت[٢] وقد فرغ القوم.

وهذا حديث مشهور شائع بين نقلة الآثار وقد أخبر به الرجل عن نفسه في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وبعده فلم يدفعه عنه دافع ولا أنكر صدقه فيه منكر. وفيه إخبار بالغيب وإبانة عن علم الضمير ومعرفة ما في النفوس والآية باهرة فيه لا يعادلها إلّا ما ساواها في معناها من عظيم المعجز وجليل البرهان.

فصل[٣]

ومن ذلك ما تواترت به الروايات من نعيه عليه السلام نفسه قبل وفاته، والخبر عن الحادث في قتله وأنه يخرج من الدنيا شهيداً بضربة في رأسه يخضب دمها لحيته

---

١ ـ المناجزة: المقاتلة. [تاج العروس، ج ٨، ص ١٥٥، مادة «نجز»]

٢ ـ أفاق المريض والمجنون: إذا رجع إلى حالته الأولى من الصحة. [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢٧٨]

٣ ـ وقد مرّ بعض هذا الفصل في أوائل الكتاب.

فكان الأمر في ذلك كما قال.

فمن اللفظ الذي رواه الرواة في ذلك قوله عليه السلام: والله لتخضبن هذه من هذا ووضع يده على رأسه ولحيته.

وقوله عليه السلام: والله ليخضبنها من فوقها وأومأ إلى شيبته ما يحبس أشقاها؟!

وقوله عليه السلام: ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم؟

وقوله عليه السلام: أتاكم شهر رمضان وهو سيد الشهور وأول السنة وفيه تدور رحى السلطان ألا وإنكم حاجوا العام صفاً واحداً وآية ذلك أني لست فيكم. فكان أصحابه يقولون: إنه ينعى إلينا نفسه فضرب عليه السلام في ليلة تسع عشرة ومضى في ليلة إحدى وعشرين من ذلك الشهر.

ومنها ما رواه الثقات عنه أنه كان يفطر في هذا الشهر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند ابن عباس لا يزيد على ثلاث لقم فقال له أحد ولديه ـ الحسن أو الحسين عليهما السلام ـ في ذلك، فقال: يا بني يأتي أمر الله وأنا خميص إنما هي ليلة أوليلتان فأصيب من الليل.

ومنها ما رواه أصحاب الآثار أن الجعد بن بعجة ـ رجلاً من الخوارج ـ قال لأمير المؤمنين عليه السلام: اتق الله يا علي فإنك ميت فقال أمير المؤمنين: بل والله مقتول قتلاً ضربة على هذا وتخضب هذه ـ ووضع يده على رأسه ولحيته ـ عهد معهود وقد خاب من افترى.

وقوله عليه السلام في الليلة التي ضربه الشقي في آخرها وقد توجه إلى المسجد فصاح الإوز في وجهه فطردهن الناس عنه فقال: اتركوهن فإنهن نوائح.

فصل

ومن ذلك ما رواه الوليد بن الحارث وغيره عن رجالهم أن أمير المؤمنين عليه السلام لما بلغه ما صنعه بسر بن أرطاة باليمن قال: اللهم إنّ بسراً باع دينه بالدنيا فاسلبه عقله ولا تبق له من دينه ما يستوجب به عليك رحمتك.

فبقي بسر حتىٰ اختلط[1] وكان يدعو بالسيف فاتخذ له سيف من خشب فكان يضرب به حتىٰ يغشىٰ عليه فإذا أفاق[2] قال: السيف السيف فيدفع إليه فيضرب به فلم يزل ذلك دأبه حتىٰ مات.

ومن ذلك ما استفاض عنه عليه السلام من قوله: إنكم ستعرضون من بعدي علىٰ سبّي فسبّوني[3] فإنّ عرض عليكم البراءة مني فلا تبرؤوا مني فإني علىٰ الإسلام فمن عرض عليه البراءة مني فليمدد عنقه فإن تبرأ مني فلا دنيا له ولا آخرة. فكان الأمر في ذلك كما قال عليه السلام.

ومن ذلك ما رووه أيضاً عنه عليه السلام من قوله: أيها الناس إني دعوتكم إلىٰ

---

١ ـ اختلط الرجل: فسد عقله. [تاج العروس، ج ١٠، ص ٢٤٦، مادة «خلط»]

٢ ـ أفاق المريض والمجنون: إذا رجع إلى حالته الأولى من الصحة. [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢٧٨]

٣ ـ قيل: رخّص عليه السلام في سبّه عند الإكراه ولم يرخّص في البراءة منه؛ لأنّ السبّ فعل اللسان وهو أمر يمكن إيقاعه من غير اعتقاده مع احتماله التعريض ومع ما اشتمل عليه من حقن دماء المأمورين ونجاتهم بامتثال الأمر به، وأمّا التبرّؤ فليس بصفة قولية فقط، بل يعود إلى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض، وهو المنهي عنه ههنا. [انظر: الطراز الأول للسيد علي خان المدني، ج ١، ص ٢٩ و ٣٠]

الحق فتوليتم علي وضربتكم بالدرّة[١] فأعييتموني، أما إنه سيليكم بعدي ولاة لا يرضون منكم بهذا حتىٰ يعذبوكم بالسياط[٢] وبالحديد إنه من عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتىٰ يحل بين أظهركم فيأخذ العمال وعمال العمال، رجل يقال له يوسف بن عمر[٣]. فكان الأمر في ذلك كما قال عليه السلام.

ومن ذلك ما رواه العلماء أن جويرية بن مسهر وقف علىٰ باب القصر فقال: أين أمير المؤمنين؟ فقيل له: نائم فنادىٰ: أيها النائم استيقظ فو الذي نفسي بيده لتضربن ضربة علىٰ رأسك تخضب منها لحيتك كما أخبرتنا بذلك من قبل، فسمعه أمير المؤمنين عليه السلام فنادىٰ: أقبل يا جويرية حتىٰ أحدثك بحديثك فأقبل فقال: وأنت ـ والذي نفسي بيده ـ لتعتلن[٤] إلىٰ العتلّ[٥] الزنيم[٦] وليقطعن يدك ورجلك

---

١ ـ الدرّة: ما يضرب به. [تاج العروس، ج ٦، ص ٣٩٧، مادة «درر»]

٢ ـ السياط: جمع سوط. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٤٣٤، مادة «سوط»]

٣ ـ يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود، ابن عمّ الحجاج بن يوسف، يجمعه وإيّاه الحكم بن أبي عقيل، وكان يكنّى أبا عبد الله، ولي اليمن لهشام بن عبد الملك ثمّ ولّاه العراق ومحاسبته خالد بن عبد الله القسري وعمّاله فعذّبهم فمات [خالد] في عذابه، ومات بلال بن أبي بردة في عذابه، قاله ابن قتيبة الدينوري، [المعارف لابن قتيبة، ص ٣٩٨، ترجمة يوسف بن عمر].

وقال غيره: جاء كتاب هشام بخطّه إلى يوسف بولاية العراق وأن يأخذ خالد وعمّاله ويعذّبهم، وكانت ولايته العراق خمس عشرة سنة، وفي ولايته نزلت الذلّة بالعراق وصار الحكم فيه إلى أهل الذمّة. [انظر: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٩٦ و ٩٧]

٤ ـ عتله عتلاً: جذبه جذباً عنيفاً. [لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٦٢، مادة «عتل»]

٥ ـ العتلّ: الفظّ الغليظ الجافي. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤١٨، مادة «عتل»]

٦ ـ الزنيم: الدعيّ المستلحق في نسبه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣١٦،

ثمّ ليصلبنك تحت جذع كافر.

فمضىٰ علىٰ ذلك الدهر حتىٰ ولىٰ زياد في أيام معاوية فقطع يده ورجله ثمّ صلبه إلىٰ جذع ابن مكعبر وكان جذعاً طويلاً فكان تحته.

ومن ذلك ما رووه أن ميثم التمار كان عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام منها وأعتقه وقال له: ما اسمك؟ قال: سالم قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن اسمك الذي سماك به أبواك في العجم ميثم قال: صدق الله ورسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنه لاسمي قال: فارجع إلىٰ اسمك الذي سماك به رسول الله صلى الله عليه وآله ودع سالماً فرجع إلىٰ ميثم واكتنىٰ بأبي سالم.

فقال له علي عليه السلام ذات يوم: إنك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً فيخضب لحيتك فانتظر ذلك الخضاب وتصلب علىٰ باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة[1] وامض حتىٰ أريك النخلة التي تصلب علىٰ جذعها فأراه إياها.

فكان ميثم يأتيها فيصلي عندها ويقول بوركت من نخلة لك خلقت ولي غذّيت[2] ولم يزل يتعاهدها حتىٰ قطعت وحتىٰ عرف الموضع الذي يصلب عليها بالكوفة. قال: وكان يلقىٰ عمرو بن حريث فيقول له: إني مجاورك فأحسن جواري فيقول له عمرو: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم؟ وهو لا يعلم ما يريد.

مادة «زنم»]

١ ـ المطهرة: موضع يتطّهر فيه، يعني الأرض. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٣٤٢]

٢ ـ ولي غذّيت: أي ربّيت. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ١١، مادة «غذي»]

وحج في السنة التي قتل فيها فدخل علىٰ أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم قالت: والله لربما سمعت رسول الله ﷺ يوصي بك علياً في جوف الليل. فسألها عن الحسين قالت: هو في حائط له قال: أخبريه أني قد أحببت السلام عليه ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله. فدعت له بطيب فطيبت لحيته وقالت له: أما إنها ستخضب بدم.

فقدم الكوفة فأخذه عبيد الله بن زياد فأدخل عليه فقيل هذا كان من آثر الناس عند علي قال: ويحكم هذا الأعجمي؟! قيل له: نعم قال له عبيد الله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد[1] لكل ظالم وأنت أحد الظلمة قال: إنك علىٰ عجمتك لتبلغ الذي تريد. ما أخبرك صاحبك أني فاعل بك؟ قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة أنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة قال: لنخالفنه، قال: كيف تخالفه؟ فوالله ما أخبرني إلّا عن النبي ﷺ عن جبرئيل عن الله تعالىٰ فكيف تخالف هؤلاء؟! ولقد عرفت الموضع الذي أصلب عليه أين هو من الكوفة وأنا أول خلق الله ألجم في الإسلام، فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد فقال ميثم التمار للمختار: إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يقتلنا. فلما دعا عبيد الله بالمختار ليقتله طلع بريد[2] بكتاب يزيد إلىٰ عبيد الله يأمره بتخلية سبيله فخلاه وأمر بميثم أن يصلب فأخرج فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا يا

---

١ ـ المرصاد: الطريق، مفعال من رصده يرصده إذا راعى ما يكون منه ليقابله به، يعني أنه تعالى بمرصد مجازاة وانتصاف للمظلوم من الظالم، لم يقصد به المكان، وعن الصادق عليه السلام: المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة عبد. [منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ١٢٥]

٢ ـ البريد: مَن يحمل الكتاب من بلد إلى بلد. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ١١٥، مادة «برد»]

ميثم! فتبسم وقال وهو يومىء إلىٰ النخلة: لها خلقت ولي غذيت فلما رفع علىٰ الخشبة اجتمع الناس حوله علىٰ باب عمرو بن حريث قال عمرو: قد كان والله يقول إني مجاورك. فلما صلب أمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشه وتجميره فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد فقال: ألجموه فكان أول خلق الله ألجم في الإسلام. وكان مقتل ميثم ـ رحمة الله عليه ـ قبل قدوم الحسين بن علي عليه السلام العراق بعشرة أيام فلما كان يوم الثالث من صلبه طعن ميثم بالحربة فكبر ثمّ انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً.

وهذا من جملة الأخبار عن الغيوب المحفوظة عن أمير المؤمنين عليه السلام وذكره شائع والرواية به بين العلماء مستفيضة.

فصل

ومن ذلك ما رواه ابن عياش، عن مجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد إذ أتي برشيد الهجري فقال له زياد: ما قال لك صاحبك ـ يعني علياً عليه السلام ـ إنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني فقال زياد: أم والله لأكذبن حديثه، خلوا سبيله. فلما أراد أن يخرج قال زياد: والله ما نجد له شيئاً شراً مما قال صاحبه اقطعوا يديه ورجليه وأصلبوه فقال رشيد: هيهات قد بقي لي عندكم شيء أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام، فقال زياد: اقطعوا لسانه، فقال رشيد: الآن والله جاء تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا حديث قد نقله المؤالف والمخالف عن ثقاتهم عمن سميناه واشتهر أمره عند علماء الجميع وهو من جملة ما تقدم ذكره من المعجزات والأخبار عن الغيوب.

فصل

ومن ذلك ما رواه عبد العزيز بن صهيب، عن أبي العالية قال: حدثني مزرع بن عبد الله قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أم والله ليقبلن جيش حتىٰ إذا كان بالبيداء[١] خسف بهم[٢].

فقلت له: إنك لتحدثني بالغيب قال: احفظ ما أقول لك والله ليكونن ما خبرني به أمير المؤمنين عليه السلام وليؤخذن رجل فليقتلن وليصلبن بين شرفتين من شرف هذا المسجد قلت: إنك لتحدثني بالغيب قال: حدثني الثقة المأمون علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال أبو العالية: فما أتت علينا جمعه حتىٰ أخذ مزرع فقتل وصلب بين الشرفتين قال: وقد كان حدثني بثالثة فنسيتها.

فصل

ومن ذلك ما رواه جرير، عن المغيرة قال: لما ولي الحجاج طلب كميل بن زياد فهرب منه فحرم قومه عطاءهم فلما رأىٰ كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير قد نفد عمري لا ينبغي أن أحرم قومي عطياتهم فخرج فدفع بيده إلىٰ الحجاج فلما رآه

---

١ ـ البيداء: المفازة التي لا شيء فيها، وهي ههنا اسم موضع بين مكة والمدينة. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ١٨، مادة «بيد»]

٢ ـ خسف الله بفلان الأرض: غيّبه فيها، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٣٣]

قال له: لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً فقال له كميل: لا تصرف[١] علي أنيابك ولا تهدم[٢] علي فوالله ما بقي من عمري إلّا مثل كواسل[٣] الغبار فاقض ما أنت قاض فإنّ الموعد الله وبعد القتل الحساب ولقد خبرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنك قاتلي قال: فقال له الحجاج: الحجة عليك إذن فقال كميل: ذاك إن كان القضاء إليك قال: بلىٰ قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان اضربوا عنقه فضربت عنقه.

وهذا أيضاً خبر رواه نقلة العامة عن ثقاتهم وشاركهم في نقله الخاصة ومضمونه من باب ما ذكرناه من المعجزات والبراهين البينات.

فصل

ومن ذلك ما رواه أصحاب السيرة من طرق مختلفة أن الحجاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم: أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فأتقرب إلىٰ الله بدمه!! فقيل له: ما نعلم أحداً كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه فبعث في طلبه فأتي به فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم قال: أبو همدان؟ قال: نعم قال: مولىٰ علي بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي قال: ابرأ من دينه قال: فإذا برئت من دينه تدلني علىٰ دين غيره أفضل منه؟ فقال: إني قاتلك

---

١ ـ الصريف: صوت ناب البعير. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٢٥، مادة «صرف»]

٢ ـ تهدم عليه: توعده. [تاج العروس، ج ١٧، ص ٧٤٤، مادة «هدم»]

٣ ـ كذا في النسخ فليحرّر. [هكذا وردت في حاشية المخطوطة ص ١٧٥]

فاختر أي قتلة أحب إليك قال: قد صيرت ذلك إليك قال: ولِمَ؟ قال: لأنك لا تقتلني قتلة إلّا قتلتك مثلها ولقد خبرني أمير المؤمنين عليه السلام أن منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق قال: فأمر به فذبح.

وهذا أيضاً من الأخبار التي صحت عن أمير المؤمنين عليه السلام بالغيب وحصلت في باب المعجز القاهر والدليل الباهر والعلم الذي خص الله به حججه من أنبيائه ورسله وأوصيائه عليهم السلام وهو لاحق بما قدمناه.

فصل

ومن ذلك ما رواه الحسن بن محبوب، عن ثابت الثمالي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن سويد بن غفلة أن رجلاً جاء إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني مررت بوادي القرىٰ فرأيت خالد بن عرفطة قد مات بها فاستغفر له فقال أمير المؤمنين عليه السلام: مه إنه لم يمت ولا يموت حتىٰ يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن حماز[1] فقام رجل من تحت المنبر فقال: يا أمير المؤمنين والله إني لك شيعة وإني لك محب قال: ومن أنت؟ قال: أنا حبيب بن حماز قال: إياك أن تحملها ولتحملنها فتدخل بها من هذا الباب وأومأ بيده إلىٰ باب الفيل[2].

---

١ ـ حبيب بن حماز، ككتاب بالحاء المهملة ثم الزاي المعجمة. [تاج العروس، ج ٨، ص ٥٣، مادة «حمز»]

٢ ـ باب الفيل: أحد أبواب مسجد الكوفة، وكان تسمّى بباب الثعبان. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٤٤٥، مادة «فيل»]

فلما مضىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وقضىٰ الحسن بن علي من بعده وكان من أمر الحسين بن علي عليهما السلام ومن ظهوره ما كان بعث ابن زياد بعمر بن سعد إلىٰ الحسين بن علي عليهما السلام وجعل خالد بن عرفطة علىٰ مقدمته وحبيب بن حماز صاحب رايته فسار بها حتىٰ دخل المسجد من باب الفيل.

وهذا أيضاً خبر مستفيض لا يتناكره أهل العلم الرواة للآثار وهو منتشر في أهل الكوفة ظاهر في جماعتهم لا يتناكره منهم اثنان وهو من المعجز الذي ذكرناه.

فصل

ومن ذلك ما رواه زكريا بن يحيىٰ القطان، عن فضيل بن الزبير، عن أبي الحكم قال: سمعت مشيختنا وعلماءنا يقولون: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال في خطبته: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلّا نبأتكم بناعقها وسائقها إلىٰ يوم القيامة.

فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة[1] شعر فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: والله لقد حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله بما سألت عنه وإنّ علىٰ كل طاقة شعر في رأسك ملكاً يلعنك وعلىٰ كل طاقة شعر في لحيتك شيطاناً يستفزك[2] وإنّ في بيتك لسخلاً[3] يقتل ابن رسول الله وآية ذلك مصداق

١ ـ الطاقة: الفرد من الشيء. [انظر: تاج العروس، ج ١٣، ص ٣١٠، مادة «طوق»]

٢ ـ استفزّه: استخفّه واستزلّه. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٠، مادة «فزز»]

٣ ـ السخل: ولد الضأن والمعز، يقال له ذلك ساعة تضعه. [معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ١٤٥، مادة «سخل»]

ما خبرتك به ولولا أن الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرتك به ولكن آية ذلك ما نبأت به عن لعنتك وسخلك الملعون.

وكان ابنه في ذلك الوقت صبياً صغيراً يحبو[1] فلما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان تولىٰ قتله وكان الأمر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

فصل

ومن ذلك ما رواه إسماعيل بن صبيح، عن يحيىٰ بن المساور العابد، عن إسماعيل بن زياد قال: إن علياً عليه السلام قال للبراء بن عازب يوماً: يا براء يقتل ابني الحسين عليه السلام وأنت حي لا تنصره.

فلما قتل الحسين بن علي عليهما السلام كان البراء بن عازب يقول: صدق ـ والله ـ علي بن أبي طالب قتل الحسين ولم أنصره ثمّ يظهر الحسرة علىٰ ذلك والندم. وهذا أيضاً لاحق بما قدمنا ذكره من الإنباء بالغيوب والأعلام القاهرة للقلوب.

فصل

ومن ذلك ما رواه عثمان بن عيسىٰ العامري، عن جابر بن الحر، عن جويرية بن مسهر العبدي قال: لما توجهنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي

---

١ ـ حبا الصبي يحبو حبواً: مشى على إسته وأشرف بصدره إلى الأرض. [لسان العرب، ج ١٤، ص ١٦١، مادة «حبا»]

طالب عليه السلام إلىٰ صفين فبلغنا طفوف[1] كربلاء وقف عليه السلام ناحية من العسكر ثمّ نظر يميناً وشمالاً واستعبر ثمّ قال: هذا والله مناخ[2] ركابهم وموضع منيتهم فقيل له: يا أمير المؤمنين ما هذا الموضع؟ قال: هذا كربلاء يقتل فيه قوم يدخلون الجنة بغير حساب، ثمّ سار.

فكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتىٰ كان من أمر الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه بالطف ما كان فعرف حينئذ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما أنبأهم به.

وكان ذلك من علم الغيب والخبر بالكائن قبل كونه وهو المعجز الظاهر والعلم الباهر حسب ما ذكرناه.

والأخبار في هذا المعنىٰ يطول بها الشرح وفيما أثبتناه منها كفاية فيما قصدناه.

فصل آخر

ومن أعلامه عليه السلام الباهرة ما أبانه الله تعالىٰ به من القدرة وخصه به من القوة وخرق العادة بالأعجوبة فيه.

فمن ذلك ما جاءت به الآثار وتظاهرت به الأخبار واتفق عليه العلماء

---

١ ـ الطفوف: جمع طف، وهو ساحل البحر وجانب البرّ، ومنه حديث مقتل الحسين عليه السلام أنه يقتل بالطف، سمّي به لأنّه طرف البر مما يلي الفرات، وكانت تجري يومئذ قريباً منه، (نهاية). [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ١٢٩، مادة «طفف»]

٢ ـ المناخ: موضع الإناخة أي الإبراك. [المصباح المنير، ج ٢، ص ٦٢٩، مادة «نوخ»]

وسلم له المخالف والمؤالف من قصة خيبر وقلع أمير المؤمنين عليه السلام باب الحصن بيده ودحوه به[١] علىٰ الأرض وكان من الثقل بحيث لا يحمله أقل من خمسين رجلاً.

وقد ذكر ذلك عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما رواه عن مشيخته فقال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال: حدثنا إبراهيم بن حمزة قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن حرام، عن أبي عتيق عن ابني جابر، عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله دفع الراية إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام يوم خيبر بعد أن دعا له فجعل علي عليه السلام يسرع المسير وأصحابه يقولون له: ارفق حتىٰ انتهىٰ إلىٰ الحصن فاجتذب بابه فألقاه بالأرض ثمّ اجتمع عليه منا سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب.

وهذا مما خصه الله تعالىٰ به من القوة وخرق به العادة وجعله علماً معجزاً كما قدمناه.

فصل

ومن ذلك ما رواه أهل السيرة واشتهر الخبر به عند العامة والخاصة حتىٰ نظمته الشعراء وخطبت به البلغاء ورواه الفقهاء والعلماء من حديث الراهب بأرض كربلاء والصخرة وشهرته تغني عن تكلف إيراد الإسناد له. وذلك أن الجماعة روت أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لما توجه إلىٰ صفين لحق أصحابه عطش شديد ونفد ما كان معهم من الماء فأخذوا يميناً وشمالاً يلتمسون الماء فلم

---

١ ـ دحى به: رماه. [لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٥٢، مادة «دحا»]

يجدوا له أثراً فعدل بهم أمير المؤمنين عن الجادة وسار قليلاً فلاح[١] لهم دير في وسط البرية فسار بهم نحوه حتىٰ إذا صار في فنائه[٢] أمر من نادىٰ ساكنه بالاطلاع إليهم فنادوه فاطلع فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هل قرب قائمك هذا ماء يتغوّث[٣] به هؤلاء القوم؟ فقال: هيهات بيني وبين الماء أكثر من فرسخين وما بالقرب مني شيء من الماء ولولا أنني أوتىٰ بماء يكفيني كل شهر علىٰ التقتير[٤] لتلفت عطشاً.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أسمعتم ما قال الراهب؟ قالوا: نعم أفتأمرنا بالمسير إلىٰ حيث أومأ إليه لعلنا ندرك الماء وبنا قوة؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا حاجة بكم إلىٰ ذلك ولوىٰ عنق بغلته[٥] نحو القبلة وأشار لهم إلىٰ مكان يقرب من الدير فقال: اكشفوا الأرض في هذا المكان فعدل جماعة منهم إلىٰ الموضع فكشفوه بالمساحي فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع فقالوا: يا أمير المؤمنين هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي فقال لهم: إنّ هذه الصخرة علىٰ الماء فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء، فاجتهدوا في قلبها فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلىٰ ذلك سبيلاً واستصعبت عليهم فلما رآهم عليه السلام قد اجتمعوا وبذلوا الجهد في قلع الصخرة فاستصعبت عليهم لوىٰ عليه السلام رجله عن سرجه حتىٰ صار علىٰ الأرض ثمّ حسر عن ذراعيه[٦] ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحركها ثمّ قلعها بيده

---

١ ـ لاح الشيء: ظهر. [تاج العروس، ج ٤، ص ١٩٦، مادة «لوح»]

٢ ـ فناء الدار: ما اتّسع من أمامه. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٥٩، مادة «فني»]

٣ ـ يتغوّث به: أي يستقي. [انظر: مجمع البحرين، ج ٢، ص ٢٦٠، مادة «غوث»]

٤ ـ التقتير: التضييق في المعاش. [تاج العروس، ج ٧، ص ٣٦٦، مادة «قتر»]

٥ ـ لوى عنق فرسه: عطَفَه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٧٩، مادة «لوا»]

٦ ـ حسر كمّه عن ذراعيه: كشفه. [تاج العروس، ج ٦، ص ٢٧٣، مادة «حسر»]

ودحىٰ بها أذرعاً كثيرة فلما زالت عن مكانها ظهر لهم بياض الماء فتبادروا إليه فشربوا منه، فكان أعذب ماء شربوا منه في سفرهم وأبرده وأصفاه فقال لهم: تزودوا وارتووا ففعلوا ذلك.

ثمّ جاء إلىٰ الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت وأمر أن يعفىٰ أثرها بالتراب والراهب ينظر من فوق ديره فلما استوفىٰ علم ما جرىٰ نادىٰ: يا معشر الناس أنزلوني أنزلوني فاحتالوا في إنزاله فوقف بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا هذا أنت نبي مرسل؟ قال: لا قال: فملك مقرب؟ قال: لا قال: فمن أنت؟ قال: أنا وصي رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين قال: ابسط يدك أسلم لله تبارك وتعالىٰ علىٰ يدك، فبسط أمير المؤمنين عليه السلام يده وقال له: اشهد الشهادتين فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأشهد أنك وصي رسول الله وأحق الناس بالأمر من بعده فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام عليه شرائط الإسلام ثمّ قال له: ما الذي دعاك الآن إلىٰ الإسلام بعد طول مقامك في هذا الدير علىٰ الخلاف؟ فقال: أخبرك يا أمير المؤمنين أن هذا الدير بني علىٰ طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها وقد مضىٰ عالم قبلي لم يدركوا ذلك وقد رزقنيه الله عزّ وجلّ وإنا نجد في كتاب من كتبنا ونأثر عن علمائنا أن في هذا الصقع(١) عيناً عليها صخرة لا يعرف مكانها إلّا نبي أو وصي نبي وأنه لابد من ولي لله يدعو إلىٰ الحق، آيته معرفة مكان هذه الصخرة وقدرته علىٰ قلعها وإني لما رأيتك قد فعلت ذلك تحققت ما كنا ننتظره وبلغت الأمنية منه فأنا اليوم مسلم علىٰ يدك ومؤمن بحقك ومولاك.

فلما سمع ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بكىٰ حتىٰ اخضلّت(٢) لحيته من الدموع

---

١ ـ الصقع: الناحية. [تاج العروس، ج ١١، ص ٢٧٤، مادة «صقع»]

٢ ـ اخضلّت: أي ابتلّت. [مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٦٣، مادة «خضل»]

ثمّ قال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً الحمد لله الذي كنت في كتبه مذكوراً، ثمّ دعا الناس فقال لهم: اسمعوا ما يقول أخوكم هذا المسلم فسمعوا مقالته وكثر حمدهم لله وشكرهم علىٰ النعمة التي أنعم الله بها عليهم في معرفتهم بحق أمير المؤمنين عليه السلام.

ثمّ سار عليه السلام والراهب بين يديه في جملة أصحابه حتىٰ لقي أهل الشام وكان الراهب من جملة من استشهد معه فتولىٰ عليه السلام الصلاة عليه ودفنه وأكثر من الاستغفار له وكان إذا ذكره يقول ذاك مولاي.

وفي هذا الخبر ضروب من المعجز أحدها علم الغيب والثاني القوة التي خرق العادة بها وتميز بخصوصيتها من الأنام مع ما فيه من ثبوت البشارة به في كتب الله الأولىٰ وذلك مصداق قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾[1]. وفي ذلك يقول إسماعيل بن محمد الحميري في قصيدته البائية المذهبة:

ولقد سرىٰ[2] فيما يسير بليلة ... بعد العشاء بكربلاء في موكب

حتىٰ أتىٰ متبتلاً[3] في قائم ... ألقىٰ قواعده[4] بقاع[5] مجدب[6]

---

١ ـ [سورة الفتح، الآية ٢٩.]

٢ ـ السرى: سير الليل كلّه. [لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٨١، مادة «سرا»]

٣ ـ وأراد بالمتبتّل: الراهب، والقائم صومعته. [بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٤]

٤ ـ القواعد: جمع قاعدة، وهي أساس الجدران وكل ما يبنى. [الطراز الأول للسيد علي خان المدني، ج ٦، ص ١٨٧]

٥ ـ القاع: المستوي من الأرض. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٣٨٥، مادة «قوع»]

٦ ـ المجدب: ما لم تمطر. [الطراز الأول للسيد علي خان المدني، ج ١، ص ٣٤٣، مادة

يأتيه ليس بحيث يلفي[١] عامراً[٢]	غير الوحوش وغير أصلع أشيب[٣]
فدنا فصاح به فأشرف ماثلاً[٤]	كالنسر فوق شظية[٥] من مرقب[٦]
هل قرب قائمك الذي بوئته	ماء يصاب فقال ما من مشرب
إلا بغاية فرسخين ومن لنا	بالماء بين نقاً[٧] وقي[٨] سبسب[٩]
فثنى الأعنة نحو وعث[١٠] فاجتلى	ملساء[١١] تلمع[١٢] كاللجين المذهب[١٣]
قال اقلبوها إنكم إن تقلبوا	ترووا ولا تروون إن لم تقلب
فاعصوصبوا[١٤] في قلبها فتمنعت	عنهم تمنع صعبة لم تركب

«جدب»]

١ ـ [في المخطوطة: يلقى].

٢ ـ عامراً: يعني مقيماً يعمره. [تاج العروس، ج ٧، ص ٢٦٠، مادة «عمر»]

٣ ـ الأشيب: مَن ابيضّ شعره، يريد الراهب. [بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١١٢]

٤ ـ ماثلاً: أي منتصباً قائماً. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٩٥، مادة «مثل»]

٥ ـ الشظية: قطعة من الجبل مفردة. [لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٣٥، مادة «شظي»]

٦ ـ المرقب: المكان العالي. [معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٤٢٧، مادة «رقب»]

٧ ـ النقى ـ بالقصر ـ: قطعة من الرمل تنقاد محدودبة. [بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٦]

٨ ـ القيّ: الصحراء الواسعة. [بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٦]

٩ ـ السبسب: القفر. [بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٦]

١٠ ـ الوعث: الرمل الذي لا يسلك فيه. [بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٦]

١١ ـ معنى اجتلى ملساء: نظر إلى صخرة ملساء فتجلت لعينه. [بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٦]

١٢ ـ وتبرق: أي تلمع. [بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٦]

١٣ ـ ووصف اللجين بالمذهب لأنّه أشد لبريقه ولمعانه. [بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٦]

١٤ ـ ومعنى اعصوصبوا: اجتمعوا حتى صاروا عصبة واحدة. [بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٦]

حتىٰ إذا أعييتهم أهوىٰ لها[١] كفاً متىٰ ترد المغالب تغلب
فكأنها كرة[٢] بكف حزور[٣] عبل[٤] الذراع دحىٰ بها في ملعب
فسقاهم من تحتها متسلسلاً[٥] عذباً يزيد علىٰ الألذ الأعذب
حتىٰ إذا شربوا جميعاً ردها ومضىٰ فخلت مكانها لم يقرب
أعني ابن فاطمة الوصي ومن يقل في فضله وفعاله لا يكذب

وزاد فيها ابن ميمون قوله:

وأبان راهبها سريرة معجز فيها وآمن بالوصي المنجب
ومضىٰ شهيداً صادقاً في نصره أكرم به من راهب مترهب
رجلاً كلا طرفيه من سام وما حام له باب ولا بأبي أب
من لا يفر ولا يرىٰ في معرك إلّا وصارمه الخضيب المضرب[٦]

١ ـ ومعنى [أ]هوى لها: مدّ إليها. [بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٦]

٢ ـ والكرة: التي يلعب بها الصبيان مع الصولجان. [مجمع البحرين، ج ١، ص ٣٥٨، مادة «كرا»]

٣ ـ الحَزور: الغلام المترعرع أي الشديد القوي. [لسان العرب، ج ٤، ص ١٨٧، مادة «حزر»]

٤ ـ العبل: الغليظ الممتلىء. [تاج العروس، ج ١٥، ص ٤٥٨، مادة «عبل»]

٥ ـ المتسلسل: الماء السلس في الحلق. [سفينة البحار، ج ٨، ص ١٤٩]

٦ ـ المضرب: مجرور بإضافة الصفة إليه من باب الحسن الوجه، والمضرب ـ بفتح الراء وكسرها ـ من السيف حدّه. [لسان العرب، ج ١، ص ٥٤٤، مادة «ضرب»]

فصل

ومن ذلك ما تظاهر به الخبر من بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله له إلىٰ وادي الجن وقد أخبره جبرئيل عليه السلام بأن طوائف منهم قد اجتمعوا لكيده فأغنىٰ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكفىٰ الله المؤمنين به كيدهم ودفعهم عن المسلمين بقوته التي بان بها من جماعتهم.

فروىٰ محمد بن أبي السري التميمي، عن أحمد بن الفرج، عن الحسن بن موسىٰ النهدي، عن أبيه، عن وبرة بن الحارث، عن ابن عباس ـ رحمة الله عليه ـ قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ بني المصطلق جنب عن الطريق فأدركه الليل فنزل بقرب واد وعر[1] فلما كان في آخر الليل هبط عليه جبرئيل عليه السلام يخبره أن طائفة من كفار الجن قد استبطنوا الوادي يريدون كيده وإيقاع الشر بأصحابه عند سلوكهم إياه، فدعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: اذهب إلىٰ هذا الوادي فسيعرض لك من أعداء الله الجن من يريدك فادفعه بالقوة التي أعطاك الله عزّ وجلّ وتحصن منه بأسماء الله التي خصك بعلمها وأنفذ معه مائة رجل من أخلاط الناس[2] وقال لهم: كونوا معه وامتثلوا أمره.

فتوجه أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ الوادي فلما قارب شفيره[3] أمر المائة الذين صحبوه أن يقفوا بقرب الشفير ولا يحدثوا شيئاً حتىٰ يأذن لهم. ثمّ تقدم فوقف علىٰ

---

١ ـ الوعر: ضدّ السهل. [تاج العروس، ج ٧، ص ٥٩٢، مادة «وعر»]

٢ ـ أخلاط الناس: أوباشهم المختلطون. [بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٠١]

٣ ـ شفير الوادي: ناحية من جانبه الأعلىٰ. [لسان العرب، ج ٤، ص ٤١٩، مادة «شفر»]

شفير الوادي وتعوذ بالله من أعدائه وسمىٰ الله عزّ وجلّ وأومأ إلىٰ القوم الذين اتبعوه أن يقربوا منه فقربوا فكان بينهم وبينه فرجة مسافتها غلوة ثم رام الهبوط إلىٰ الوادي فاعترضته ريح عاصف كاد أن يقع القوم علىٰ وجوههم لشدتها ولم تثبت أقدامهم علىٰ الأرض من هول ما لحقهم. فصاح أمير المؤمنين: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وصي رسول الله وابن عمه اثبتوا إن شئتم فظهر للقوم أشخاص علىٰ صورة الزط[١] تخيل في أيديهم شعل النار قد اطمأنوا بجنبات الوادي فتوغّل[٢] أمير المؤمنين عليه السلام بطن الوادي وهو يتلو القرآن ويومىء بسيفه يميناً وشمالاً فما لبثت الأشخاص حتىٰ صارت كالدخان الأسود وكبر أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ صعد من حيث انهبط فقام مع القوم الذين اتبعوه حتىٰ أسفر[٣] الموضع عما اعتراه.

فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما لقيت يا أبا الحسن؟ فلقد كدنا أن نهلك خوفا وإشفاقنا عليك أكثر مما لحقنا فقال لهم عليه السلام: إنه لما تراءىٰ لي العدوجهرت فيهم بأسماء الله عزّ وجلّ فتضاءلوا[٤] وعلمت ما حل بهم من الجزع فتوغلت الوادي غير خائف منهم ولو بقوا علىٰ هيئاتهم لأتيت علىٰ آخرهم وقد كفىٰ الله كيدهم وكفىٰ المسلمين شرهم وسيسبقني بقيتهم إلىٰ النبي عليه وآله السلام فيؤمنون به.

---

١ ـ الزط: الجيل المعروف من الهند، الواحد زطي. [مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٥٠، مادة «زطط»]

٢ ـ توغّل: دخل مستعجلاً. [لسان العرب، ج ١١، ص ٧٣٣، مادة «وغل»]

٣ ـ أسفر: أي خلى وانكشف. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣٧٢، مادة «سفر»]

٤ ـ تضاءل: أي تصاغر. [تاج العروس، ج ١٥، ص ٤١٨، مادة «ضأل»]

وانصرف أمير المؤمنين بمن تبعه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر فسري عنه[١] ودعا له بخير وقال له: قد سبقك يا علي إليّ من أخافه الله بك فأسلم وقبلت إسلامه ثمّ ارتحل بجماعة المسلمين حتىٰ قطعوا الوادي آمنين غير خائفين.

وهذا الحديث قد روته العامة كما روته الخاصة ولم يتناكروا شيئاً منه.

والمعتزلة لميلها إلىٰ مذهب البراهمة تدفعه ولبعدها عن معرفة الأخبار تنكره وهي سالكة في ذلك طريق الزنادقة فيما طعنت به في القرآن وما تضمنه من أخبار الجن وإيمانهم بالله ورسوله عليه وآله السلام وما قص الله تعالىٰ من نبإهم في القرآن في سورة الجن وقولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ إلىٰ آخر ما تضمنه الخبر عنهم في هذه السورة.

وإذا بطل اعتراض الزنادقة في ذلك بتجويز العقول وجود الجن وإمكان تكليفهم وثبوت ذلك مع إعجاز القرآن والأعجوبة الباهرة فيه كان مثل ذلك ظهور بطلان طعون المعتزلة في الخبر الذي رويناه لعدم استحالة مضمونه في العقول. وفي مجيئه من طريقين مختلفين وبرواية فريقين في دلالته متباينين برهان صحته وليس في إنكار من عدل عن الإنصاف في النظر ـ من المعتزلة والمجبّرة[٢] ـ قدح فيما ذكرناه من وجوب العمل عليه.

كما أنه ليس في جحد الملحدة وأصناف الزنادقة واليهود والنصارىٰ والمجوس والصابئين[٣] ما جاء مجيئه من الأخبار بمعجزات النبي صلى الله عليه وآله ـ

---

١ ـ سرى الهم عنه: انكشف. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٥٢١، مادة «سرو»]

٢ ـ المجبّرة: هم الأشاعرة، وهم الذين قالوا: ليس لنا صنع، وإنما نحن مجبرون. [مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٤١، مادة «جبر»]

٣ ـ الصابئون: قوم من الكفار صبأوا: أي عدلوا عن اليهودية والنصرانية. [مجمع البحرين، ج ١،

كانشقاق القمر وحنين الجذع وتسبيح الحصىٰ وشكوىٰ البعير وكلام الذراع ومجيء الشجرة وخروج الماء من بين أصابعه في الميضاة وإطعام الخلق الكثير من الطعام القليل ـ قدح في صحتها وصدق رواتها وثبوت الحجة بها بل الشبهة لهم في دفع ذلك وإن ضعفت أقوىٰ من شبهة منكري معجزات أمير المؤمنين عليه السلام وبراهينه لما لا خفاء علىٰ أهل الاعتبار به مما لا حاجة بنا إلىٰ شرح وجوهه في هذا المكان.

وإذا ثبت تخصص أمير المؤمنين عليه السلام من القوم بما وصفناه وبينونته من الكافة في العلم بما شرحناه وضح القول في الحكم له بالتقدم علىٰ الجماعة في مقام الإمامة واستحقاقه السبق لهم إلىٰ محل الرئاسة بما تضمنه الذكر الحكيم من قصة داود عليه السلام وطالوت حيث يقول الله عز اسمه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] فجعل الله تعالىٰ الحجة لطالوت في تقدمه علىٰ الجماعة من قومه ما جعله لوليه وأخي نبيه عليهما السلام في التقدم علىٰ كافة الأمة من اصطفائه عليهم وزيادته في العلم والجسم بسطة، وأكد ذلك بمثل ما تأكد به الحكم لأمير المؤمنين عليه السلام من المعجز الباهر المضاف إلىٰ البينونة من القوم بزيادة البسطة في العلم والجسم فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ

ص ٢٥٩، مادة «صبا»]

١ ـ [سورة البقرة، الآية ٢٤٧].

مُوسىٰ وَآلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١] فكان خرق العادة لأمير المؤمنين عليه السلام بما عددناه ـ من علم الغيوب وغير ذلك ـ كخرق العادة لطالوت بحمل التابوت سواء وهذا بين والله ولي التوفيق.

ولا أزال أجد الجاهل من الناصبة والمعاند يظهر العجب من الخبر بملاقاة أمير المؤمنين عليه السلام الجن وكفه شرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ويتضاحك لذلك وينسب الرواية له إلىٰ الخرافات الباطلة ويصنع مثل ذلك في الأخبار الواردة بسوىٰ ذلك من معجزاته عليه السلام ويقول: إنها من موضوعات الشيعة وتخرص من افتراه منهم للتكسب بذلك أو التعصب وهذا بعينه مقال الزنادقة وكافة أعداء الإسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجن وإسلامهم وقولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ﴾[٢].

وفيما ثبت به الخبر عن ابن مسعود في قصته ليلة الجن ومشاهدته لهم كالزط وفي غير ذلك من معجزات الرسول صلى الله عليه وآله فإنهم يظهرون العجب من جميع ذلك ويتضاحكون عند سماع الخبر به والاحتجاج بصحته ويستهزءون ويلغطون[٣] فيما يسرفون به من سب الإسلام وأهله واستحماق معتقديه والناصرين له ونسبتهم إياهم إلىٰ العجز والجهل ووضع الأباطيل فلينظر القوم ما جنوه علىٰ الإسلام بعداوتهم أمير المؤمنين عليه السلام واعتمادهم في دفع فضائله ومناقبه وآياته علىٰ ما ضاهوا[٤] به أصناف الزنادقة والكفار مما يخرج عن

---

١ ـ [سورة البقرة، الآية ٢٤٨].

٢ ـ [سورة الجن، الآيتان ١ و ٢].

٣ ـ لغط في الكلام: أي قال ما لا يفهم من معنى. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٢٥٧، مادة «لغط»]

٤ ـ ضاهاه: شاكله. [تاج العروس، ج ١٩، ص ٦٢٧، مادة «ضهي»]

طريق الحجاج إلىٰ أبواب الشغب[1] والمسافهات وبالله نستعين.

فصل

ومما أظهره الله تعالىٰ من الأعلام الباهرة علىٰ يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما استفاضت به الأخبار ورواه علماء السيرة والآثار ونظمت فيه الشعراء الأشعار رجوع الشمس له عليه السلام مرتين في حياة النبي صلى الله عليه وآله مرة وبعد وفاته مرة أخرىٰ.

وكان من حديث رجوعها عليه في المرة الأولىٰ ما روته أسماء بنت عميس وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري في جماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم في منزله وعلي عليه السلام بين يديه إذ جاءه جبرئيل عليه السلام يناجيه عن الله سبحانه، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام فلم يرفع رأسه عنه حتىٰ غابت الشمس فاضطر أمير المؤمنين عليه السلام لذلك إلىٰ صلاة العصر جالساً يومىء بركوعه وسجوده إيماء فلما أفاق من غشيته قال لأمير المؤمنين عليه السلام: أفاتتك صلاة العصر؟ قال له: لم أستطع أن أصليها قائماً لمكانك يا رسول الله والحال التي كنت عليها في استماع الوحي فقال له: ادع الله ليرد عليك الشمس حتىٰ تصليها قائماً في وقتها كما فاتتك فإنّ الله يجيبك لطاعتك لله ورسوله، فسأل أمير المؤمنين الله عز اسمه في رد الشمس فردت عليه حتىٰ صارت في موضعها من السماء وقت العصر فصلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام صلاة العصر في وقتها ثمّ غربت. فقالت أسماء: أم والله لقد سمعنا لها عند غروبها صريراً كصرير

---

١ ـ الشغب: تهيّج الشرّ. [مجمع البحرين، ج ٢، ص ٩١، مادة «شغب»]

المنشار[١] في الخشب.

وكان رجوعها عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل[٢] اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم وصلىٰ عليه السلام بنفسه في طائفة معه العصر فلم يفرغ الناس من عبورهم حتىٰ غربت الشمس ففاتت الصلاة كثيراً منهم وفات الجمهور فضل الاجتماع معه فتكلموا في ذلك. فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالىٰ رد الشمس عليه ليجتمع كافة أصحابه علىٰ صلاة العصر في وقتها فأجابه الله تعالىٰ إلىٰ ردها عليه فكانت في الأفق علىٰ الحال التي تكون عليها وقت العصر، فلما سلم بالقوم غابت فسمع لها وجيب[٣] شديد هال الناس ذلك وأكثروا من التسبيح والتهليل والاستغفار، والحمد لله علىٰ نعمته التي ظهرت فيهم.

وسار خبر ذلك في الآفاق وانتشر ذكره في الناس وفي ذلك يقول السيد بن محمد الحميري رحمه الله:

ردت عليه الشمس لما فاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

حتىٰ تبلّج نورها[٤] في وقتها للعصر ثمّ هوت[٥] هوي الكوكب

---

١ ـ المنشار: ما ينشر به الخشبة، أي تقطع، وصريره: صوته. [القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٤٢؛ تاج العروس، ج ٧، ص ٨٩، مادة «صرر»]

٢ ـ بابل ـ كصاحب ـ: موضع بالعراق، (قاموس). [القاموس المحيط، ج ٣، ص ٣٣٢]

٣ ـ الوجيب: هدّة سقوط الشيء. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ١٥٤، مادة «وجب»]

٤ ـ تبلّج النور: أي أضاء. [تاج العروس، ج ٣، ص ٢٩٨، مادة «بلج»]

٥ ـ هوى: سقط. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٣٤٦، مادة «هوي»]

وعـــليه قـــد ردت بـــبابل مـــرة أخرىٰ وما ردت لخلق معرب[1]
إلّا ليـــــوشع أو له مـــن بـــعده ولردهـــا تـــأويل أمـــر مـــعجب

فصل

ومن ذلك ما رواه نقلة الأخبار واشتهر في أهل الكوفة لاستفاضته بـينهم وانتشر الخبر به إلىٰ من عداهم من أهل البلاد فأثبته العلماء من كلام الحيتان له في فرات الكوفة.

وذلك أنهم رووا أن الماء طغىٰ في الفرات وزاد حتىٰ أشفق أهل الكوفة من الغرق ففزعوا إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وخرج والناس معه حتىٰ أتىٰ شاطىء الفرات فنزل عليه وأسبغ الوضوء وصلىٰ منفرداً بـنفسه والناس يرونه ثمّ دعا الله بدعوات سمعها أكثرهم، ثمّ تقدم إلىٰ الفرات متوكئاً علىٰ قضيب بيده حتىٰ ضرب به صفحة الماء وقال: انقص بإذن الله ومشيئته فغاض الماء حتىٰ بدت الحيتان من قعر البحر فنطق كثير منها بالسلام عليه بإمرة المؤمنين، ولم ينطق منها أصناف من السموك وهي الجري والزمار والمارماهي.

فتعجب الناس لذلك وسألوه عن علة نطق ما نطق وصموت ما صمت فقال: أنطق الله لي ما طهر من السموك وأصمت عني ما حرمه ونجسه وبعده.

وهذا خبر مستفيض شهرته بالنقل والرواية كشهرة كلام الذئب للنبي صلى الله عليه وآله

---

١ ـ لخلق معرب: أي ناطق مفصح بحجته، هكذا قال السيد المرتضى رحمه الله تعالى وأعلى درجته. [أمالي المرتضى، ج ٢، ص ٣٤٣]

وتسبيح الحصىٰ بكفه وحنين الجذع إليه وإطعامه الخلق الكثير من الطعام القليل، ومن رام طعناً فيه فهو لا يجد من الشبهة في ذلك إلّا ما يتعلق به الطاعنون فيما عددناه من معجزات النبي صلى الله عليه وآله.

فصل ٧

وقد روىٰ حملة الأخبار أيضاً من حديث الثعبان والآية فيه والأعجوبة مثل ما رووه من حديث كلام الحيتان ونقصان ماء الفرات .

فرووا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم يخطب علىٰ منبر الكوفة إذ ظهر ثعبان من جانب المنبر فجعل يرقىٰ حتىٰ دنا من أمير المؤمنين عليه السلام فارتاع الناس لذلك وهموا بقصده ودفعه عن أمير المؤمنين فأومأ إليهم بالكف عنه، فلما صار علىٰ المرقاة التي عليها أمير المؤمنين قائم انحنىٰ إلىٰ الثعبان وتطاول الثعبان إليه حتىٰ التقم أذنه وسكت الناس وتحيروا لذلك، فنقّ نقيقاً[1] سمعه كثير منهم، ثمّ إنه زال عن مكانه وأمير المؤمنين عليه السلام يحرك شفتيه والثعبان كالمصغي إليه ثمّ انساب[2] فكأن الأرض ابتلعته وعاد أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ خطبته فتممها.

فلما فرغ منها ونزل اجتمع إليه الناس يسألونه عن حال الثعبان والأعجوبة فيه فقال لهم: ليس ذلك كما ظننتم وإنما هو حاكم من حكام الجن التبست عليه قضية فصار إلي يستفهمني عنها فأفهمته إياها ودعا لي بخير وانصرف.

١ ـ نقّ الضفدع ينقّ نقيقاً: صاحَ. [تاج العروس، ج ١٣، ص ٤٦٦، مادة «نقق»]

٢ ـ انسابت الحيّة: جرت، وفلان مشى مسرعاً. [بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٦٩ ؛ اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٣١٠]

فصل

وربما استبعد جهال من الناس ظهور الجن في صور الحيوان الذي ليس بناطق وذلك معروف عند العرب قبل البعثة وبعدها، وقد تناصرت به أخبار أهل الإسلام وليس ذلك بأبعد مما أجمع عليه أهل القبلة من ظهور إبليس لأهل دار الندوة[١] في صورة شيخ من أهل نجد واجتماعه معهم في الرأي على المكر برسول الله صلى الله عليه وآله، وظهوره يوم بدر للمشركين في صورة سراقة بن جعشم المدلجي وقوله: ﴿لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّاسِ وإِنِّي جارٌ لَكُمْ﴾ قال الله عز وجل: ﴿فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلىٰ عَقِبَيْهِ وقالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرىٰ ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللّٰهَ واللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾[٢].

وكل من رام الطعن فيما ذكرناه من هذه الآيات فإنما يعول في ذلك علىٰ الملحدة وأصناف الكفار من مخالفي الملة ويطعن فيها بمثل ما طعنوا به في آيات النبي صلى الله عليه وآله، وكلهم راجع إلىٰ طعون البراهمة والزنادقة في آيات الرسل عليهم السلام، والحجة عليهم ثبوت النبوة وصحة المعجز لرسل الله صلىٰ الله عليهم وسلم.

---

١ ـ الندوة: الجماعة، ودار الندوة بمكة معروف اجتمعت فيها قريش ليكيدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقصّتها مشهورة. [تاج العروس، ج ٢٠، ص ٢٣١، مادة «ندا»]

٢ ـ [سورة الأنفال، الآية ٤٨].

فصل

ومن ذلك ما رواه عبد القاهر بن عبد الملك بن عطاء الأشجعي، عن الوليد بن عمران البجلي عن جميع بن عمير قال: اتهم علي عليه السلام رجلاً يقال له العيزار برفع أخباره إلىٰ معاوية فأنكر ذلك وجحده فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أتحلف بالله يا هذا أنك ما فعلت ذلك؟ قال: نعم وبدر فحلف فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت كاذباً فأعمىٰ الله بصرك. فما دارت الجمعة حتىٰ أخرج أعمىٰ يقاد قد أذهب الله بصره.

فصل

ومن ذلك ما رواه إسماعيل بن عمرو قال: حدثنا مسعر بن كدام قال: حدثنا طلحة بن عميرة قال: نشد علي عليه السلام الناس في قول النبي صلى الله عليه وآله: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أنس قال: لبيك قال: ما يمنعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا؟ فقال: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهم إن كان كاذباً فاضربه ببياض ـ أو بوضح[1] ـ لا تواريه العمامة، قال طلحة بن عميرة: فأشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين عينيه.

---

١ ـ الوضح: البَرَص. [لسان العرب، ج ٢، ص ٦٣٤، مادة «وضح»]

فصل

ومن ذلك ما رواه أبو إسرائيل، عن الحكم، عن أبي سلمان المؤذن، عن زيد بن أرقم قال: نشد علي الناس في المسجد فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «**من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**»، فقام اثنا عشر بدرياً ستة من الجانب الأيمن وستة من الجانب الأيسر فشهدوا بذلك. قال زيد بن أرقم: وكنت أنا فيمن سمع ذلك فكتمته فذهب الله ببصري وكان يتندم علىٰ ما فاته من الشهادة ويستغفر الله.

فصل

ومن ذلك ما رواه علي بن مسهر، عن الأعمش، عن موسىٰ بن طريف، عن عباية وموسىٰ بن أكيل النميري، عن عمران بن ميثم، عن عباية وموسىٰ الوجيهي، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث. وعثمان بن سعيد، عن عبد الله بن بكير، عن حكيم بن جبير قالوا: شهدنا علياً أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ المنبر يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله ورثت نبي الرحمة ونكحت سيدة نساء أهل الجنة وأنا سيد الوصيين وآخر أوصياء النبيين لا يدعي ذلك غيري إلّا أصابه الله بسوء.

فقال رجل من عبس[1] كان جالساً بين القوم: من لا يحسن[2] أن يقول

---

١ ـ عبس: أبو قبيلة. [تاج العروس، ج ٨، ص ٣٥٠، مادة «عبس»]

٢ ـ و «من» في قوله: «من لا يحسن»: استفهامية أريد بها الإنكار، يعني: لا يعجز عن مثل هذا

هذا؟ أنا عبد الله وأخو رسول الله فلم يبرح مكانه حتىٰ تخبطه الشيطان فجر برجله إلىٰ باب المسجد فسألنا قومه عنه فقلنا: هل تعرفون به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: اللهم لا.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: والأخبار في أمثال ما ذكرناه وأثبتناه يطول بها الكتاب وفيما أودعناه كتابنا هذا من جملتها غنىً عما سواه، والله نسأل التوفيق وإياه نستهدي إلىٰ سبيل الرشاد.

* * *

المقال أحد.

بابٌ

ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام، وعددهم وأسمائهم، ومختصر من أخبارهم

فأولاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثىٰ:

الحسن والحسين وزينب الكبرىٰ وزينب الصغرىٰ المكناة أم كلثوم، أمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله.

ومحمد المكنىٰ بأبي القاسم، أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية.

وعمر، ورقية كانا توأمين، وأمهما أم حبيب بنت ربيعة.

والعباس، وجعفر، وعثمان، وعبد الله، الشهداء مع أخيهم الحسين بن علي صلوات الله عليه وعليهم بطف كربلاء، أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم.

ومحمد الأصغر المكنىٰ بأبي بكر، وعبيد الله[1]، الشهيدان مع أخيهما

---

١ ـ عبيد الله وأبو بكر ابنا أمير المؤمنين عليه السلام، وأمّهما ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمي بن جندل بن مسلم بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم النهشلية التميمية. [انظر: الهداية الكبرى للخصيبي، ص ٩٥]

قال ابن إدريس في السرائر: وقد ذهب شيخنا المفيد في الإرشاد إلى أنّ عبيد الله بن النهشلية قتل بكربلاء مع أخيه الحسين عليه السلام، وهذا خطأ محض بلا مراء؛ لأنّ عبيد الله ابن النهشلية كان في جيش مصعب بن الزبير ومن جملة أصحابه، قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد

الحسين عليه السلام بالطف، أمهما ليلىٰ بنت مسعود الدارمية.

ويحيىٰ، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ـ رضي الله عنها ـ.

وأم الحسن، ورملة أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي.

ونفيسة، وزينب الصغرىٰ، ورقية الصغرىٰ، وأم هانيء، وأم الكرام، وجمانة[1] المكناة أم جعفر، وأمامة، وأم سلمة، وميمونة، وخديجة، وفاطمة ـ رحمة الله عليهن ـ لأمهات شتىٰ.

وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة صلوات الله عليها أسقطت بعد النبي صلى الله عليه وآله ولداً ذكراً كان سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حمل محسناً، فعلىٰ قول هذه الطائفة أولاد أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ثمانية وعشرون ولداً، والله أعلم[2].

* * *

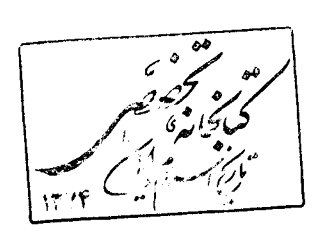
بالمذار، وقبره هناك ظاهر، والخبر به متواتر، وقد ذكره شيخنا أبو جعفر في الحائريات لما سأله السائل عما ذكره المفيد في الإرشاد فأجاب: بأنّ عبيد الله بن النهشلية قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد بالمذار، وقبره هناك معروف عند أهل تلك البلاد، انتهى. [السرائر لابن إدريس، ج ١، ص ٦٥٦]

قلت: وهكذا ذكره أبو الفرج في كتاب مقاتل الطالبيين، [مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، ص ٥٧]. وابن قتيبة في المعارف: أنّ عبيد الله النهشلية قتل بالمذار، قتله أصحاب المختار في هذه الوقعة، وهو معروف، [انظر: المعارف لابن قتيبة، ص ٣١٧]. لكن ابن الأثير قد ذكر في التاريخ القولين جميعاً. [الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٣، ص ٣٩٧]

١ ـ جمانة كثمامة.

٢ ـ [في المخطوطة زيادة: وأحكم].

تمّ الجزء الأول من كتاب الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ممّا ألّفه الشيخ السعيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد قدّس الله روحه وألحقه بالنبيّ والأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين، ويتلوه في الجزء الثاني باب ذكر الإمام بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، وتاريخ مولده ودلائل إمامته ومدّة خلافته ووقت وفاته وموضع قبره وعدد أولاده وطرف من أخباره، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيّدنا ونبيّنا محمد وآله الطاهرين المعصومين.





المحتويات

مقدمة المحقق ٧

١ ـ الشيخ المفيد رحمه الله ٨

النسب ٩

الولادة ١٠

السمات الشخصية ١٠

التدرّج في الدراسة ١١

الجانب الاجتماعي ١١

الجانب العبادي ١٥

الجانب العلمي ١٦

مشايخه ١٧

تلامذته ١٨

مؤلفاته ١٩

وفاته ٢١

٢ - السيد علي القاضي رحمه الله ٢٢

النسب ٢٣

الولادة ٢٣

التدرّج في الدراسة ٢٤

تضلعه بالعلوم الأخرى........ ٢٥
الجانب العبادي........ ٢٥
تلامذته........ ٢٦
وفاته........ ٢٧
هذا الكتاب........ ٢٧
عملنا في هذا الكتاب........ ٢٨
وفي الختام........ ٣٠
كتاب الناحية المقدسة........ ٣٥
كتاب آخر........ ٣٨
ترجمة المؤلّف قدّس سرّه العزيز........ ٤١
كلمة الختام........ ٤٦
مقدمة السيد علي القاضي تَتِئُ........ ٥٠
باب الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام........ ٥٣
فصل / فمن الأخبار التي جاءت بذكره عليه السلام الحادث قبل كونه وعلمه به
قبل حدوثه........ ٦١
فصل آخر / ومن الأخبار التي جاءت بنعيه نفسه عليه السلام إلىٰ أهله
وأصحابه قبل قتله........ ٦٤
فصل / ومن الأخبار الواردة بسبب قتله وكيف جرىٰ الأمر في ذلك........ ٦٨
فصل / ومن الأخبار التي جاءت بموضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام
وشرح الحال في دفنه........ ٧٥
باب طرف من أخبار أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله ومناقبه والمحفوظ
من كلامه وحكمه ومواعظه والمروي من معجزاته وقضاياه وبيناته........ ٧٩

فصل / ومن ذلك ما جاء في فضله عليه السلام علىٰ الكافة في العلم ٨٣
فصل / ومن ذلك ما جاء في فضله عليه السلام ٨٦
فصل / ومن ذلك ما جاء من الخبر بأن محبته عليه السلام علم علىٰ الإيمان
وبغضه علم علىٰ النفاق ٨٩
فصل / ومن ذلك ما جاء في أنه عليه السلام وشيعته هم الفائزون.............. ٩١
فصل / ومن ذلك ما جاءت به الأخبار في أن ولايته عليه السلام علم علىٰ
طيب المولد وعداوته علم علىٰ خبثه ٩٢
فصل / ومن ذلك ما جاءت به الأخبار في تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله
علياً عليه السلام بإمرة المؤمنين في حياته........................... ٩٤
فصل / في ذكر غزاة أحد ١٢٦
فصل / في ذكر مختصر من قضائه عليه السلام في إمارة أبي بكر بن
أبي قحافة ٢٦١
فصل / في ذكر ما جاء من قضاياه عليه السلام في إمارة عمر بن الخطاب ٢٦٤
باب في وجوب المعرفة بالله والتوحيد له ونفي التشبيه عنه والوصف
لعدله وصنوف الحكمة والدلائل والحجة ٢٨٥
فصل / ومن كلامه عليه السلام في مدح العلماء وتصنيف الناس وفضل
العلم والحكمة.................................. ٢٨٨
فصل / ومن كلامه عليه السلام في الدعاء إلىٰ معرفته وبيان فضله وصفة العلماء
وما ينبغي لمتعلم العلم أن يكون عليه.......................... ٢٩١
فصل / ومن كلامه عليه السلام في صفة العالم وأدب المتعلم ٢٩٢
فصل / ومن كلامه عليه السلام في أهل البدع ومن قال في الدين برأيه
وخالف طريق أهل الحق في مقاله........................... ٢٩٣

فصل / ومن كلامه عليه السلام في صفة الدنيا والتحذير منها ٢٩٧
فصل / ومن كلامه عليه السلام في التزود للإخوة وأخذ الأهبة للقاء الله
تعالىٰ والوصية للناس بالعمل الصالح ٢٩٧
فصل / ومن كلامه عليه السلام في التزهيد في الدنيا والترغيب في
أعمال الآخرة ٢٩٨
فصل / ومن كلامه عليه السلام في مثل ذلك ما اشتهر بين العلماء وحفظه ذوو
الفهم والحكماء ٢٩٩
فصل / ومن كلامه عليه السلام في ذكر خيار الصحابة وزهادهم ٣٠١
فصل / ومن كلامه عليه السلام في صفة شيعته المخلصين ٣٠٢
فصل / ومن كلامه عليه السلام ومواعظه وذكره الموت ٣٠٣
فصل / ومن كلامه عليه السلام في الدعاء إلىٰ نفسه والدلالة علىٰ فضله والإبانة
عن حقه والتعريض بظالمه والإشارة إلىٰ ذلك والتنبيه عليه ٣٠٥
فصل / ومن مختصر كلامه عليه السلام في الدعاء إلىٰ نفسه وعترته ٣٠٧
فصل / ومن كلامه عليه السلام حين تخلف عن بيعته عبد الله بن عمر بن
الخطاب وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وحسان بن
ثابت وأسامة بن زيد ٣١٠
فصل / ومن كلامه عليه السلام عند نكث طلحة والزبير بيعته وتوجههما إلىٰ
مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه والتألف علىٰ خلافه ٣١١
فصل / ومن كلامه عليه السلام حين نهض من ذي قار متوجهاً إلىٰ البصرة ٣١٩
فصل / ومن كلامه عليه السلام حين دخل البصرة وجمع أصحابه فحرضهم
علىٰ الجهاد ٣٢١
فصل / ومن كلامه عليه السلام حين قتل طلحة وانفض أهل البصرة ٣٢٢

فصل / ومن كلامه عليه السلام عند تطوافه علىٰ القتلىٰ ٣٢٤
فصل / ومن كلامه عليه السلام بالبصرة حين ظهر علىٰ القوم بعد حمد الله
والثناء عليه ٣٢٧
فصل / ثم كتب عليه السلام بالفتح إلىٰ أهل الكوفة ٣٢٨
فصل / ومن كلامه عليه السلام حين قدم الكوفة من البصرة.................. ٣٢٩
فصل / ومن كلامه عليه السلام لما عمل علىٰ المسير إلىٰ الشام لقتال معاوية
بن أبي سفيان.. ٣٣٠
فصل / ومن كلامه ٧ وقد بلغه عن معاوية وأهل الشام ما يؤذيه
من الكلام ٣٣٤
فصل / ومن كلامه عليه السلام في تحضيضه علىٰ القتال يوم صفين............ ٣٣٥
فصل / ومن كلامه عليه السلام أيضاً في هذا المعنىٰ.......................... ٣٣٦
فصل / ومن كلامه عليه السلام وقد مر براية لأهل الشام لا يزول أصحابها
عن مواقفهم صبراً علىٰ قتال المؤمنين ٣٣٨
فصل / ومن كلامه عليه السلام في هذا المعنىٰ............................ ٣٣٩
فصل / ومن كلامه عليه السلام حين رجع أصحابه عن القتال بصفين لما
اغترهم معاوية برفع المصاحف فانصرفوا عن الحرب ٣٤١
فصل / ومن كلامه عليه السلام بعد كتب الصحيفة بالموادعة والتحكيم وقد
اختلف عليه أهل العراق في ذلك ٣٤٢
فصل / ومن كلامه عليه السلام للخوارج حين رجع إلىٰ الكوفة وهو بظاهرها
قبل دخوله إياها ٣٤٣
فصل / ومن كلامه عليه السلام حين نقض معاوية العهد.................... ٣٤٤
فصل / ومن كلامه عليه السلام أيضاً في استنفار القوم واستبطائهم عن الجهاد

وقد بلغه مسير بسر بن أرطاة إلىٰ اليمن ٣٤٥
فصل / ومن كلامه عليه السلام أيضاً في استبطاء من قعد عن نصرته ٣٤٦
فصل / ومن كلامه عليه السلام أيضاً في هذا المعنىٰ.................... ٣٤٧
فصل / ومن كلامه عليه السلام لما نقض معاوية بن أبي سفيان شرط الموادعة
وأقبل يشن الغارات علىٰ أهل العراق ٣٤٩
فصل / ومن كلامه عليه السلام في مقام آخر......................... ٣٥٠
فصل / ومن كلامه أيضاً في معنىٰ ما تقدم ٣٥١
فصل / ومن كلامه عليه السلام في مقام آخر......................... ٣٥٢
فصل / ومن كلامه عليه السلام في تظلمه من أعدائه ودافعيه عن حقه ٣٥٩
فصل / ومن كلامه عليه السلام عند الشورىٰ وفي الدار..................... ٣٦٠
فصل / ومن كلامه عليه السلام في الحكمة والموعظة ٣٧٦
ومن كلامه عليه السلام في وصف الإنسان ٣٨٠
فصل / في آيات الله تعالىٰ وبراهينه الظاهرة علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام
الدالة علىٰ مكانه من الله عزّ وجلّ واختصاصه من الكرامات بما انفرد
به ممن سواه للدعوة إلىٰ طاعته والتمسك بولايته والاستبصار
بحقه واليقين بإمامته والمعرفة بعصمته وكماله وظهور حجته.......... ٣٨٤
باب ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام، وعددهم وأسمائهم،
ومختصر من أخبارهم.............................. ٤٢٩